# الأوضاع الاقتصادية في العراق خلال العصر العباسي

## (٢٢٧ -٣٣٤هـ/ ٨٤٢- ٩٤٦م)


إعداد

نصر محمود سلمان الشقيرات

المشرف

الأستاذة الدكتورة غيداء عادل خزنة كاتبي


قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

التاريخ


الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا





نيسان، ٢٠١٦م

**نموذج ترخيص**

أنا الطالب : نصر محمود سلمان المشقيرات أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

الأوضاع الاقتصادية في العراق خلال العصر العباسي
(٢٢٧هـ - ٣٣٤هـ / ٨٤٢م - ٩٤٦م)

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: نصر محمود سلمان المشقيرات

التوقيع:

التاريخ:

ب

## قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة **بعنوان "الأوضاع الاقتصادية في العراق خلال العصر العباسي (٢٢٧هـ - ٣٣٤هـ/ ٨٤٢م – ٩٤٦م) "** وأجيزت بتاريخ ٢٠١٦/٤/٢٧.

| أعضاء لجنة المناقشـــــة | التوقيـــــــــــع |
|---|---|
| الدكتورة غيداء عادل " خزنة كاتبي"، مشرفاً<br>أستاذة - التاريخ الإسلامي | ........................ |
| الدكتور صالح موسى درادكه، عضواً<br>أستاذ - التاريخ الإسلامي | ........................ |
| الدكتور عبد المجيد زيد الشناق، عضواً<br>أستاذ – تاريخ العرب الحديث والمعاصر | ........................ |
| الدكتور عليان عبد الفتاح الجالودي، عضواً<br>أستاذ – التاريخ الإسلامي (جامعة آل البيت) | ........................ |

**الإهداء**

إلى روح والديّ الحبيبين رحمهما الله ...................... وإلى أشقائي وشقيقاتي الأعزاء .................. وإلى كل من وقف إلى جانبي طيلة فترة دراستي .............. وإلى من أحببتهم فكان حبهم العابق في الذاكرة والروح شمعة أضاءت لي الدرب ......... أهدي ثمرة جهدي .

## شكر وتقدير

بعد أن وفقني الله في إتمام هذه الأطروحة، لايسعني إلا أن اتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان إلى أستاذتي الدكتورة غيداء عادل " خزنة كاتبي" على مابذلته من الجهد والرعاية في إخراج هذا العمل ، والتي لولا تشجيعها وتوجيهاتها المستمرة لما كان لهذا العمل أن ينجز بالصورة التي هو عليها الآن، فجزاها الله عني خير جزاء ، وأمد الله في عمرها ؛ لتبقى شعلة مضيئة تنير لنا درب العلم ، لننهل من علمها الذي لا ينضب .

## فهرس المحتويات

# المختصرات والرموز

| | | |
|---|---|---|
| ص | ..................................... | صفحة |
| ج | ..................................... | جزء |
| ق | ..................................... | قسم |
| ط | ..................................... | طبعة |
| مج | ..................................... | مجلد |
| ت | ..................................... | تاريخ وفاة |
| هـ | ..................................... | هجري |
| م | ..................................... | ميلادي |
| د . ت | ..................................... | بدون تاريخ نشر |
| د.م | ..................................... | بدون مكان |
| ع | ..................................... | عدد |

DİA =Türkleri İslam Dinine Kabule Sevkeden Sebepler
E.I = Encyclopedia Of Islam

# ( الأوضاع الإقتصادية في العراق خلال العصر العباسي ( ٢٢٧ -٣٣٤هـ/ ٨٤٢-٩٤٦م)

**إعداد**

**نصرمحمود الشقيرات**

**المشرف**

**الأستاذة الدكتورة غيداء عادل خزنة كاتبي**

## الملخص

تناولت الأطروحة الأوضاع الاقتصادية في العراق في العصر العباسي (٢٢٧ - ٣٣٤هـ /٨٤٢-٩٤٦م)، بهدف رصد وتحليل جميع مجالاتها، باعتبارها تشكل بعداً حضارياً مهماً يكشف عن حقيقة مدى التطور أو التردي الذي بلغته الدولة ، كذلك بيان طبيعة الدور الذي بذلته الدولة ورجالاتها، سواء قادة ترك أو وزراء في مواجهة التحديات التي عانت منها الحياة الإقتصادية .

وتأتي أهمية الدراسة فضلاً عن قيمتها في ادراك مستوى النشاط الإقتصادي في مركز الدولة العباسية وهو العراق، فإنها تُمكن أيضاً من كشف جوانب النشاط الإقتصادي للعديد من أقاليم الدولة العباسية في القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلاديين، نظراً للصلات السياسية وعلاقات التبادل التجاري التي تربطها بالعراق، وانعكاس هذه الصلات في تدعيم أو تراجع الحياة الإقتصادية خاصة في فترات الإضطراب التي كانت تشهدها هذه الأقاليم .

وتتألف الدراسة من أربعة فصول ومقدمة وخاتمة ، تناول الفصل الأول الأوضاع الجغرافية والحياة السياسية بما فيها العلاقات السياسية الداخلية والخارجية للعراق .

وجاء الفصل الثاني للحديث عن الحياة الزراعية من حيث؛ أنواع الأراضي وأساليب الزراعة والري، ودور الدولة العباسية في دعم هذا المجال، وأبرز الأخطار والتحديات التي واجهتها.

وناقش الفصل الثالث التجارة في العراق من حيث التجار ودورهم السياسي، والفعاليات التجارية في الأسواق والمخاطر التي واجهتها ،إضافة لبيان أهم الصادرات والواردات والطرق التجارية البرية والنهرية للدولة.

أما الفصل الرابع فقد تناول مالية الدولة من حيث؛ نظامها النقدي وأبرز الواردات والنفقات ، وبيان طبيعة دور الدولة في إدارتها، والتحديات التي واجهتها في ذلك .

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

أولاً: تأثر الحياة الاقتصادية الكبير بالأوضاع السياسية التي تعيشها الدولة العباسية إلى جانب أسباب أخرى، تتعلق بالمناخ والجغرافيا والإدارة .

ثانياً: ضعف دور الدولة العباسية في الرعاية والرقابة على الحياة الاقتصادية، باستثناء بعض فترات الإنتعاش جاءت كمحاولات من بعض الخلفاء ورجال الدولة في محاولة النهوض بها .

ثالثاً : دلت النقوش والوثائق البردية على وجود نشاط تجاري ملحوظ ، يربط العراق بالعديد من أقاليم الدولة العباسية.

رابعاً : أدت العلاقات السياسية المضطربة بين الدولة العباسية وخصومها إلى اضطراب واضح في النظام النقدي وسلطة ضرب النقود .

خامساً : أظهر أهالي العراق خاصة المزارعون والتجار خلال فترة الدراسة ، قدرة على التعايش مع الأحوال الاقتصادية التي تمر بها الدولة، من خلال ابتكار أساليب معاشية ساعدتهم في تخفيف أثر الكوارث وحالات الاضطراب السياسي التي يمرون بها .

## المقدمة

تتصل طبيعة فهمنا لأي مرحلة تاريخية تمر بها الدول، بمدى إدراكنا لواقع وتفاصيل أنشطة الحياة الإقتصادية التي تعيشها، ولكن يجب أن يأتي هذا الفهم ضمن وعي الدارس بحقيقة وجود ترابط بين جميع مجالات الحياة الإقتصادية ، بل وتداخلها في نمط تفاعلي واحد، خاصة أن أي مجال إقتصادي منها يعتمد على غيره من المجالات، تلك التي توفر له الموارد الأساسية اللازمة لقيامه .

عرف العراق خلال فترة الدراسة (٢٢٧هـ-٣٣٤هـ/ ٨٤٢م-٩٤٦م) اضطراب واضح في الحياة السياسية ، تمثل بالحركات والفتن وعلاقة الدولة العباسية مع إمارات الإستيلاء الطاهرية والصفارية والسامانية، وما نتج عن ذلك من تأثير مباشر على الحياة الإقتصادية من خلال منع رفع الأموال ( الخراج) لخزينة الدولة ، والتعدي على العديد من الأراضي الزراعية والأنهار ، إضافة الى مهاجمة الطرق التجارية وبضائع التجار، وضرب النقود باسماء أصحاب الحركات وأمراء إمارات الإستيلاء دون ذكر اسم الخليفة العباسي عليها ، مما يدلل على ضعف سلطته ، لذا جاءت هذه الدراسة لرصد وتحليل طبيعة ومستوى هذا التأثير على الأنشطة الإقتصادية، وبيان قدرة الأفراد أو الدولة العباسية من خلال بعض الخلفاء والوزراء والكتاب على مواجهة هذه التحديات، لذلك حاولت الدراسة الإجابة على العديد من الأسئلة أهمها :

- ماهو أثر الإضطرابات السياسية على الزراعة والتجارة ومالية الدولة ؟
- من هي الفئات السياسية التي وجهت الحياة الإقتصادية في العراق؟
- ما النشاط الإقتصادي الأكثر تأثراً بالاضطرابات السياسية ؟
- ما الاجراءات التي استخدمت لمواجهة هذه التحديات والاضطرابات؟

وقد واجه الباحث أثناء إعداد الدراسة العديد من الصعوبات، من أبرزها ضـرورة دراسة الأنشطة الاقتصادية في العراق خلال فترة تميزت بالإضطراب السياسي ، الأمر الذي تطلب تتبع الإشارات الإقتصادية المتناثرة بدقة في العديد من المصادر، التي يغلب عليها طابع التنوع في مجال اهتمامها سواء التاريخية أو الأدبية أو الفقهية أو الطبية وغيرها من مجالات التـراث الحضـاري الإسلامي المتعلقة بفترة الدراسة، وتحليل الإشارات المرتبطة بالنقوش التي تمّ العثور عليها في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها ، أو التي عُثر عليها علـى النقـود أو الآوانـي الخزفيـة أو المكاييل، فضلاً عن العديد من البرديات وقراءات في موسوعات المتاحف ومؤلفات النقود المتعددة، التي استفادت منها الدراسة في تثبيت أصول بعض النظم الإدارية، وتحديد ملامح مهمة في الزراعة تتعلق بالضرائب والمزارعين، وجوانب تتصل بالتجارة لها صلة بأسـعار البضـائع والمعـاملات المالية الجارية في الأسواق، وفي مجال مالية الدولة تتعلق باجراءات ضرب النقود، وغيـر ذلـك العديد من الملامح التي أفادت فيها الدراسة، وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أن الجهود المبذولة في حلها مكنت الباحث من تغطية أكثر فترات التاريخ العباسي تعقيداً.

وقد انفردت الأطروحة بموضوعها ، حيث لم تعالج فترة الدراسة دراسات سابقة بشكل مستقل، إنما كان هناك دراسات فرعية تناولت أنشطة اقتصادية محددة ، مثل :

- البوز، رند خالد، الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ)، رسـالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦م ، تناولت النشاط الزراعي في العراق، دون النظر بتعمـق الى الظروف السياسية والإدارية التي أثرت على النشاط الزراعي .

- الضلاعين ، مروان ، التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول ( ١٤٥هـ - ٢٤٧هـ) ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٦م، اقتصرت دراسته على التجارة وتحديداً في بغداد ، ولم تتناول الدراسة كافة الجوانب المتعلقة بالنشاط التجاري .

- العليمات، فوزية محمد المسلم، مالية الدولة الإسلامية أيام العباسيين الموارد والنفقات( ٢٣٢-٣٣٤هـ)، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨م، ركزت الدراسة على الجوانب المالية في الدولة العباسية ، دون النظر إلى الجوانب الإقتصادية الأخرى كما لم تتحدث الدراسة عن النظام النقدي في الدولة .

لذا حاولت الدراسة تناول الجوانب المختلفة للنشاط الإقتصادي في العراق بشكل شامل لفترة الدراسة ، كما غطت جميع الجوانب التي لم تعالجها الدراسات السابقة ، مع تركيزها على ضرورة إبراز البعد التكاملي للحياة الإقتصادية والاعتناء بكافة أنشطتها للخروج بصورة عامة لواقعها .

وقد تضمنت الدراسة الفصول التالية :

الفصل الأول: بعنوان الواقع الجغرافي والأوضاع السياسية في العراق، تناول وصفاً لجغرافية العراق، بإعتبارها البيئة التي تمارس فيها النشاطات الإقتصادية، كما جرى خلاله استعراض أهم جوانب العلاقات السياسية سواء الداخلية المتصلة بعلاقة الدولة بالجند الترك وقادتهم ، والوزراء والكتّاب ونساء القصر، أو الخارجية المتصلة بإمارات الإستيلاء كالطاهرية والصفارية والسامانية تحديداً؛ لتأثير تلك الإمارات على الحياة الإقتصادية، خاصة على التجارة وطرقها، كما تناول هذا الفصل حركات سياسية كان لها تأثير سلبي على الحياة الإقتصادية في العراق.

الفصل الثاني: تناول هذا الفصل النشاط الزراعية في العراق؛ بدءً بتوضيح أنواع الأراضي الزراعية، ثم الحديث عن السياسة الزراعية في العراق ومنها إقامة مشاريع، وأثر الأحداث السياسية الجارية على مدى نجاح السياسة الزراعية ، كما إهتم هذا الفصل بمناقشة طبيعة الإنتاج الزراعي وتنوعه وما يتصل منه ببعض الجوانب التصنيعية مثل الصناعات الغذائية أو العطور وغيرها.

الفصل الثالث : تناول هذا الفصل النشاط التجاري في العراق، وبيان طبيعة النشاط التجاري في الأسواق من حيث أنواع التجار والشركات والمعاملات المالية والأسعار، وأبــرز الصــادرات والواردات سواء النباتية أو المصنعة منها والحديث عن طبيعة تصنيعها وميزاتها، كما استعرضت فيه أهم الطرق التجارية البرية والنهرية ووسائل النقل المستخدمة، كما جرت مناقشة أهم الأخطار التي تعرضت لها الطرق التجارية وفي مقدمتها الآثار المترتبة عن إضطراب الأحداث السياســية بخاصة ظهور خطر القرصنة في البحار والأنهار التي يسلكها التجار.

الفصل الرابع : ويتضمن مالية الدولة العباسية، من حيث نظام ضرب النقود، وما اعتراه من بعض التدخلات الإدارية المتعلقة بسلطة من يتولى ضربها، كما تناول هذا الفصل الحديث عن أهم الواردات والنفقات المرتبطة بميزانية الدولة، بوصفها حصيلة مهمة ومفيدة لقياس مدى تأثير الحياة الإقتصادية على الأوضاع المالية للدولة، مثبتة بوثائق معاصرة،هي قوائم مالية عديدة .

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الحياة الإقتصادية بشكل متكامل يطال جميــع مجالاتهــا، أمــر ضروري للكشف عن عمق التداخل بين مجالات الحياة الإقتصادية، كما يعد في الوقت نفسه بــديل منهجي يمكن اللجوء إليه لتفادي النقص الحاصل أحياناً فــي المعلومــات عــن بعــض المظــاهر والممارسات المرتبطة بأحد المجالات الإقتصادية، والتي يجد الباحث ما يكشفها ويحلل أبعادها عند دراسته لمجال إقتصادي آخر.

# الفصل الأول

## الواقع الجغرافي والأوضاع السياسية في العراق

## الفصل الأول: الواقع الجغرافي والأوضاع السياسية في العراق

### أولاً : الواقع الجغرافي .

#### ١) التسمية:

يرد في تحديد منطقة العراق استخدام مصطلحين، هما مصطلحا العراق والسواد، وكثيراً ما يستخدمهما المؤرخون والجغرافيون في ذات السياق والتعبير، يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، في إطار حديثه عن معنى السواد: " سواد العراق ماؤه الكثير" [(١)]، ويُشير في موضع آخر بقوله: " إن العراق سُمي سواداً بلون السَّعف الذي في النخل ومائه " [(٢)]، ويستمر الربط بين المصطلحين لدى الجغرافيين والمؤرخين في القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي للتعبير بهما عن منطقة ومعنى واحد.

يقول البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): " ولم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق" [(٣)]، ويسير على منهجه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م) بقوله أيضاً: " ولنبتدىء بذكر ارتفاع السواد بحسب ما هو عليه في هذا الوقت، وحدّ العراق من جهة الغرب على هذا التفصيل" [(٤)].

ويبدو أن استخدام كلمة السواد جاء فيما سبق للتعبير عن مدى خصوبة الأرض

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، الحيوان، ٤ مجلدات، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، مج٣، ص٧٩. وسيشار له لاحقا: الجاحظ، الحيوان.

(٢) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص ١٢٠.

(٣) قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص١٦٢. وسيشار له لاحقاً: ابن قدامة، الخراج.

(٤) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٤٢١. وسيشار له لاحقاً: البلاذري، فتوح البلدان.

والإشارة إلى التربة الغرينية الغنية التي تتشكل منهـا أرض العـراق[١]، ويؤيـد هـذا الإتجـاه وهو اعتبار السواد جزء من مصطلح أشمل وأوسع مسـاحة وهـو العـراق، أن تسـمية كـور السواد عند الفرس هي (دل ايرانشهر) ومعناها قلب العراق[٢].

لذا فإن دلالة السواد زراعية بالدرجة الأولى[٣]، فهي تُشير إلى الخضرة والزرع حتـى أن العرب شبهوه بسواد الليل لكثرة النخيل والشجر والماء فيه[٤]، لذلك تقول العـرب سـواد الأرض وبياضها، فالسواد هو العامر أي الصالح للزراعة من الأرض والبياض الغامر أي الخـراب منهـا الذي غمرته المياه[٥]، ومنه قيل أيضاً سواد البصرة وسواد الكوفة أي قراهما[٦]، ويبـدو أن هـذا

---

(١) سميت هذه التربة عند كتب الفلاحة العربية ( السوداء) ووصفت بجودتها العالية . للمزيد أنظر: الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٧. وسيشار له لاحقا: الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي ؛ السامرائي، كمال وآخرون ، بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٧٨م، ص ٣٦٨. وسيشار له لاحقاً: تاريخ العلوم عند العرب.

(٢) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك؛ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت. ص ٥-٦. وسيشار له لاحقاً: ابن خرداذبة، المسالك والممالك ؛ التونجي، محمد، معجم المعربات الفارسية، ط٢، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٧، ٧٩. وسيشار له لاحقاً: التونجي، معجم المعربات.

(٣) الميّاح، علي محمد، أرض السّواد دراسة في الجغرافيا والتاريخ، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٤١، ج١، بغداد، ١٩٩٠م، ص٢٣٥. وسيشار له لاحقاً: المياح: أرض السواد.

(٤) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ٢٣ جزء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص ٤٠-٤٠. وسيشار له لاحقا: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

(٥) الصابىء، أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ص ٧٨. وسيشار له لاحقاً: الصابىء، الوزراء.

(٦) البلخي ،أحمد بن سهل ( ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) ، البدء والتاريخ، ٢ جزء، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ١٥. وسيشار له لاحقاً: البلخي، البدء والتاريخ؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ٩ أجزاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، مادة (سواد). وسيشار له لاحقاً: ابن منظور، لسان العرب.

المصطلح تجاوز الحديث عن طبيعة الأرض من حيث درجة خصوبتها للدلالة على قدرتها علـــى الإنتاج والغلّة.

أما فيما يخص مصطلح العراق فهو في اللغة يُعني عِراق القربة[١]، أو بمعنى شاطىء البحر (أو ساحله[٢])، وسُمي بهذا الاسم لأنها على شاطىء نهري دجلة والفرات، وقيل بل العـــراق هـــو فناء الدار أو المتوسط بين الشيئين[٣] .

ومنه جاء القول : العِراقان أي البصرة والكوفة[٤]، بكاملها وليس مجرد قراها أو ريفها كما دلـــت كلمة السواد عندما أضيفت للأسمين.

إن الدلالة الأوسع لمصطلح العراق هي إدارية شملت السواد نفســه[٥]، كمـــا أن ورود هـــذا المصطلح على النقود هي إشارة لها أهمية ، بإعتبار أن سك النقود والإشراف على دور الضـــرب

(١) وعراق القربة هو الخرز المثني في أسفلها، لذا قال ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م) موضحاً المغزى من هذا الإسم :" سُميت أرض العراق من عراق القربة ، أي أنها أسفل أرض العرب" . السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ، الأنساب، ٤ مجلدات، تحقيق محمد أحمد حلاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٩٩م، مج٣، ص٣٣١. وسيشار له لاحقاً: السمعاني، الأنساب .

(٢) السمعاني ، الأنساب، مج٣، ص٣٣١؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٥٤م، ص٤١. وسيشار له لاحقاً : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية .

(٣) الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، شرح مقصورة ابن دريد، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١م، ص ١٢٨. وسيشار له لاحقاً: الخطيب التبريزي، شرح مقصورة ابن دريد. القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر (ت ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م)، العشرات في اللغة، تحقيق يحيى عبد الروؤف، عمان، ١٩٨٤م، ص١٩٩. وسيشار له لاحقاً: القيرواني، العشرات في اللغة.

(٤) البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) المسالك والممالك، مجلد (٢جزء)، تحقيق ادريان خان ليوفن وأندري فيري، وزارة الثقافة، تونس، ١٩٩٢م، ص ٤٢٣. وسيشار له لاحقاً: البكري، المسالك والممالك؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرق)؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم( ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٣٢. وسيشار له لاحقاً: الحميري، الروض المعطار.

(٥) القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٥جزء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، د.ت، مج٤، ص٣٩. وسيشار له لاحقاً: القلقشندي، صبح الأعشى .

هي من مسؤولية الدولة المباشرة، مما يجعل استخدام هذا المصطلح هي رؤية سياسية للإشارة إلى الوحدة الإدارية التي تشمل السواد أيضا، فقد نقشت كلمة (العراق) على مركز الوجه لبعض الدنانير العباسية التي تعود إلى زمن الخليفة المـأمون (١٩٨–٢١٨هـ/٨١٣–٨٣٣م)، وتحديداً سنة (٢٠١هـ/٨١٦م) وسنة (٢٠٢هـ/٨١٧)[1]، ولهذا يمكن القول أن مصطلح العراق هو اكثر شمولاً من السواد .

---

(١) دفتر، ناهض عبد الرزاق، الدينار الإسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م. ص ١٣٣–١٣٥.
وسيشار له لاحقاً: دفتر، الدينار الإسلامي.

**٢) حدود العراق:**

ارتبط تحديد العراق ابتداء بمساحة الأراضي الممسوحة فقد أشار القاضي أبو يوسف (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، إلى ذلك بقوله: " مسح السواد إلى ما دون جبل حلوان[١]، فوضع على كل جريب[٢] عامر أو غامر " [٣]، قاصداً بذلك التحديد موضع الغلّة فيه[٤]، تبعه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م) بالإشارة إلى ذلك بقوله: " يُقال أن حد السواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل[٥]، ماداً مع الماء إلى ساحل البحر، ببلاد عبّادان[٦]، من شرقي دجلة، هذا طوله وأما عرضه فحدّه منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية[٧]، المُتصل بالعُذيب[١] من أرض العرب، فهذه حدود السواد وعليه وقع الخراج " [٢].

(١) حلوان: آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، ليس للعراق مدينة قرب الجبل غيرها. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٧ مجلدات، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م، مادة (حلوان)، مج٢، ص ٣٣٤. وسيشار له لاحقاً: ياقوت الحموي، معجم البلدان؛ أنظر خارطة العراق في الملحق (ص٤٥٩) من الرسالة .

(٢) الجريب : وحدة مساحة لقياس الأرض وتساوي ما بين (١٥٥٧-١٥٩٢) متر مربع وهو وحدة كيل أيضاً متفاوتة القيمة. هنتس، المتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص ٦١، ٩٦ . وسيشار له لاحقاً: هنتس ، المكاييل والأوزان .

(٣) أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم القاضي (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، كتاب الخراج، تحقيق محمد عبد الحفيظ المناصير، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٨٨-١٨٩. وسيشار له لاحقاً: أبو يوسف، الخراج.

(٤) البكري، المسالك والممالك، ص ٤٢٤.

(٥) الموصل: باب العراق ومفتاح خراسان، سُميت الموصل لأنها وصلت بن الجزيرة الفراتية والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات، على طرف دجلة يقابلها من الشرق نينوى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الموصل)، مج٥، ص ٢٥٨.

(٦) عبادان: موضع تحت البصرة قرب البحر، فعندما تقارب دجلة البحر تنفصل فرقتين عند قرية تُسمى المُحرزى فرقة يركب بها إلى البحرين وهي اليمنى، وأخرى يركب بها إلى سيراف وهي اليسرى وعبادان في الجزيرة بينهما. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (عبادان)، مج٤، ص٨٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٧٠-٧١.

(٧) القادسية: تعرف لغوياً بأنها السفينة العظيمة، مدينة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين العذيب أربعة أميال. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (القادسية)، مج٤، ص٣٣١.

إن شمولية المناطق بالمسح وفرض الخراج عليها يُفسر استخدام مصطلح الســواد منفــرداً وأحياناً مع مصطلح العراق في تحديد المساحة.

وقد تناول جغرافيوا القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حدود العراق، ويبدو أن لديهم ما يشبه الاتفاق على حدوده مع اختلاف يسير بينهم، فقد ذكر ابن خرداذبة (ت ٢٧٢هـــ/٨٨٥م) "أن طوله من العلث وهي قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء في أول العراق من شرقي دجلــة [٣] ، وحربى وهي بليدة من أقصى دجيل بين بغداد وتكريت، [٤] إلى عبادان، وعرضه من عقبة حلــوان وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من ناحية بغداد إلى العُذيب" [٥]. ويتطابق هذا التحديد مع ما ورد عند ابن رستة (ت٢٩٠هــ/٩٠٢م)، وعند المسعودي (ت٣٤٦هــ/٩٥٧م)، ولكن مع شيء من التفصيل عند الأخير قائلاً: " وقد حد كثير من الناس السواد وهو العراق فقالوا حده مما يلي الغرب وأعلى دجلة القريتان المعروفتان أحدهما بالعلث من الجانب الشرقي من دجلة والأخرى معروفــة بحربى، ومن المشرق الجزيرة المتصلة بالبحر المعروفة بميان روذان، والحد الشمالي مــن عقبــة حلوان إلى الموضع المعروف بالعذيب وراء القادسية " [٦]، ويلاحظ أن المسعودي وابن رستة ذكرا الحد الجنوبي من العراق وهي (ميان روذان) بإعتبارها الجزيرة الواقعة تحت البصرة والتي تقــع

---

(١) العُذيب: ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال، قيل هو حد السواد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (العُذيب)، مج٤ ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) أبو عبيد، القاسم بن سلّام (ت٢٢٤هــ/٨٣٨م)، الأموال، تحقيق خليل محمد الهراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٠٣. وسيشار له: لاحقاً أبو عبيد، الأموال.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (العلث) مج٤، ص١٦٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٧٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ما دة (حربي)، مج٢، ص٢٧٤.

(٥) ابن خرادذبة، المسالك والممالك، ص١٤؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت٣٦٧هــ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م، ص٢٠٨. وسيشار له لاحقاً: ابن حوقل، صورة الأرض.

(٦) ابن رستة، أحمد بن عمر (ت٢٩٠هــ/٩٠٢م)، الأعلاق النفيسة، تحقيق ف. وستتفلد، ليدن، بريل، ١٨٩١م، ص١٠٤. وسيشار له لاحقاً: ابن رستة، الأعلاق النفيسة؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هــ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، صححه عبدالله اسماعيل الصادق، المكتبة العصرية، بغداد، ١٩٣٨م، ص٣٥. وسيشار له لاحقاً: المسعودي، التنبيه والاشراف.

فيها عبادان[١]، مما يؤكد لنا أن الخلاف في الحدود لا يكون كما توحي المســميات بأنهــا منــاطق متباينة الأبعاد أو المسافات، بل هي في حقيقتها لا تخرج عن كونها مواقع أو نقــاط متجــاورة او مُتلاصقة أحياناً.

ويبدو أن الأراضي الممسوحة في جنوب وشرق وغرب العراق كانــت واضــحة المعــالم، بخلاف الحدود الشمالية والتي يظهر فيها اختلاف يتجلى في إشارات المؤرخين والجغرافيين، فقــد وردت العديد من الإشارات التي تُفيد زيادة حدها عن منطقة عقبة حلوان[٢].

ويظهر بحسب إشارات البعض حدوث تعديلات جرت فعلياً على هذه الحدود فقــد ذكــر أن الخليفة المعتصم (٢١٨هــ-٢٢٧هــ/٨٣٣-٨٤٢م)، أضاف جزءاً من أرض الموصــل وجعلهــا ضمن حدود العراق الشمالية[٣]، لتمتد بذلك الحدود حتى مدينة (العقر) وهي قرية تقع بين تكريــت والموصل تنزلها القوافل بوصفها أول حدود أعمال الموصل جهة العراق[٤]، وفي رواية الخطيــب البغدادي (ت ٤٦٣هــ/١٠٧٠م)، عن أبي اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هــ/٨٩٨م) أحد أعيان القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي جعل حدود العراق من بلدَّ[٥] شمالاً حتى عبــادان

(١) الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (ت٢٣٢هــ/٨٤٦م)، صورة الأرض، تحقيق هانس فون فريك، مطبعة أدولف هولز، فينا، ١٩٢٦م، ص١٠٠. وسيشار له لاحقاً: الخوارزمي، صورة الأرض؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (ميان روذان)، مج٥، ص٢٧٦.

(٢) للمزيد: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٧.

(٣) البكري الأندلسي، عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هــ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٠م ، ج٣، ص ١٢٧٨. وسيشار له لاحقاً: البكري، معجم ما استعجم؛ جودة، جمال، العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٧م، ص ٣٤. وسيشار له لاحقاً: جودة، العرب والأرض.

(٤) أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (العقر)، مج٤، ص١٥٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١.

(٥) بلدٌ أو "بلط" هي مدينة قديمة على دجلة من أعمال الموصل بينهما سبع فراسخ ، وقد ضربت فيها دراهم باسم الخليفة المقتدر في سنة ( ٢٦٣هــ/ ٨٧٦م) . الخوارزمي، صورة الأرض، ص٢٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مادة (بلد)، مادة (بلط)، مج١، ص٥٧، ص٥٧٤؛ دفتر ، ناهض عبد الرزاق، الدرهم العربي

جنوباً وعرضه من العُذيب إلى جبل حلوان[١]، لا شك أن هذا الإختلاف في آخر الحد الشمالي قد يكون سببه عملياً التداخل الكبير لحدود العراق مع أرض الجزيرة الفراتية، وقد عبر صاحب كتاب حدود العالم (حوالي ٣٧٢هــ/٩٨٢م)عن هذا التداخل قائلاً: " يُحيط به – العراق– من شماليه شيء من حدود الجزيرة " [٢].

ومع هذا الاختلاف، فإن معظم الإشارات المتعلقة بالحدود الشمالية للعــراق لــم تــزد عــن الموصل، واستمرت لدى الجغرافيين حتى فترات لاحقة[٣].

أما الباحثين المحدثين فقد اتفق بعضهم أن حدود العراق[٤] يمتد من العلث وحربى شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً ومن حلوان شرقاً حتى العُذيب غرباً[٥]، وهي حدود في مجملها تتطابق مــع تقديرات وإشارات المصادر.

**٣) التضاريس والمناخ**

تعتبر دراسة جغرافية المكان أمراً مهماً للتعرف على مواضع النشاط الاقتصادي فيه، ممــا

---

الإسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م، ص١٢٦-١٢٧. وسيشار له لاحقاً: دفتر، الدرهم الإسلامي .

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٥١.

(٢) مؤلف مجهول (ت حوالي ٣٧٢هــ/٩٨٢م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١١٤، وسيشار له لاحقاً: مؤلف مجهول، حدود العالم.

(٣) أنظر مثلاً: ابن الفوطي، كمال الدين عبد الزراق بن أحمد (ت ٧٢٣هــ/١٣٢٣م)، مناقب بغداد، تحقيق محمد عبدالله القدحات، دار الفاروق، عمّان ، ٢٠٠٨م، ص ٣٢. وسيشار له لاحقاً: ابن الفوطي، مناقب بغداد؛ القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢هــ/١٢٨٣م)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار الصياد، بيروت، د.ت، ص٤١٩. وسيشار له لاحقاً: القزويني، أثار البلاد.

(٤) تجدر الإشارة إلى أن المصادر ميزت لاحقاً على فترة الدراسة بين مصطلحين هما : عراق العرب ( منطقــة بلاد مابين النهرين)، وبين عراق العجم وهو تسمية اطلقتها العامة على أقليم الجبال فــي العهــد الســلجوقي . للمزيد أنظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٢١ .

(٥) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٧؛ سوسه، أحمد، حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية،٢ مجلد، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٤٦. وسيشار له لاحقاً: سوسة، حضارة وادي الرافدين.

يساعد الدارسين التعرف على قدرة الأفراد في التعامل مع البيئة ومواردها الطبيعية، خاصة فهم الجانب المتعلق بتقسيم سطح الأرض فيها، مما يندرج عليه إدراكنا لمدى قدرتهم على حسن استغلال ميزات المكان ومواجهتهم للتحديات.

وقد استطاع سكان العراق منذ فترة تاريخية مُبكرة التعامل مع خصائص البيئة وسماتها الجغرافية، وبشكل فعّال يُعبر عن مدى تقدمهم وتطورهم قياساً بمن عاصرهم.

أما الأقسام العامة لسطح الأرض في العراق بحسب وجهة نظر الجغرافيين فإنها تشمل[١] المنطقة الجبلية وتقع في الشمال الشرقي من العراق، والهضبة الصحراوية التي تحتل القسم الغربي من العراق، والسهل الرسوبي الذي يقع في وسط وجنوب العراق ويحيط بنهري دجلة والفرات، وهي تقسيمات يكن قبولها لتوضيح السمة العامة لطبيعة تكوين سطح الأرض في العراق.

أما ما اصطلح على تسميته بمناطق السواد وهي التي تعبر بشكل أدق عن مناطق النشاط الإقتصادي خاصة الزراعي في العراق فهي كالتالي[٢]:

أولاً: المنطقة التي تقع شرق نهر دجلة وتسقي الأراضي المزروعة من أنهار دجلة والنهروان وتمتد من الدور[٣] شمالاً حتى نهاية النهروان[٤] .

ثانياً: المنطقة التي ترويها مياه نهر دجلة والفرات وتتشكل من الأراضي الواقعة بين

---

(١) الخلف، جاسم محمد، جغرافية العراق الطبيعية والإقتصادية والبشرية، ط٣ ، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٥م. ص٣٧. وسيشار له لاحقاً: الخلف جغرافية العراق.

(٢) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٤؛ سوسة، حضارة وادي الرافدين،ج٢، ص٢٤٦.

(٣) الدُورُ: سبعة مواضع بأرض العراق من نواحي بغداد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الدور) مج٢، ص٥٤٧.

(٤) النهروان: وهي ثلاث الأعلى والأوسط والأسفل وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (النهروان)، مج٥، ص٣٧٥.

ماذرايا[١] في الشمال والبطيحة[٢] في الغرب والخليج في الجنوب.

ثالثاً: المنطقة الأوسع والأكثر انتاجاً وتأتي بين الأنبار[٣] على الفرات، والدور على دجلة في الشمال. وبين البطيحة في الجنوب ويدخل ضمنها العديد من الأنهار وهي نهر عيسى[٤] ونهر صرصر[٥] والملك[٦] وكوثى[٧] .

ويمكن القول أن القيمة الأساسية لأرض العراق تبرز من خلال التربة الغنية التي تُسمى

---

(١) ماذرايا: قرية فوق واسط من أعمال فم الصلح مقابل نهر سابسُ وهي خراب، وتقوم مكانها اليوم بلدة الكوت جنوب بغداد بحوالي ١٨٠ كيلومتر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (ماذرايا) مج٥، ص٤٠ ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٧ وهامشها .

(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة نتجت عن بثق في دجلة والفرات حصل أيام الفرس فعجز عن سدهما فاستفحل أمرها حتى غلبت على النواحي اشتهرت بزراعة الأرز لكثرة المياه فيها ويعبرها الناس باستخدام السفن وقد عُرفت من البطائح تسع أشهرها ما ذكر . مؤلف مجهول، حدود العالم ، ص١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (البطيحة) مج١، ص٥٣٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٣، ٦٢.

(٣) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد، كانت تسميها الفرس (فيروز سابور) والأنبار هي أهراء الطعام التي تُحفظ بها الحنطة والشعير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الأنبار)، مج١، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٤) نهر عيسى: نسبة إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس وهي كورة غربي بغداد وهذا النهر يأخذ ماؤه من الفرات عند قنطرة دمما تتفرع منه أنهار داخل مدينة بغداد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (نهر عيسى)، مج٥، ص٣٧١.

(٥) نهر صرصر: من أنهار العراق الكبيرة نسبة إلى مدينة صرصر التي اشتهرت بضياعها وبساتينها ، وجاءت تسميته الأكادية (صرتو) والإغريقية (أرخوس) ، أما العرب فسمته (صرصر) وهو الآن (جدول أبي غريب). خروفة، نجيب وآخرون، الري عند العرب، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٩م ، ص ١٩. وسيشار له: الري عند العرب؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، الزراعة والري في العراق في العصور الإسلامية، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٢م، ص٨٤- ٨٦.وسيشار له لاحقاً : الكبيسي ، الزراعة والري .

(٦) منطقة نهر الملك: كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال أنها تشتمل على ثلاثمائة وستين قرية ، ونهر الملك يصب في نهر دجلة عند المدائن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة ( نهر الملك)، مج٥، ص٣٧٤؛ الكبيسي، الزراعة والري ، ص٨٦.

(٧) نهر كوثى: ويقال (كوتي) تشاهد أثاره حالياً في العراق بالقرب من المسيب من فروع نهر الفرات عند الديوانية وربما جاءت التسمية من موقع (حدث كوثة) الأثرية، اعتمد عليه في العصر العباسي في ري الكثير من الضياع . الري عند العرب، ص٣٨؛ الكبيسي، الزراعة والري، ص٨٧-٨٨.

(الغرينية) [١] ، والتي تشكلت من خلال الطمي الذي يحمله نهري الفرات ودجلة، وربما تُبين لنا تقديرات الطمي الذي تحمله هذه الأنهار مدى الجدوى والأهمية لها[٢] ، والتي يظهر فيها الحجم الكبير للطمي، وقد ساعدت هذه الترسبات في تشكيل ما عُرف باسم السهل الرسوبي والذي يمتد بين مدينة سامراء[٣] على نهر دجلة والرمادي على نهر الفرات[٤] .

وعلى الرغم من أهمية الإنحدار في مجرى الأنهار من الشمال إلى الجنوب، وأثره الكبير في تشكيل السهل الرسوبي خاصة في المنطقة المحصورة بين النهرين والتي تسمى (قلب الدلتا) إلا أن ذلك يُعد خطراً في تشكل الفيضانات[٥]، مما تطلب من المزارعين قدرة ومهارة متقدمة في التعامل مع تلك البيئة، ومن الناحية المناخية فإن العراق من وجهة نظر الجغرافيين يقع تحت تأثير أنماط مناخية عدة [٦].

وهذا أدى إلى تباين في درجات الحرارة في الصيف والشتاء حتى في المدينة الواحدة، وقد أشارت بعض المصادر المعاصرة لفترة الدراسة إلى هذه الخاصية والتي يمكن الإستدلال منها على

---

(١) المجمع العلمي العراقي، مصطلحات في علم التربة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٦٠م، ص١٩. وسيشار له لاحقاً: مصطلحات في علم التربة.

(٢) عن هذه الأرقام والتقديرات أنظر: ج، م، ليس و ن، ل فالكون، التاريخ الجغرافي لسهول ما بين النهرين، ترجمة صالح العلي، نشر مجلة الجمعية العراقية، ١٩٦٢م، ص٢٠٠. وسيشار له لاحقا: ليس وفالكون، التاريخ الجغرافي.

(٣) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة فوق بغداد بحوالي ثلاثين فرسخاً، بناها الخليفة المعتصم ونزلها سنة (٢٢١هـ/ ٨٢٩م). ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سامراء)، مج٣، ص١٩٥.

(٤) الخلف، جغرافية العراق، ص٤١.

(٥) سوسة، أحمد، تطور الري في العراق، د.ن، د.م، ١٩٤٦م، ص٢٢-٢٣. وسيشار له لاحقاً: سوسة، تطور الري في العراق.

(٦) للمزيد عن الأقاليم السائدة في العراق أنظر: السماك، محمد أزهر سعيد وآخرون، العراق دراسة اقليمية، ٢جزء، وزارة التعليم العالي، بغداد ١٩٨٥م، ج٢، ص٣٧. وسيشار له لاحقاً: السماك، العراق دراسة اقليمية، السعدي، عباس فاضل، محافظة بغداد دراسة في الجغرافيا الزراعية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٦م، ص٢٧. وسيشار له لاحقاً: السعدي، محافظة بغداد.

مدى تباين درجات الحرارة، فقد أشير إلى أن درجة الحرارة في بغداد لسنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) كانت في شهر أيلول وتشرين أشد منها في شهري آب وتموز[١].

وقد أدركت تلك المصادر ضرورة الإهتمام بالسمة العامة للمناخ في كل بلد أو اقليم، من خلال اهتمامها بالعناصر المتعلقة بالمناخ، يقول صاحب كتاب حدود العالم (ت حوالي ٣٧٢هـ/٩٨٢م): " إن كل بلد يتميز عن آخر بأربعة وجوه؛ اختلاف الماء، والهواء، والتراب، والحرارة والبرودة "[٢] . وعلى الرغم من عدم توفر الآلية الدقيقة في ملاحظة طبيعة المناخ، إلا أن بعض المصادر أوضحت مدى التداخل بين الفصول الأربعة في العراق، فبينت أن أيام فصلي الربيع والخريف كانت قصيرة، حتى أصبح الطابع العام لمناخ السنة في العراق هو الصيف والشتاء، ويكون الإنتقال بينهما سريعاً وبشكل مفاجيء، ويقول اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) عن مناخ العراق: "يكون دخول الخريف في الشتاء غير متباين الهواء ودخول الربيع إلى الصيف غير متباين الهواء"[٣] ، وقد ساعد هذا التنوع المناخي في تعدد المحاصيل والأشجار التي زرعت فيه .

ومع هذا التباين في درجات الحرارة، فقد لعبت بعض العوامل الجغرافية دوراً في تلطيف درجات الحرارة العالية، خاصة في المناطق الجنوبية من العراق لقربها من الخليج العربي الذي ينحصر تأثيره على الجزء الجنوبي خاصة مدينة البصرة[٤]، حيث يساعد في تلطيف حرارة

---

(١) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ١٠ أجزاء، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج٨، ص٢١٧. وسيشار له لاحقاً : ابن الجوزي ، المنتظم .

(٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٤٨.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٤. وسيشار له لاحقاً: اليعقوبي، البلدان.

(٤) البصرة: في جنوب العراق كان فتحها وتمصيرها في عهد عمر بن الخطاب على يد عتبة بن غزوان وفي الجنوب منها يقع ميناء الأبلة . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (البصرة)، مج١، ص٥١٠.

الصيف فيها[١] .

أما فيما يتصل بالأمطار وهي المصدر الأساسي للري في شمال العراق فقد غلب عليها التذبذب وعدم الإنتظام، الأمر الذي جعل الإعتماد على المحاصيل الشتوية هي سمة الزراعية في شمال العراق، بخلاف الوسط والجنوب العراقي الذي تميز بتنوع الإنتاج الموسمي، بسبب إعتماده على الري من الأنهار[٢] .

إن الأمطار التي تشهدها العراق في فصل الربيع وتسمى الإنقلابية، سببها مرور الكتل الهوائية الباردة في شماله ووسطه والتي ينتج بسببها أمطاراً مصحوبة بالبرق والرعد[٣] ، وقد أشارت المصادر إلى مثل هذه التقلبات المتعلقة بالأمطار وربطتها بالرياح، وهو منحى أصبح وفق الدراسات الحديثة له جانب علمي دقيق، فقد ربط المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، بين هبوب الرياح الشمالية في العراق والقادمة من أعالي دجلة من اتجاه سامراء والموصل وما تُسببه من أوبئة إذا طالت أيامها، وحدد أيام هبوب هذه الرياح بحوالي أربعين يوماً، وبين الرياح الجنوبية التي تهب من أسفل دجلة مما يلي مدن واسط[٤] والبصرة وما تسببه من تراكم الغيوم ونزول الأمطار[٥] .

ويبدو جلياً أن هذه الأمطار كان لها تأثير على نواحي الحياة وأنشطتها الاقتصادية والإدارية المختلفة، إذ لم ينحصر تأثيرها في حدوث الفيضانات فقط[٦]، إنما إعاقة وصول بعض عُمال الدولة العباسية وموظفيها إلى أعمالهم أحياناً، فيذكر أن الأمطار التي دامت في سامراء أيام منعت الكاتب

---

(١) الشاش، علي حسين، استخدام المعايير الحسابية في تحديد أقاليم العراق المناخية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض مج٢، عدد٥، سنة ١٩٧٢م، ص١٦٤. وسيشار له لاحقاً: الشاش، استخدام المعايير الحسابية.

(٢) الخلف، جغرافية العراق، ص١٤.

(٣) السماك، العراق دراسة اقليمية، ج١، ص٢٩،٣٢.

(٤) واسط: وتسمى واسط الحجاج أول أعمالها من شرقي دجلة حتى البطائح بدأ الحجاج في البناء سنة (٨٤هـ/٧٠٣ م) وفرغ منها (٨٦هـ/ ٧٠٥م). ياقوت الحموي معجم البلدان، مج٥، ص٤٠١، مادة (واسط).

(٥) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص١٨.

(٦) ينظر صفحة ( ١٤١ ) من الرسالة.

الحس بن وهب (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م)[١] من القدوم إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م) [٢] أيام الخليفة الواثق (٢٢٨هـ-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٦م) وعندما سأل عن سبب تأخره اتضح أن الأمطار الغزيرة هي التي حالت دون وصوله إلى عمله[٣] ، وأحياناً يرافق هذه الأمطار الثلوج مثل سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م)[٤]، وسنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)[٥] وسنة(٣١٤هـ/٩٢٦م)[٦] .

أما بالنسبة للرياح فالعراق يتعرض لرياح شمالية غربية معتدلة السرعة، تتميز بارتفاع حرارتها بسبب هبوبها من مناطق قريبة من دوائر العرض المدارية، كما تتميز برطوبتها إذا كانت قادمة من مسطحات الخليج العربي، وقد تكون مصحوبة بعواصف ترابية في الصيف والخريف والشتاء قبل مواسم الأمطار[٧] .

ويمكن أن نتلمس مثل هذه الحالات المتعلقة بالرياح خلال فترة الدراسة، من خلال بعض

---

(١) هو الحسن بن وهب بن سعيد أبو علي الكاتب، أخو الوزير سليمان بن وهب وزير المعتز والمهتدي. ولي الحسن ديوان الرسائل والبريد وولي أعمال دمشق توفي آخر أيام المتوكل له العديد من الأخبار. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، ٢ مجلد، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، مج١، ص٣٥٠. وسيشار له لاحقاً: الكتبي، فوات الوفيات؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق، ٨٠جزء، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج١٣، ص ٤٠٣-٤٠٦. وسيشار له لاحقاً: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق؛ عبد الرحمن، عفيف، الشعراء العباسيين، معجم الشعراء العباسيين، جروس برس، بيروت، ٢٠٠٠م،ص١٢٢. وسيشار له لاحقاً : عبد الرحمن ، معجم الشعراء .

(٢) محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م)، اتصل بالمعتصم وحظي عنده بمكانة رفيعة حتى وزر له ثم للواثق والمتوكل من بعده وفي أيام المتوكل صودر وعذب حتى مات. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١٤٤-١٤٦؛ الحنبلي، عبد الحي ابن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٩٤-١٩٥. وسيشار له لاحقاً: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب.

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٧٦م)، الأغاني، ٢٥جزء، تحقيق ابراهيم وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢٣ ، ص٦٦. وسيشار له لاحقاً: الأصفهاني، الأغاني.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص٣٩٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٧١-٧٢.

(٧) السماك، العراق دراسة اقليمية، ج١، ص٣٢.

إشارات المؤرخين التي تصف بعض الظواهر المرتبطة بالرياح، فقد ذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) في حديثه عن سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) مانصه "هبت ريح من المغرب في آذار وحملت رملاً أحمر يشبه رمل الصاغة فامتلأت منه أسقاف بغداد وسطوحها ومنازلها"(١).

وقد حرصت الدولة على رصد مثل هذه الحالات من خلال صاحب البريد، ففي سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) يذكر أن صاحب البريد كتب بخبر ريح هبت في الكوفة والبصرة(٢)، لمواجهة آثارها.

ولم يكن تأثير الرياح دائماً سلبياً، بل يبدو ضرورياً أيضاً في نقل حبيبات اللقاح للنباتات التي تزرع في العراق تحديداً من شهر تشرين الأول إلى كانون الأول(٣)، ويظهر مدى أهميتها من خلال حرص كتب الفلاحة التي عُنيت بالحديث عن الزراعة في العراق برصدها .

إن التأثير السلبي لبعض الظواهر المناخية بل والمهلك أحياناً كان موجوداً في أذهان الجغرافيين والمؤرخين، فكان لديهم حرص على رصدها والتنبه لها، ويظهر ذلك من خلال قول ابن الفقيه (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) "هلاك حلوان يكون بهلاك بغداد من رياح وعواصف وأمطار عظيمة"(٤)، وعلى الرغم من عدم أخذ ما يرد من تنبوءات في هذه الرواية إلا أن مسألة الإهتمام بالظاهرة المناخية هو الأهم ، ورغم شدة هذه الظواهر إلا أن أهل العراق ظهرت لديهم مقدرة على التعامل مع مثل هذه الظواهر، كدليل عملي على قدرتهم على مواجهة التحديات الطبيعية، ضمن

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٠٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج١٠، ص٦٧. وسيشار له لاحقاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك.

(٣) ابن وحشية، أحمد بن علي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، الفلاحة النبطية، ج١، تحقيق فهد توفيق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، ١٩٩٣م، ج١، ص٥٣٠-٥٣١. وسيشار له: ابن وحشية، الفلاحة النبطية.

(٤) ابن الفقيه، أحمد بن محمد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، ص٥٢٥. وسيشار له لاحقاً: ابن الفقيه، البلدان.

ثقافة انتشرت لدى الأفراد يمكن تسميتها (بثقافة الإستدلال) [١]، وهي تُعني التنبه من خلال بعض المؤشرات إلى احتمالية تعرضهم لظاهرة مناخية مثل العواصف أو الفيضانات.

## ثانيا : العلاقات السياسية الداخلية في العراق .

شهد العراق خلال مرحلة الدراسة العديد من العلاقات السياسية الداخلية ، المتعلقة ببلاط الخلافة ، والتي يغلب عليها طابع التباين ، باعتبار أن المحرك الأساسي لهذه العلاقات هي المصالح الشخصية التي تتبدل وفق الظروف السياسية التي تمر بها الدولة ، ويمكن تحديد أهم الأطر الناظمة لهذه العلاقات ، بما يلي :

### ١) علاقة الجند بالخلافة.

قبل الحديث عن طبيعة علاقة الترك بالخلافة العباسية في الفترة موضوع الدراسة ، نشير أن أصول الترك تعود في جذورها إلى المجموعة المغولية، لكنهم اختلطوا منذ فترة مبكرة بالمجموعات القوقازية، مما نتج عنه سلالة جديدة لها صفات تتميز عن المغول ، وسميت هذه السلالة الجديدة باسم (الطورانية).

حيث ذكرتهم المصادر الهندية باسم (Turkhalar)، وأطلقت عليهم المصادر الصينية منذ القرن الثالث الميلادي اسم (هيونغ- نو Hiong-nou)، ثم غير الاسم إلى (توركيو Tour – Kiou) [٢] ، وتعني الخوذة الحديدية التي توضع على الرأس [٣]، بينما يرى الباحثون الأتراك أن أصل الكلمة هو (Targita) وتُعني الأقوام الشرقية التي سكنت حسب دلائل الحفريات بين شمال جبال

---

(١) الطبرهاني ، الحسن بن البهلول، (ت ق٤هـ/ق١٠م)، كتاب الدلائل، ( مخطوط) طبع بالتصوير عن مخطوطة كيم أوغلي رقم (٥٧٢) مكتبة السليمانية اسطبول، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية فرانكفورت، ١٩٨٥م، ص٦٧. وسيشار له: الطبرهاني، الدلائل.

(٢) شهاب ، مظفر، الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٢م، مقال (ترك)، مج٦، ص٣٣١-٣٣٥. وسيشار له لاحقاً: الموسوعة العربية.

(٣) التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص٤٢.

ألتاي (Altay) وجنوب غرب جبال سيان (Sayan) [١] .

أما فيما يخص نسبهم فربطهم الكاشغري (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م) بترك بن يافث بن نـــوح[٢]، فانتشروا في الأقاليم الشرقية على مسافة حوالي خمسة آلاف فرسخ (الفرسخ = ٥,٩كم)[٣].

ويبدو أن السمة العامة للترك هي قدرتهم الفائقة على القتال، ويتضح ذلــك مــن صــفاتهم الواردة في المصادر، فقد وصفهم الجاحظ (ت٢٥٥هــ/٨٦٤م) بأنهم لا يعرفون الفرار من القتـــال، وخبيرون في استخدام القوس بالإضافة إلى اليقظة أثناء المعارك[٤]، وتتضح تلك الصفات القتاليـــة لديهم عند مقارنتهم مع غيرهم ، قائلاً: " وإذا سار التركي في غير عساكر الترك، فسار القوم فـــي عشرة أميال سار عشرين ميلاً"[٥].

ولا شك بأن مهارتهم في استخدام القوس، هي الدليل الأبرز على تفوقهم القتالي، وهــذا مـــا تشير إليه بعض المصادر، حيث يقول صاحب كتاب حدود العالم ( ت حوالي ٣٧٢هــ/٩٨٢م) عند

---

(١) تقع شمال غرب منغوليا وجنوب سيبيريا في روسيا . أنظر عن رأي الباحثين الأتراك:

Taşağıl, Ahmet, **Türk**, (Türkleri İslam Dinine Kabule Sevkeden Sebepler) DİA, İstanbul–٢٠٠٨, C٤١, S., ٤٦٧.

Özaydın, Abdülkerim, , **Türk**, DİA, İstanbul–٢٠٠٨، C٤١, S., ٤٧٧.

حبلص، جلال احسان، دور بني خاقان في عهد المتوكل وخلفائه (٢٢٧هـ–٣٢٠هـ)، حوليات جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٢م، مج٢ ، ص٢٠١٧. وسيشار له لاحقاً: حبلص، دور بني خاقان في عهد المتوكل.

(٢) الكاشغري، محمود بن الحسين (ت٤٦٦هــ/١٠٧٣م)، ديوان لغات الترك، ٢ جزء (مجلد)، دار الخلافة العلية، د.م، ١٩٠٠م، ج١ ص٢٧–٢٨. وسيشار له لاحقاً: الكاشغري، ديوان لغات الترك.

(٣) الكاشغري، ديوان لغات الترك، ج١، ص٣١.

(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هــ/٨٦٨م)، رسائل الجاحظ (مناقب الترك)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٤٤–٤٦. وسيشار له لاحقاً: الجاحظ، مناقب الترك.

(٥) الجاحظ، مناقب الترك، ص٤٩.

وصفه إحدى مدن الترك : " سكانها مقاتلون مدججون بالسلاح الكثيـر"[١]، خاصـة النشـاب أو القوس، ويقول ساويروس ( ت.ق٤هـ/ ١٠م) في وصفهم "هؤلاء القوم شجعان مقاتلين لا يقـدر أحد على مقاومتهم لأن سلاحهم خلاف سلاح أهل مصر وهو النشاب"[٢].

إن تلك الصفات التي تتعلق بقدرتهم القتالية هي التي جعلت الخليفة المعتصـم (٢١٨هـ-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) حريصاً على تدريبهم العسكري وادخالهم في الجيش فيما بعد، بإعتبـار أن هناك من سبقه في الإعتماد عليهم[٣] ، في أمور الدولة الأخرى.

وقد اهتم المعتصم بالجند الترك من خلال تمييزهم بالقطائع والأرزاق، وحتى بألبسة خاصة، إضافة إلى بناء مدينة سامراء قلعة حامية لهم [٤].

وتمثل خلافة الواثق (٢٢٧هـ-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) مرحلة مُهمة فـي تطـور أوضـاع الترك، بدأت ملامحها عندما قام الواثق فـي سـنة( ٢٢٨هـ/٨٤٢م) بتتـويج القائـد أشـناس

---

(١) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٦٢؛ الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م ، ص١٦٤، وسيشار له لاحقاً: الاصطخري، المسالك والممالك .

(٢) ابن المقفع، ساويروس (ت ق ٤هـ/١٠م)، تاريخ مصر في بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة ، ٤ أجزاء، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٦م، ج٣، ص١٩٠. وسيشار له لاحقاً: ساويروس، تاريخ البطاركة.

(٣) وردت إشارات إلى استخدامهم أيام الخليفة أبي جعفر المنصور للمزيد أنظر:
Özaydin, (Türk), c٤١, s.٤٧٧-٤٧٨.

(٤) الدوري، عبد العزيز، العصور العباسية المتأخرة، الرابطة للنشر، بغداد، ١٩٥٤م ص١٩٩-٢٠٠؛ وسيشار له لاحقاً: الدوري، العصور العباسية المتأخرة ؛ البيلي ، عثمان سيد أحمد، المعتصم وعسكرة الخلافة العباسية، ترجمة حسن محمد اسماعيل، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١٤٢-١٤٣. وسيشار له لاحقاً : البيلي، المعتصم وعسكرة الخلافة.
Robinson, Chase F., **A Medieval Islamic City Reconsidered**, Oxford University Press, ٢٠٠١, P: ٢٩؛

(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) وألبسه وشاحين بالجوهر[١]، إضافة إلى جعله والياً على الأعمال، يوجه إليها من أراد[٢]، حتى قيل "وأظن أنه أول خليفة – الواثق – استخلف سلطاناً، فإن الترك إنما كثروا من أيام أبيه"[٣]، وحظي إلى جانب أشناس، قائداً تركياً آخر هو ايتاخ[٤]، الذي أصبحت له في سنة (٢٢٩هـ/٨٤٣م ) ولاية اليمن مضافاً إليها مصر التي أصبح يرسل إليها قادته ولاة عليها نيابة عنه [٥]، حتى قيل أنه كان له كاتبان وثلاثمائة غلام[٦]، إن وجود الكتّاب يظهر التدخل الواضح في الإدارة، أما قيامهم بإختيار نواب عنهم في الولايات فهو من منطلق حرصهم البقاء بجوار الخليفة، الذي ربما استخدم سياسة توليتهم على بعض الولايات لإبعادهم عنه والتخفيف من سطوتهم .

---

(١) جعلها الطبري تتصدر أخبار سنة ( ٢٢٨ه/٨٤٢م)ـ لأهميتها: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٤.

(٢) ولاه على خراسان. أنظر: اليعقوبي، أحمد بن اسحاق (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، ٢مجلد ، دار بيروت، ١٩٦٠م، مج٢، ص٤٧٩. وسيشار له لاحقاً: اليعقوبي، تاريخ.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي ومحمد العثماني، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٦٦. وسيشار له لاحقاً: السيوطي، تاريخ الخلفاء.

(٤) كان ايتاخ غلاماً خزرياً اشتراه الخليفة المعتصم سنة (١٩٦هـ/٨١١م) فحظي عنده بمكانة عالية، فقد ولاه بعض الأعمال وقيل من كان يريد المعتصم والواثق قتله فعند ايتاخ يُقتل، ولي للمتوكل الحجابة والبريد ودار الخلافة، قيل عنه (كان سيف النقمة للخلفاء)، قتله المتوكل في سنة ( ٢٣٥هـ/٨٤٩م) . الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩ ص١٦٦-١٦٧؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني( ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م )، الكامل في التاريخ، ١٠ مجلدات، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠١١م، ج٥، ص٥٢٩. وسيشار له لاحقاً: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤ أجزاء ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص١١٦. وسيشار له لاحقاً: المقريزي، الخطط المقريزية.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٨، ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٣٧٢م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣١١. وسيشار له لاحقاً : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦٨؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٥ مجلد (٣٠جزء)، تحقيق مُفيد قميحة وحسن نور الدين، دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م، مج١٠ ، ج٢٢، ص٢٠٢ . وسيشار له لاحقاً: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب .

وتفهم هذه السطوة ضمناً في حوار أورده أبو سعيد الآبي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) حول سؤال أحدهم لآخر عن حياته وتذكره لخلفاء بني العباس بقوله : " كم سنة لك؟ قال إحدى وسبعون سنة قيل فمن تذكر من خلفاء بني العباس؟ قال: ايتاخ" [١] ، وعلى الرغم من المبالغة المتضمنة في هذا الحوار، إلا أنها تعكس جانباً من مكانة بعض قادة الترك ومدى تدخلهم في الإدارة وسطوتهم على الخلافة، حتى أن الخليفة المستعين (٢٤٨هـ-٢٥١هـ/٨٦٢-٨٦٥م) كان يُلقب (المستضعف) لما جرى له مع الترك[٢].

وقد حاول بعض الخلفاء اتباع سياسة مرنة مع الجند الترك للحد من سطوتهم، من خلال سياسة بذل الأموال لتأمين ولائهم للخلافة، حتى أصبح الإجراء الأول للخليفة عند توليه الخلافة هو توزيع الأرزاق عليهم وأحياناً دفع أرزاق عدة شهور كما فعل المتوكل في سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) عندما أمر لهم برزق أربعة شهور[٣] إلى جانب الهدايا التي كانت تمنح لهم لقاء أي مجهود أو فعل يقومون به [٤]، فيشير المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) إلى سياسة المتوكل تجاه باغر التركي (ت٢٥١هـ/ ٨٦٥م) بقوله: " كان قد اصطنعه المتوكل واتخذه وملأ عينه من الصلات"[٥] ، وقد أثرت تلك السياسة في اضعاف الخزينة وتبديد أموالها، فيُذكر أن الخليفة المعتز كان له في بيت

---

(١) أبو سعيد الآبي، منصور بن الحسين (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، نثر الدّرّ، ج٧، تحقيق منير محمد المدني وحسين نصار، الهيئة المعربة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م ، ج٧ ، ص٣٧٢. وسيشار له لاحقاً: أبو سعد الآبي، نثر الدر.

(٢) ابن الصيرفي، أبي القاسم علي بن منجب (ت بعد٥٥٠هـ/١١٥٥م)، مسيّر التاريخ، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن سعد آل سعد، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، ٢٠١٣م ؛ ص١٣١. وسيشار له لاحقاً: ابن الصيرفي، مسيّر التاريخ.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٥٥؛ مسكويه، أحمد بن محمد بن ابي يعقوب( ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ، تجارب الأمم ، ٨ أجزاء، تحقيق أبو القاسم امامي ، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ، ١٩٩٧م ، ج٤، ص٢٨٨. وسيشار له لاحقاً : مسكويه ، تجارب الأمم .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٠-١٤١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢ ص٣٩٨.

المال في سنة (٢٥١هـ/٨٦٥ م ) خمسمائة ألف دينار فرقها على الجنود الترك[١]، ويبدو أن سياسة الصلات هذه كانت تشمل القادة الترك بدليل الثراء الشديد الذي وصف به بعضهم[٢]، مما قد يدفع الجنود الترك أنفسهم وغيرهم إلى التحرك مطالبين بأرزاقهم والإحتجاج على استئثار القادة بالإقطاعات الجليلة دونهم [٣]، وقد حاول قادة الترك الدفاع عن أنفسهم تجاه تلك المسألة باتهام الكتّاب والوزراء بسوء الإدارة، التي وإن حدثت، فقد يكون سببها الحقيقي استرضاء الجند وتأمين أزراقهم[٤]، لتأمين الخلافة ودعمها، وقد اتضحت تلك السياسة بإيجاد (ديوان جيش الأتراك) في سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) [٥].

وتأكدت مكانة الترك لدى الخلفاء بشكل متدرج، فقد كانوا هم أول من يبايع الخلفاء [٦]، ومن أخص الندماء المرافقين لهم[٧]، إلى جانب مهارتهم وقدرتهم في القضاء على ثورات المناوئين للدولة سواء الأعراب[٨] أو العلويون[٩]، معتمدين في قيادتهم لجيوشهم على الترك أنفسهم[١٠]،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٤؛ المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤ أجزاء، تحقيق محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٤، ص١٤٦. وسيشار له لاحقاً: المسعودي، مروج الذهب.

(٢) انظر مثلاً: مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٢٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص٤٠٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٤٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٤٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٧.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٤.

(٧) الخطيب، شمس الدين محمد بن علي (ت ق٨هـ/ق١٤م)، البدور المسفرة في نعت الأديرة ، تحقيق هلال ناجي، مجلة الكتاب، عدد٧، سنة ٩ ، بغداد، ١٩٧٥م، ص٢٥؛ وسيشار له لاحقاً: الخطيب، البدور المسفرة.

(٨) أنظر مثلاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٩، ١٣٤- ١٣٥، ١٤٦.

(٩) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٩٧ ؛ البلوي ، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت بعد ٣٣٠هـ/بعد ٩٤١م)، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد محمود علي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٦٢. وسيشار له لاحقاً: البلوي ، سيرة أحمد بن طولون.

(١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣٠-١٣١.

كذلك ارسالهم لغزو الصائفة أيضاً[١] ، ومحاربتهم الطامحين بالخلافة[٢] ، ويظهر لهم دور دبلوماسي أحياناً ، حيث شغل البعض منهم مهمة السفراء للخلافة العباسة في سنة ( ٣٠٩هـ/٩٢١م) [٣] .

ولا شك أن تلك المكانة التي بلغها الترك قادة وإداريين سببت خوفاً لدى الوزراء الذين أصبح البعض منهم يترك منصبه ويهرب بعيداً عن سطوتهم، ويتم تعيين بدلاً عنه وزيراً جديداً من قبل الخليفة إرضاء لمطالب الجند الترك[٤] ، الذين تقربوا للخلفاء بالهدايا والصلات الكبيرة ، فقد بلغت هدية الخليفة المقتدر في سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) من التحف والأموال ما تزيد قيمته عن خمسمائة ألف دينار[٥] . ولم يغفل الترك أهمية ارضاء العامة والتقرب منهم من خلال حرصهم الإحتفاظ لديهم ببعض الرموز الدينية مثل سيف الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي وجد في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) بحوزة القائد بجكم التركي عند قتله [٦] .

---

(١) غزو الصائفة سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) أيام الفتنة بين المستعين والمعتز. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٢٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٩٦-٤٩٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩ ص١٦٥؛ الأزدي، أبو الحسن علي بن منصور (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق محمد طعاني وآخرين، ٢ جزء، مؤسسة حمادة. اربد، ١٩٩٩م، ج١، ص١١٠. وسيشار له لاحقاً : الأزدي، أخبار الدول المنقطعة ؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ٤ أجزاء، تحقيق عمر السعيدي ، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٢م، ق١، ص٢٢٤. وسيشار له لاحقاً: مؤلف مجهول، العيون والحدائق.

(٣) ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس (حوالي ٣٠٩هـ/٩٢١م)، رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٩م، ص٦٩. وسيشار له لاحقاً: ابن فضلان، رسالة.

(٤) للمزيد عن تدخل الجند الترك في تولية الوزير .أنظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٢٦٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٤.

(٥) وردت إليه من والي مصر أبو منصور المعتضدي الخزري تكين ( ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) . أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٢٣-٢٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٩١.

(٦) وهذا يكشف مكان وجودها الذي لم يكن معلوماً، حيث أشار سبط بن الجوزي ( ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) في قوله عن سيف الرسول صلى الله عليه وسلم وخاتمه قائلاً : كانت وراثة عند الخلفاء العباسيين حتى خلافة المقتدر وكان آخر عهد لهم بها منذ أخذها بعد مقتله . للمزيد أنظر: الرشيد ، أحمد بن علي بن ابراهيم ( ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) ، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ، ١٩٥٩م ،ص٢٣١ . وسيشار له لاحقاً : الرشيد ، الذخائر والتحف؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١١ ، ص٤٧٥ .

وتنبه الترك إلى مسألة مُهمة وهي ضرورة ضبط أمورهم وعلاقاتهم الداخلية لدرء أي خطر قد يواجههم حتى سطوة الخليفة نفسه، ومن ملامح تلك السياسة اتخاذ الكتّاب للإعتناء بالأمور المالية[١] ، وتولي إدارة الأموال الخاصة بالحملات التي يقودونها بأنفسهم دون الاعتماد على الآخرين في ذلك[٢] ، إضافة إلى سعيهم تولية الولايات من بعدهم للترك أنفسهم[٣] ، وقد ظهر لديهم ما يشبه السياسة العسكرية الصارمة تجاه غيرهم من الجند من خلال انتهاج سياسية (الإستحلاف)، أو طلب الحلف والإيمان من الجند تجاه بعض الأوامر والمبايعات[٤] ، وقد بلغ الأمر أن أصبح توثيق الأواصر والعلاقات تتأكد بسياسة المصاهرة بين أبناء القادة[٥] ، ولكن وفي حالات عديدة، قد يقف قادة الترك التقليديين في وجه قادة آخرين في حال شعورهم بتبديد سلطتهم، بل والإقدام على قتلهم أحياناً كما حصل مع القائد التركي باغر في سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) [٦] ، وقبله آخرون أيضاً بعد أن توجه إليهم تُهم الإستحواذ على الأموال والإقطاعات دونهم[٧] ، وبلغت سطوتهم وزيادة نفوذهم حداً وصل إلى اختيار الخلفاء[٨] ، بل وخلعهم وقتلهم أحياناً [١] ، يقول ابن الطقطقى

---

(١) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، معجم الشعراء ويليه تتمة معجم الشعراء، ٢جزء، تحقيق عباس هاني الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م ، ج١، ص٤٥٥. وسيشار له لاحقاً: المرزباني، معجم الشعراء.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٤٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ ، مج٢، ص٥٠٨، ٥٠٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٥٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٢٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٧٨؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٧) للمزيد عن سياستهم هذه أنظر: اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٩٦؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٦٣-٢٦٤؛ ابن العبري، غريغورس أبي الفرج (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٥٤ . وسيشار له لاحقاً : ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣١.

(٨) بدأت ملامحها سنة( ٢٣٢هـ/٨٦٤م ) مع تعيين الخليفة المتوكل عندما ترك الواثق الخلافة دون ولياً للعهد : الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٣٢.

(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) عن قيامهم بقتل الخلفاء كسنة اتبعوها: "إن الأتراك كانوا قد استولوا بعد قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه "[٢].

وبنفس السياق اتبعوا سياسات خطيرة، من بينها تعاونهم مع بعض اللصوص كما حدث في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م)، مشترطين على هؤلاء اللصوص أن يدفعوا إليهم أموال يصل مقدارها خمسة عشر ألف دينار أحياناً، لقاء توفير الحماية لهم، ويعلق ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) على ذلك بقوله: "وهذا لم يُسمع بمثله من شرّه "[٣]، ويبدو أن الأزمات والأحداث التي تمر بها الدولة قد ساعدت على ذلك، يقول ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٣٣٢م) عن أحداث سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م) " وفيها كان الناس في البلاد تحت حكم الخليفة في شدة عظيمة بتغلب القواد... [٤]".

هذا التغلب الواضح للجند، دفع الخلفاء إلى اتباع سياسة احتواء سطوتهم، بالهبات والصلات والهدايا إضافة إلى منحهم الولايات والأعمال [٥].

ومع هذا بدت لدى الخليفة سياسة الردع تجاه القادة الترك من خلال عزلهم، واسقاط أسماء

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٧؛ الصابىء، أبو الحسن محمد بن هلال (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ،الهفوات النادرة، تحقيق محمود سعيد وطلعت الشيخ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٤٨. وسيشار لاحقاً: أبو هلال الصابىء، الهفوات النادرة؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٨٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٧٦؛

Kennedy ,Hugh., (AL mutawakil) E.I, vol, vII, leiden, Brill, new edition, ١٩٩٣,B:٧٧٨.

(٢) ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٣٢ وسيشار له لاحقاً: ابن الطقطقى ، الفخري في الآداب.

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٤، ٢٢٣-٢٢٥.

بعضهم أحياناً من الديوان [١] ، بل واستخدام سياسة النفي لأبناء القادة الترك الذين يتم التخلص منهم بالقتل [٢] ، ويبدو أن ذلك بسبب الخوف منهم من إفتعال الإضطرابات أو الانتقاض على الخلافة، وربما يلجأ الخليفة أحياناً إلى إخراج القادة الترك بذريعة ارسالهم إلى غزو الصائفة [٣].

وتجدر الإشارة إلى أن مسألة سيطرة الترك تراكمية ناتجة عن سياسات متعاقبة من الخلفاء، وقد وعي بعض الخلفاء هذا الأثر، فقد قال الخليفة الراضي (٣٢٢هـ- ٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م) عند تسليمه منصب إمرة الأمراء إلى القائد بجكم التركي (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) " كأني بالناس يقولون أرضي هذا الخليفة بأن يُدبر أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال ويتفرد بالتدبير؟ ، ولا يدرون أن هذا الأمر أُفسد قبلي " [٤]، وقد حاول الخلفاء الخروج من الأزمة المالية والاضطراب من خلال منح لقب أمير الأمراء لأحد القادة، ويقوم على منحه بعض الصلاحيات مثل رئاسة الجيش وتدبير أعمال الخراج والضياع في الدولة [٥]، كما حاول الخليفة الراضي اتباع سياسة مُعينة تجاه خصومه بمن فيهم قادته وجنوده الترك وفي مقدمتهم أمير الأمراء ، وهي بأن يضرب بينهم للحد من نفوذهم [٦] ، وقد مُنح هذا اللقب خلال فترة الدراسة إلى أربعة هم:

أبو بكر، محمد بن رائق الخزري، تولى الإمرة سنة (٣٢٤هـ- ٣٢٦هـ/ ٩٣٥م - ٩٣٧م)

---

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٥٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٥٠٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٤٠.

(٤) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢هـ إلى سنة ٣٣٣هـ، تحقيق ج . هيورث ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٤١. وسيشار له : الصولي ، أخبار الراضي والمتقي .

(٥) للمزيد أنظر: ابن الصيرفي، مسير التاريخ، ص١٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٢٣-٤٢٤؛ الدوري، تقي الدين، عصر إمرة الأمراء في العراق (٣٢٤هـ- ٣٣٤هـ) ، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥م. ص١٧، ٢١. وسيشار له لاحقاً: تقي الدين الدوري، عصر إمرة الأمراء.

(٦) ابن الصيرفي، مسيّر التاريخ، ص١٦٠.

وأعيد مرة أخرى في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) [١]، وأبو الحسين بجكم، تولى الإمرة من سنة (٣٢٦هـ- ٣٢٩هـ/ ٩٣٧م - ٩٤٠م) [٢] ، وكورتكين ابن الفارضي الديلمي، وهو الوحيد غير التركي من الأمراء خلال فترة الدراسة، تولى من سنة (٣٢٩هـ- ٣٣١هـ / ٩٤٠م- ٩٤٢م) [٣] وأبو الوفاء توزون وقد وصل حداً أن خلع الخليفة العباسي المتقي (٣٢٩هـ- ٣٣٣م/٩٤٠م- ٩٤٤م) خلال فترة توليه الإمرة من سنة (٣٣١ه-٣٣٤هـ /٩٤٢م- ٩٤٦م ) [٤].

ان ضعف الخلافة العباسية بسبب سيطرة القادة الترك ظهر واضحاً في قول ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) جاء فيه : " ولم يبق للخليفة غير بغداد " [٥] ، كناية عن ضعفها واضطرابها.

**٢) علاقة الجند بالوزراء.**

تأثرت علاقة الوزراء بالخلفاء خلال فترة الدراسة بظهور سطوة واضحة للجند الترك على الخلافة، وقد نجح بعض الوزراء من خلال الذكاء والحكنة التي تمتعوا بها في المحافظة على مكانتهم من خلال أتباع العديد من الأساليب التي قُصد بها كسب ثقة الخليفة، ومحاولة تشكيكه بالقادة الترك، ومن تلك الأساليب استخدام سياسة نُصح الخلفاء بإرسال القادة المنافسين لهم إلى الغزو، فقد قام وزير المنتصر، أحمد بن الخصيب (ت٢٦٥هـ/٨٧٨م)، بنصح الخليفة بإرسال القائد وصيف التركي (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م) لغزو سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢) [٦]، وقد تكرر الأمر في فترة لاحقة أيام

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٦١.
(٢) ابن الصيرفي، مسيّر التاريخ، ص١٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٧.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٦٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٤٧٧.
(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٢٤.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٤٠؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٧.

الخليفة المقتدر مع مؤنس الخادم (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، من قبل الوزير أبو الحسن بن الفرات (٣١٢هـ/٩٢٤م)، ويشرح مؤنس الخادم أسباب وذرائع إخراجه بقوله للوزير أيام مصادرته " بالأمس تخرجني إلى الرقة[١] على النفي والمطر ينزل على رأسي وتقول لمولانا أمير المؤمنين أنني أسعى في فساد مملكته"[٢].

وقد استطاع بعض الوزراء العودة إلى عملهم بعد عزل بعض قادة الترك ممن عُين وزيراً أحياناً[٣] ، لتصبح للوزير مكانة عالية عند الخليفة حيث أصبح يشتري أملاك وضياع من يصادرهم باسم وزيره لثقته فيه[٤]. ويتجنب الوزير النقص في بعض الجوانب الإدارية لديه من خلال استمالة القلوب وكسبها بالهبات والعطايا[٥]، والتي كان بعضها يقدم لعدد من رجال الدولة بمن فيهم القادة الترك أنفسهم[٦]، وتنبه الوزراء إلى قيمة الدعاية الإعلامية لدى العامة والتي يمكن الحصول عليها من خلال مدح الشعراء لهم أمام الخليفة والعامة ليسارعوا إلى كسب مواقف بعض الشعراء لصالحهم[٧]، وهذا يُعبر عن مدى فطنة الوزراء بأهم عناصر القوة والسطوة التي يمكن استغلالها لتعزيز مراكزهم.

وحددت شخصية الخليفة صلاحية الوزير والمكانة الإدارية التي يمكن أن يبلغها، مما جعل

---

(١) الرقة: مدينة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الرقة)، مج٣، ص٦٧.

(٢) الصابىء، الوزراء، ص٦١؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥ ص١٧٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٩، ص٢٦٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٩٤.

(٤) مثل الخليفة المستعين، أنظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٠.

(٥) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٣٣.

(٦) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٦٠.

(٧) أنظر من أشعار مدح الوزراء مثلاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣ ص٢٦١.

من الصواب القول أن صلاحية الوزير وواجباته كانت متفاوتة[١] في تلك الفترة مـن (٢٢٨هـ-٣٣٤هـ/- ٨٤٢ م-٩٤٦م)، فقد بلغ الوزير محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م) مثلاً درجة من القوة استطاع معها أن يملك حق تعيين ولاة الأقاليم، يقول الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) مشيراً إلى ذلك في أحداث سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م): " ولم يذكر أن أحداً عقد لأحد في دار الخلافة الا الخليفة، غير محمد بن عبد الملك الزيات[٢]". وترد العديد من الأشعار التي تصف مكانته البـارزة، مع اشارتها إلى بعض التهم التي كانت توجه إليه، لمكانته عند الخليفة الواثق[٣]، الذي لم يتخذ لـه وزيراً غيره، وهو أمر غير مألوف عند العديد من الخلفاء[٤]، خاصة إذا علمنا أن مجلـس الواثـق كان نشطاً في صناعة المكائد ضد الكتّاب، وقد يشارك فيها القضاة أحياناً"[٥].

ولكن يبدو أن فعالية الوزراء ونشاطهم في تحسين علاقتهم مع بعض رجال الدولة، وأحيانـاً نساء وقهرمانات الخلفاء، كان يساعدهم في مواجهة قوة جند الترك، فقد اتضحت معالم هذا التقرب من خلال أدبيات بعض المكاتبات لنساء البلاط، ومن ذلك أن الوزير أبـو الحسـن بـن الفـرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) كان يضمن مكاتباته إلى بعض القهرمانات بما نصه: "أطال الله بقاءك ويتمـه بثلاثة سطور دعاء "، وأحياناً يضيف عبارة : "يا أختي[٦] " .

ولم يهمل الوزراء تطلعات بعض الكتاب وجرأتهم في التطاول على الوزير والسعي لمنصبه،

---

(١) الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ٢٠٠٨م ، ص١٨٥. وسيشار له لاحقاً: الدوري، النظم الاسلامية.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٠.

(٣) انظر أشعاراً في هذا الاتجاه عند: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ٤ مجلدات، تحقيق محمـد عبـده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م ، مج٣، ص١٢٥. وسيشار له لاحقاً: الخطيب التبريزي، ديـوان أبـي تمام.

(٤) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٢٧.

(٥) أنظر مثلاً: التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، ١٠ أجزاء، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج٧، ص٣٠-٣١ . وسيشار له لاحقاً: التوحيدي، البصائر والذخائر.

(٦) عن هذه التوقيعات والأدبيات أنظر: الصابيء، الوزراء، ص١٧٢.

فقد قام الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) [١]، باعتقال بعض الكتّاب في خلافة المقتدر سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) لسعيهم الحصول على الوزارة دونه[٢]، مع ملاحظة أنه بقى للوزير دور في أخذ البيعة للخلفاء [٣]، وتقديم المشورة في أمر اختيار الخليفة القادم (ولي العهد) [٤]، ولا تخرج تلك المشورة والنصيحة بطبيعة الحال عن رؤيته للمصلحة أو المكاسب التي يأمل جنيها من خليفة المستقبل والذي ساهم في اختياره.

إن مواقف الوزراء تلك، كانت تجد من الخلفاء بعض التقدير بمنحهم العطايا والصلات الوفيرة[٥]، وأحياناً تقود إلى حد النسب بين الخليفة والوزير مثل زواج ابن الخليفة المكتفي من ابنة الوزير القاسم بن عبيدالله (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، والذي أنعم عليه الخليفة بلقب "ولي الدولة"[٦]، مع العلم أن هذا الوزير الذي شغل منصب الوزارة لعدد من الخلفاء وصف بأنه: "كان قليل الخبرة

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥ م) وزير المقتدر والقاهر بالله، صدوقاً ديناً فاضلاً كثير البر، نفي بعد مصادرته إلى مكة. للمزيد أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد. ج٢، ص١٤-١٧، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير أعلام البنلاء، ٣٠ جزء، تحقيق شعيب الأرنؤط وأكرم البوشي، ط٢، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠١١م، ج١٥، ص ٢٩٨ . وسيشار له لاحقاً : الذهبي، سير أعلام النبلاء .

Harold, Bowen, The Life and Times of Ali Ibn Isa "The Good Vizier" , The university Prss Cambridge, ١٩٢٨P.١٠٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٠٦.

(٣) أنظر أخذ البيعة للمعتضد: ابن الأبار، أبو عبدالله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م ، ص١٧٥-١٧٦. وسيشار له لاحقاً: ابن الأبار، إعتاب الكتّاب ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٧.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٦٩.

(٥) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١، ص٤٦؛ الذهبي، سير أعلام البنلاء، ج١٤، ص١٨-١٩ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الشاه والعروس)، مج٣، ٣٥٨.

( ٦) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٨٥ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٤٧.

بالأمور وإنما استوزره المكتفي لأنه أخذ له البيعة وحفظ عليه الأموال" [١]، وقد جاء في قول الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) عند تقييمه لعدد ممن رشح لمنصب الوزارة إشارته ضمناً على عدم جاهزيتهم أو أهليتهم لها[٢]، وربما يُفسر ضعف مؤهلات وامكانيات الوزراء، إلى جانب سياسة المؤمرات ضدهم والسعي إلى تغييرهم، هو بلوغ من تولى الوزارة في عهد الخليفة المقتدر اثنا عشر وزيراً[٣] ، لم تتجاوز وزارة بعضهم ثلاث وأربعين يوماً أو ثلاث وخمسين يوماً[٤]. ومن الملاحظ أن الخلفاء يقدّرون أهمية وضرورة وجود الوزير على رأس إدارة الدواويين، وهنا نسترشد بقول الخليفة الراضي في أهمية الوزارة جاء فيه : " إن الوزارة قطعة من الخلافة ووهنها وهن الخلافة " [٥]، وهذا القول له أهمية ، مع استحداث الراضي لمنصب إمرة الأمراء في الدولة، وهو منصب يمثل مستوى عال لسيادة الترك، ومع ذلك تبقى للوزارة أهميتها.

مع هذا القدر الكبير للوزارة عند الخلفاء، إلا أن العلاقة بينهما وصلت إلى درجة الصدام حتى أصبح أمر عزل الوزير ومصادرة أمواله وممتلكاته أمراً مألوفاً، بعد أن توجه إليهم تهم عدة وأهمها تبذير الأموال والإعتداء عليها مقرونة بزيادة طلب الجند إلى أرزاقهم[٦] ، وهذا أدى بالتالي إلى أن يرفض العديد من المرشحين للوزارة أمر اشغالها، أو العمل بها بسبب عدم كفاية الأموال

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٤٨.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٩٣-١٩٤.

(٣) أنظر قوائم الوزراء عند: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، ٦ أجزاء، تحقيق بركات يوسف، دار الأرقم، بيروت ، ١٩٩٩م، ج٥، ص١٢٠-١٢١. وسيشار له لاحقاً: ابن عبد ربه ، العقد الفريد؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٢٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٦٩-٢٧٠، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص٢٥٧.

(٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهبي، ج٣، ص١٩.

(٥) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١٤٢.

(٦) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٠٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، مج٢٣، ص٢٦-٢٧.

وعلمهم بالضائقة المالية التي تمر بها الدولة[١]، على الرغم من سعيهم عند تولي الـوزارة العمـل على التخلص من آثارها، والتقليل من نتائجها من خلال بيع ضياعهم واستلاف الأمـوال[٢]، ولأن الشحناء والصدام بلغا حداً واضحاً بين الوزراء وقادة الجيش، فقد وجهت لبعض الـوزراء تُهمـة التعاون مع أعداء الدولة كما حصل في سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) [٣]، وهي فترة شـهدت اضـطراباً وقلقاً سياسياً واقتصادياً عاماً، أثر على مجريات الأحداث في الدولة.

نجد خلال فترة الدراسة تقارب بين مصالح الوزراء والجند، ومن مظاهره مساهمة الفريقين في تحريض العامة على خلع بعض ولاة العهد، ومن أمثلة ذلك ما حدث سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م) في المطالبة بخلع المعتز والمؤيد عن ولاية العهد في خلافة المستعين [٤]، ولا يسـتغرب مثـل هـذا التقارب إذا دققنا، وعرفنا أن عدد من الوزراء كانوا يعملون قبل وزارتهم كتّاباً لدى القادة الترك[٥]، وهذا بلا شك يفسر لنا توازن المصالح وتجاذب طرفي الصراع السياسي في البلاط العباسي وهـم الوزراء والجند الترك.

وتشكل سياسة التنكيل والمصادرة أمراً دفع الوزراء لتحريض قادة الترك ضـد الخليفـة[٦]، وهو كما يلاحظ تقارب أساسه المصلحة، وسببه المباشر تغيير سياسة الخلفاء تجاه عناصر القوة في بلاطهم.

ولم يكن الوزير دائماً هو من يحاول رسم خطوط هذه العلاقة، وإنما كان القادة الترك يوجهون دفتها أحياناً، فقد شملت صلاحياتهم أعمال الوزير في فترة مُتقدمة، ففـي خلافـة المعتـز كانـت

(١) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٦٤.
(٢) الصابيء، الوزراء، ص٢٠٧-٢٠٨؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٠٧.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٤٢٧.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٤٤.
(٥) مثل وزراء المهتدي: ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٦٧.
(٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٠٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٥، ص٢٢٥.

المكاتبات تخـــرج بتوقيـــع صـــالح بـــن وصـــيف (ت٢٥٦هـــــ/٨٦٩م)، ويُعلــق المســـعودي (ت٣٤٦هـــ/٩٥٧م) على ذلك بقوله: "وكأنه مرسوم بالوزارة لغلبته على الأمر"[١]، وقد بلغ الأمـــر لصالح بن وصيف سنة (٢٥٥هـــ/٨٦٨م)، أن قام بمصادرة الـــوزراء والكتّـــاب والحجـــز علـــى ضياعهم وأموالهم[٢]، فاندفع العديد من الوزراء إلى الهروب خوفاً من سطوة القادة والجند الترك[٣]، الذين بلغ بهم الأمر قتل الوزراء، حتى أصبحت هذه المسألة من أبرز التُّهم التي توجه إلى التـــرك: "في كل يوم تقتلون خليفة، وتخلعون آخر وتقتلون وزيراً "[٤]، وربما كان كاتب القائد التركي، ممن تولى إمرة الأمراء، سبباً في انهيار مكانة الوزير، لوجود بديل إداري مكانه يقوم بأعماله وواجباته يقول الذهبي (ت٧٤٨هـــ/١٣٤٧م)، عن واقع حال الوزير أيام بجكم التركي (ت٣٢٩هـــ/٩٤٠م) : "كان مقهوراً مع كاتب بجكم التركي"[٥]، مما قاد إلى عدم بقاء أي دور للوزير في أمور السياسة[٦]، ليتوفر البديل كما تبين بكاتب أمير الأمراء[٧].

يلاحظ أن تلك العلاقة المتبادلة بين الوزراء والجند الترك، لم تكن بمعزل عن نظر الخليفة، الذي شارك فيها أحياناً رغبة منه في الحد من التجاوزات التي تحدث على منصب الخلافة وهيبتها.

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣١٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٥١.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٨٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٧٣.
(٣) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٣٢.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٦٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣١٢ .
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٠٥.
(٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٨٤.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٥٦.

**٣) دور النساء في الإدارة.**

شهدت الفترة موضوع الدراسة (٢٢٨-٣٣٤هـ/٨٤٢-٩٤٦م)، تبايناً ملحوظاً في طبيعة تدخل النساء في إدارة الدولة وسياستها، وقد ارتبط ذلك بالأوضاع السياسية والإقتصادية العامة التي تعيشها الدولة، وبالوقت نفسه يرتبط هذا التأثير بمدى سلطة الخليفة وقدرته على الضبط والسيطرة.

لقد عرفت الخلافة العباسية في عهد الواثق سيطرة ملحوظة للجند الترك، فقد أصبحت هي القوة الرئيسية المسيطرة على الأوضاع السياسية للدولة، إلى جانب ظهور تنافس ملحوظ مع الوزراء، أما فيما يخص دور النساء وتدخلهن في الإدارة فلم يظهر في تلك الفترة، فقد انحصرت مهام (دايات الخلفاء) على حفظ بعض كتب ووثائق الخليفة[١]، أما ( القهرمانات[٢] ) فهناك على ما يبدو ضعف في دورهن، وربما يعود سبب ذلك إلى قوة بعض المسؤولين أو المشرفين على إدارة تلك الفئة داخل قصور وبلاط الخلفاء، وهم ممن عرفوا باسم (قهرمة دور الخلفاء)، وهي وظيفة يكون صاحبها مسؤولاً عن الإشراف على جهاز الخدمة الخاص بقصر الخليفة، ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة أحمد بن محمد بن المدبر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) [٣]، ومع اضطراب الأوضاع السياسية في الدولة العباسية، وزيادة نفوذ بعض الفئات مثل الجند الترك والوزراء، بدأت فعالية دور نساء القصر تظهر، خاصة أمهات الخلفاء بالتحكم والسيطرة على المال، وقد عكست الروايات مدى الإنفاق والتبذير لأمهات الخلفاء، فقد أنفقت شجاع أم المتوكل (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) في حجتها سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) الكثير من الأموال[٤]، كما ملكت الكثير من الثروة، فيذكر أنها تركت بعد موتها

---

(١) ابن الأبار، إعتاب الكتاب ، ص١٣٦ .

(٢) القهرمانة: لفظ معرب وهو رئيس الخدم، والمقصود خادمات قصور الخلفاء . التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص١٤٨.

(٣) ابن الأبار، اعتاب الكتاب، ١٥٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٤٣.

في حياة ابنها في خزائنها خمسة آلاف ألف دينار[١]، إضافة إلى مُلكيتها قرى كاملة ذات ضياع خصبة[٢]، وتدلل هذه الثروة الكبيرة على نفوذها ومكانتها الكبيرة .

وبدأت ملامح سياسة تدخل النساء تبدو واضحة مع مجيء زوجة الخليفة المتوكل أم المعتز واسمها (قبيحة) (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م)، والتي مهدت لدورها منذ فترة مُبكرة، حيث تُظهر الروايات سعيها إلى إقامة نوع من تعميق العلاقة مع الخليفة المتوكل، عندما قدمت له هدية في الأنبار عند عودته من دمشق بلغت قيمتها أربع مائة ألف دينار[٣]، وهذا بلا شك يوضح مدى الثراء الذي كانت قد بلغته قبل خلافة ابنها، الذي اتضحت في خلافته سيطرتها .

أما على صعيد العلاقات السياسية داخل البيت العباسي، فقد لعبت أم المعتز(قبيحة) دوراً تحريضياً مُهماً في توجيه الخليفة المعتز بن المتوكل نحو القضاء على أبناء الأسرة العباسية مثل اخوته [٤]، وامتدت نظرتها لأملاك المتوكل حتى بعد وفاته، عندما طالبت الخليفة المستعين بأموال وجواري ورثها عن الخليفة المتوكل [٥]، كما جرت بينها وبين أحمد بن طولون (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م) بعض المراسلات أو المخاطبات [٦]، حيث جاء في بعضها ما نصه: "إذا قرأت كتابي فجئني برأس المستعين وقد قلدتك واسط" [٧]، ومع رفض ابن طولون لهذا الطلب، إلا

---

(١) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٢٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٢، ص٣٨٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٥٤.

(٣) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٣١-٣٢.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٣٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٤٩.

(٦) أحمد بن طولون: الأمير أبو العباس التركي (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م)، ولي ثغور الشام ثم دمشق ثم الديار المصرية، سائساً مهيباً وجواد، وصف بأنه من دهاة الملوك. البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص١٨؛ الصفدي، صلاح الدين أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، ٣٠ جزء، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٦، ص٢٦٥. وسيشار له لاحقاً: الصفدي، الوافي بالوفيات.

(٧) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٤٠.

أن ذلك يوضح سلطتها حتى في منح الولايات والأعمال.

ومن جهة أخرى فإنه بالرغم من ثرائها ، إلا أنها لم تكن تسعى لتقديم المساعدة أو العون لابنها الخليفة المعتز في فترات الأزمة المالية التي يمر بها، ومن ذلك رفضها تقديم الأموال له عندما طالبه الجند سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) بأرزاقهم [١]، وما أن قُتل الخليفة المعتز في نفس السنة حتى هربت مع بعض أفراد أسرتها[٢]، ليتم القبض عليها وتُصادر ( يقبض منها ) مبلغ كبير مقداره ١,٣٠٠,٠٠٠ دينار وجواهر ثمينة أيضاً [٣]، وقد نُفيت بعد ذلك إلى مكة وبقيت فيها حتى أعادها الخليفة المعتمد سنة (٢٦٤هـ/٢٦٤م) إلى سامراء وفيها توفيت[٤]، وبذلك يتضح لنا مقدار الدور الذي لعبته في التدخل في سياسة الدولة العباسية وعدم محاولتها أحياناً السعي إلى الخروج من الأزمة المالية التي تعيشها الدولة بل سعت إلى زيادة ثروتها فقط.

ولم تكن وحدها من كانت تمتلك الأموال أو الوكلاء القائمين على إدارة أمواله وضياعها الكثيرة[٥]، من نساء القصر، بل صودرت أخت الخليفة المعتز وتدعى ( قُرب) أيضاً على ثلاثمائة ألف دينار[٦]، وهذا يوضح مقدار الاستحواذ على الثروة، ومدى الضرر الاقتصادي الناتج عن عدم استغلالها في تدعيم اقتصاد الدولة.

ويدخل هنا أيضاً دور بعض نساء الترك في بعض الأحداث والعلاقات السياسية الجارية بين الخلفاء والقادة الترك، وقد انحصر هذا الدور في محاولة بعض شقيقات القادة الترك التوسط

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٨٩، ص٣٩٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٩٠.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٩٣-٣٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٧.
(٥) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) ،أخبار النساء، دار المدى للثقافة، دمشق،٢٠٠١، ص ٢٠٨-٢٠٩. وسيشار له: ابن قيم الجوزية، أخبار النساء.
(٦) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ٢٣٧-٢٣٨.

لدى بعض الخلفاء، لرفع الغضب أو التنكيل الواقع على أشقائهن ، فقد سعت أخت وصيف التركي (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م)، لدى المؤيد (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م) لرفع الغضب عنه(١)، ودفعت إلى الخليفة المعتز ١,٠٠٠,٠٠٠ دينار لنفس الغاية أيضا(٢)، ويدل مستوى ثروتها على مكانتها، ومقدار ما كان يحصل عليه القادة الترك من الأموال التي بدأت تتضح قيمتها في فترة الأزمات التي يمرون بها، كما تبين هذه الممارسات من الناحية العملية مستوى الإنحطاط الإداري والفساد المالي الذي بلغته الدولة، بخاصة ما قصد منه التدخل في الشؤون السياسية العامة للدولة ، ومحاولة الضغط على مصادر القرار السياسي في بلاط الخلافة لصالح فئات معينة .

وفي نفس السياق يرد دور لبعض نساء الترك دون تحديد أو إشارة المصادر إلى أسماء أي منهن، ولكن يبدو من طبيعة الأخبار مدى صلتهن بالقادة الترك، حيث لعبت بعض النساء أيام الخليفة المعتز دور البريد في إيصال تحركات وأخبار القادة الترك إلى الخلفاء ورجال الدولة(٣)، وهذا ربما يلقي ضوءاً على أسباب الوهن أو الضعف لدى بعض قادة الترك ، الأمر الذي قد ينتهي بمقتلهم أحياناً، هذه الأخبار والمعلومات حول قادة الترك كانت تصل إلى أمهات الخلفاء ونسائهم(٤)، مما يؤكد أن هناك أساليب متقدمة تستخدمها نساء الخلفاء في الوصول إلى كل ما يدور لدى قادة الترك، إضافة إلى أن هذا يعكس وعي نساء الخلفاء بمصادر السيادة والسيطرة السياسية في الدولة من الوصول إليها.

وقد شكلت وظيفة القهرمانة دوراً مهماً في سياسة الدولة، تطورت ملامحها خلال فترة عدد من الخلفاء، بدأت صورها أيام الخليفة المقتدر (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، عندما كانت واجبات فاطمة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٥٥.

(٣) أنظر مثلاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٦٢.

(٤) بعض الأخبار كانت تُنقل عن باغر التركي (ت٢٥١هـ/٨٦٥م) من مطلقته إلى أم الخليفة المستعين. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٠.

القهرمانة تقتضي حمل توقيعات الخليفة المالية إلى بيت مال الخاصة لتُصبح لاحقاً توقع وتخـــرج باسمها[١].

وغضب عليها الخليفة سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، بسبب تبذيرها الأموال[٢]، وقد شـــكلت فتـــرة الخليفة المقتدر مسرحاً لكثير من الأحداث التي لعبت فيها النساء مثل أمه وخدمه دوراً فيها، يقـــول ابن الطقطقى (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) واصفاً واقع الحال في عهد الخليفة المقتدر: " كانت دولته ذات تخليط كثير لصغر سنه ولإستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه، فكانت دولته تدور أمورها على تـــدبير النساء والخدم"[٣]، بل مهد بعض المؤرخين لظهور قهرمانات أخريات على مسرح الحياة السياســـية للدولة في عهده ، مثل أم موسى الهاشمية قهرمانة دار المقتدر التي يقـــول عنهـــا ابـــن الأثيـــر (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) خلال حديثه عن أحداث سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م)، : "وإنما ذكرناها لأن لهـــا فيما بعد من الحكم في الدولة في ما أوجب ذكرها، وإلا كان الإضراب عنها أولى"[٤].

وهذه القهرمانة التي بلغت مستوى كبير من الثروة لدرجة ضُرب بها المثل فيُقـــال: "كأنـــه خازنة أم موسى"[٥]، ولا يستغرب هذا الثراء الذي وصلته إذا علمنا أنه كان يرفع لها في كل يـــوم

---

(١) الصابيء، الوزراء، ص١٥٨؛ خريسات، محمد، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٧م، ص١٤٦. وسيشار له لاحقاً: خريسات، المرأة والمشاركة السياسية؛
Guthrie, Shirley ,Arab Women in The Middle Ages: Private Lives and Public Roles, saqi books, London,٢٠٠١,P.١٦٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٤٣٠.

(٣) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٤٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٤٨.

(٥) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، الرسالة البغدادية، تحقيق عبود الشالجي، منشورات الجمل، بيروت، ١٩٩٧م، ص٦٠. وسيشار له لاحقاً: التوحيدي، الرسالة البغدادية؛ المسعودي، مروج الـــذهب ج٤، ص١١٩؛ الرشيد، الذخائر والتحف، ص٢٤٠.

خريطة[١]، فيها ألف دينار، بينما كانت لغيرها من القهرمانات ولا نعلم عددهن ، خمسة آلاف دينار في السنة أيام أم المقتدر[٢]، مما يدل على ارتفاع مكانتها وحظوتها بالقصر العباسي، هـذا الأمـر انعكس على مالية الدولة التي كانت تعاني أساساً من اضطراب واضح[٣]، كان لتبذير وانفاق الخدم والقهرمانات دور فيه.

ونظراً لكثرة الأموال التي صودرت من أم موسى الهاشمية فقد تم إنشاء ديوان سُمي (ديوان المقبوضات من أم موسى وأسبابها)، حصل من جهته لخزينة الدولة في سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) على نحو ألف ألف دينار[٤]، وتطور دور أم موسى الهاشمية سكينة بنت العباس في خلافة المقتدر مـن مجرد نقلها الرسائل بين الخليفة وبعض الوزراء[٥]، إلى منحى آخر وصل إلى تقرب الوزراء لها، بل واستنجادهم بها دفعاً لوقوع المصادرة عليهم وعلى أموالهم[٦]، وسبب تقربهم لها هو معـرفتهم مدى قوتها وسطوتها في بلاط الخليفة المقتدر، بل قد يكون غضبها سبباً مباشراً في عزل بعضـهم ومصادرته[٧].

وقد امتدت خطورة تدخلها حداً أصبحت تعمل على تعيين عدد من أقربائها في وظائف لهـا

---

(١) الخريطة: هي كيس يتخذ من الخرق والأدم تُشرج ( تغلق) على ما فيها ومنه جاء القول خرائط كُتب السـلطان وعماله. ابن منطور، لسان العرب، حادة (خرط).

(٢) الصابىء، الهفوات النادرة، ص٢١٤.

(٣) غياب الإشارة عن نفقات النساء وأثرها في الدولة عند بعض الباحثين مثل: الزهرانـي، ضـيف الله يحيـى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (١٣٢هـ-٣٣٤هـ)، مكتبة الطالب الجـامعي، مكـة المكرمـة، ١٩٨٦م. وسيشار له لاحقاً الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية.

(٤) ابن حمدون ، محمد بن الحسن ( ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ، مخطوط التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، مخطوطة مكتبة أحمد الثالث ، نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية ، شريط ميكروفيلم رقم (٨٨٩)، ج١٢، ورقـة ٢٠٥. وسيشار له لاحقاً : ابن حمدون ، مخطوط التذكرة ؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٤١-١٤٢.

(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٥٢.

(٦)المصدر نفسه، ق١، ص١٦٧.

(٧) مثل مصادرة الوزير علي بن عيسى سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٤ م) ومرة أخرى سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦ م) الصابىء، الوزراء، ص٣١٠؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق ق١، ص١٨٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٤٥٧.

تأثيرها في الدولة، فقد كان مثلاً لأحد اخوتها سلطة من خلال تعيينه بعض الموظفين[1]، وهذا يقودنا للقول بأن سطلتها المتزايدة هي وغيرها من القهرمانات، قد أدى إلى وجود تيار جديد له انعكاسه على سياسية الخلافة تجاه رجال الدولة والعامة، الأمر الذي يقود إلى زيادة مستوى السخط على الخلافة.

لقد غضب الخليفة المقتدر على هذه القهرمانة، لازدياد تدخلها في أمر الخلافة فضلاً عن سعي الكثيرين بها، وكانت التهمة الموجهة إليها سياسية، وهي سعيها زواج ابنتها من أحد أبناء الأسرة العباسية تمهيداً لتنصيبه خليفة، الأمر الذي أدى في سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) إلى مصادرتها على ألف ألف دينار[2]، وانقطع بعد ذلك تدخلها وسلطتها في سياسة الدولة والخلفاء حتى وفاتها في سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) ببغداد[3]، وظهر إلى جانبها قهرمانة أخرى هي (ثمل القهرمانة)، التي كانت تجلس في عهد المقتدر للمظالم[4]، وهذا دليل على زيادة حظوتها ومكانتها في الدولةأيضاً.

وكانت (شغب) أم الخليفة المقتدر ذات مكانة في بلاط ابنها الخليفة، حتى تغلبت على أمره ودبرت السياسة من دونه، ويتحدث اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، عن أحداث سنة (٣٠٦ه/٩١٨م) فيقول: "فيها أو قبلها أمرّت أم المقتدر في أمور الأمة ونهت لركاكة حال ابنها فإنه لم يركب للناس

---

(١) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨ أجزاء، تحقيقعبود الشالجي، دار صادر، بيروت، (١٩٧١-١٩٧٣م). ج٢، ص١١٠. وسيشار له لاحقاً: التنوخي، نشوار المحاضرة.

(٢) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٠٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٢٩.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص٣٣٤؛ العاملية، زينب بنت علي، الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، ٢ مجلد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، مج١، ص١٢٦-١٢٧. وسيشار له لاحقاً: العاملية، الدر المنثور.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢.

ظاهر منذ استخلف"[١].

واتسمت سياستها تجاه الوزراء ، الذين كان بعضهم يعمل كاتباً لديها قبل أن يُصبح وزيــراً بطابع المرونة [٢]، مما زاد من مكانتهم لديها، ورسخ وجودهم في سياق الأحداث السياسية الجارية في الدولة، وتحسنت العلاقة معهم من خلال الإغداق عليهم بالهدايا والصلات[٣]، وقد أدرك العديــد من الوزراء مكانتها وأهمية موافقتها على تقلد منصب الوزارة، فاتجهوا إلى رفع الأموال إليها على سبيل الرشوة والتقرب، سعياً منهم ليصبحوا وزراء[٤].

ولإظهار نفوذها ومدى قوتها، كانت تحيط نفسها بالغلمان، الذين عرفــوا بحســن تنظــيمهم وإدارتهم حتى أن الخليفة كان يستظهر بهم أمام العامة في العديد من المناسبات المهمة[٥]، ومع هذا فقد شكلت مسألة نفقاتها العالية والتي بلغت لشهر واحد ما قيمته (٦١,٩٣٠) دينار[٦]، سبباً إضــافياً للأزمة المالية في الدولة، كما كانت تقوم بنفسها على مصادرة العديد من الكتّاب على مبالغ ماليــة ضخمة[٧]، تتحول إلى خزائنها وثروتها الخاصة بدلاً من رفدها ميزانية الدولة، ولسد أبواب النفقات المرتفعة فيها.

وانتهى دور (شغب) السياسي بمصادرتها وتعذيبها من قبــل الخليفــة القــاهر فــي ســنة

---

(١) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هــ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مــا يعتبر من حوادث الزمان، ٤ أجزاء، تحقيق خليل المنصــور، دار الكتــب العلميــة، بيــروت، ١٩٩٧م، ج٢ ص١٨٤. وسيشار له لاحقاً: اليافعي، مرآة الجنان.

(٢) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٥٧.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٨٣.

(٤) القرطبي، عريب بن سعد (ت٣٦٩هــ/٩٧٩م)، صلة تاريخ الطبري، بريل، ليدن، ١٩٦٥م، ص٤٠. وسيشــار له لاحقاً: القرطبي، صلة تاريخ الطبري.

(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٧٧.

(٦) مجيد، تحسين حميد، هلال الصابي (ت٤٤٨هــ/ ١٠٥٦ م) دراسة لحياته ومؤلفاته، دار اليــازوري، عمــان، ٢٠١٢، ص١٧٢. وسيشار له لاحقاً: مجيد، هلال الصابي دراسة لحياته.

(٧) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١٨٤.

(٣٢٠هـ/٩٣٢م) [١]، في الوقت الذي اتسعت فيه دائرة السيادة التي تمثلها النساء في عهد المقتدر، لتشمل بعض نساء العباسيين مثل خالة المقتدر التي يقدر قيمة أحد مدخراتها من الجواهر، وهو خاتم يُسمى (ورقة الآس)، بوزن مثقال (يساوي ٤,٥ غرام ) من الياقوت المرتفع الثمن[٢].

واستمرت مظاهر تدخل النساء في السياسة المالية للدولة، إضافة إلى الأحداث السياسية العامة، إلى ما بعد عهد الخليفة المقتدر، ففي عهد الخليفة الراضي (٣٢٢هـ-٣٢٩هـ/ ٩٣٣م-٩٤٠م)، حاولت أمه التقرب من القادة الترك، كقيامها في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) بإرضاء أمير الأمراء أبو الحسين بجكم (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) بإهدائه إحدى جواريها[٣]، إدراكاً منها لمكانته الجديدة وتغلبه حتى على الخليفة الراضي نفسه، وبرز إلى جانبها دور القهرمانة (زيدان)، التي أصبحت تتدخل في توجيه تعليم وتربية أبناء الخلفاء[٤]، كما كانت دارها موضعاً يستخدم لحبس العديد من الوزراء المصادرين والخارجين على الخلفاء[٥]، وكغيرها من القهرمانات المشهورات، اتصفت (زيدان) بالثراء الواسع حتى أصبح لبعض مدخراتها شأن أن أصبح من الأمثال كقولهم "سبحة زيدان"[٦]، كناية عن إمتلاكها الجواهر الثمينة.

ولم يقتصر دور القهرمانات على فترة القرن الثالث وهي فترة الدراسة فحسب، بل استمر دورهن في الفترات التالية، مثل (حُسن الشيرازية) في عهد الخليفة المستكفي (٣٣٣هـ-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٦م)، والتي اشتهرت باسم (عَلم) وصارت قهرمانة المستكفي والمستولية على

---

(١) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٦٢.
(٢) البيروني، محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الجماهر في معرفة الجواهر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٣٦م، ص٥٦. وسيشار له لاحقاً: البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر.
(٣) الرشيد، الذخائر والتحف، ص١٨٩-١٩١.
(٤) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٦.
(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٨٠.
(٦) البيروني، الجماهر، ص٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧ ص٣٨٤.

جميع أموره[١].

يبدو واضحاً زيادة سطوة النساء وسيطرتهن على الشؤون الداخلية للخلافة، بل تطورت مهام بعضهن خاصة القهرمانات ليُصبح لهن دوراً سياسياً واضحاً واستئثارهن بالثروة مما زاد من حدة الأزمات المالية للدولة.

## ثالثاً : الحركات المناوئة للدولة العباسية .

عرف العراق خلال فترة الدراسة قيام العديد من الحركات السياسية المناوئة للدولة ، فأشغلها فترة طويلة من الزمن ، تطلبت توجيه الكثير من الاهتمام نحوها ، إضافة إلى انفاق مبالغ مالية من ميزانيتها التي تشهد أصلا حالة من الاضطراب ، ومن ابرز تلك الحركات :

**١ ) حركة الزنج.**

تعرضت الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، إلى حركة اجتماعية اقتصادية حاول صاحبها أن يجعل لها لباساً دينياً في محاولة منه الحصول على التأييد من العامة في السواد، منادياً بضرورة تحسين الأوضاع المعاشية للزنج[٢]، من العاملين في البصرة على كسح السباخ ( ازالة طبقة الملح من على سطح التربة ) وتزبيل الأراضي الزراعية[٣]، وهو بالتأكيد عمل شاق يقوم به العمال الزنج بغية تجهيز الأرض تمهيداً لزراعتها .

تضافرت في هذا المناخ المعاشي الصعب، مجموعة من العوامل المساهمة بقيام حركة الزنج

---

(١) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٤٣؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٦، ص١٠٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٩٣.

(٢) الزنج مفردها زنجي : وهو الشخص أسود البشرة، وهو معرب كلمة (زنكي)، كلمة أطلقت على عبيد افريقيا وتحديداً الصومال، الذين عملوا في فرات البصرة. التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص٩٨؛ الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٦٣.

(٣) يشير الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ، أن من عمل بهذا العمل هم "من الأحرار والعبيد" ، لكن من انضم إلى صاحب الزنج معظمهم العبيد. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٣؛ الذهبي، سير أعلام البنلاء، ج١٣، ص١٣١.

التي عانت الدولة العباسية في مقاومتها مدة أربعة عشر عاماً من سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) إلى سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)، أول هذه العوامل هو زعم صاحب الحركة علي بن محمد بن عبد الرحمن من عبد القيس، أن نسبه يعود إلى آل علي بن أبي طالب، وقد شككت معظم المصادر في نسبه هذا[(١)]، بل واعتبرته جريمة تُضاف إلى جرائمه لانتحاله نسب يفتقر إلى الصحة [(٢)]، وقد أراد بهذا الإدعاء إمالة القلوب إليه بخاصة المناوئين للدولة العباسية .

وكانت الظروف السياسية الصعبة التي تعيشها الدولة عاملاً مساعداً في طول أمد الحركة، وقد لخصها الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) بقوله: "بعد مصرع المتوكل وابنه وأولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نُقض أمر الخلافة جداً، وطمع كل شيطان في التوثب، وخرج الصفار بخراسان واتسعت ممالكه وخرج هذا الخبيث بالبصرة[(٣)].

بدأ صاحب الزنج حركته سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م)، ويظهر أن موارده كانت في البداية قليلة معتمداً على دواب وكلاء الأراضي في البصرة وأموال من يستولي عليهم فيها ، فقد كان أول مبلغ يتحصل عليه هو مائتين وخمسين دينار وألف درهم[(٤)] ، ولأن معظم حروبه كانت بالأنهار فقد اعتمد على السفن التي يأخذها من أصحابها، مثل سفن العامة المستخدمة في نقل السماد أو من

---

(١) انظر مثلاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٠؛ ابن أبي الحديد ،عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، (٢١ جزء ) ، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٣م ، ج٨، ص٧٣. وسيشار له لاحقاً: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة.

(٢) يقول أبو سعيد الآبي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): "لعنه الله فإنه عدا على الأنساب كما عدا على الأسلاب"، أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١٤١.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ح١٣، ص١٣١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٧.

السميريات[١] ، التي يأخذها من جنود الدولة العباسية الذين يقاتلوه في الأنهار[٢] ، ولكن مع اتساع حركته بدأت تظهر ملامح تنظيمات أكثر فعالية من قبل صاحب الزنج، فقد كان له بعض الدواوين والكتّاب وعمال الشرطة والقضاة[٣]، أما من الناحية المالية فيشير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) إلى أن صاحب الزنج كان يُعطي أصحابه دنانير خفيفة[٤]، ويبدو من إسمها أنها خفيفة العيار من الذهب، إلا أنها تعني بوادر سياسة مالية ذاتية لديه، وخصص للجند لكل واحد منهم في الشهر راتباً مقداره عشرة دنانير[٥]، كذلك حرص على أن يبني المدن، ويجعل فيها الأسواق التي ساهم الأعراب بدور كبير في إمدادها بالبضائع والميرة[٦]، التي وفرت ما يحتاجه جنده الذين بلغ تعدادهم عند بعض المصادر مئة ألف مقاتل[٧] .

ومن هذا الحديث عن تدرج صاحب الزنج في تنظيم وإدارة حركته أردنا تفسير سبب بقاء حركته فترة كلفت الدولة العباسية موارد مالية ضخمة[٨]، والتي أثرت بالطبع على ميزانيتها التي أخذت تُعاني من اضطرابات مُتسلسلة في معظم أقاليمها وأبرزها العراق.

وفيما يتعلق بمجريات حركة صاحب الزنج العسكرية فقد ساعدت طبيعة المنطقة أتباع نظام قتال يعتمد على أسلوب الكر والفر، لأن الأرض لا تسمح بخصوصيتها الجغرافية للجيوش الكبيرة

---

(١) السميريات: نوع من السفن استخدمت لأغراض القتال النهري، وحمل الرماة والسلاح وقد تنوعت أحجامها بين الصغيرة والكبيرة، التي تحمل العديد من الرجال. النخيلي، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٦٧-٧٠. وسيشار له لاحقاً: النخيلي، السفن الإسلامية.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٢١، ٤٢٧.

(٣) عن الوظائف الإدارية يُنظر: العلي، صالح أحمد، علي بن محمد صاحب الزنج ودولته المهزوزة، دار المدار الاسلامي، بنغازي، ليبيا ، ٢٠٠٦م، ص١١٨-١١٩. وسيشار له لاحقاً: العلي، صاحب الزنج.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٢٣.

(٥) لم يشر بعض الباحثين الذين اعتمدوا على الطبري لذلك، إنما ذكرها الذهبي، أنظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٣٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٠٤.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٣٥

(٨) العلي، صاحب الزنج، ص٢٠٥-٢٠٩.

بالحركة[١] ، مما تطلب الأموال الكثيرة لتسوية الطرق وكري الأنهار، بما في ذلك نفقة صاحب الزنج نفسه على كري الأنهار أي تنظيفها [٢] ، خاصة أن معظم المعارك نهرية مما جعل الجيشين يواجهان مشكلة المد والجزر، وتعلق السفن وغرقها بالمياه الموحلة[٣]، وفي سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) هاجم صاحب الزنج البصرة، وخاض معارك ضد جنود الدولة وأهالي البصرة من البلالية والسعدية[٤]، ويظهر أن هذه القوات رغم تنوعها كانت قليلة، بينما اعتمد صاحب الزنج على أصحاب الخبرة الذين توفروا له أمثال (غزاة البحر) أو القراصنة، وهي عناصر نجد أنها مُهمة ذات فعالية عالية[٥]، ودراية بفنون القتال النهري حيث " كان في الشذا[٦] له علم بركوبها والحرب فيها[٧]"، وقد وجهت الدولة في سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م) القادة لحربه، الذين اعتمدوا أسلوب الخنادق والتحصين ضده، بينما سعى هو إلى سياسة ترهيب الأهالي، ويبدو أن سياسته هذه نجحت حيث سلم أهالي الأبلة[٨] وعبادان هذه المدن خوفاً على أنفسهم وعائلاتهم منه[٩].

---

(١) عن طبيعة المنطقة (فرات البصرة) او (بهمن أردشير) الواقعة بين واسط والبصرة أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (بهمن أردشير) مج١، ص٦١١، مادة (الفُرات)، مج٤، ص٢٧٤-٢٧٥؛ الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٦٦؛ العلي، صاحب الزنج، ص٢٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٢٧.

(٤) لم تشر المصادر إلى نسب البلالية أما السعدية فربما نسبة إلى بني سعد بن زيد مناة من عشائر تميم البصرة. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩ ص٤٣١؛ العلي، صاحب الزنج، ص١٦٢-١٦٤.

(٥) يشير ابن أبي الحديد ( ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) إلى أن العديد من هؤلاء الزنج كانت لديه صفات اللصوص والشطّار. للمزيد : ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة، ج٨، ص٧٢-٧٣.

(٦) الشذا: نوع من السفن الاسلامية عرف في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي غالباً ما تكون الغاية منها حربية تقدمت صناعتها حتى أصبحت تطلى بالقار لمنع المياه من دخلوها . النخيلي، السفن الاسلامية، ص٧٥-٧٧.

(٧)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٣٥.

(٨)الأبلة: بلد على شاطىء دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى البصرة وهي أقدم من مدينة البصرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الأبلة) مج١، ص٩٩.

(٩) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٧٠-٤٧٢.

وأدركت الدولة بعد المعارك الصعبة مع صاحب الزنج، أن قطع الميرة عنه وتوزيعها على الأهالي عند السيطرة عليها هو الحل الأجدى نفعاً، فعمدت في سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م) إلى توجيه قادتها لهذه المهمة، إلا أن صاحب الزنج استطاع التصدي لهم وهزيمتهم[١]، ليدخل مدينة البصرة وبعض المدن الأخرى في سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م)، وينتهج سياسة التنكيل والقتل بالأهالي كما عمد إلى تغيير نسبه إلى فرع آخر، إلى جانب ظهور بعض معالم الشخصية الجديدة التي يدعي فيها النبوة ومساندة الملائكة له[٢]، مما دفع الدولة إلى اقناع الناس بضرورة التفاني في قتاله، إلى جانب قيامها سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧١ م) بضرب أعناق عدد من قادته وعُماله[٣]، وفي سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) وجهت لحربه أبرز قادتها منهم موسى بن بغا (ت٢٦٤هـ٨٧٧م)، وأبو الساج (ت٢٦٦هـ٨٧٩م)[٤]، من جهته قام صاحب الزنج بمهاجمة القرى وبث العيون ، لمعرفة تحركات الجيش العباسي[٥]، كما سعى سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م) إلى عقد تحالف مع بعض أعداء الدولة العباسية ولكن دون أن ينجح في ذلك[٦]، وقد شهدت سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) عدداً من المواجهات النهرية، التي تساندها من قبل صاحب الزنج قوة من الخيل يصفهم الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)

---

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٢) على الرغم من عدم جدّية مثل هذه الروايات إلا أنها تظهر معالم شخصيته الجديدة: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٨٧.

(٣) المصدر نفسه ، ج٩، ص٤٩٠، ٤٩٥.

(٤) أبو الساج من كبار قادة المعتمد على الله وإليه نسبت الأجناد الساجية ( احدى أقسام الجيش العباسي) في بغداد مات بنيسابور سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م) ترك بعد موته ثروة طائلة . الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٠٤، ص٥١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٦٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، أحداث ٢٦١-٢٧٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٢٣. وسيشار له لاحقاً: الذهبي، تاريخ الإسلام.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩\١٢، ص٥٢١، ٥٢٣.

(٦)المصدر نفسه ، ج٩، ص ٥٣١-٥٣٢.

بقوله: "جميعاً يداً واحدة " [١]، مما يشعر بمستوى التنظيم العسكري الذي كان يتمتع بـــه صـــاحب الزنج حتى بعد سنوات من قتاله مع الدولة العباسية.

وقد نجح الموفق في سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)، من قتل صاحب الزنج وأسر مـــن معـــه مـــن أتباعه[٢]، وبذلك استطاعت الدولة العباسية القضاء على أكثر الحركات خطـــورة عليهـــا وتهديـــداً لأوضاعها الإجتماعية والإقتصادية[٣].

ولكن لا بد من الإشارة لمسألة هامة، وهي امكانية استشعار استمرار أثر بقايا أتبـــاع هـــذه الحركة، حيث تُفيد بعض الإشارات إلى حدوث بعض الشغب في سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)، من قبـــل جنود الجيش العباسي الذين كانوا من أتباع صاحب الزنج، فأعطوا الأمان فانضموا لجيش الدولـــة العباسية وسجلت أسماؤهم في الديوان[٤]، وبقوا في الجيش حتى فترة لاحقة، تنبهت فيها الدولة إلى أهمية صرف الأرزاق لهم، بل جعلت لهم ميزة لم تكن لغيرهم وهي ما سُميت (بوظيفـــة الخبـــز) وقيمتها ثلاثمائة دينار[٥]، كما تركت الحركة أزمة اقتصادية كبيرة، حرمت فيها خزينة الدولة مـــن موارد المناطق التي سيطر عليها صاحب الزنج ، إضافة إلى عمليات النهب والحرق إضافة إلـــى حروب الأهالي في المدن، حتى أن الموفق نفسه بقي في مدينة الموفقية التي ابتناها "ليزداد النـــاس

---

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص٥٤٠.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٥٤؛

kennedy ,Hugh., (AL muwaffak) E.I, vol, vIII, leiden, Brill, new edition, ١٩٩٣,p:٨٠١.

(٣) أشار أبو سعيد الأبي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) إلى احتفاظ الخلفاء العباسين برأس صاحب الزنج فـــي خـــزائنهم، وسواء صحت الرواية أم لم تصح الا أن ذلك يعكس مدى خطورة الحركة وتهديدها للخلافة. أبو سيعد الأبـــي، نثر الدر، ج٣، ص١٤١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٨٣، ٦٦٦-٦٦٧؛ سبط بن الجوزي، شمس الـــدين أبـــي المظفـــر يوسف بن قزأوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ٢٣ جزء، تحقيق محمد بركـــات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣م، ج١٦، ص٤٥. وسيشار له لاحقاً: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان.

(٥) الصابىء، الوزراء، ص١٦.

بمقامه أمناً وايناساً[١]"، ويظهر أن الدولة محقة في سياستها القائمة على التنبه لتبعيات الحركة التي عاود بعض أتباعها سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م) بالظهور في واسط مطالبين بإطلاق سراح العديد من الأسرى من بينهم ابن صاحب الزنج نفسه ويدعى (أنكلاي) [٢]، إضافة إلى تكاليف المواجهة التي انعكست على ميزانية الدولة، وسياسة صاحب الزنج القائمة على نهب الأراضي وتدميرها.

**٢ ) حركة القرامطة.**

ارتبطت نشأة القرامطة بالإسماعيلية[٣]، وعُدت جزءاً منها، انتشرت أفكارها في سواد الكوفة سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) عن طريق الداعي عبدالله بن ميمون القداح واسمه الحسين الأهوازي (ت٢٦٨هـ/٨٨١م)، الذي أوصى بدوره بعد وفاته أن تنتقل زعامة الحركة إلى حمدان بن الأشعث الذي سُمي قرمط[٤] ، وبالتالي فإن تنظيم تلك الحركة يعود إلى حمدان قرمط[١]، الذي ساعدته

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٦٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١١؛ ابن الجوزي المنتظم، ج٧، ص٢٠٣.

(٣) الإسماعيلية: فرقة دينية تزعم أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه اسماعيل، ويرون ضرورة وجود الإمام وأن الأرض لا يجوز أن تخلو منه، وهو إما إمام ظاهر مكشوف ، وإما آخر باطن مستور. للمزيد عنها أنظر: الإسفرايني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تحقيق محمود محمد الخضيري، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٥م، ص٤١. وسيشار له لاحقاً: الاسفرايني، التبصير في الدين؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) ، الملل والنحل، تحقيق كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠١١م ، ص٢٠٩-٢١٠. وسيشار له لاحقاً: الشهرستاني، الملل والنحل.

(٤) وقد أختلف في سبب تسميته بهذا الإسم فقيل جاءت من كلمة (كرمتيه) والتي تعني شدة أحمرار العين وقد حرفت إلى قرمط وقيل بل هي من الكلمة اليونانية (grammata) وتُعني معلم سري، وقيل بل هي بسبب عيب في مشيته وتقارب بين خطواته عند مسيره للمزيد عن مناقشة التسمية أنظر: النديم، الفهرست، مج١، ص٣٨٥-٣٨٦. الشهرستاني، الملل والنحل، ص٢٠٩؛ الحمادي، أبو عبدالله محمد بن مالك (ت حوالي ق٥هـ/ق١٠ م)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٤م، ص٧١. وسيشار له لاحقاً: الحمادي، كشف أسرار الباطنية ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٢٤؛ المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م )، أتعاظ الخلفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ٢جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص٢١٦. وسيشار له لاحقاً: المقريزي، اتعاظ الحنفا؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص٢٠٩؛

الظروف التي تعيشها الدولة العباسية بخاصة حربها مع الزنج[٢]، إضافة على سياسة بعــض ولاة الكوفة التي كانت متهاونة مع دعاة القرامطة، فأخفوا أمرهم عن الدولة[٣].

وحاول حمدان قرمط التقرب من بعض الحركات المناوئة للدولة العباسية مثل حركة الزنج، ويُظهر جزء من حواره مع صاحب الزنج مدى قوته وصلابة موقفه وكثرة مؤيديه، يدل على ذلك قوله لصاحب الزنج: "أني على مذهب وورائي مائة ألف سيف فناظرني"[٤]، وعلى الرغم من عدم نجاحه في التحالف مع صاحب حركة الزنج، إلا أنه على ما يبدو قد استفاد لاحقــاً مــن هزيمتهــا ومحاولته ضم العامة إليه.

واعتمد حمدان قرمط على سياسة مالية ذاتية، تقوم على فرض ضرائب على أتباعه، جعــل سمتها العامة دينية لضمان قبولها وعدم معارضتهم لها، ومنها ضريبة الفطر (دينار على كل رجل أو إمرأة) ، وضريبة الهجرة الأكبر (دينار على كل رأس)، ثم الخمس، وأخيراً الألفة وهــو نظــام يقوم على جمع أموال الأتباع وجعلها بيد رجل ثقة موكل بضبطها وحفظها ونفقتها على الجميع[٥].

ويظهر أن الدولة وبعد القضاء على حركة الزنج، بدأت تتنبه لضرورة التصدي للقرامطــة، فقد شهدت سنة (٢٨٤هــ/٨٩٧م) على ما يبدو محاولة تحرك للقرامطة، في نواحي الكوفة، ولكــن

---

الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص١١٧ ؛ علاء الدين، نسيب، القرامطة، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٣٤-٣٦. وسيشار له لاحقاً: علاء الدين، القرامطة.

(١) الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص١١٩.

(٢) يقول النويري (ت٧٣٣هــ/١٣٣٢م): "أعانهم تشاغل السلطات ببقية الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة، وقصر يد السلطان وخراب العراق وركوب الأعراب واللصوص". النويري، نهاية الأرب في فنــون الأدب، مــج١١، ج٢٥، ص١٣٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٢٥؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢١٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٢٧.

(٥) يقول المقريزي عن هذا الإجراء مورداً تبرير قادة القرامطة: "لا حاجة بهم إلى أموال تكون معهم لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم". المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١،ص ٢١٩-٢٢٠؛ النويري، نهايــة الأرب فــي فنون الأدب، مج١١، ج٢٥ ص١١٤-١١٦؛ الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص١٢١؛ يوسف ، الأميــر علي، مقال (القرامطة)، الموسوعة العربية، مج١٥، ص٣٠٦.

تمكنت الدولة من القبض على أبرز الدعاة، بمساندة واضحة لرجال الدولة من قبل بعض الكتّاب[١].

وشهدت السنوات اللاحقة تهديداً واضحاً من القرامطة، ففي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) هُددت البصرة من قرامطة البحرين، فسارعت الدولة العباسية ببناء سور حول المدينة لحمايتها[٢]، وبسبب التهديد المستمر لمدينة البصرة، فقد عمد الخليفة المعتضد في سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) إلى توجيه بعض السفن باتجاهها لإبعاد الخطر عنها[٣]، وقد اعتمد القرامطة خلال تلك المناورات أسلوب الحرب النفسية، أو ترويع الأهالي وتخويفهم ، من خلال حرق بعض الأسرى كما حصل في سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) [٤]، وقد أثر هذا السلوك على أهالي مدينة البصرة في سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م) حيث "جزع أهل البصرة ، حتى همّوا بالهرب منها والنقلة عنها ، فمنعهم من ذلك واليها "[٥].

ولكن يظهر أن سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) كانت أشد السنوات وطأة من خطر القرامطة الذين انتشروا في سواد الكوفة، مما دفع الخليفة المعتضد إلى ضرورة الحزم في معاقبتهم وصلب قائدهم[٦]، ويتضح أن خوف المعتضد على مدينة البصرة ، هو لأهميتها التجارية وأهمية مينائها، ومع ذلك فقد انهزمت حملات المعتضدأمام القرامطة فزاد خطرهم على العراق[٧]، ومع مجيء الخليفة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م) جعل من أولوياته التصدي لخطر القرامطة الذين عزم على مواجهتهم في جميع البلدان بما في ذلك اليمن، إلا أن زيادة خطرهم في بلاد الشام

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٦٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٧١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٥، ص١٤٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١١، ج٢٥، ص١٤٣-١٤٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص٨٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨٦؛ مؤلف مجهول، أنباء الزمن في أخبار اليمن، تحقيق محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ن، ص٣٠. وسيشار له لاحقاً: مؤلف مجهول، أنباء الزمن.

(٧) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٢٤.

والسواد جعله يركز جهوده على الشام والسواد[١]، بعد أن وصلوا حدود العراق الشمالية حتى هيت، وفي الشام وصلوا سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) إلى الرقة[٢] .

وقد هزموا في هذه المناطق جيوش المكتفي[٣]، الذي عاد إلى مهاجمتهم وقيادة الجيوش بنفسه سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م)[٤].

ويلاحظ أن هذا الصراع بين الدولة العباسية والقرامطة قد سمح بانضمام ومساندة العديد من أعداء الدولة لتلك الحركة مثل الأعراب، الذين شكلوا أيضاً مأوى لبعض قادة القرامطة الهاربين من هجمات الدولة وسطوتها[٥]، واجتهدت الدولة العباسية في مواجهتهم ، وتقصي أخبارهم خاصة في سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م) [٦]، حيث زاد تأثير القرامطة من خلال مهاجمتهم قوافل الحجاج سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م)، فقام الخليفة المكتفي بتوجيه الجيوش إليهم[٧]، وقد تولى قيادة الجيش عدد من أبرز القادة الترك[٨]، ومن خلال بعض الإشارات نستدل على مدى جدّية الدولة واثر مواجهتها للقرامطة ، حتى أصبحنا نقرأ مثلاً طلب العديد من قادة وأتباع القرامطة الأمان من الدولة[٩].

ويبدو أن خطر القرامطة قد خفت حدته، فلم نعد نطالع لهم هجمات بإستثناء هجومهم على

---

(١) مؤلف مجهول، أنباء الزمن، ص٥٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٣٣.

(٢) الرقة: مدينة على الفرات معدودة في بلاد الجزيرة لأنها في الجانب الشرقي للفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (الرقة)، مج٣، ص٦٧.

(٣) يشير صاحب كتاب أنباء الزمن أن المكتفي سارع لمواجهتهم عند بعلبك بينما أشار (الطبري) أنها الرقة، ويبدو أن كثرة المواجهات من قبلهم أوجدت هذا الإختلاف في وجهات النظر. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٩٧؛ مؤلف مجهول، أنباء الزمن، ص٣٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٣٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١١٣.

(٥) المصدر نفسه ، ج١٠، ص ١٢١-١٢٢.

(٦) المصدر نفسه ، ج١٠، ص١٢٧.

(٧) المصدر نفسه ، ج١٠، ص١٣٠-١٣١.

(٨)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٤؛ مؤلف مجهول، أنباء الزمن، ص٤٩-٥٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٣٤.

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٤٥.

البصرة في سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)، وهو هجوم قائم على السرعة في السلب والنهب والهروب، دون الإقامة في المدينة سوى سبعة عشر يوماً[١]، وتلى ذلك هجمات أخرى لقوافل الحج في سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) [٢]، وهجمات من قرامطة البحرين على بعض مدن العراق في سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) [٣]، ويرى البعض أن سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) هي السنة التي انتهت فيها أثار القرامطة وخطرهم، من الناحية العسكرية، على العراق[٤]، ولكن يبدو من بعض الإشارات التي تتحدث عن إقامة نوع من العلاقات مع بعض خصوم الدولة العباسية أن أثارهم امتدت إلى سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣ م)، فقد ذكر الصولي (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) أن هناك علاقة بين أبو عبدالله البريدي (ت٣٣٢هـ/٩٤٣م) وقرامطة البحرين ، عندما أهدى إلى قائدهم هدايا فاخرة ، فيها الذهب والجواهر النفيسة [٥]، وهذا على ما يبدو يقع ضمن سياسة خصوم الدولة بالتنسيق مع تلك القوى الخطيرة على الحدود الجنوبية للعراق.

ويلفت الإنتباه انضمام العامة إلى القرامطة، إضافة إلى بساطة المجتمع الذي انتشر فيه أفكار دعوتهم، حيث يصف النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، تسارع الناس إلى دعمه بالمال معبراً عن بساطة تركيب فئات المجتمع ومن لحق به قائلاً: "وكانت المرأة تجمع إليه كسبها من مغزلها، والصبي أجر نطارته الطير" [٦]، وهذا الأمر بدا واضحاً عندما تُرك أتباع القرمطي بعد الإنتصار عليهم سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) خوفاً من خراب السواد، إذ كان معظم أتباع القرمطي فلاحيه

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٠٧.
(٢) شكلت هذه الحادثة سبباً في تحرك العامة ضد الخليفة، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٠٩.
(٣) المصدر نفسه ، ج٦، ص٣١٨.
(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٣٦؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٥، ص١٧٩.
(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٣٣.
(٦) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١١، ج٢٥، ص١١٥.

وعُماله[١].

إلى جانب تلك الفئات دخل بعض أصحاب المذاهب الدينية المنتشرة في المشرق والذين يصفهم النديم (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) بقوله: "حذاق علم النجوم"[٢]، وربما هذا ما يفسر قيام الخليفة المعتضد في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) بمنع المنجمين من الجلوس في الطرقات، والذين زاد نشاطهم بالرغم من ذلك في فترة لاحقة من عهده[٣].

من ناحية أخرى شكل تقصير الدولة في مواجهة خطر القرامطة، فرصة لدى البعض من العامة بخاصة المتضررين من سياسة بعض الوزراء، من إلقاء اللوم على هؤلاء الوزراء، منتقدين سياستهم الداخلية، فمثلاً أطلق العامة لقب (القرمطي الكبير) على الوزير ابن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) بسبب سياسة الغلاء التي سادت ببغداد[٤] خلال فترة وزارته، كما أظهرت تلك الحركة مدى تراجع الأوضاع السياسية والاقتصادية للدولة العباسية وإمكانية استغلال البعض لها لزيادة الأمور اضطراباً وقلقاً.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج١٠، ص٨٢.

(٢) النديم، الفهرست، مج١، ص٣٨٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٢٨، ٦٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣١٠.

## رابعاً: علاقة الدولة العباسية مع الدويلات المستقلة.

ربطت العراق في ظل الدولة العباسية علاقات سياسية متغيرة مع العديد من الدويلات المستقلة[١]، اتسمت ملامحها السياسية بطابع الاعتراف الاسمي بسلطة الخليفة العباسي، وتحديداً في حدود ضرب اسمه على النقود ، وذكر اسمه في الخطبة ، مقابل منح الشرعية لهم من قبل الخليفة ، وكثيرا ما كانت هذه الرموز الشرعية تتعرض سواء من قبل الدويلات المستقله أو من قبل الخليفة لحالة من القطع أو التوقف ، بحسب ما تقتضيه طبيعة هذه العلاقة :

### ١) علاقة الدولة العباسية مع الطاهريين.

ينسب الطاهريون إلى طاهر بن الحسين بن مصعب (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) (أبو الطيب)، الذي ظهرت شخصيته الفعالة في إطار الإدارة السياسية للدولة العباسية، عندما كان والياً من قبل الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) على الري[٢]، وبرز دوره الواضح في الصراع الذي دار بين المأمون والأمين على الخلافة، وإنهاء الصراع لصالح المأمون في سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) ، ولقب طاهر بن الحسين (بذي اليمينين) وهو لقب يعكس شجاعته القتالية في الدفاع عن الدولة حتى قيل عنه (كلتا يديك يمين حين تضرب به) [٣]، وقد نقش اسمه ولقبه هذا على نقود الدولة العباسية،

---

(١) انظر هذه الدول في الخارطة الملحق (ص٤٥٩) من الرسالة.

(٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥)، الأخبار الطوال، تحقيق عصام محمد الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٥٨٠. وسيشار له لاحقاً: الدينوري، الأخبار الطوال.

(٣) للمزيد عن سبب تلقيبه بذلك أنظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤ مجلدات، تحقيق محمد عبد الرحمن محمد مرعشلي ورياض عبد الهادي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧، مج١، ص٤٣٥-٤٣٦؛ ابن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تحقيق محمد رياض المالح، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م، ص٨٥. وسيشار له لاحقاً: ابن الجوزي، كشف النقاب.

المضروبة بمصر في السنوات ما بين (١٩٩هـ/٨١٤م) وحتى سنة (٢٠٥هـ/٨٢٠م) [١] التي عين عليها ولاة ينوب عنه ، وفي سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) استعمله المأمون على المشرق "من مدينة السلام إلى أقصى المشرق" ، بعد أن كان يتولى شرطة بغداد، ويتضح سبب توليته أياها قدرته على ضبط أمورها بعد ظهور خطر الخارجين فيها[٢].

ويذكر الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) أن سبب ولايته لها كان من منطلق رغبته بالإبتعاد عن الخليفة المأمون، الذي ربما كان في نفسه شيء على طاهر بن الحسين بعد مقتل الخليفة الأمين، ودوره في ذلك[٣]. وبعد وفاة طاهر بن الحسين سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، والتي اختلفت المصادر في سببها، إلا أنها تعكس نوعاً من النكاية به من قبل الخليفة المأمون، بعد أن وجهت إليه العديد من التُهم ، منها سعيه خلع الخليفة المأمون[٤]، وولى المأمون ابنه طلحة بن طاهر خراسان مكان أبيه وبقي أميراً فيها

(١) دفتر، الدينار الإسلامي، ص١٣٢-١٣٣، ١٤٥، ١٤٣، ١٤١؛ دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٥٦. وسيشار له لاحقاً: دفتر، الدرهم الإسلامي.

(٢) للمزيد أنظر: ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الكاتب( ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) ، تاريخ بغداد ، تحقيق عصام محمد الحاج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩م، ٩١-٩٢. وسيشار له لاحقاً : ابن طيفور ، تاريخ بغداد ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٧٧، ٥٧٩، الأصفهاني، حمزه بن الحسن (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط٣، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، ص١٦٧. وسيشار له لاحقاً: الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٧٨-٥٧٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج١، ص٤٣٥؛ الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٦٧-١٦٨. وسيشار له لاحقاً: الدوري، العصر العباسي الأول.

(٤) عن الروايات الخاصة بمقتله أنظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٤٢؛ ابن طيفور ، تاريخ بغداد ، ١٧١-١٧٢؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٣٨١؛ الكعبي، المنجي، الدولة الطاهرية في خراسان والعراق ، مركز النشر للجامعيين، تونس، ٢٠٠٥م، ص٢٥٠. وسيشار له لاحقاً: المنجي، الدولة الطاهرية.

مدة سبع سنوات حتى وفاته (٢١٣هـ/٨٢٨) [١]، وتشير بعض الروايات أنه كان والياً عليها لأخيه عبد الله بن طاهر(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) [٢]، وإن كانت بعض المكاتبات توقع وتختم باسم الأمير طلحة بن طاهر [٣] .

ولكن يظهر أن ولاية عبدالله بن طاهر (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) لخراسان، كانت سبباً في شهرته وسطوع نجمه كأحد أمراء الدولة الطاهرية، بخاصة أنه كان سابقاً قد تولى الرقة وبعدها شرطة بغداد (وهو منصب له أهمية كبيرة) أثناء حياة أبيه[٤]، ويلاحظ اهتمام والده به وتمهيده لدوره السياسي اللاحق من خلال الوصايا والنصائح السياسية التي تعكس حنكة أبيه من جهة ، وتُفسر جانباً من قوة إدارة عبدالله بن طاهر لاحقاً من جهة أخرى .

وتركز الوصايا التي وجهت إليه من والده على ضرورة الإهتمام بالجند وأرزاقهم، ومراقبة العمال والولاة [٥]، وقد بذل عبدالله بن طاهر دوراً متميزاً في القضاء على خصوم الدولة العباسية والخارجين عليها في الجزيرة الفراتية ثم مصر، وقد أضيفت بعض الألقاب إلى اسمه بسبب انتصاراته هذه، وتقديراً لأعماله الجليلة في خدمة الدولة العباسية[٦]، ولعل دوره في مواجهته الاضطرابات التي

---

(١) وقيل سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م . أنظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٤٢، اليعقوبي، تاريخ ، مج٢، ص٤٦٣؛ ابن طيفور ، تاريخ بغداد ، ص ١٧٣-١٧٤، ص٢٠٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج١، ص٤٣٥، مج٢، ٤١.

(٢) للمزيد أنظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان ، مج١، ص٤٣٥.

(٣) الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض ، ص١٦٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٨١-٥٨٢.

(٥) أنظر إحدى هذه الوصايا الطويلة عند: ابن طيفور ، تاريخ بغداد، ٩٥ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٥٨٢-٥٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٧١-٣٧٩؛ محمد، بدر عبد الرحمن، الدولة العباسية، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١١م. ص١٠٤. وسيشار له لاحقاً: محمد، الدولة العباسية.

(٦) منها ما زيد على أعلامه عبارة (يا منصور): الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٢٧.

أحدثها القادمون من الأندلس في الإسكندرية، ونجاحه في القضاء عليهم[١]، إلى جانب سعيه من الناحية الاقتصادية في انجاز العديد من الأعمال الزراعية المتعلقة بمد القنوات[٢]، التي زادت من دخل الدولة العباسية وخراجها، كل ذلك زاد من مكانته ومقامه عند الخليفة.

وبعد دوره في مصر توجه سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م) إلى خراسان، وقد استبشر الناس بقدومه، حتى أنهم ربطوا بين قدومه والمطر الذي سقط عليهم بعد قحط شديد كان قد أصابهم[٣]، ومع ما في هذا الربط من مبالغات إلا أنه يُفسر رضى أهل خراسان بولايته والدور الكبير الذي لعبه في ضبط أمورها فيما بعد.

شكل عبدالله بن طاهر دعامة حقيقية لسلطة الخلافة، ولعل التقارب المذهبي بين العباسيين والطاهريين باعتبارهما سُنة كان سبباً مساعداً في ذلك[٤]، فقد ساهم عبدالله بن طاهر بالقضاء على حركتين شديدتي الخطورة في الأقاليم الشرقية في عهد الخليفة المعتصم (٢١٨هـ-٢٢٧هـ/٨٣٣-٩٤٢م)، هما حركة المازيار (أوماه يزديار بن قارن) الخارج بطبرستان[٥]، والذي تمّ إنهاء حركته وقتله في سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م) [٦]، وبعدها نجح في مواجهة طموح الأفشين، من خلال الحرص على مراقبته، وارسال جميع أخباره إلى الخلافة، حتى تمّ القضاء عليه في سنة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦١٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ٢٣٩.

(٢) الكعبي، الدولة الطاهرية، ص٣٧٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٢٢؛ الثعالبي، زاد سفر الملوك، تحقيق، رمزي بعلبكي وبلال الأرفة لي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠١١م، ص ٩٥. وسيشار له لاحقاً: الثعالبي، سفر الملوك. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٠٧.

(٤) الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٨٧.

(٥) طبرستان: مناطق واسعة في الأقاليم الشرقية للدولة الاسلامية ضمن نواحي الجبال وجرجان وآمل، تقع بين الري وقومس كثيرة الأشجار، تمتد اليوم على طول ساحل بحر قزوين . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (طبرستان)، مج٤، ص١٤-١٥؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٠٩.

(٦) للمزيد عن أخبار المازيار أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٧٤؛ الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٨٨-١٨٩.

(٢٢٦هـ/٨٤٠م)[١]، وقد قدر خراج البلاد التي كان عليها (خراسان) في سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) عند وفاته بثمانية وأربعين ألف ألف درهم[٢] ، مما يعكس الرخاء المالي للدولة العباسية في أيام إمارته، لذلك نجد المؤرخين قد حرصوا على ذكر مثل هكذا مؤشرات، تقيس عظمة انجازاته ومشاريعه.

تولى من بعده ابنه طاهر بن عبدالله من سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) حتى سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م) وقد اتصفت تلك الفترة بالإستقرار بسبب جهود والده السابقة[٣]، تلك الجهود التي أسهب المؤرخون في الحديث عنها[٤] ، والإشادة بها، وقد استمرت ولاية طاهر بن عبدالله طوال خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر وجزء من خلافة المستعين[٥].

وخلال ولاية طاهر بن عبدالله، ظهرت جهود محمد بن عبدالله بن طاهر (ت٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) أيام الخليفة المتوكل في مواجهة الأخطار التي تحيط بالدولة العباسية، بما في ذلك الأقاليم الشرقية التي أضر بها خروج العلويين[٦]، وقد أُقطع محمد بن عبدالله القطائع الكبيرة في طبرستان من قبل الخلافة العباسية بسبب جهوده في هزيمة الطالبين في الكوفة أيضاً، حتى أن الناس كانوا

---

(١) للمزيد عن أخبار الأفشين أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩ ص١١١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٨٤، الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٩٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٠٢.

(٣) الكعبي، الدولة الطاهرية، ص٤٨١.

(٤) يقول اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) عنها: " كان عبدالله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطه أحد، ودانت له البلاد واستقامت عليه الكلمة". اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٠.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص١٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٩، ص٢٥٨؛ الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٦٩.

(٦) عن مواجهته لهم أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٦٨-٢٧٠؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٦٣٩ وسيشار له لاحقاً: الأصفهاني، مقاتل الطالبين؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٨٧ .
kennedy ,Hugh ,(**Mu‘tazz**) , E.I, vol, vII, leiden, Brill, new edition, ١٩٩١;p.٧٩٣-٧٩٤.

يدخلون للسلام عليه بالفتح[١]، ولكن لم ينجح الإتجاه الذي قاده بعض القادة بضرورة تولية الأمـــور في خراسان لمحمد بن عبدالله بن طاهر، الذي خرج من خرسان منذ سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)، ليتولى شرطة العراق، فكان تعيين محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر على خراسان، والذي كان صغيراً في السن ضعيفاً في الإدارة لا يستطيع ضبط الأمور[٢]، وربما جاء هذا التعيين لحاجة الخليفة إلـــى بقاء محمد بن عبدالله بن طاهر على الشرطة[٣]، نظراً لإضطراب الأحوال في العراق والحاجة إلى شخصية قوية بالقرب من الخليفة.

وقد تميزت شخصية محمد بن عبدالله بن طاهر بأنها على درجة عالية من القوة والحنكة، فقد وقف إلى جانب الخليفة المستعين في سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) في حربه ضد أخيه المعتز، وكان لـــه دور واضح في تحصين بغداد لمواجهة هجمات الجند الترك القادمين من سامراء[٤]، وقد اتضـــحت لديه سياسة جيدة في إدارة الأحداث، خاصة في محاولته كسب تأييد القادة وعُمـــال النـــواحي إلـــى جانب الخليفة المستعين من خلال سياسة بذل الأموال إليهم[٥]، ولقد أدرك بفطنه ضرورة الحد مـــن قوة الجند الترك، من خلال كسب تأييد بعض الفئات له، ففي سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م) عندما طالـــب الجند بالأرزاق، اتبع سياسة إدارية ناجحة تتناسب مع الأوضاع المالية الصعبة للدولة، مع إدراكه

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٧١؛ الصابى، المنتزع من كتاب التاجي، تحقيق محمـــد الزبيـــدي، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧م، ص٤١-٤٢. وسيشار له لاحقاً: الصابي، كتاب التاجي. ابن الأثير الكامل فـــي التاريخ، ج٥، ص٥٩٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٩٤-٤٩٥.

(٣) الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٦٩.

(٤) تبدل موقفه وعزم على خلع المستعين ومبايعة المعتز: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٧-٢٨٩، ص٣٣٧، ٣٤٢.

(٥) أنظر دوره في هذه الفتنة ووسائله الحكيمة: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٩، ٢٩٦؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٥١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٩٧-٥٩٩.

ضرورة صرف الأرزاق، لذا عمد إلى بذل الأرزاق إلى الجند الخراسانيين وقدماء جند بغـداد[١]، ولا شك فإن هذا الإجراء وغيره من الطرق التي اتبعها، خلقت نوعاً من الضبط نستشعر قيمته سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م)، عندما نعلم أن أمير خراسان الطاهري وجه للخليفة المعتز عدد مـن الجنـود للتقليل من سطوة الجند الترك[٢]، وبالتالي فإن وفاته سنة (٢٥٣هـ/٨٦٧م) أدت إلى ضعف واضح في الدولة الطاهرية مما جعل يعقوب بن الليث الصفار (ت٢٦٥هـ/٨٧٨م) يقضـي عليهـا سـنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، بخاصة أن ضعف الدولة الطاهرية شمل خراسان نفسها[٣]. ومع ذلك فقد كانت الدولة الطاهرية تُساند الخلفاء العباسيين في العديد من الظروف والأحداث، كما أن عُمال شـرطة بغداد من آل طاهر كان لهم دور بارز في ضبط الأمور للعديد من السنوات، وهؤلاء العمال هم:

أولاً: اسحاق بن ابراهيم بن مصعب بقي حتى سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م)، وكان لـه دور فـي القبض على قادة الترك وأخذ البيعة للخلفاء[٤].

ثانياً: محمد بن عبدالله بن اسحاق تولى بعد أبيه لسنة واحدة (٢٣٦هـ/٨٥٠م)[٥].

ثالثاً: عبدالله بن اسحاق تولى بعد محمد بن عبـدالله[٦]، كـان علـى شـرطة بغـداد سـنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)[٧].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٥٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٥٠٢.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٤٢-١٤٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٨١.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٧٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦١، ١٦٤، ١٦٨، ١٨١؛ الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٦٩.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٩، ص١٨١؛ الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٦٩.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٨.

رابعاً: محمد بن عبدالله بن طاهر (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م)[١].

خامساً: عبيد الله بن عبدالله بن طاهر[٢]، ولي الشرطة وسائر الأعمال[٣].

مما سبق يتضح دور الدولة الطاهرية في المساهمة في ضبط الأمور وتسيير الأوضاع بشكل يخدم سيادة الدولة العباسية.

**٢) علاقة الدولة العباسية مع الصفاريين .**

بدأ ظهور الصفارين في سجستان ( أقليم يقع شرق ايران) عندما انضموا إلى أهل الزهد والجهاد في مواجهة الخوارج هناك ،[٤] الذين أحدثوا فيها حالة من الفوضى والإضطراب ، وبرز من بين الصفاريين يعقوب بن الليث الصفار الذي اتصف بالشجاعة والقدرة على مواجهة تلك الجماعات، فاستمال إليه قلوب العامة والجند[٥]، كما نجح لشعبيته لدى الجند إضافة إلى ضعف قائد المتطوعة القائمة على حرب الخوارج، أن يتولى القيادة وضبط أمور سجستان[٦] في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)[٧]، وأخذ ينطلق منها للسيطرة على العديد من المدن مثل هراة[١] في سنة

---

(١) يقول عنه الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): "ولي إمارة بغداد أيام المتوكل وهو من أجل الأمراء". الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٣، ص٤٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص٤٧.

(٢) لم يتضح له دور كبير سوى بعض الإشارات ومسؤوليته عن بعض رموز الخلافة (البردة والقضيب والخاتم). الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٩، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٣) اليعقوبي، تاريخ ، مج٢، ص٥٠١.

(٤) الخوارج: إحدى الفرق الاسلامية والتي أطلق عليها خصومها هذا اللقب لخروجهم على الإمام ، تعددت فرقهم منها الأزارقة نسبة الى زعيمها نافع بن الأزرق الحنفي ( ت٦٥هـ/ ٦٨٤م) ، والنجدات نسبة الى زعيمها نجدة بن عامر الحنفي ( ت ٧٢هـ/٦٩١م) . البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٩٥م ، ص٤٥. وسيشار له لاحقاً: البغدادي، الفرق.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قرنين)، مج٤، ص٣٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٣٩-٥٤٠، محمد، الدولة العباسية، ص١١٨-١١٩.

(٦) سجستان: ولاية كبيرة في الشرق اسم مدينتها (قصبتها) زرنج، بينها وبين هراة عشرة أيام أي ثمانون فرسخاً ( الفرسخ يساوي: ٥.٩ كم) وهي اليوم أقليم يقع شرق أيران . ياقوت الحموي، معجم البلدان مج٣، ص٢١٤.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٤٠-٥٤١.

(٢٤٨هـ/٨٦٢م) [٢]، تبعها في سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) السيطرة على أقاليم كرمان[٣] وفارس[٤]، بعد العديد من الوقائع[٥] التي أظهر فيها القدرة والحنكة.

وبدا من الضرورة، بعد هذا التوسع ؛ إظهار بوادر الولاء للدولة، فقام بإرسال هدية للخليفة المعتز في سنة (٢٥٢هـ/٨٧٥م)، فيها الكثير من الدواب والمسك[٦]، معلناً بذلك الولاء للدولة العباسية، مع اعتراف ولاة الأقاليم الشرقية، بقوة يعقوب الصفار وسطوته الظاهرة فيها[٧].

وأخذت علاقة الصفارين بالدولة، مظهراً خلال خلافة الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م)، التي اتصفت بالضعف وعدم الاستقرار، فعاد وولى يعقوب بن الليث الصفار على الولايات والمدن التي سيطر عليها، إضافة إلى شرطة بغداد وإقطاعه الكثير من الضياع ذات الغلات الوفيرة، وفي نفس السنة وبسبب مهاجمته الدولة انكسرت جيوش يعقوب بن الليث المتوجهة نحو العراق، فعاد إلى فارس مهزوماً من قبل الخليفة[٨]، ويدل هذا على زيادة قوة الدولة الصفارية، لدرجة أن أصبحت نداً قوياً يواجه الدولة العباسية، التي اتبعت معها سياسة

---

(١) هراة: مدينة في المشرق من أمهات مدن خراسنان كثيرة المياه والبساتين. ياقوت الحموت، معجم البلدان، مادة (هراة)، مج٥، ص٤٥٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٥، ص٥٨١.

(٣) كرمان: اقليم من ناحية الشرق بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، من الشرق مكران ومن الغرب فارس ومن الشمال خراسان ومن الجنوب بحر فارس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (مكران)، مج٤، ص٥١٥.

(٤) فارس: اقليم واسع أول حدوده من ناحية العراق أرجان ومن الجنوب سيراف على ساحل الخليج ومن الشرق كرمان ومُكران. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٢٥٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٨٢، ٣٨٤؛ البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م) روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م ، ص٢٢٧.وسيشار له لاحقاً : البناكتي، روضة أولي الألباب .

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٧) بدليل تسليمه من قبل الولاة عدد من المطلوبين من العلويين الخارجين على الدولة العباسية: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥١٠؛ ابن كثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٦٨٦.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥١٦، ٥١٨؛ المسعودي مروج الذهب، ج٤، ص١٧٨-١٧٩؛ ابن الجوزي، المنتظم ج٧، ص١٣٩.

المرونة التي تشهد تتطلب محاربتهم أحياناً ، وتبادل الهدايا معهم أحياناً أخرى.

ومع وفاة يعقوب بن الليث الصفار في سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) ، تحولت الإمرة بعده إلى أخيه عمرو بن الليث الصفار، الذي بدأ امرته بإرسال كتاب إلى الخليفة المعتمد، أظهر فيه الطاعة والولاء، فأجابه الخليفة وخلع عليه الولاية مكان أخيه(١)، وفي نفس الإتجاه بسياسة العلاقات الحسنة، حيث أقام الصفارون علاقة مع الدولة الطاهرية، بدأت بوادرها تتضح عندما قام عمرو بن الليث الصفار في سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م) بتولية الشرطة في بغداد وسامراء نائباً عنه أحد أفراد الدولة الطاهرية (٢)، ويتضح أن هذا المنصب على أهميته، كان يستخدمه الخليفة لإرضاء وكسب ولاء العديد من أمراء الدويلات الناشئة، لذا فإن من يتم إختياره ليشغله له صفات وقبول مميز .

ويظهر أن الأوضاع التي كانت تمر بها الدولة وبخاصة انشغالها في مواجهة الزنج(٣)، كانت وراء استخدام الدولة سياسة المهادنة والتهدئة مع العديد من القوى، بل وإقرار لمطالب عمرو بن الليث الصفار المتكررة، هذا من جهة الدولة في العراق، أما من جهة المشرق مثل خراسان، فإن كثرة الفتن والصراعات جعلت ولاتها غير قادرين على ضبطها(٤) ، مما سهل بدون شك سهولة السيطرة عليها من قبل الصفاريين.

ولكن ظهر الخلاف بين عمرو بن الليث الصفار والدولة العباسية في سنة (٢٧١هـ/ ٨٨٤م)، مما دفع الخليفة المعتمد إلى عزله عن الولايات السابقة التي كانت ممنوحة له، وأرسل

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٤٤؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦ ص٤٧.

(٣) ابن كثير، الحافظ أبو الفراء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، جزء، تحقيق محمد بيومي وآخرون، مكتبة الايمان، القاهرة، ١٤ جزءً ، د.ت ، ج١١ ، ص٤٣. وسيشار له لاحقاً: ابن كثير، البداية والنهاية؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥١٤.

(٤) عن بعض أحداث الأقاليم الشرقية أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٩، ص٥٤٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٧١.

جيشاً لمحاربته وأمر بلعنه على المنابر[١]، وقد شهدت تلك السنة حرباً بين الخليفة المعتضد وبــين خمارويه بن أحمد بن طولون (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الذي انتصر على جيوش الخليفة ليستقر له بذلك حكم الدولة الطولونية في بلاد الشام[٢]، وهذا يوضح أسباب انشغال الدولة العباسـية واضــطراب النواحي، مما قادها نحو اتباع سياسة المرونة مع بعض المناوئين لها.

وعادت الأوضاع إلى الإضطراب بين الدولة العباسية والصفاريين ، مرة أخرى فــي سـنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م) [٣]، لتصبح المواجهة هي السمة البارزة في العلاقات بينهما، ولكن مع ملاحظــة أنه قد تشهد نفس السنة نوعاً من الإنفراج مثلما حدث في سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، فبعــد مــا أمــر الخليفة بكتابة اسم عمرو بن الليث على الإعلام في مجالس الشرطة ببغداد، ما لبث أن أعاد النظر في ذلك آمراً بطرحها وإلغاء قراره [٤].

ومع ذلك فقد حرص عمرو بن الليث الصفار على تحسين علاقتــه مــع الخليفــة ، بهــدف الحصول منه على الشرعية ، من خلال قيامه بتبادل الهدايا مع الخلافة وإرسال التحف والنفــائس الثمينة إلى الخليفة المعتضد في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) [٥]، ليعقد له الخليفة على خراســان، هــذا اللواء الذي نصبه عمرو بن الليث في داره ثلاثة أيام[٦]، لحاجته على ما يبدو إلى مثل تلك الرموز لكسب تأييد وولاء العامة له، ودفعاً من محاولة البعض إستغلال سوء علاقته وتوترها مع الخليفــة

---

(١) تولى قيادة الجيش الوزير صاعد بن مخلد (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، للمزيد عن حروبه معه أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) للمزيد عن هذه الحرب أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٧، ص٤٦-٥٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج١٠، ص١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١١٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٦-١٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١٩.

(٥) شهدت هذه السنة سياسة الإهداء أيضاًمن قبل خمارويه بن طولون للخليفة المعتضد: الطبري، تــاريخ الرســل والملوك، ج١٠، ص٣٠.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٧.

أحياناً لتأليب العامة عليه.

والتزم عمرو الصفار، من خلال توجهه المحافظة على العلاقة الإيجابية بالدولة، بإرسال (الخريطة) الخاصة برسائل البريد إلى الخلافة في بغداد، لتحمل أخبار نشاطه الفعال في محاربة أعداء الدولة والخارجين عليها، على رأسهم رافع بن هرثمة (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م) الذي خرج في نواحي خوارزم[١]، هذا النشاط هو الذي يُبرز قيمة أمراء الدولة الصفارية، بالنسبة للخلافة التي تحافظ دائماً على ابقاء باب العلاقات معها مفتوحاً.

ويظهر أن تلك الجهود من قبل عمرو بن الليث الصفار قد حسنت العلاقات بين الطرفين، حتى أن الخليفة المعتضد نفسه أرسل إليه الهدايا أيضاً[٢]، وعلى الرغم من عدم انتظام الصفارين في رفع أموال الخراج والإرتفاعات إلى بيت مال الخلافة في بغداد[٣]، إلا أن العلاقات ظلت قائمة بدليل إعلان الولاء واستمرار إرسال الهدايا، حتى أن هدية رفعت للخليفة المعتضد في سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) قدرت قيمتها بأربعة آلاف ألف درهم[٤]، ونتج عن تلك السياسة ارتفاع شأن عمرو بن الليث الصفار عند الخليفة المعتضد، حتى قام في سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) بتوليته على ما وراء النهر وعزل اسماعيل بن أحمد الساماني (ت٢٩٥هـ٩٠٧م) عنها[٥]، وهو تحول جديد في طبيعة دبلوماسية الخليفة المعتضد محاولة منه إحداث نوع من التوتر بين الطامعين في الدولة،

---

(١) عن خبر مقتله أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٥٠. وخوارزم: ناحية في المشرق قصبتها الجرجانية يسكنها قوم من الأتراك بها يمر نهر جيحون. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (خوارزم) مج٢، ص٤٥.

(٢) تكرر إرسالها بدء من سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) وفي سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٦٣، الرشيد، الذخائر والتحف، ص٤٥.

(٣) الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٩١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧١، الرشيد، الذخائر والتحف، ص٣٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٢١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٦٧.

سواء الصفاريين أو السامانين[١]، ونجحت تلك السياسة عندما استطاع السامانيون أسر الأمير عمرو بن الليث الصفار في سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م)، وحمله إلى بغداد وموته في سجنها[٢]، لتضطرب بعده الدولة الصفارية، وتنهار دعائم قوتها، وهرب العديد من أفرادها من أمثال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار (ت٢٩٣هـ/٩٠٥م) الذي أقام في سجستان وبها توفي، بعد أن رفض الخليفة مساندته ضد الخارجين عليه[٣]، على أن هذا الأمر لم يمنع بقاء بعض قادة الصفارين في مكانة بارزة لدى الخليفة، خاصة ممن كان استأمن له سابقاً[٤].

مما سبق، يتضح لنا أن سياسة الدولة الصفارية كانت قائمة على أسلوب المناورة باستخدام القوة ضد الخلافة، إلى جانب اتباع سياسة المهادنة بالهدايا والصلات، مقابل اعتماد الدولة العباسية سياسة إرضاء الصفاريين بالولايات والأعمال إلى جانب الإقطاعات، مع تأثرها من امتناع الصفاريين ارسال الخراج إليهم، الأمر الذي أضر بها وزاد من مشاكلها الاقتصادية، فاتجهت الدولة إلى محاربتهم والتضييق عليهم ومصادرة كل من يحاول الانضمام إليهم[٥].

وشكل الحج مسألة حيوية بالنسبة للدولة العباسية من خلال قراءة قرارات عزل أمراء الصفارين أو لعنهم على الحجاج القادمين من خراسان[٦]، حتى نجحت الدولة في نهاية الأمر في القضاء عليهم والتقرب من أعدائهم السامانيين.

---

(١) فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية عصر القوة والإزدهار، ٢جزء، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٤٩. وسيشار له لاحقاً: فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧٦ ، الصابىء، كتاب التاجي، ص٤٧؛ البناكتي، روضة أولي الألباب ص٢٢٨.

(٣) أنظر أخباره: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨٣-٨٤، البناكتي، روضة أولي الألباب، ص٢٢٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٢٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩، ص٥٤٣.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥١٢؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج٧، ص٣٠٥.

**٣) علاقة الدولة العباسية مع السامانيين.**

تعود أصول السامانيين إلى عائلة زردشتية من قرى بلخ، أسلم جدهم ( سامان خداه) في زمن الدولة الأموية[١]، مع ملاحظة استمرار الأثر الفارسي في تلك العائلة من خلال إهتمامها بالمظاهر الأدبية الفارسية[٢].

وبرز من أبناء أسد بن سامان أحمد بن أسد بن سامان[٣] ، الذي أصبح حاكماً على العديد من مدن الأقاليم الشرقية للدولة مثل سمرقند[٤] ، والشاش[٥]، وقسماً من الصغد[٦]، وفي سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) أُستعمل نصر بن أحمد بن سامان على ما وراء النهر[٧]، ويُعلق ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) على هذا التعيين بقوله: "ومعنى قول أبي جعفر-وهو صاحب إشارة تولية خراسان لنصر بن أحمد بن سامان- وفي سنة إحدى وستين ولي نصر بن أحمد ما وراء النهر، أنه ولاه من جانب الخليفة، وإنما كان يتولاه من قبل عُمال خراسان وإلا فالقوم تولوا قبل هذا

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سامان)، مج٣، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) حيدر، محمد علي، الدويلات الإسلامية في المشرق، عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٧٣م، ص٨٢. وسيشار له لاحقا: حيدر، الدويلات الإسلامية.

(٣) أحمد بن أسد سامان ولي فرغانه في سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) من قبل الخليفة المأمون، وقد وصف بانه مرضي السيرة عفيف لا يأخذ رشوة. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م)، تاريخ بخارى، تحقيق أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرزي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١١٢. وسيشار له لاحقاً: النرشخي، تاريخ بخارى؛ ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨.

(٤) سمرقند: بلد مشهور في بلاد ما وراء النهر، يُعد عند ياقوت الحموي قصبة ناحية الصُغد، ويقع في جنوب الوادي المعروف باسم وادي الصغد في المشرق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سمرقند)، مج٣، ص٢٧٩.

(٥) الشاش: ذكر ياقوت الحموي موضعين الشاش من قرى الري، والشاش في بلاد ما وراء النهر قريبة من بلاد الترك، وقصبتها مدينة (بنكث) ويظهر أنها هي المقصودة، لقربها من المواقع المذكورة من أعماله. ياقوت الحموي معجم البلدان، مادة (الشاش)، مج٣، ص٣٤٩-٣٥١.

(٦) الصُغد: كورة في المشرق في بلاد ما وراء النهر قصبتها مدينة سمرقند قريبة من مدينة بخارى، بلغت قمة تطورها أثناء حكم السامانيين . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الصُغد) مج٣، ص٤٦٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٣.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥١٤؛ النويري نهاية الأرب، مج١٥، ج٢٥، ص٢٠٠.

التاريخ"[١]، وهذا يُبين التدرج في ظهور تلك الإمارة ، واعتمادها مبدأ الولاء للدولة، وأثر ذلك في ولاية عدد من أفراد آل سامان الأعمال من قبل الخليفة المأمون في سنة (٢٠٤هـ/٨١٩هـ) [٢]، ويبدو أنهم أظهروا مستوى فائق من الكفاية والدراية الإدارية، إلى جانب تكريمهم والرضا عليهم من قبل الخلفاء العباسيين[٣]، لتشكل هذه العناصر دعامة أساسية في استمرار دور هذه الأسرة.

وبولاية نصر بن سامان على بخارى، أصبحت تُتلى باسمه الخطبة، بينما أسقطت عن يعقوب بن الليث الصفار (ت٢٦٥هـ/٨٧٨م) [٤]، واتجه بعدها لمواجهة الأخطار التي ظهرت في الأقاليم الشرقية من بعض الخارجين على الدولة، أو الرافضين لإمارته الناشئة مثل الصفاريين مثلاً، وقد سانده في هذه المرحلة الصعبة أخيه اسماعيل بن أحمد الساماني (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م) [٥]، وعمل معه على مواجهة أعمال السلب والنهب التي تتعرض لها مدينة بخارى[٦]، ومواجهة أطماع الأعداء واللصوص فيها[٧]، فأظهر اسماعيل بن أحمد، دوراً متميزاً في ذلك، استطاع معه أن يبني علاقة حسنة مع أهلها من النبلاء والفلاحين، مكنته فيما بعد من أسر أخيه نصر بن أحمد وإعلان نفسه أميراً بدلاً منه[٨]، ومع وفاة نصر بن أحمد سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، قام اسماعيل بن محمد مكانه

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨.

(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١١١-١١٢؛ ابن كثير، الكامل في التاريخ، ح٦، ص٧-٨؛ فامبري، ارسنيوس، تاريخ بخارى، ترجمة أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٩٣-٩٤. وسيشار له لاحقاً: فامبري، تاريخ بخارى.

(٣) فامبري، تاريخ بخارى، ص٩٤.

(٤) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١١٥.

(٥) للمزيد عن دور اسماعيل انظر: النرشخي، تاريخ بخارى، ص١١٣؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص٩٤.

(٦) بخارى، من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر، ومن أجلها، بينها وبين جيحون يومان، تُعتبر قاعدة ملك الإمارة السامانية، ياقوت الحموت معجم البلدان، مادة (بخارى)، مج١، ص٤١٩.

(٧) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١١٧؛ حيدر، الدويلات الإسلامية ص٩٤-٩٥.

(٨) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٢٢، الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٩٢.

رسمياً، وبدأ عهده الجديد بفتح العديد من المدن في بلاد الترك[١]، ساعياً بذلك العمل الجهادي تقوية علاقته بالدولة، إلى جانب إظهار الولاء لها من خلال إقامة الخطبة في المدن المفتوحة باسم الخليفة العباسي[٢]، بإعتبار الخطبة رمزاً لإعلان الطاعة للخليفة، والإقرار بشرعيته على المناطق الجديدة التي تم فتحها وإعادتها إلى سيادة الدولة.

وشهدت العلاقة بين الدولة العباسية والسامانيين بعد ذلك انفتاحاً ترسخت معالمه، بإرسال هدية إلى الخليفة المعتضد في سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، فيها العديد من الغلمان الأتراك[٣]، الذين توفر منهم الكثير في قصور الخلفاء خلال تلك الفترة، وزاد من قوة تلك العلاقة قيام اسماعيل بن أحمد بأسر عمرو بن يعقوب بن الليث الصفار في سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م)، وإرساله إلى الخليفة ببغداد، منحه بعدها الولاية على ما كان للدولة الصفارية من الأعمال والولايات، إضافة على تفويضه حق تنصيب الأمراء والولاة على تلك الأعمال[٤]، وتطورت العلاقات بين الطرفين إلى درجة وجود نائب معتمد عن الأمير الساماني في بلاط الخليفة في بغداد، ينوب عن الأمير الساماني[٥]، ويأتي هذا التطور في العلاقات على خلفية اعتبار الدولة السامانية بديلاً عن الصفاريين ومعاوناً جديداً لها، بعد أسر عمرو الصفار أبرز أمراء الصفاريين.

ومع تلك المكانة التي احتلتها إمارة السامانيين لدى الدولة العباسية، إلا أن سياسة المجابهة غير

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٣٠؛ النرشخي، تاريخ بخارى ص١٢٢-١٢٣؛ النويري، نهاية الأرب، مج١١، ج٢٥، ص٢٠٢.

(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٢٣.

(٣) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٤٢.

(٤) تُظهر بعض الروايات طلب الخليفة نفسه من اسماعيل بن أحمد ارسال عمرو بن يعقوب إليه، وهذا يدلل على انتظاره الفرصة للقبض على الصفار . للمزيد أنظر: النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٢٨. (ورد كتاب الخليفة بأصل النسخة الفارسية باللغة العربية وهذا دليل استخدامها في الكتابة بين الخلافة والسامانيين).

(٥) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١١، ج٢٥، ص٢٠٣.

المعلنة تظهر في سياسة بعض الخلفاء العباسيين الذين استقبلوا العديد من القادة الخصوم الهاربين[١]، من السامانيين الذين يحملون معهم الأموال، كما حصل في سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م) عندما هرب بمال الخراج إلى بغداد أحد قادة السامانيين، ممن خاف سطوة الأمير أبو نصر أحمد بن اسماعيل، الذي أظهر قسوة واضحة مع قادة والده السابقين[٢]، وسعى في نفس الوقت إلى بناء علاقات حسنة مع الخلافة بعد أن منحه المكتفي في سنة (٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)، الولاية على جميع الأعمال مكان والده،[٣]، فاتجه إلى ترسيخ تلك العلاقة من خلال سياسة تقديم الهدايا إلى الخلفاء، ففي سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) قام بارسال هدية للخليفة المكتفي فيها المسك الفاخر والغلمان وغير ذلك من النفائس[٤]، الا أن وفاته في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، سببت اضطراب واضح في الدولة السامانية، لينشب صراع على الحكم داخل الأسرة ، على الرغم من تدخل الخليفة المقتدر ومحاولته منح الولاية إلى ابنه نصر بن أحمد بن اسماعيل ضماناً لاستمرار مكانته في تلك المناطق[٥].

فبدأت الفتن تظهر في عهده، إضافة إلى تكرار حدوث الحرائق كما حصل سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م)[٦]، وفي سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) [٧] ، وأثرها على تدمير الأسواق وإلحاق الأضرار بالتجارة، خاصة ما يتعلق بالطرق التجارية وتراجع الأمان فيها وعلى الرغم من ذلك فقد أعلن الخليفة

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٦٤.
(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٥، ص٢٠٥.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٧.
(٤) القرطبي، صلة تاريخ الطبري ، ص٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٤١٤.
(٥) القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٥٠-٥١؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٨٧؛ البناكتي، روضة أولي الألباب ،ص٢٢٨-٢٢٩.
(٦) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٣٣.
(٧) المصدر نفسه، ص١٣٤.

المقتدر ولايته على الري[١]، في سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م)، فأظهر قابلية في مجابهة الشرور التي تُحدق بالخلافة ربما ساعده على ذلك كثرة الرجال من حوله، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "ملك يطيف به مائة ألف رجل من غلمانه ومواليه، وموالي أبيه[٢]، وقد تفسر تلك الإشارة على الرغم من حدة المنافسة الأسرية وعدم رضا البعض عنه، اعتماد الدولة عليه في مجابهة خصومها، فقد ذكر ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أنه اطلع على وثائق ومراسلات وجهت إلى نصر بن أحمد من الخليفة الراضي، تطلب منه محاربة أحد الخارجين على الدولة في الأقاليم الشرقية[٣]، وهذا الطلب يُبين حاجة الدولة المُلحة وإصرارها على بناء علاقات جيدة مع حلفاء لها في المشرق، تلك الأقاليم البعيدة عن مركزها ولكنها حيوية بالنسبة لها خاصة فيما يتعلق بالارتفاعات العالية القادمة منها.

أما الأمير نصر أحمد بن اسماعيل فقد اضطر للتنازل إلى ابنه في سنة (٣٣١هـ/٩٤٣م)، بعد مؤامرات جرت ضده، شارك فيها الحرس التركي الذين أصبحوا يتدخلون في أمور السامانيين[٤]، كحال تدخلهم أيضاً في سياسة الخلفاء وإدارة الدولة ابتداءً.

مما سبق، يمكن القول أن العلاقات بين الخلافة العباسية والسامانيين بدت حسنة، دلّ على ذلك استمرار تقليد الخلفاء العباسيين لأفراد الأسرة السامانية على الولايات الشرقية من الخلافة، إضافة إلى استمرار سياسة الأهداء بين الطرفين[٥]، مع وجود ملامح للشد في سياسة الدولة اتجاه

---

(١) الري: من أمهات البلاد في المشرق وهي قصبة بلاد الجبال كثيرة الخيرات بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الري) مج٣، ص١٣٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٢٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ٧ أجزاء، تحقيق عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م ، ج١، ص٢٢٤. وسيشار له لاحقاً: ياقوت الحموي، معجم الأدباء.

(٤) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٣٧؛ الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٩٣.

(٥) من مظاهر الولاء وردع الخصوم أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج١، ص١٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٤٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٥، ص٢٠٥؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص١١٢-١١٣.

السامانيين ظهرت واضحة مثلاً في سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) بايواء بعض الخارجين على السامانيين[١]، من جانبها بقيت الدولة السامانية تدافع عن المذهب السني، مع استمرار حرصهم على التقاليد الفارسية خاصة فيما يتعلق باللغة[٢].

ورغم ذلك ظهرت محاولات لبعض أمراء السامانيين بتعريب بعض الأحكام والمنشورات[٣]، مع بقاء بعض السمات الفارسية في الدولة خاصة فيما يتعلق بالتقاليد العامة، ومع هذا فإن حالة الضعف والإنحطاط في الإمارة السامانية قد أفقدت الخلافة العباسية حليفاً مهماً لها في الأقاليم الشرقية.

---

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٥، ص٢١١.

(٢) الدوري، العصور العباسية المتأخرة، ص٩٤.

(٣) النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٤٧.

# الفصل الثانـي

# الحياة الزراعية في العراق

## الفصل الثاني: الحياة الزراعية في العراق .

### أولاً : ملكية الأراضي في العراق:

أفادت الحياة الزراعي في العراق من تعدد أنواع المُلكية، الأمر الذي أدى إلى إحداث تحسن ملحوظ في النشاط الزراعي، خاصة في ظل اضطراب أوضاع الدولة العباسية، ويجب بداية التنبيه إلى مسألة هامة وهي وجود صعوبة في إمكانية أعطاء نسب دقيقة لمساحة أنواع ملكيات الأراضي التي انتشرت في العراق خلال فترة الدراسة ، بسبب تعذر استخراج أرقام تمثل مساحة الأراضي في مصادر ومراجع الدراسة حتى تفيدنا في العمل الإحصائي، ويمكن تصنيف الأراضي إلى الأنواع التالية:

**١) أراضي الملك.**

تعد من الأنواع الرئيسية المهمة ومن مصادرها اقطاعات يقطعها الخلفاء للناس، وهو ما أطلق عليه اسم (اقطاع التمليك)، ومن مصادرها أيضاً إحياء أرض الموات والتي يظهر أن موافقة الخليفة للحصول على إذن احيائها أساسية برأي بعض الفقهاء[١]، وفي ذات السياق اتجه بعض رجال الدولة نحو شراء الأراضي الخراب، فيُذكر أن أحمد بن اسرائيل الكاتب (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) قام بشراء مساحات منها بنحو سبعة آلاف دينار[٢]، وقد يكون سبب هذا التوجه هو تشجيع الدولة العباسية[٣]، إضافة إلى رخص أسعار هذه الأراضي، خاصة خلال الأزمة المالية التي كانت تمر بها الدولة العباسية.

---

(١) للمزيد أنظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧م ، ص١٩٠-١٩١. وسيشار له لاحقاً: الماوردي، الأحكام السلطانية.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ج١١، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٥.

وقد حصل العديد من وزراء الدولة العباسية على ملكية بعض ضياعهم من خلال الوراثة[١]، كما ورث الطبيب يوسف بن يعقوب (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) عن جده ضياع عديدة في البصرة[٢]، ومع هذا فإن مسألة شراء الأراضي كان أمراً منتشراً بشكل واضح[٣]، وقد نشط في هذا الإتجاه الجند الترك الذين سعوا إلى تملك الأراضي عن طريق الشراء، خاصة تلك الأراضي التي يتم مصادرتها من بعض رجال الدولة، والتي يتم فيما بعد بيعها منهم، ففي سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) أيام الخليفة المقتدر(٣٢٠هـ/٩٣٢م) ، سعى الجند الترك لشراء مثل هذا النوع من الأراضي بسبب رخص أثمانها من جهة [٤]، وتوفر المال لديهم من جهة أخرى، فقد عُثر عند أحدهم على رقعة تُثبت شراء الضياع بحوالي بضعة عشر ألف ألف درهم[٥]، كذلك توجه عدد من الوزراء نحو مُلكية عدد من الضياع، راعوا في اختيارها خصوبة المنطقة وتوفر المياه فيها، الأمر الذي يوفر لها سهولة في الري، وبالتالي الإنتاج الغزير، فقد ملك مثلاً أحد وزراء الخليفة المقتدر بالله بُستان يُسمى (بستان الورد)، والذي يقع بالقرب من مقسم المياه على أحد الأنهار[٦]، بإعتبار أن المقسم هو الجزء المهم من النهر فمنه تتفرع القنوات لري البقعة الزراعية المجاورة للنهر، كذلك كان للوزير أحمد بن أبي عوف (ت٢٨٩هـ/٩١٠م) بُستان على نهر عيسى[٧].

واتجه بعض الوزراء إلى المدن، فامتلكوا فيها العديد من الضياع والبساتين، فقد كان للوزير

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٤.

(٢) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت ق٤هـ/ق١١م)، تاريخ ابن جلجل، تحقيق فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٧٣. وسيشار له لاحقاً: ابن جلجل، تاريخ.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٢١٧.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٧٨.

(٥) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٥، ص٢٧٩.

(٦) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٥؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٣٢.

(٧) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٩.

اسماعيل بن بلبل (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) ضياع في كوثى[١] ( نسبة إلى نهر كوثى وهو من أقدم الأنهار التي انبثقت من نهر الفرات )[٢]، مما يعكس مدى خصوبتها، أما واسط التي اشتهرت بقراها وبساتينها[٣]، فكانت هي الأخرى وجهة الوزير حامد بن العباس (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، الذي امتلك فيها الضياع[٤]، وإن كانت أسرة بني الفرات من أكثر الملاكين فيها[٥].

ولقد كان الموقع المتميز لبعض الأراضي، أحد الأسباب التي دفعت الوزراء لإمتلاك أراضي تميزت بإرتفاعاتها الكبيرة، والتي يلاحظ أنها ساعدت الدولة وعبر سنين عديدة، في حل أزمتها المالية عن طريق مصادرة الوزراء، باعتبارهم يملكون أكثر الضياع ارتفاعاً، كما هو الحال عند بيع ضياع الوزير حامد بن العباس (ت٣١١هـ/٩٢٣م) [٦]، إلا أنها على ما يبدو لم تكن تشمل جميع الضياع بل بقيت بعضها بيد هؤلاء الوزراء المصادرين، وإن كانت من الضياع قليلة الإرتفاع، تترك لتوفير المعيشة لهم[٧]، وهذا يقودنا للقول أن سياسة المصادرة لا تعني دائماً إلغاء الملكية، فربما مهدت سطوة الوزراء إلى امتلاك بعض أقربائهم للضياع[٨].

ومع هذا فقد يقوم الوزير أحياناً بالتنازل عن مُلكيته للضياع، لحل بعض الأزمات المالية وتجاوزها، حماية للدولة وإدارتها المركزية، ففي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) قام الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م ) مساهمة منه في حل الأزمة المالية آنذاك ببيع ما قيمته خمسمائة ألف دينار

---

(١) الصابىء، الوزراء، ص٨٢.
(٢) أنظر مثلاً: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (كوثى)، مج٤، ص٥٥٤؛ أنظر خارطة العراق في الملاحق ص .
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (واسط)، مج٥، ص٤٠٣.
(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص١٥٧.
(٥) الصابىء، الوزراء، ص١٥١.
(٧) التنوخي، نشواء المحاضرة، ج٢، ص١١٢-١١٣.
(٨) الصابىء، الوزراء، ص٤٩.

من ضياعه[١]، ولا يستغرب أن قيمة تلك الضياع التي يمتلكها الوزراء عموماً غالية الـثمن، فقد استطردت المصادر في وصف ما بها من أنواع الأشجار والطيور الفريدة[٢]، كانوا يقدموا بعضها هدية للخلفاء[٣]، في محاولة لتحسين العلاقة معهم والتقرب إليهم .

إن امتلاك الضياع الخصبة وفرت قناعة عند بعض الوزراء بالإكتفاء بدخلها وعدم أخذ نفقات راتبه من الدولة، وقد برز هذا الإتجاه عند الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) تحديداً، قائلاً عندما عرضت عليه هذه النفقة "ضيعتي تكفيني"[٤]، فيقال أنه باع إحداها بأربعة آلاف دينار[٥]، إضافة إلى امتلاكه جملة من الضياع الخصبة، مثل ضياعه بالصافية[٦]، وقد عُرف عن هذا الوزير اهتمامه بأمر الضياع حتى اشتهرت كتبه للولاة بذلك، فقد كتب إلى عامله على البصرة قائلاً: "ولا تُفسدن لأحد ضيعته"[٧]، حرصاً منه على حق بيت المال فيها.

وعرف الوزراء قيمة الضياع وضرورة متابعة شؤونها من قبل وكلاء عنهم، نظراً لإنشغالهم، خاصة الضياع التي امتلكوها خارج العراق، مثل ضياع الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) في خوارزم[٨]، و توضح الإشارات التاريخية مداومة الوكلاء على مكاتبة

---

(١) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٦٦.

(٢) الرشيد، الذخائر والتحف، ص١٠٦، ١٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم ج٨، ص١٩٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٢٨.

(٣) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٦٠.

(٤) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٥١.

(٥) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٥٣.

(٦) الصافية: بليدة كانت قرب ديرقُنى في أواخر النهروان قرب النعمانية مشرفة على دجلة، وقد خربت مع خراب النهروان. ياقوت الحموي معجم البلدان، مادة (الصّافية)، مج٣، ص٤٤١؛ وأنظر الخبر عند: الصولي أخبار الراضي والمتقي، ص٦٧.

(٧) الجاجرمي، أبو المعالي المؤيد محمد (ت٧هـ/١٢م)، نكت الوزراء، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٧٤. وسيشار له لاحقاً: الجاجرمي، نكت الوزراء.

(٨) ابن فضلان، رحلة ابن فضلان، ص٧٧.

عُمال الضياع ودعوتهم بضرورة صيانة الضياع وعدم إهمالها[١] .

وقد شدد بعض الوزراء، مثل صاعد بن مخلد (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) على تقديم كل ما يحتاج إليه وكلاء الضياع من المساعدة[٢]، وربما يُفسر هذا ارتفاع واردات ضياع هذا الوزير، والتي قُدرت في بعض السنوات بحوالي ألف ألف دينار[٣]، وهذا بلا شك كان ثمرة متابعته وإشرافه على شؤون ضياعه والوقوف على حاجات ومطالب الوكلاء فيها.

تتدخل الدولة أحياناً، في شراء بعض الأملاك والأراضي الخاصة في حالات منها مثلاً؛ شراء الأراضي المجاورة للمشاريع العمرانية التي يقوم بها الخلفاء، ففي سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) قام الخليفة المتوكل بشراء الأراضي والمنازل وبإجبار الأهالي على بيعها ليبني عليها مدينته[٤]، بينما توجهت جهود الوزراء في شراء الضياع في المناطق الخصبة مثل الأهواز[٥]، التي اشترى فيها الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) العديد من الضياع[٦].

وتنوع مالكي الأرض من قبل رجال الدولة، فإلى جانب ملكية الوزراء ملك العديد من الكتّاب الضياع، والتي تُظهر بعض قوائم المصادرات مقدار ارتفاع خراجها مما يُشير إلى خصوبتها، ومن ذلك مصادرة بعض الكتّاب في سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) [٧] ، وفي سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) [٨]، مع

---

(١) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٥، تحقيق محمد ابراهيم عبد الرحمن، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م ، ص١٢٢.

(٢) الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) ، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م. ص٢٧١. وسيشار له لاحقاً: الشابشتي ، الديارات .

(٣) الصابىء، الهفوات النادرة، ص٢١٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٢.

(٥) الأهواز: هذا الاسم هو العربي لها، بينما سماها الفرس باسم خوزستان، وسميت فيما بعد ( سوق الأهواز) وهي سبع كور بين البصرة وفارس ، وتعد قاعدة اقليم خوزستان وقد تاثرت هذه المدينة كثيرا بسبب ثورة صاحب الزنج . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الأهواز)، مج١، ص٣٣٨؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص٢٦٨– ٢٦٩.

(٦) الصابىء، الوزراء، ص١٨٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٥؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٠٧.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٨٨.

ملاحظة أن الدولة كانت تقضي أحياناً برد بعض الضياع المصادرة على بعض الكتّاب[١]، فملك هؤلاء الكتّاب كما هو حال الوزراء بعض الضياع في واسط[٢]، وأحياناً في مصر والشام[٣]، وهو أمر يُشير إلى نفوذ الكتّاب، وانتشار سلطتهم حتى في تلك المناطق والأقاليم.

وظهر على ما يبدو نزاع بين بعض الكتّاب حول مُلكية الضياع[٤]، ربما بسبب خصوبتها وموقعها المتميز، كما هو حال ابراهيم المدبر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م)، الذي امتلك داراً وأرضاً في المطيرة[٥]، توصف بخصوبتها العالية[٦]، ولحل النزاعات حول الضياع، أقامت الدولة العباسية مجالس للقضاء أو المناظرة[٧]، من أجل تثبيت حقوق أصحاب الضياع وأعادتها لهم.

كما أن القضاة كانوا أيضاً ممن حصل على الضياع الجيدة، مثل القاضي يحيى بن أكثم (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م) في البصرة وقدرت مساحتها بأربعة آلاف جريب (يساوي ١٥٥٧ متر مربع)[٨]، كما ملك بعض القضاة ضياعاً في الأنبار[٩]، وإلى جانب القضاة كان الفقهاء أيضاً من ملاك الضياع الخصبة، فقد قدرت قيمة ضيعتين لأحد الفقهاء في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بحوالي خمسين ألف دينار[١٠]، وقد اتجهت الدولة العباسية إلى إبقاء الضياع بيد الفقهاء

---

(١) ردت ضياع الأهواز فقط إلى الكاتب عمر بن الفرج الرخجي سنة (٢٣٣هـ/٨٤٧م): الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٤١٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٢١.

(٢) مثل ضياع كاتب يقال له عبد الرحمن بن هشام، كاتب الوزير أبو الحسن بن الفرات كان له على ديوان بيت المال. الصابىء، الوزراء، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) الصابىء، الوزراء، ص٩٩.

(٤) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٩٨.

(٥) المطيرة: قرية من نواحي سامراء، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (المطيرة)، مج٥، ص١٧٦.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١١٦.

(٧) النديم، الفهرست، مج١، ص٢٣٥.

(٨) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠٨.

(٩) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص١١٦.

(١٠) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٨، ص٧٤.

والقضاة المصادرين مقابل المصالحة عليها بمبالغ مالية معينة، تدفع لبيت المال[(١)]، ويبدو أن الهدف من هذا الإجراء، هو الإبقاء على استمرار النشاط الزراعي لها والإستفادة من واردها، مع الإبقاء على أسلوب المصالحة كإجراء تأديبي لردع غيرهم من الموظفين في حال تجاوزهم.

وانتشرت ملكية الضياع أيضاً عند بعض الحُجاب، مثل امتلاك حاجب الخليفة المقتدر ضياع عظيمة الإرتفاع[(٢)].

كما ملك بعض التجار مثل ابن الجصاص[(٣)]، التاجر المشهور بساتين عظيمة القيمة والإرتفاع[(٤)]، وكان لبعض الشعراء ضياع مجاورة لضياع وأملاك رجال الدولة في بغداد[(٥)]، كما هو حال العلويين أيضاً الذين قدمت لهم الدولة معونة مالية خلال فترات الإختلال أو الأزمة المالية التي يمرون بها[(٦)]، حرصاً منها على ضرورة انتعاش الإقتصاد الزراعي، خاصة أن هذا الإنتعاش، كان مقروناً أحياناً بقيام الدولة بتخفيف الخراج، كما حصل في عهد الخليفة المعتضد سنة (٢٧٩هـ-٢٨٩هـ/ ٨٩٢م-٩٠١م) [(٧)]، هذا الإجراء الذي كان يتكرر كلما ظهرت شكاوى من أصحاب الضياع حول ثقل الرسوم المفروضة عليهم[(٨)].

وتبقى إجراءات المصادرة هي أكثر الأمور رهبة عند ملاك الأراضي من رجال الدولة

---

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٩٦.

(٢) الصابىء، الوزراء، ص٥٤.

(٣) هو الحسين بن عبدالله بن الجصاص البغدادي المشهور بابن الجصاص الجوهري، الصدر الرئيس ذو الأموال، قال عنه ابن طولون (لا يُباع لنا شيء إلا على يد ابن الجصاص) اشتهر بتجارته وعلاقته مع الخلفاء العباسيين، صودر أيام المقتدر سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) وتوفي ابن الجصاص سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٦٩-٤٧١، الكتبي، فوات الوفيات، مج١، ص٣٤٥-٣٥٧.

(٤) البيروني، كتاب الجماهر، ص١٥٣-١٥٤؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١ ، ص٢٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٨٣.

(٥) الشابشتي، الديارات، ص١٢٥.

(٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٥٠.

(٧) الصابىء، الوزراء، ص٢٢٠.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، ١٢٥.

العباسية، فأحياناً تعمد الدولة إلى مصادرة الضياع التي تمت المصالحة عليها بمبالغ معينة[١]، وقد ظهرت بعض الدواوين الخاصة بهذا لإجراء مثل ( ديوان الضياع المقبوضة )، الذي أقيم زمن الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م)[٢] ، وقد طالت المصادرات ضياع الأبناء والأسرة كلها، وليس المصادرَ وحده[٣]، وقد لعب الوزراء دوراً مهماً في هذه المسألة، حتى كان البعض منهم يقوم ببيع الضياع المصادرة[٤]، ومع هذا فإن أراضي الملك بقي فيها حق التمليك للأبناء[٥]، بإعتبارها ملك للموظف يجوز له أن يورثها.

أدت الفتن والأحداث السياسية في العراق إلى هروب الفلاحين وأصحاب الضياع عنها، وقد تكرر هذا الأمر سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) أيام فتنة المعتز والمستعين[٦]، وأيام أبو عبدالله البريدي (ت٣٣٢هـ/٩٤٣م) عند وزارته للمتقي لله في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) [٧]، عندما هرب الناس من البصرة وتحديداً عن ضياع النعمانية[٨]، وهي من أكثر المناطق خصوبة وارتفاعاً، مما يعكس أثر الأحداث السياسية وخطورتها على الواقع الزراعي.

ويضاف إلى أنواع الملكية ما يُسمى (الإيغار) وهو أن يعطي الخليفة (أو أن يهب) الأرض ، لمن يشاء دون أن يؤدي عليها شيء، سوى مبلغاً سنوياً يكون مقداره قليل، بإعتبار أن هذه الأرض

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١، ص٣١٥.

(٢) الصابىء، الوزراء، ص٤٨.

(٣) مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٤٥١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٥٨-١٥٩؛ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٩٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٤١٨-٤١٩.

(٥) ابن الأبار، اعتاب الكتّاب، ص١٤٢.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٩١؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٤٣.

(٧) عن استيلاء البريدي على بغداد وما حدث من اضطراب لأهلها أنظر: ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٦٤-٤٦٩.

(٨) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جراده (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) بغية الطلب في تاريخ طلب، ١١جزء، تحقيق سهيل زكار، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية، دمشق، ١٩٨٩م، ج٦، ص٢٥٣٦. وسيشار له لاحقاً: ابن العديم، بغية الطلب.

معفية من الضرائب التي تُفرض عادة على غيرها من الأراضي الخراجية مقابل أن يدفع عنها العشر [١]. ويشير ياقوت الحموي (ت٦٢٦هــ/١٢٢٨م) إلى أن الايغار يمنع دخول عُمال مساحة الخراج إلى تلك الأراضي ، باستثناء عُمال الصدقات، بإعتبار الصدقة مال يجب أن يخرج عن هذه الضياع[٢]، وربما كانت هذه الصدقة هي المال الذي أشير إليه من قبل البعض[٣]، أنه كان يدفع عن بعض ضياع الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هــ/٩٢٤م) ومقداره ألف درهم[٤]، وهناك أمثلة عديدة عن الإيغار منها ايغار الخليفة المعتز (٢٥١-٢٥٥هــ/٨٦٥م-٨٦٨م) لأبي الحسن الطائي علي بن حرب (ت٢٦٥هــ/٨٧٨م) ضياع أبيه وقد بقيت في يده فترة لاحقة[٥]، وأوغر أيضاً الخليفة المتوكل (٢٣٢هــ/٢٤٧هــ/٨٤٦م-٨٦١م) إلى بعض الشعراء[٦]، كما كانت هناك بعض الايغارات للوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هــ/٩٢٤م) من قبل الخليفة[٧].

مما سبق يظهر أن هناك ما يشبه التوريث أو الإستمرار في اعطاء حق الإيغار من الخليفة للبعض، وهو ما يظهر في ايغار الخليفة المعتز لأبي الحسن الطائي، كما يظهر فيه حماية للأرض من الضرائب المفروضة، أو جزء من الضرائب والتي قد يكون سببها أحياناً عسف الولاة وظلمهم[٨]، وفي كلتا الحالتين يبدو أن الإيغار سبيل مهم لإنعاش ملكية الأراضي، وتحسين النشاط الزراعي فيها، كما شكل وارداً مهماً لخزينة الدولة، بفضل الإرتفاعات الكبيرة التي كانت تُقبض منها، وقد ورد ذكرها في قائمة الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هــ/٩٤٦م)، التي وضعها في سنة

---

(١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٨.
(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الإيغارات)، مج١، ص٣٤٦.
(٣) أنظر مثلاً: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٨.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢٨.
(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤١٧.
(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الإيغارات)، مج١، ص٣٤٦.
(٧) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٩١.
(٨) المرجع نفسه، ص٤٩.

(٣٠٦هـ/٩١٨م) [(١)]، وهذا بالتأكيد يدلل على استمرار هذا النوع من المُلكية وأهميتها، حيث أفردت لها بنود خاصة في القوائم المالية الرسمية للدولة.

ومن الأنظمة الأخرى، ( الإلجاء) الذي كان نتيجة لتعديات الجُباة، والأوضاع السياسية في الدولة، لذا عمد صغار ملاك الأراضي إلى عملية الإلجاء، وهي وضع الأراضي الخاصة بهم في حماية الخليفة، أو الأمراء، أو كبار رجال الدولة مثل الوزراء، أو القادة ، رغبة في حمايتها ورعايتها من تعديات الجباة [(٢)] .

يظهر أن الإطار العام الذي نمت فه عملية الإلجاء، رافقه سياسة التعدي على الضياع الخاصة بإقطاعات الجند الترك، وفرض رسوم إضافية عليها، مما دفعهم في سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م)، إلى مطالبة الخلافة بالقضاء عليه وانهاء التعامل به في إدارة الضياع[(٣)]. مع هذا فإن بعض الأنماط الإدارية الخاصة بإدارة الضياع، قد لا يعود سببه إلى التعديات، أو الأوضاع السياسية التي تعيشها الدولة، بل سببه طبيعة عمل أو مكانة بعض الأفراد، والتي منعتهم أحياناً من المباشرة في إدارة ضياعهم، لذا وجدت بعض الطرق والسبل الجديدة للإعتناء بها، ومن ذلك سياسة تأجير الضياع[(٤)]، والتي تهدف إلى استمرار النشاط الزراعي، وعدم تعطيل الأراضي لأهمية وارداتها.

---

(١) ابن حمدون ، مخطوط التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٩٩.

Kremer ,Joseph Von, Ueber das Einnahmebudget das abbasiden Reiches Vom Jahre ٣٠٦h.(٩١٨-٩١٩) A.H,wien ١٨٨٧,P. ٢٦ – ٣٢.

الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٨٧؛ خزنة كاتبي، الخراج، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٦-٤٧ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٧٠م، ص١٢. وسيشار له لاحقاً : الدوري، نشأة الإقطاع ؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ٤ أجزاء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م، ج٢، ص١٢٧-١٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٤٧-٤٤٨.

(٤) ابن أبي اصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٨٧.

**٢) الضياع السلطانية .**

ترجع أهمية هذه الضياع بوصفها أملاك الخلافة العباسية، وتحت رعايتها المباشرة وقد أُطلقت عليها أسماء مختلفة، وهي على ما يبدو جاءت فضلاً عن أهميتها في تحديد الضياع التي تعود للخلافة العباسية وتميزها عن غيرها، فهي أسماء وضعت لغايات إدارية تتعلق بالجباية، وفي مقدمة هذه الأسماء الضياع السلطانية، ويرد هذا الإسم عند إشارة البعض لمبالغ الخراج المقررة على بعض مناطق العراق مُستثنياً منها ما أسماه الضياع السلطانية[١]، بينما وردت في قائمة علي بن عيسى الجراج (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م)، بعدة أسماء[٢]، وهي الضياع الخاصة التي تُنسب لبيت مال الخاصة، وتدار من ديوان سُمي (بديوان الضياع الخاصة) [٣]، كما سُميت أيضاً بالضياع المستحدثة، وهي الضياع التي أضيفت حديثاً إلى ضياع الخلافة العباسية[٤]، وهناك اسم الضياع المسترجعة وهي الضياع التي أعيدت على الخليفة العباسي بعد أن وهبها للناس[٥]، والاسم الآخر هو الضياع الفراتية، وهي الضياع التي تقع على نهر الفرات[٦]، والتي تتميز بالطبع بخصوبتها ووفير غلّتها.

وقد اختلفت وجوه حصول الخلفاء العباسيين على ضياعهم، فهناك ضياع تمّ الحصول عليها من خلال شراء بعض أملاك الأسرة العباسية نفسها، مثل شراء الخليفة المستعين سنة

---

(١) أنظر مثلاً: اليعقوبي، البلدان، ص٣٥.

(٢) أنظر القائمة عند: ابن حمدون ، مخطوط التذكرة ، ج١٢، ورقة ١٩٩-٢٠٥.

Kremer , Ueber das Einnahmebudget das abbasiden ,P ٢٦-٣٢.

الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٨٧ ؛ غيداء، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت ٢٠٠١م، ص١٩٩-٢٠٠. وسيشار له لاحقاً: غيداء خزنة كاتبي، الخراج ؛ وانظر أيضاً في غير القائمة عند: مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٢٦.

(٣) الصابيء، الوزراء، ص٣٠٠.

(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٣٨.

(٥) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٤٥.

(٦) السمعاني، الأنساب، مج٣، ص٤٣٦ ؛ زيدان ، تاريخ التمدن، ج٢، ص١٢٨، الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٣٨.

(٢٤٨هـ/٨٦٢م) ضياع المعتز والمؤيد[١]، ويبدو أن سياسة إهداء بعض رجال الدولة الضياع والبساتين إلى الخلفاء العباسيين للتقرب منهم، وتحسين العلاقة بينهم، كانت هي الأخرى من بين أهم المصادر للحصول على الضياع أيضاً، فقد أهدي الخلفية المقتدر من حاجبه ضياع بالقرب من نهر النهروان قُدرت قيمتها بحوالي ثلاثين ألف دينار[٢]، وقدم له الوزير حامد بن العباس (ت٣٢١هـ/٩٤٢م) في سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م)، بستانه الخاص والذي سُمي (الناعورة) ، والذي قُدرت النفقة عليه وعلى فرشه وستائره ، الذي زين بها المجالس يوم قام بإهدائه للخليفة بحوالي مائة ألف دينار[٣]، وفي مناسبة أخرى وهي يوم النيروز، أهدى الوزير حامد بن العباس للخليفة أيضاً بستانه الآخر المعروف باسم (الريّان)، وقد قدرت النفقة عليه أيضاً بحوالي مائة ألف وخمسمائة دينار[٤]، وربما تعكس هذه العلاقة تحديداً، مكانة الوزير من الخليفة على الرغم من قلّة خبرته الإدارية ، التي حاول أن يخفف من أثرها السلبي على الأوضاع المالية للدولة العباسية أيام وزارته لها.

وعلى صعيد آخر، فإن وراثة الخلفاء العباسيين للضياع لم تكن تقتصر على وراثة من سبقهم من الخلفاء فقط، بل ورث بعضهم ضياع زوجاتهم، والتي خصص لها وكلاء معينين للإشراف عليها فقط[٥]، وربما كان ذلك بسبب مساحتها وارتفاع غلّتها، إلى جانب الرغبة في ضبط إدارتها.

وتُعد المصادرة إحدى مجالات الحصول على الضياع السلطانية، والتي أفردت لها بعض الدواوين الخاصة مثل (ديوان الضياع المقبوضة من أم موسى القهرمانة والموروثة من الخدم)

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٥٨-٢٥٩؛ مسكوية تجارب الأمم، ج٤، ص٣٢٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١، ج٢٢ ص٢١٩.

(٢) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٥٥.

(٣) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٢٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٧.

(٤) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٩٨-٣٩٩.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص١٥١-١٥٢.

بإعتبار أن ضياع واقطاعات خدم قصور الخلافة تعود ملكيتها بعد وفاتهم للخلافة نفسها[١]، أما الضياع المرتجعة فهي الضياع التي أعادها الخلفاء العباسيون إلى ملكيتهم، بعد أن وهبوها إلى بعض الناس سواء من الخاصة أو العامة، فقد أعيدت ضياعاً لهم لأسباب قد يتعلق بعضها بأمن وسلامة الخليفة، فيذكر أن الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م)، أمر بإعادة ضياع أهديت إلى إحدى الجواري الخاصة بالخليفة المعتضد في الجانب الشرقي من بغداد، " لأنها في طرف أمير المؤمنين إذا ركب لا يجوز أن يقع عليها إقطاع لأحد"[٢]، وقد أفرد لهذه الضياع في سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) ديوان خاص عُرف باسم (ديوان الضياع المرتجعة) زمن الخليفة المقتدر[٣].

وتجدر الإشارة هنا، أن سياسة إعادة حيازة ملكية الضياع المقتطعة أو المهداة، لم تكن قطعية دائماً، بل قد يعمد بعض الخلفاء لإعادة ملكية تلك الضياع إلى أصحابها ثانية، كما فعل الخليفة المكتفي (٢٨٩هـ-٢٩٥هـ/٨٩٨م-٩٠٧م)، عندما قام برد الضياع إلى أصحابها بعد بيعته، وقد كان أبوه أخذها ليبني عليها أحد قصوره[٤]، قاصداً بذلك الحصول على الرضا والقبول من العامة، خاصة أن سياسة حيازة الأراضي لأسباب البناء كانت أمراً مألوفاً لدى الخلفاء العباسيين[٥]، أما عن أماكن انتشار تلك الضياع، فقد كانت في العديد من المناطق مثل ماه الكوفة[٦]، ومنطقة أسافل

---

(١) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٣٩.

(٢) بعد أن عوض بغيرها، أنظر: الصابىء، الوزراء، ص٢٠١-٢٠٢.

(٣) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٤٥.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٩٥.

(٥) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١، ص٢٠١.

(٦) ماه الكوفة فيها قولين إما قصبة الكوفة أو الدينور حيث يشار أن سبب تسمية الأخيرة جاء لأن : " مالها – أي الدينور– يحمل في أعطيات أهل الكوفة " . ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (ماه البصرة) ومادة (نهاوند)، مادة (ماه الكوفة)، مج٥، ص٥٨-٥٩؛ ص٣٦٢، وأنظر الإشارة عند: اليعقوبي، البلدان، ص٣٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٢٤.

الصُلح[١]، والأهواز التي ضمت ضياع العديد من الخلفاء وأمهاتهم[٢]، وقد انتشرت أيضاً ضياع السيدة أم المقتدر في واسط[٣]، وبادوريا وقطربل[٤]، واشتهرت سامراء بوجود ضياع الخليفة المتوكل فيها[٥]، حتى أقام لها شخص مسؤول عن إدارتها هو أبو أحمد يحيى بن علي المنجم (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) [٦].

وصفت هذه الضياع عموماً بحسن صورتها وخضرتها، ويقال أنه حُملت إليها الأشجار من مناطق مختلفة مثل عُمان والهند، وانتشرت فيها أنواع الطيور المختلفة، حتى ذكر أن الخليفة الراضي ( ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) قام بحفر أحد بساتين الخليفة القاهر ( ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤ م) باحثاً فيه عن كنوز وأموال قيل أن الخليفة دفنها فيه[٧]، وهذا يعكس مقدار اهتمام الخلفاء بعمارة الضياع وانفاق الأموال عليها، وقد توزعت أراضي الخلفاء العباسيين في معظم نواحي العراق، حتى أن صاحب الزنج ولإخفاء أمره ادعى أنه أحد وكلاء ضياع أبناء الواثق المنتشرة في البصرة[٨]، وربما يعكس هذا الأمر سعة المساحات التي وجدت عليها ضياع الخلفاء حتى أصبح من الصعب حصر وتحديد وكلائها.

وقد ازداد الإهتمام بضياع الخلفاء العباسيين ، بإعتبارها أماكن اتخذت فيها قصورهم، حتى

---

(١) الصلح هي كورة فوق مدينة واسط لها نهر يستمد مياهه من نهر دجلة ( يسمى فم الصلح) ، يظهر أن الوزراء العباسيين كانوا يرغبون اتخاذ بيوتهم فيها منذ بداية العصر العباسي ، وربما كان المقصود بأسافل الصلح مناطق جنوب نهر فم الصلح ويبدو أنها خصبة . الصابىء، الوزراء، ص٤٠-٤١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مادة ( الصلح) ، ج٣، ص٤٧٨.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٢١١.

(٣) الصابىء، الوزراء، ص٣٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٥٦.

(٥)التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٦، ص٨٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (سامراء)، مج٣، ص١٩٧؛ الشرقي، قصور العراق، ص٣١٠.

(٦) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٦.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٩٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٣٠٥.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٣.

أصبحت أسماء القصور تُنسب إليها، فقد عُرفت دار الخليفة المقتدر سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) باسم (دار البستان) [١]، وهذا على ما يبدو بسبب موقع الضياع والبساتين المميزة فيها، كما نُسب بعضها إلى الأنهار التي وجدت بقربها مثل ضيعة الخليفة المعتضد بالله عند نهر يُسمى بـالموفقي[٢]، وإن كنا لا نستطيع تحديد أماكن الكثير منها بدقة إلا أن الأسماء توحي بموقعها الخصب القريب من الأنهار وبالتالي ارتفاع غلاتها.

ونظراً لأهمية هذه الضياع وتعددها[٣]، تنوعت مسألة الإشراف عليها، فقد كانت تحت رقابة الوزير مباشرة، إضافة إلى مراقبتها من قبل عُمال البريد، الذين يتولون مُتابعتها من تجاوزات الوكلاء أثناء إدارتهم للضياع[٤]، خاصة أن الخلفاء كانوا يفوضون الوكلاء التصرف بمصالح الضياع[٥]، وهذا الإجراء كان تقليداً للخلفاء العباسيين، مما جعل بعض الوكلاء يُقيم في الضياع لمدة معينة[٦]، مهتماً خلالها بمتابعة جميع الشؤون بدقة عالية.

ومع هذا الإهتمام من قبل الوكلاء، إلا أن هناك بعض الإشارات تؤكد حدوث بعض التجاوزات من قبلهم، مثل تعرضهم لوكلاء وفلاحي الضياع المجاورة لضياع الخلفاء، وفرض سطوتهم عليهم[٧]، كذلك تدخلهم في تحديد الأسعار أو التلاعب بها من خلال بعض الإجراءات، فقد منع أحد الوكلاء في سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م) أصحاب الضياع الأخرى من حصاد الغلال ودياستها

---

(١) الرشيد، الذخائر والتحف، ص١٣١.

(٢) الصابىء، الوزراء، ص٢٥.

(٣) يقال مثلاً أنه كان لأم المتوكل سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) أربعة عشرة ضيعة. أنظر :الرشيد، الذخائر والتحف، ص٢٣٥.

(٤) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص٥٠.

(٥) يكثر ذكر الوكلاء في الأمثال حتى قيل بما يوحي بوقع كتبهم ومراسلاتهم (كتب الوكلاء مفاتيح الهموم). الحداد ، فيصل مفتاح ، الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٨م، ص١٨٤-١٨٥. وسيشار له لاحقاً : الحداد، الأمثال .

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٢٢؛ الصابىء، الوزراء ، ص٣٨.

(٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٢١١.

حتى ترتفع بذلك الأسعار[١]، ليتمكن من بيع غلاّت الخلفاء بأسعار مرتفعة ليحصل منها على بعض الأموال، بل قد تبلغ إدارتهم السيئة حداً أن نلاحظ بعض الملامح والإشارات من دخـول حسـابات بعض ضياع الأيتام في حسابات مستغلات الخليفة[٢]، وقد توقع مثل هذه الأخطاء بعض الخـلاف بين أبناء الخلفاء حول ملكية الضياع، الأمر الذي يدفع الوزير للتدخل لتحديد صاحب الحق مـنهم، فقد تدخل الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) في فض خلاف أولاد المكتفي والمقتدر حول مُلكية بعض الضياع[٣]، وهذا يؤكد سلطة الوزير ومهمته الرقابية على شؤون الضياع حتـى أصبح بمثابة القاضي في حل القضايا التي يكون أحياناً طرفي النزاع فيها من الخلفاء، مما يزيد من مكانته وقيمته.

يلاحظ مع تقلص منصب ومكانة الوزير في عصر إمرة الأمراء (٣٢٤هـ/٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٦م)، أصبح أمير الأمراء هو من يتولى مهمة الإشراف على الضـياع الخاصـة بالخلفـاء[٤]، والرغبة في متابعة شؤونها، لذا نلاحظ أن هناك سياسة العقاب تجاه الوكيل إذا قصر في عمله فـي الضياع، وتتدرج العقوبة بين الضرب والحبس وحتى النفي أو الإخراج من الضيعة أحياناً[٥].

ومع تلك التجاوزات وإن حدثت فإن أهمية الضياع السلطانية ومكانتها الإقتصادية تبقى قائمة، فقد أظهرت بعض قوائم الخراج ارتفاع ايرادات تلك الضياع[٦]، كما وصفت ضياع أم المقتدر بأنها عالية الإرتفاع، دلّ على ذلك بيعها بعض الضياع سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) بما قيمته سبعمائة ألـف

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٠، ١٥.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٦٦.
(٣)الصابيء، الوزراء، ص٢٦٦.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٢٦.
(٥) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٥٤١.
(٦) مثل قائمة علي بن عيسى الجراح لسنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، أنظر : ابن حمدون ، مخطوط التذكرة، ج١٢، ورقة ١٩٩؛ Kremer , Ueber das Einnahmebudget das abbasiden ,P. ٢٦ – ٣٢
الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص١٨٧ ؛ غيداء خزنة كاتبي، ص١٩٩-٢٠٠.

دينار[١]، و يذكر  أن وارد ضياع الخليفة المقتدر في كل سنة ألفي ألف دينار[٢]، إضافة إلى هــذه الأهمية المالية فإن هذه الضياع توفر حاجة مطابخ قصور الخلفاء من اللحوم[٣]، بإعتبارها أمــاكن تربية الثروة الحيوانية الخاصة بهم.

ولعل الدور المالي لهذه الضياع، يكمُن في قيام الخلفاء في حالة الطوارىء والتردي المــالي ببيعها من أجل سد الإحتياجات المالية، ففي سنة (٣١٧هــ/٩٢٩م) لجأ الخليفة المقتدر لبيع ضياعه وضياع من يجوز عليهم أمره ليُكمل عطاء الجند وأرزاقهم[٤]، وفي سنة (٣٢١هـــ/٩٣٣م) قــام الخليفة القاهر ببيع الضياع لاتمام مستلزمات البيعة (بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار) [٥]. ولم يــدم دور تلك الضياع في تغطية  التكاليف الطارئة وتوفيرها دخلاً ثابتاً للخليفة، نظراً لتعرضها لعمليات القبض أو المصادرة والبيع تالياً، فقد عمد الخليفة القاهر في سنة (٣٢٠هـــ-٣٢٢هـــ/٩٣٢م-٩٣٤م) إلى بيع ضياع أم المقتدر[٦]، وفي سنة (٣٣٠هــ١٤١٩م) تعرضت ضياع الخليفــة المتقــي (٢٢٩هــ-٣٣٣هــ/٩٤٠م-٩٤٤م) إلى المصادرة أيضاً[٧]، مما جعل  القيمــة الإقتصــادية لتلــك الضياع تتلاشى وتتقلص، لتخسر بذلك الخلافة مصدراً ووارداً مهماً له دوره في ميزانيــة الدولــة العباسية.

---

(١) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٢٣٨.

(٢) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٨٨.

(٣)العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هــ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٩ أجزاء، تحقيق محمد خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمــارات العربيــة المتحــدة، ٢٠٠١م، ج١١، ص١٠٩. وسيشار له لاحقاً: العمري ، مسالك الأبصار.

(٤) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٤٤.

(٥) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١،  ص٧٥.

(٦) مجهول، العيون والحدائق، ق٢، ص٣٨١. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٧٦-٧٧.

(٧) مجهول ، العيون والحدائق، ق٢، ص٤٠٦ .

**٣) اراضي الإقطاع .**

ظهر هذا النوع من الملكيات بشكل واسع في العراق، وقد اختص الإقطاع بمنح الأراضـــي للأفراد، فيقال (لغة): أقطعه شيئاً من ماله، أي أعطاه الوالي (الخليفة) أرض كـــذا[١]، وهـــو مـــن الناحية العملية قيام الخليفة باقطاع رجل أرضاً فتصير له رقبتها وتُسمى تلك الأرض قطائع[٢]، وقد تعددت وجهات نظر الفقهاء في طبيعة الأراضي التي يحق للخليفة اقطاعها، ليشترط بعضهم فيمـــا يخص العراق عدم جواز اقطاع الأراضي الصالحة لزراعة الحب فيها[٣]، مُنطلقين من اعتبارهـــا أراضي مفتوحة عنوة، قد وقفت لصالح المسلمين كافة دون اختصاصها بأحد[٤].

ولكن نجد أن سياسة الخليفة في اقطاع الأراضي شملت العديد من الأراضـــي الواقعـــة فـــي المناطق الخصبة الصالحة للزراعة، والتي دفعه لإقطاعها رغبته في كسب ولاء وتأييد العديد مـــن رجال الدولة بما في ذلك الجند، فقد حصل الجند الترك على ضياع كثيرة من الخلفـــاء العباســـيين، ويظهر أنها ضياعاً ذات غلات وارتفاعات وفيرة، فقد كان لإيتاخ (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م) عـــدد مـــن الضياع في بغداد، وقد كانت تدار من قبل كاتب عُين عليها[٥]، ليتولى شؤونها مـــن حيـــث الـــري والصيانة، ويبدو أن الخليفة المتوكل أعادها إلى ملكية الدولة فـــي ســـنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) بعـــد مصادرته وقتله[٦]، على أن سياسة مصادرة الضياع هذه تجاه القادة الترك لم تكن تشمل جميع القادة

---

(١) الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٨م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ١٢ جـــزءً، تحقيق حسين العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق ، ١٩٩٩م، مادة (الإقطاع)، ج٨، ص٥٥٥٧. وسيشـــار لـــه لاحقاً : الحميري، شمس العلوم؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة ( قطع).

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف( ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تحقيق فان فولتين، ليـــدن، بريـــل، ١٩٦٨م، ص٥٩-٦٠. وسيشار له لاحقاً: الخوارزمي، مفاتيح العلوم.

(٣) هذا موقف الإمام مالك بن أنس. للمزيد أنظر: الزحيلي، موسوعة الفقه الاسلامي ج٥، ص٤٤٩.

(٤) للمزيد، أنظر: خزنة كاتبي ، غيداء خزنة كاتبي ، الخراج ، ص٨٨، ٩٠-٩٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦٩؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٢٩٦.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٦.

البارزين، فعند وفاة أشناس (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) تركت ضياعه بيد أولاده كإقطاع من الخليفة المتوكل لهم[١]، وربما سبب ذلك أن المصادر لم تشر إلى عداوة بين الخلافة وأشناس، بل على العكس من ذلك وصفت بأنها حسنة.

وبعد مقتل الخليفة المتوكل (ت٢٤٧هـ/٨٦١م)، زادت على ما يبدو إقطاعات القادة الترك، يدل على ذلك أن البعض منهم مثل باغر التركي (ت٢٥١هـ/٨٦٥م) أُقطع بسواد الكوفة، أربع قطائع على الرغم من اتهامه بمقتل الخليفة، ولأن هؤلاء القادة لم يكونوا مُتفرغين إلى إدارتها، فقد عملوا على تضمينها عدداً من الدهاقين[٢]، مع بقاء وجود بعض الوكلاء للإشراف على هذه الضياع[٣]، ولا شك بأن دور القادة الترك في الأحداث السياسية، ووقوفهم إلى جانب الخلافة في مواجهة الأعداء، بخاصة في وجه ثورة الزنج، زاد من حصولهم على الضياع كما حدث في سنة (٢٦٩هـ/٨٨٢م)[٤].

ويبدو أن سياسة الإبقاء على منح الإقطاعات والضياع إلى القادة الترك باتت أمراً مهماً، حتى أصبحت الدولة العباسية تُعيد النظر باستمرار في أمر المصادرات التي تتم بحق البعض منهم، مما يجعلها تعمل على إعادة الضياع المصادرة إليهم فور انتهاء بعض الفتن وتراجعهم عن موقفهم الذي كان ضد الخليفة، كما حدث سنة (٢٥٢هـ/٨٨٦م)، عندما ردت الضياع إلى عدد من القادة الترك، بعد أن أُخذت منهم أيام فتنة المعتز والمستعين[٥]، وهذا أمر في غاية الأهمية لإقترانه بمسألة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ، مج٢، ص٤٨١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٧٨؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٩٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١٠، ج٢٢، ص٢٢٢.

(٣) أنظر مثلاً بعض الإشارات عند: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٧٨، ٤٦٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٥٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٢٠، ٦٥٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٥٦.

الولاء للخليفة العباسي.

وانتشرت أماكن هذه الضياع في العديد من المناطق الزراعية الخصبة في العراق مثل واسط[١]، فضلاً عن امتلاك ضياع أخرى خارج العراق مثل الري، وقد مارس بعض القادة سياسات غير مقبولة لزيادة حجم اقطاعاتهم، كما فعل مثلاً موسى بن بغا (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م) عندما ضم إلى اقطاعاته بعض ضياع الأيتام لزيادة مساحتها[٢]، ولا شك أن هذا الإنتشار للضياع يعكس مقدار سطوة هؤلاء القادة.

ويلاحظ أن إشارة المصادر إلى ضياع القادة الترك، تأتي في الغالب عند الحديث عن المصادرات التي يتعرضون لها في حياتهم، أو تؤخذ منهم أحياناً عند وفاتهم، فقد أخذ الخليفة المكتفي في سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) بعض ضياع الترك بعد مقتلهم[٣]، وأنشأت الدولة في سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) (ديوان المخالفين) حفظت فيه سجلات ضياع القادة الترك المصادرين أيام الخليفة المقتدر[٤].

ومن بين القادة الترك الذين كانت لهم اقطاعات خصبة مؤنس الخادم (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، الذي وصفت ضياعه باحتوائها على صنوف الثمار والأشجار[٥]، وعلى الرغم من مصادرة ضياعه هذه إلا أنه على ما يبدو احتفظ ببعضها، فقد بعث في سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢ م) وبعد مصادرته إلى أحد الوكلاء في عكبرا[٦]، فأرسل إليه الوكيل خمسين ألف دينار من غلاتها[٧]، مما يدلل على سعة

---

(١) مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٤٥٦.
(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص١١٠-١١١.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٩٢.
(٤) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٦٥.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٠١
(٦) عكبرا: اسم بليدة قرب دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (يساوي:٥,٩ كم)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٦٠، مادة (عكبرا).
(٧) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٦٨.

أملاكه فيها، ولم يكن هو وحده ممن ملك البساتين والإقطاعات، بل كانت إقطاعات من البساتين والضياع التي تجري بها الأنهار وتزدان بأنواع الفاكهة الفريدة[١]، والتي قامت الدولة بعد وفاتهم ببيعها وإعادة أثمانها إلى بيت المال، مع قيامها أحياناً بالتصدق ببعض الثمن[٢]، وربما للتخفيف من حدة غضب القادة الترك الآخرين عليها بعد قيامها ببيع الأملاك والتصدق بها بدلاً من تحويل ملكيتها لهم.

إن سعة حصول القادة الترك على الإقطاعات، يدلل عليها ذكر المصادر لعدد من الضياع التي يمتلكوها، كما توحي أسماء بعض الترك الذين على ما يبدو من غير المشهورين[٣]، خاصة وأن الحصول على الاقطاعات، يأتي أحياناً بعد مصادرة عدد من الكتّاب والوزراء، فيحصل القادة الترك من الخليفة على العديد منها[٤]، وهذا بالطبع يساهم في زيادة بسط سطوتهم ونفوذهم على الدولة.

على أن سيطرة الأتراك على هذه الاقطاعات، له تأثير واضح في نقص الخراج[٥]، وبالتالي التأثير على خزينة الدولة، التي كانت تمر بأزمة مالية واضحة في العديد من الفترات، إلا أن حصولهم على الاقطاعات كان أمراً مهماً للحفاظ على ولاء القادة والجند، ونشير هنا إلى أن صاحب الزنج تأثر بإجراء الدولة هذا، فقام بمنح عدد من جنوده الضياع والتي أخذوا بدورهم يديرونها من خلال الوكلاء[٦]، نظراً لإنشغالهم بالحرب مع الدولة وطول فترة القتال، وقد كان لتلك

---

(١) أنظر مثلاً وصفها عند: الرشيد، الذخائر والتحف، ص١٠٧-١٠٨؛ الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٤٦.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص٣٤٢.

(٣) يرد مثلاً ذكر بستان يُسمى (بستان لغج بن جاخ) . الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢١٨.

(٤) أنظر مثلاً: الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٣٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٢٢٠.

(٥) مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٤١٠؛ الدوري، نشأة الإقطاع ، ص١٦.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٢٤.

الحركة أثرها في قتل عدد من وكلاء الضياع[١]، وبالنتيجة الضرر في وارد الضياع الذي أصبح قليلاً، سواء كانت هذه الضياع خاصة بالخلفاء أو أُقطعت إلى قادتهم[٢]، وهذا يشعر بحجم وقع الأحداث والفتن السياسية على النشاط الزراعي.

وشكلت ضياع الوزراء النصيب الأكبر من حجم الاقطاعات ووارداها، فقد بلغ مقدار ارتفاع إقطاع ضياع الوزراء في سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م)، وبعد نفقاتهم الراتبة، مائة وسبعين ألف دينار[٣]، وقد بلغ مُستغل الوزير ابن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) في كل سنة ألفي ألف دينار[٤].

ويلاحظ أن اقطاعات عدد من الوزراء، كانت اقطاعات سابقة لغيره من الوزراء ثم انتقلت إليه[٥]، بل إن البعض منهم وبعد عزله ومصادرته والقبض على اقطاعاته، كانت تعود إليه لاحقاً إذا تمّ اعادته إلى منصب الوزارة حتى بعد أن توزع على خواص الناس والقادة[٦].

وهي عادة جارية بعد إعادة الوزير إلى الوزارة مرة أخرى، خاصة بعد أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٧]، وقد بلغت بعض اقطاعات الوزراء حداً وصفت بأنها لم تكن تشبه ما حصل عليه من سبقه أو جاء بعده من الوزراء، كما هو حال الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) الذي توفرت له اقطاعات كبيرة[٨]، والغاية الأساسية من منحها هي أنها بدل

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٣٠؛ مسكوية تجارب الأمم، ج٤، ص٤٠٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦٤٤.

(٣) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٢٩.

(٤) النويري، نهاية الأرب، مج١١، ج٢٣، ص٣٨.

(٥) كما هو حال اقطاعات الوزير محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م). ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قنطرة المعبدي)، مج٤، ص٤٦١-٤٦٢.

(٦) الصابيء، الوزراء، ص٣٦-٣٧.

(٧) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٨٣.

(٨) الصابيء، الوزراء، ص٣٤-٣٥.

الرواتب[١]، وأحياناً قد يحصل عليها الوزير على سبيل الهبة أو الإهداء من الخليفة في بعض المناسبات، ففي سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) منح الخليفة المقتدر لوزيره ابن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) بعض الاقطاعات[٢]، ولضمان حق الوزير بها كانت تسجل في وثائق ديوان اقطاع الوزراء[٣].

وقد تطال الاقطاعات ذات الارتفاعات العالية إضافة إلى الوزير أولاده أيضاً[٤]، ويتابع الإشراف على إدارتها عدد من الكتّاب ممن توفرت فيهم بعض الشروط أهمها معرفة الحساب، واتقان كل ما يتعلق بترتيب الارتفاعات والبيوع، والنفقات، والكتب الخاصة بالضمانات، إلى جانب ضرورة متابعته الوكلاء والمسّاح وباقي العُمال من الفلاحين والخزان المسؤولين عن حفظ الغلات[٥]، ولا شك أن الاهتمام الشديد باقطاعات الوزراء سببه أنها تُغني الدولة عن دفع الرواتب النقدية لهم، إضافة على ضرورة المحافظة على أمر تنميتها لشرط استمرارها لتتمكن الدولة من تناقل ملكيتها إلى الوزراء على الدوام في حال تعيينهم.

ومن رجال الدولة المقربين من الخلفاء والحاصلين على الاقطاعات كان الأطباء، فقد حظيت هذه الفئة بمكانة كبيرة لدى الخلفاء، حتى ملك العديد منهم ضياعاً وصفت بأنها ذات غلاّت كبيرة، فقد أقطع الخليفة الواثق بعض القطائع إلى الطبيب ثابت بن سنان بن قرة (ت٢٨٨هـ/٩٠١م)، لمكانته منه[٦]، كما قُدرت مساحة قطيعة الطبيب اسرائيل بن زكريا الطيفوري طبيب الخليفة المتوكل (ت حوالي ٢٤٧هـ-٨٦١م) في سامراء والتي منحت له من قبل الخليفة المتوكل، حوالي

---

(١) الصابيء، الوزراء، ص٢٨٤-٢٨٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤١.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٤٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٢٢.

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ج١١، ص١٠٣.

(٥) بن فريعون، مبتغى (ق٤هـ/١٠م)، جوامع العلوم، تحقيق قيس كاظم الجنابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٢٧. وسيشار له لاحقاً: بن فريعون، جوامع العلوم.

(٦) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٢٧١. وسيشار له لاحقاً: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء.

خمسين ألف ذراع (يساوي :٤٩سم) [١]، إضافة إلى منحه ضيعة أخرى كان مقدار غلّتها في السنة خمسين ألف درهم وقد قُيدت باسمه، ويبدو أن مكانته القريبة من الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان (ت٢٦٣هـ/٨٧٦م) الذي كان طبيباً له أيضاً[٢]، ساعدت في حصوله على هذه الاقطاعات،مما يوضح دور الوزراء في حجم الإقطاعات الممنوحة، سواء للأطباء أو لغيرهم .

ويبدو أن عهد الخليفة المتوكل هو العهد الذي حصل فيه الأطباء على عدد كبير من الإقطاعات، نلمس صداه في إشارات المصادر على أسماء أطباء حصلوا عليها إضافة على من سبق ، فقد حصل الطبيب حُنين بن اسحاق (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م) على إقطاع من المتوكل يشتمل على خمسين ألف درهم[٣]، كما حظي الطبيب بختيشوع بن جبرائيل (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) هو الآخر على ضياع بناحية السواد[٤]، وقد عبر المتوكل عن مدى علاقته به بقوله: "أكتب في ضياع بختيشوع فإنها ضياعي وملكي، فإن محله منا محل أرواحنا في أبداننا"[٥]، وهذا مؤشر عن عمق العلاقة التي ربطت بعض الخلفاء بهذه الفئة المهمة من رجال البلاط .

على أن هذه العلاقة لم تكن على وتيرة واحدة، فأحياناً يستأثر الطبيب بعطاء الخليفة ليحصل على اقطاعات إضافية، كما فعل الخليفة المعتضد عندما زاد في اقطاعات بعض الأطباء[٦]، وأحياناً أخرى تتبدل هذه السياسة كما حصل في عهد المقتدر وتحديداً في سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، حيث تم مصادرة بعض اقطاعات الأطباء وبيعها بمبالغ يلاحظ أنها أقل من تكلفتها الحقيقية[٧]، ولعل هذا

---

(١) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٢.

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥١.

(٤) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص١٨١.

(٥) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٦) ابن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء، ص٢٨٧.

(٧) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٦٢.

يتماشى مع سياسة الدولة في فترة الأزمات المالية، سعياً منها برفد ميزانيتها وسد المتطلبات العالية الواجبة عليها.

وشملت الإقطاعات أيضاً عدد من المحدثين[١] والندماء، والتي يظهر من أماكن انتشارها أنها خصبة وفيرة الإرتفاع والغلّة[٢]، وحظي إلى جانبهم بعض القائمين على تأديب وتربية أبناء الخلفاء ببعض الإقطاعات، على اعتبار أنها رواتب لهم في ظل أزمة الدولة المالية، وهذا ما حصل في مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، مع بداية خلافة المتقي (٣٢٩هـ-٣٣٣هـ/٩٤٠م-٩٤٤م) [٣]، وعلى الرغم من حجم تلك الإقطاعات، إلا أن هناك بعض الإشارات مفادها أن عدداً من الموظفين لم تكن تكفيهم واردات تلك الإقطاعات[٤]، ومع ذلك فقد ظلت سياسة منح الإقطاع، من أهم البدائل التي اعتمدتها الدولة في مواجهة ظروفها المالية، وتوفيرها كرواتب للموظفين ونفقات المقربين منها.

واعتمدت الدولة العباسية سياسة مُهمة في تحسين رعاية الضياع والإقطاعات وتنميتها، من خلال مشاركتها في بعض الأوقات في تخصيص أموال الإرتفاعات كاملة في بعض السنوات لإعمار وصيانة الضياع، كما هو الحال في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) [٥]، كما اشترطت أيضاً على صاحب الإقطاع القيام ببعض الواجبات التنموية مثل اصلاح القنوات والجسور التي تتصل بأراضيهم[٦]، وفي حال عدم القيام بالواجبات أو ايقاع الضرر على أصحاب الضياع المجاورة يتم

---

(١) بلغت غلّة اقطاع أحد المحدثين حوالي سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م) اثنا عشر ألف. أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٦، ص٣٦٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٥٦-٥٧.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٢٦٣، ٤١٦.

(٣) الصولي، أخبار الراضي، والمتقي، ص٨.

(٤) أنظر مثلاً بعض الإشارات عند: التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١، ص٤٤.

(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٢٧.

(٦) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٠.

استرداد الإقطاعات، فقد قام الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) وضمن سياسة الإهتمام بالضياع، بإلغاء عدد من الإقطاعات بعد شكاوى الأهالي من نقص المياه الواصلة إلى ضياعهم[١]، بسبب تعدي فلاحي ووكلاء أصحاب الإقطاعات عليها.

استمر إشراف الوزراء المباشر على الإقطاعات الممنوحة، باعتبارها جزءً من صلاحياتهم أو حتى قيامهم بمنح اقطاعات أحياناً، كما حصل أيام الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) بمنحه عدة اقطاعات إلى رجال الدولة[٢]، وقد انتقلت تلك الصلاحية ليد أمير الأمراء، وفي ذلك يقول ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) عن إمرة أبو بكر محمد بن رائق (ت٣٣٠هـ/٩٤١م): " استولى على الخلافة، وأصبح أمير الأمراء، وأصبح إليه أعمال الخراج والضياع "[٣]، ولعل إعطاء هذه المهمة إلى الوزراء والأمراء يعكس قيمة وأهمية الإقطاعات ونظرة الدولة تجاهها وسعيها إلى ضبط جميع جوانبها.

---

(١) الصابىء، الوزراء، ص٣١١.

(٢) الصابىء، الوزراء ، ٣٧.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص٥٩.

### ٤) أراضي الوقف .

اهتمت الدولة العباسية بأراضي الوقف، أو ما يُسمى التسبيل والحبس، أي حبس عين المـــال والتصدق بالمنفعة الناتجة عنه[١]، هذا الحبس الذي يأتي بإعتبارها صـــدقة، لا يجـــوز بيعهـــا أو توريثها أو وهبها[٢]، وتحقيقاً لهذه الغاية كان من أبرز مهام القاضي الإشراف على الأوقاف ورعاية شؤون القائمين عليها، سعياً منه حفظ أصول الوقف ومحاولة تنمية أو (تثمير) الفروع، وقبض غلّتها أو انتاجها وصرفها على وجوه الخير المقررة لها[٣]، كل ذلك يأتي مع الإلتزام نحو تحقيق الغايـــة الأساسية من الوقف، وهي المصلحة التي وجدت من أجلها [٤].

وساهمت الأوقاف في التنمية، فأوقف بعضها على صيانة القناطر والجســـور، المُفيـــدة فـــي الحركة التجارية وتصريف الإنتاج الزراعي[٥]، مما يجعل من الأوقاف مُعيناً للدولة والأفراد فـــي موضوع التنمية.

من هنا فقد تكاتفت الجهود الخاصة (الأفراد) والرسمية (الخلفاء) لتوسيع نطـــاق الأراضـــي الوقفية، نظراً لدورها في تحقيق التوازن المالي في المجتمع، من خلال توفير دخول ثابتة تُنفق على بعض الوجوه والمجالات، لذلك كانت رغبة بعض الخلفاء مثل المكتفي تتجه نحـــو وقـــف بعـــض

---

(١) ابن عابدين، محمد أمين بن عمرو (ت١٢٥٢هـــ/١٨٣٦م)، رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين ويليه تكملة الحاشية المسماة قرة عيون الأخيار، ١٢جزء، تحقيق محمد صبحي حسن الحـــلاق وعـــامر حسين، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ج٦، ص٥١٦-٥١٧؛ الزحيلي، موسوعة الفقه الاسلامي، ج٩، ص١٥١.

(٢) الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت٢٦١هـــ/٨٧٤م)، أحكام الأوقاف، تحقيق محمد عبـــد الســـلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٣-١٤ وسيشار له لاحقاً: الخصاف، أحكام الأوقاف.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج٤، ج٦، ص٢١٧.

(٤) المغربي، محمد الفاتح محمود، تمويل واستثمار الأوقاف الإسلامية، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القـــاهرة، ٢٠١١م، ص١٢٦. وسيشار له لاحقاً: المغربي، تمويل الأوقاف.

(٥) الخلال، أحمد بن بن هارون (ت٣١١هـــ/٩٢٣م)، كتاب الوقوف، ٢مجلد، تحقيق عبدالله بن أحمد بن علـــي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٠م، مج٢، ص٥٤٦. وسيشار له لاحقاً: الخلال، الوقوف.

الضياع[١]، ويندرج ضمن أراضي الوقف ما يُعرف بالوقف الذري[٢].

تشير المصادر إلى وجود أوقاف ذرية من قبل كبار رجال الدولة مثل الوزراء، رغبة منهم في حفظ حقوق أسرهم وربما لحمايتها من المصادرات ، فقد أوقف الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤ م) بعض الضياع على أولاده[٣]، وعلى صعيد الأفراد فقد أوقف جد علي بن اسماعيل بن أبي بشر (ت حوالي ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، بعض الضياع على ذريته[٤]، وهذا يُعطي تصوراً على مدى انتشار هذا النوع من الأوقاف في العراق.

ولكن يبدو أن بعضاً من هذه الأوقاف الذرية قد تعرضت للبيع، مع عدم جواز بيع الأوقاف أصلاً، فقد بيع وقف الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢ هـ/٩٢٤ م)، مع جُملة الدار والبستان باعتبارها مقامة أصلاً على أرض موقوفة[٥].

وساهمت نساء الخلفاء في الأوقاف الخيرية، فيذكر أن أم الخليفة المتوكل أوقفت ضياعاً على بيمارستان ببغداد[٦]، ولكن أبرز المساهمات في هذا المجال كانت من أم المقتدر (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) التي أوقفت ضياعاً على الحرمين والثغور، حتى أنها اتخذت كاتباً يُشرف على إدارة الضياع الخاصة بها بما في ذلك الأوقاف[٧]، ومع أن تلك الأوقاف قد حُلت على يد الوزير

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٧٢.

(٢) الوقف الذري: ويسمى (الأهلي) وهو ما تمّ وقفه على شخص معين أو على عدة أشخاص من الأولاد وأعقابهم أو الأقرباء وبعد إنقراضهم ( إنقطاع نسلهم) يصرف إلى وجوه بر أخرى. الخصاف، أحكام الأوقاف، ص٣٩؛ ابن قُدامة ،موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) ، المغني، ١٥ جزء، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو ،ط٢، دار هجرة، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٨، ص١٨٦. وسيشار له لاحقاً: ابن قدامة، المغني.

(٣) الصابىء، الوزراء، ص٦٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١١، ص٣٤٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص١٣٦.

(٥) الصابىء، الوزراء، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٦) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٧.

(٧) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٢٨.

أبو علي بن مقلة (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) [1]، فالمصادر تُشير إلى أنها أظهرت رغبة بإعادة النظر بشأن أوقافها[2].

ويبدو أن هناك دور واضح للجند، في حل ضياعها، بدليل أن الكثير من تلك الضياع تمّ شراؤها من قبل الجند، وحُسبت بعضها بعد إقطاعها لهم ضمن أرزاقهم في خلافة القاهر[3]، وربما تفسر هذه الإشارة أن سبب التعدي على الأوقاف هو حاجة الدولة للأموال، لدفعها أرزاقاً للجند بخاصة، إضافة إلى أسباب أخرى طارئة، مثل التوسيعات والأعمال العمرانية للخلفاء، فقد أدخلت العديد من الضياع الموقوفة في أعمال بناء قصور الخليفة المعُتضد بسبب مجاورتها لمواقع تلك القصور[4]. فلم يكن هناك بداً من ضمها للأعمال الإنشائية.

وأوقف الخلفاء العباسيون على الطالبيين لمكانتهم عندهم، على الرغم من اسهاب بعض المصادر في وصف مدى تأزم العلاقة بينهما، فقد أوقف الخليفة الراضي مثلاً في سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) ضياعاً على الطالبيين اشتراها خصيصاً لذلك بحوالي عشرين ألف دينار[5]، ربما محاولة منه تحسين العلاقة معهم .

ان سياسة شراء الضياع ووقفها لم تكن السبيل الوحيد لإعادة فتح قنوات المصالحة مع بعض الأطراف، بل استخدمت أموال المصادرين لشراء ضياع توقف بأسمائهم تكريماً لهم، فقد قام المقتدر بشراء بعض الضياع من أموال الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) المصادرة

---

(١) الإربلي، عبد الرحمن بن ابراهيم بن قنينو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م، ص٢٤١. وسيشار له لاحقاً: الإربلي، خلاصة الذهب المسبوك.

(٢) التنوخي، نشور المحاضرة، ج١، ص٢٤٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٠٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص٥٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١١، ص٦٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٦٥.

(٥) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٠٦.

وقام بوقفها[١].

أما فيما يتعلق بإدارة الأوقاف، فإن مسألة الإشراف عليها، يبدو أنها تأتي أحياناً ضمن جهود بعض الوزراء الإصلاحية، فقد عمد الوزير علي بن عيسى إلى تنظيم الضـياع الوقفيـة وضـبط سياستها المالية، وأفرد لها ديواناً أسماه (ديوان البر)[٢]، جعل وارداتها المقدرة في بعض الأعـوام بحوالي تسعين ألف دينار، على الحرمين والثغور[٣]، وقد ضمت للضياع الوقفية مستغلات مدينـة السلام، والضياع المورثة[٤]، إضافة على شراء ضياع أخرى تمّ ضمها إلى ضياع الوقف[٥]، وهذا على ما يبدو جهد واضح ومنسق، لتنمية وارد الأوقاف، والإبقاء عليها مصدراً إضـافياً فـي سـد بعض الجوانب المالية للدولة.

وكان القاضي يشرف أحياناً على بعض الأوقاف، من خلال حساب جبايتها[٦]، مـع بقـاء مسألة الإشراف عليها غالباً موكولة بديوان البر[٧]. وهذا يقودنا للقول، بأن الوقف وإدارتـه كانـت ترتبط بقدرة الوزير، أو القاضي، ومكانتهم في الدولة التي تُتيح لهم الصلابة في اتخاذ الإجراءات لحمايتها وضمان عدم التعدي عليها، إضافة إلى الحالة المالية للدولة، التي قد تجعلها فـي بعـض الأحيان تلجأ إلى بيع الأوقاف أو حلها، لتوزيعها كما أشرنا كـأرزاق للجنـود لضـمان ولائهـم وارتباطهم بالخليفة.

---

(١) ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص١٨٧.

(٢) ابن الطقطقى، محمد بن علي بن محمد (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص٢٥٥. وسيشـار لـه لاحقـاً: ابـن الطقطقى، الفخري في الأداب؛ الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٣.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٠٠.

(٤) الصابىء، الوزراء، ص٣١٠-٣١١؛ العمري، مسالك الأبصار، ج١١. ص١١٧.

(٥) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٣١.

(٦) الخطيب البغداي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٦٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٦٥.

(٧) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٥٠.

## ثانياً : الأساليب الزراعية .

سوف يتناول الباحث عند حديثه عن الأساليب الزراعية موضوع صناعة الأدوات الزراعية ، لا سيما أن الغالب على صناعتها هو الطابع العائلي أو الانتاج المنزلي، المرتبط باستخدام المواد التي توفرها الأرض الزراعية نفسها، أما من جانب الأساليب الزراعية فقد اتبع الفلاح في العراق العديد من الأساليب التي ساعدت على النهوض بهذا القطاع الهام في العصر العباسي، ولعل أشهر الأساليب المستخدمة هو المناوبة[١]، كذلك أدرك الفلاح أهمية تنويع المحاصيل المزروعة في العراق، معتمداً في ذلك على الإستيراد من الخارج، وقد ثبت لديه أن زراعة المحاصيل المستوردة في أرض العراق، قد أكسبتها صفاتاً ومزايا تفوق تلك الموجودة في أصولها في تلك البلدان التي جاءت منها[٢]، ويبدو أن هذا الأمر يرجع إلى مستوى العناية، وطبيعة الأرض، ووفرة المواد والعناصر الغذائية الموجودة بتربتها، فضلاً عن طبيعة المناخ المساعدة، لذا فإن زراعة بعض أصناف الأشجار والنباتات العراقية نفسها في الخارج، وإن نجحت، إلا أن الصفات التي تتمتع بها لم تكن بمثل جودة الأصول العراقية المزروعة في أرض العراق[٣]، من هنا نجد أن الأطباء أخذوا في مؤلفاتهم يشيرون إلى تلك السمة بقولهم: "العراقي الخالص"[٤] ، للدلالة على ضرورة أن يكون من إنتاج أرض العراق نفسها، نظراً لقيمته الطبية التي تتضح في وصفاته العلاجية.

---

(١) ويسمى باسم الدورة الزراعية والمقصود من أجل إستمرارية خصوبة التربة وعدم أجهادها . الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٦٠؛ سوسة، الدليل الجغرافي العراقي، ص٢٥.

(٢) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص٨٤٩.

(٣) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص٨٥٩؛ البيروني، محمد بن أحمد (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الصيدنة، تحقيق الحكيم محمد سعيد ورانا محمد، مؤسسة همدرد والوطنية كراتشي، باكستان، ١٩٧٣م، ص١٥٦. وسيشار له لاحقاً: البيروني، الصيدنة؛ الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص٢٥٥.

(٤) الكوهين العطار، أبي المنى داود بن أبي نصر (ت ق ٧ه/ ق ١٣م)، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان، تحقيق خليل حسن إبراهيم الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص٢٥١. وسيشار له لاحقاً : الكوهين العطار ، منهاج الدكان .

وقد حاول الفلاح العراقي نقل الكثير من النباتات بما في ذلك شجرة جوز الهند في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلا أن ذلك لم ينجح، وقد أدركوا أن عدم موافقة المناخ هو السبب في فشل تلك التجربة(١) ، التي تؤكد على تصميمهم ورغبتهم في تنويع الانتاج النباتي في أرضهم. واستفاد الفلاح العراقي أيضاً من زراعة بعض المحاصيل المفيدة للأرض، مثل الباقلاء والعدس بكثرة، حيث تعمل جذورها على تفتيت التربة، كما تساعد عقدها الجذرية على تثبيت بعض العناصر في التربة مثل النتروجين.

وهذا ما أفادته الدراسات الحديثة، حتى أصبح الباحثون اليوم ينادوا بزراعتها في العراق لتدعيم حبيبات التربة(٢) ، هذه التربة التي اتسمت بدوام محافظتها على العناصر الغذائية المفيدة، وقد أدرك المعاصرون للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تلك الميزة، فيقول اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) عن تربة أرض العراق: "كانت مستريحة ألوف السنين، حتى زكا كل ما غرس فيها وزرع"(٣)، ويبدو أن الفلاح أدرك هذه الخاصية، فعمل على زراعة بعض النباتات المفيدة للتربة، محاولاً تنظيم الزراعة فيها لضمان عدم ارهاق الأرض بأعداد كبيرة من النباتات وفي مساحات واحدة، لذا اعتمد في نواحي بادوريا وكلواذي(٤) ، وقطربل قسمة الجريب ( يساوي: ١٥٥٧متراً) إلى ستة أقسام لزراعته(٥) ، وهذا يوفر راحة وفائدة إضافية للأرض.

واتبع الفلاحون طرقاً متقدمة لضمان انبات الأشجار بشكل جيد، فقاموا بزراعتها أولاً في غرف

---

(١) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص١١٧٧.

(٢) مخلف، هادي أحمد، التوزيع الجغرافي لمزارع الدولة في العراق واثرها في التنمية الاقتصادية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٧٢-٢٧٣. وسيشار له لاحقاً: مخلف، التوزيع الجغرافي لمزارع الدولة في العراق.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٢٩.

(٤) كلواذي: طسوج قرب مدينة بغداد، بينها وبين بغداد فرسخ واحد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (كلواذي)، مج٤، ص٥٤٢.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص١٢٩.

(غير مسقوفة) خاصة، ثم تُنقل بعد ذلك للبرك والبساتين بشكل نهائي[١] ، كما كانت لديهم معرفة بتجهيز الأرض، خاصة تلك التي تحتاج لعناية بسبب تكوينها مثل بطائح البصرة، فقد عمدوا أولاً إلى كسح السباخ معتمدين على الزنج[٢] ، ثم تزرع تلك السباخ بنباتات تقاوم الملوحة، وتلائم طبيعة المناخ والأرض مثل: الكتان والقصب بخاصة الفارسي منه[٣] ، ويُعتبر التسميد، وقد استخدمت في نقله للبصرة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، السفن[٤] نظراً لأهميته، مرحلة أساسية في الزراعة، دلّ على ذلك عبارة للجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) يصف بها حصوله على هبات وجوائز من أحد الوزراء العباسيين بعد أن أهدى إليه أحد مؤلفاته قائلاً: "رجعت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تحديد – سياج – ولا إلى تسميد"[٥] ، ليخلص بهذه العبارة أهم عناصر الإهتمام بالأرض وهي التسميد والسياج أو الحماية، ويتم التسميد من خلال خلط الزبل (سواء زبل البقر أو الحمام أو فضلات البشر) مع التراب الأحمر المجفف في الشمس[٦] ، ويكون التسميد إما قبل سقي المحاصيل أو بعده بحسب نوع المحصول[٧] ، وقد استخدمت دلائل كثيرة لتحديد مواعيد التسميد أو الزراعة على العموم ليعرفها جميع الفلاحين، ومن أبرزها القمر والحالات التي يمر بها، يقول ابن البهلول (ت ق٤هـ/ق١٠م) في ذلك: "هذا ظاهر عند الفلاحين وأصحاب الزراعة ، وليس ذلك عند العلماء وأصحاب الحرفية منهم فقط"[٨] ، هذا الفلاح وخاصة الكوفي، قد بلغ من المعرفة بالزراعة أن أصبح بحسب البرديات المؤرخة في القرن

---

(١) الطبرهاني، الدلائل، ص١٣٤–١٣٥.

(٢) أشار النديم إلى بعض معنى من عمل منهم بها خلال فترة الدراسة: النديم، الفهرست، مج١، ص٩٧، مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٩٩؛ ملامح من تاريخ الفلاحين، مج٢، ص١٥٠.

(٣) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٤م، ص١٠٣. وسيشار له لاحقاً: مؤلف مجهول، مفتاح الراحة.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٤٠٠؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٥٢٩.

(٦) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص٨٠٤، ٨٢٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨٨.

(٨) الطبرهاني، الدلائل، ص٦١.

الثالث الهجري/التاسع الميلادي من المشاركين في إدارة المزارع في مصر[١].

وعمد الفلاحون إلى أساليب مختلفة لحماية الضياع والمزارع، فكان منها بناء الجدران التي بقيت آثارها حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[٢]، أو اللجوء لوسائل حماية طارئة تظهر مدى قدرة الفلاح في العراق على مواجهة التحديات، فقد قاموا أثر الصراعات السياسية حول إمرة الأمراء والتجاوزات التي لحقت مزارعهم، وأبرزها سرقة الغلال ومصادرتها من قبل الجند، إلى نقل ما حصدوه بسنابله وقبل دراسته من على البيادر إلى المنازل[٣]، لحمايته من النهب والسرقة.

كما قاموا بوضع الأخصاص[٤] حول بعض النباتات[٥] لحمايتها من تعديات الحيوانات، والملاحظ أن جميع تلك الوسائل ممكنة وغير مكلفة، تتماشى مع الأوضاع الاقتصادية للفلاحين.

وتعددت الأدوات التي استخدمت في الزراعة، مثل المحراث الذي تجره الأبقار والجواميس[٦]، كذلك المسحاة أو المجرفة[٧] التي تستخدم لتسوية الأرض، واستخدمت كلاليب الحديد لكسح الأعشاب والنباتات من تحت الكروم، بالإضافة إلى المنجل[٨]، وهناك أيضاً المداق الخشبي الذي يستخدم لتفتيت كتل التراب الكبيرة التي تتكون بعد حراثة الأرض[٩]، ولما كان النخيل من أهم الأشجار التي تزرع في العراق، فإننا نجد وصفاً مفصلاً للأدوات المستخدمة للعناية

---

(١) جروهمان، أدولف، أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، ٦ أجزاء، نقله للعربية حسن إبراهيم حسن، ط٢، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٥ ص٧. وسيشار له لاحقاً: جروهمان، أوراق البردي العربية.

(٢) الشابشتي، الديارات، ص٥٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٦، ص٤٦٦.

(٤) الأخصاص: بيت يُتخذ من شجر أو قصب. ابن منظور، لسان العرب مادة (خصص).

(٥) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص٧٧٣.

(٦) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٦٠؛ ريسلر، جاك، الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٣م، ص١١٦. وسيشار له لاحقاً: ريسلر، الحضارة العربية.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٩.

(٨) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص١٠١٦، ١٠٣٧.

(٩) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج٢، ص٩٩٧.

به، فكان منها (الكرُّ) وهو الحبل الذي يُصعد به إلى النخلة، و (العتلة) وهي التي تُقلع بها الفسائل، و(الرجبّة) وهي شيء تُسند به النخيل إذا مالت[١] ، وجميع هذه الأدوات تتم صناعتها في العــراق وبخبرة محلية من الفلاحين أنفسهم أحياناً .

لقد بدت ملامح تطور واضحة في طرق وأساليب الزراعة في العراق فــي القــرن الثالــث الهجري/التاسع الميلادي، سواء المتعلقة بحفظ الثمار في أبنية خاصة تسمى الأنبار[٢] بخاصة نبات الباقلاء المشهور في العراق[٣]، أو على صعيد انتشار المعاصر في البساتين والتي بلغ الحد ببعضها أن وضعت عليها الظلال[٤]، لحماية الإنتاج وعدم تعرضه للأذى، إضافة إلى توفير أجواء مناسبة للعمل وقد استفاد العلماء في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية في القرن الثالــث الهجــري/التاســع الميلادي من الفكر الفلاحي العراقي، بخاصة كتاب الفلاحة النبطية[٥]، الذي بلغت اختصاراته فــي الأندلس حوالي عشر مختصرات[٦]، فضلاً عن النقول الكثيرة منه، ليؤكد هذا مدى التقدم الذي بلغته الزراعة وأساليبها في العراق خلال فترة الدراسة.

---

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هــ/١٠٠٥م)، التلخيص، تحقيق عزة حسن، دار طلاس ط٢، للنشر، دمشق، ١٩٩٦م، ص٣٠٩. وسيشار له لاحقاً: أبو هلال العسكري، التلخيص.

(٢) الأنبار: من الكلمة الفارسية (أنباشتن) وتُعني الخزن، وهي مستودع الغلات، وقيل هي الهري الذي تُجعل فيــه الغلة، وسميت مدينة الأنبار بالعراق بهذا الاسم لأن الأكاسرة كانوا يخزنون بها الطعام. ابن خلكــان، وفيــات الأعيان، مج٢، ص٤٦،٦٧، ابن منظور لسان العرب، مادة ( نبر)، التونجي، معجم المعربات، ص١٥.

(٣) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص١٦٩.

(٤) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص١٩١.

(٥) يقول ابن الأكفاني (ت٧٤٩هــ/١٣٤٨م) عن قيمة هذا الكتاب لأهل العراق: "إنما يوافق أرض العراق القوانين النبطية المودعة في كتاب الفلاحة الذي نقله ابن وحشية"، ابن الأكفاني، محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري ( ت ٧٤٩هــ/١٣٤٨م)، كتاب ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تحقيق محمود فاخوري ومحمد كمال وحســين الصديق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٨م. ص٧٣. وسيشار له لاحقاً: ابن الأكفاني، إرشاد القاصد.

(٦) للمزيد أنظر: علوي، حسن وآخرين، الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي في العصر الوســيط، الــدار البيضاء، المغرب، ٢٠١١م، ص١٠٩. وسيشار له لاحقاً: علوي، الفلاحة والتقنيات الفلاحية.

## ثالثاً : الثروة النباتية والإنتاج الصناعي.

اشتهرت العراق بزراعة الكثير من الأشجار والنباتات، بسبب ملائمة المناخ وتوفر المياه، إضافة إلى المعرفة الزراعية المتقدمة للفلاح في العراق، ويُعد النخيل من أهم الأشجار زراعة في العراق، حيث يصف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) [١] انتشاره في الكوفة قائلاً: "من نواحي الكوفة دُرتا وكان فيها من النخيل أكثر من مائة وعشرين ألف رأس ، ومن الشجر المختلف الجربان ( مفرد جريب: يساوي :١٥٥٧متر) العظيمة"[٢]، وبلغت زراعته في البصرة أمراً عظيماً حتى اتصلت من عبدسي حتى عبادان[٣]، ونجد صدى شهرتها به قد انعكس في بعض الأقوال والإشارات، حتى قيل: "ثلاث غلاّت في ثلاث بلدان متساويات، الزيتون بفلسطين والتمر بالبصرة ، والأرز بالأهواز"[٤]، بل إن وجود النخيل بإحدى قرى الأهواز وهي (بيروذ) جعلها تُلقب لكثرته باسم (البصرة الصغيرة) [٥]، وذلك سببه وجود الكثير من أصول النخيل وأفضلها في البصرة[٦].

ومع اشتهار تلك المدن بالنخيل وغيرها من مدن أخرى مثل واسط والقادسية[٧]، إلا أن بغداد تعد من أشهر المدن العراقية بالنخيل، والذي بلغ في سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) من الكثرة وغزارة الإنتاج أن حُمل منه الكثير إلى باقي المدن بما فيها واسط والبصرة[٨]، وتكثر إشارة المصادر إلى الأنواع والأصناف الطيبة من التمور التي عرفها العراق، مثل الآزاد والعبدسي والبرني

---

(١) ينقل ياقوت هذه الرواية عن هلال بن المحسن الصابئ (ت ٣٤٩ه/ ٩٦٠م).

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (درتا)، مج٢، ص ٥١٢.

(٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٥٧.

(٤) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٧، ص ١٨٦.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (بيروذ)، ج١، ص ٦٢٤.

(٦) يُشار أن هذه الأصول استخدمت في التراكيب في مختلف مناطق العراق، للمزيد: اليعقوبي، البلدان، ص ١٨؛ البيروني، الصيدنة، ص ١١٧.

(٧) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٥٨.

(٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٢١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣١٨.

والطبرزد[١]، ويبدو أن هذه المسميات جاءت نسبة لصفاته، أو المدن التي ينتج فيها، إضافة إلى تعدد مراحل نموه[٢]، ومازالت العديد من الأسماء التي أطلقت عليه في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تُستخدم في العراق حتى اليوم[٣].

ولاشك فإن ارتباط ذكر النخيل بالعراق جعله البعض، فضلاً عن تفضيله عن غيره من الأشجار، رمزاً يستخدم للدلالة على مشرق الخلافة الإسلامية والحنين إليه[٤]، وهذا يوضح قيمة النخيل في إمداد الكثير من الشعراء بالعاطفة، يقول الشاعر الحسين بن الضحاك (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤)[٥] في وصف النخيل في قرية باري من أعمال بغداد:

أحب الفيء من نخلات باري

وجوسقها المشيّد بالصفيح[٦]

وتُسمى أيام قطاف النخيل بالعراق وتحديداً بالبصرة باسم (أيام المبادي)، وهي الأيام التي يثمر فيها الرطب فيكبس بالقواصر[٧]، حيث تمتلئ البساتين بالفلاحين الذين يقومون بذلك العمل[٨]، وتستخدم

---

(١) للمزيد من أسماء التمور المنتشرة في العراق في القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي أنظر: التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٧١– ١٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (عين التمر) ومادة (عُمر كسكر)، مج٤، ص ١٧٤، ١٩٩.

(٢) يوسف، علي كامل وآخرون، دراسات حول الخلال المطبوخ، مركز بحوث النخيل والتمور، العراق، ١٩٧٧م، ص٢، وسيشار له لاحقاً: يوسف، دراسات حول الخلال.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٥٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٨٤.

(٤) المالقي، علي النباهي (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)، مقامه تفضيل النخلة على الكرمة، تحقيق حسناء الطرابلسي، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، عدد ٢٧، سنة ١٩٨٨م، ص ٢٠٧. وسيشار له لاحقاً: المالقي، تفضيل النخلة على الكرمة.

(٥) الحسين بن الضحاك بن ياسر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٤م)، نادم العديد من الخلفاء العباسيين، وهو مشهور الأخبار والأشعار، للمزيد: المرزباني، معجم الشعراء، مج٢، ص ٩٧؛ النديم، الفهرست، مج١، ص ٣٠٢.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (باري)، مادة (باجسري)، مج١، ص ٣٧٢، ص ٣٨١.

(٧) القواصر: الدار الواسعة المحصنة الحيطان، ويقصد به الغرف الخاصة لحفظ التمور. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر).

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٢١٢–٢١٣.

معظم أجزاء شجرة النخيل سواء الثمر أو الليف أو الجذوع في الحياة الإقتصادية بما في ذلك صناعة الأثاث (الكراسي والحصير) بالإضافة إلى الحبال[١]، من هنا أصبحت هذه الشجرة أساساً في الحياة الزراعية للعراق حتى اليوم.

وعرفت العراق زراعة الحبوب مثل الحنطة[٢] والشعير، الذي كان مهماً لإطعام دواب الخلفاء والجنود، حتى أصبح التصرف فيه من مخازن الخلفاء لا يتم إلا بعد توقيع الوزراء على الكتب والسجلات الخاصة بذلك[٣]. ويرتبط بالحنطة صناعة إعداد الخبز، وقد عرفت منه العديد من الأنواع، منها (خبز الحواري)، وسمي أيضاً (الدقيق الحواري) لبياضه ونقاءه[٤]، وقد عرفه المسلمين في العراق مُنذ فتح الأبلة وقد ارتبطت بفائدته مقولة "أن يُسمن"[٥]، من هنا أطلق عليه بنان المتطفل (ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) في العراق اسم (أبو نعيم)[٦]، بإعتباره يُستخدم في عمل العديد من الأطعمة السائدة في العراق، فضلاً عن نصيحة الأطباء ضرورة استخدامه دون غيره[٧]، وكثيراً ما يرد ذكره على موائد رجال الدولة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٨]، نظراً لغلاء سعره وتوفره للأغنياء دون غيرهم.

وهناك نوع آخر للخبز هو (الخشكار) وهو أقل جودة من الحواري ولكنه أوسع انتشاراً

---

(١) النباتات والفلاحة عند العرب ، ص ١٨٦ .

(٢) علي، اسماعيل سعيد ، النبات والفلاحة والري عند العرب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٧٠-١٧١. وسيشار له لاحقاً : النبات والفلاحة والري عند العرب .

(٣) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص ٢٥٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (حوّار)، مج٢، ص ٣٦١.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٧.

(٦) الخطيب البغدادي، كتاب التطفيل، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، ١٩٨٦م، ص ١٦٥، وسيشار له لاحقاً: الخطيب البغدادي، التطفيل.

(٧) مؤلف مجهول، كنز الفوائد في تنويع الموائد، تحقيق مانويلا مارلين وديفيد واينز، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط٢، بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٤٧، ١٥٣، ١٦٥، وسيشار له لاحقاً: مجهول، كنز الفوائد؛ البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد (ت ٦٣٧ه/ ١٢٣٩م)، كتاب الطبيخ، تحقيق قاسم السامرائي، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٤م، ص١١٤، وسيشار له لاحقا: البغدادي، الطبيخ.

(٨) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ٢٢.

ويؤكل عند الحاجة أو في حالات التقشف، لذلك أطلق عليه كناية اسم أبو جابر[١]، لإرتباطه بالظروف المعيشية الصعبة للأفراد، فكان طعام بعض الوزراء والكتّاب المصادرين مثل الوزير ابن الفرات (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) أيام حبسه، حيث كان يأكله مع القثاء والماء[٢]، ولهذا الخبز تحديداً أنواع عديدة[٣]، تعكس مدى الإعتماد عليه في غذاء الأفراد.

أما خبز (السميد) والذي يدخل في تحضير بعض الأطعمة عند أهل العراق، فهو أقل انتشاراً[٤]، مع ملاحظة تفضيل البعض للخبز الذي يتم تحضيره من الشعير عن الخبز المعمول من القمح، وهو عند الأطباء يفيد لبعض الأمراض في فصل الصيف، وتعددت طرق إعداد الخبز على أن أفضله ما خبز بالتنور، يليه ما خبر في الفرن، ثم ( الملّة ) ؛ ويسمى القراصة أي الخبز المعمول على رماد النار أو الجمر[٥] ، وقد عرفه أهل البادية في العراق ، نظراً لطبيعة حياتهم المعتمدة على التنقل والترحال والتي يغيب عنها توفر التنور أو الفرن، وهناك نوع آخر من الخبز؛ وهو خبز الأرُز، وقد ذكرت المصادر بعض من عمله في العراق مثل نصر بن أحمد بن مأمون البصري (ت ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) الذي اشتهر بعمله في مربد البصرة حيث كان دكانه[٦]، ولكن يُعاب على هذا النوع من الخبز صعوبة هضمه[٧].

---

(١) الخطيب البغدادي، كتاب التطفيل، ص ١٦٥.

(٢) الصابئ، الوزراء، ص٦٢.

(٣) للمزيد عن هذه الأنواع أنظر: البيروني، الصيدنة، ص ١٧١.

(٤) البغدادي، كتاب الطبيخ، ص ٨٣.

(٥) ابن زهر الأندلسي، أبي مروان عبد الملك (ت ٥٥٧ه/ ١١٦١م)، كتاب الأغذية ، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩، وسيشار له لاحقاً: ابن زهر، كتاب الأغذية؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص١٨٣. ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٤٦٣؛ الدينوري، النبات، ج٣، ص١٥٢.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص١٨٧.

(٧) ويلسون، السير ارنولد، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، د. ت، ص ١٣٧، وسيشار له لاحقاً: ويلسون، الخليج العربي.

ويلاحظ أن جميع الأنواع السابقة من الخبز قد كثر ذكرها في الأشعار [١].

وتوفرت في العراق المطاحن، مثل تلك الموجودة في بغداد، وأخرى في البصرة [٢]، مع ملاحظة بإن الإنتشار الواسع لصناعة الخبز في العراق وتعدد أنواعه يرتبط بتوفر الحنطة والشعير في معظم مناطق العراق، ويبدو أن المستوى المعيشي للأفراد كان سبباً في تحديد نوع الخبز المستخدم لديهم.

ومن الحبوب الأخرى المزروعة في العراق الباقلاء أو الفول[٣]، وقد تضمنت المصادر الكثير من الأقوال حول طبيعة تناوله سواء بقشره أو بدونه[٤]، نظراً للفائدة الناتجه عن ذلك، وهناك الثوم الذي زرع بأصناف متعددة منه البري والبستاني[٥]، أما البصل فقد زرع في الضياع وحول الأنهار والمياه، وقد إشتهرت زراعته حول دجله بإتجاه واسط، حيث كانت مشاتله تُسبب غرق بعض المارة لكثرتها[٦].

كما زرعت في العراق الذرة [٧]، الذي زرع في منطقة العمارة في جنوب العراق حيث تكثر المياه[٨]، كما زرع حول مدينة بغداد ولكن لم تكن زراعته دائمة على ما يبدو، فقد أمر الخليفة المعتضد في سنة (٢٨٠هـ/٩٨٣م) أن لا يزرع حول بغداد، لأنه استوبأ الدخان الكثيف الناتج عن الأسواق[٩]، وهذا التوجه الرسمي للدولة حول توجيه زراعته، هي التي تعطي تفسيراً عن وفرة إنتاجه في العراق في القرن

---

(١) أبو حلتم، نبيل خليل، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال يتيمة الدهر، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥م، ص ٢٩٨-٢٩٩. وسيشار له لاحقاً: أبو حلتم ، اتجاهات الشعر العربي .

(٢) للمزيد أنظر: متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م، مج٢، ص ٣٦٣ . وسيشار له لاحقاً: متز ، الحضارة الإسلامية ؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص١٣٣.

(٣) أشار الى إختلاف مُسمياته بالبلدان: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٧.

(٤) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١، ص١٦٦.

(٥)ابن وحشية، الفلاحه النبطية، ج١، ص٥٧٧.

(٦) أنظر بعض الحوادث في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عند : الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٣، ص٦٧.

(٧) ابن وحشية، الفلاحه النبطية، ج١، ص٤٨٧.

(٨) سوسه، الدليل الجغرافي العراقي، ص٣١.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧٠.

الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بدليل أن العديد من المدن كانت تدفع الأرز في ضريبة خراجها[١]، مما يعكس لنا تطور زراعة العديد من المحاصيل ودرجة الإهتمام بتنميتها نظراً لقيمتها في دعم خزينة الدولة.

ومن المزروعات الأخرى الخضروات مثل الخيار، الذي ارتبط انتاجه بالعديد من المناسبات مثل بدء النيروز، حيث كان يقدم أحياناً للخليفة المعتضد على سبيل الإهداء[٢]، ومن المزروعات الأخرى، الداله على بداية بعض المواسم، الجزر الذي يُعد علامة يُستبشربها لبدء الشتاء عند صانعي النعال في أسواق العراق[٣]، وقد كان فلاحو العراق يصنعون من الجزر شراباً مميزاً له مذاق مشهور يتناولونه في الشتاء[٤]، ومن المفيد الإشارة إلى أن الجزيره العربية عرفت زراعته عن طريق تجار العراق[٥]، ويبدو أن هناك تمييزاً بين الجزر المعروف، وذلك البري، الذي يُشار له بإسم(جزر البر) [٦]، وما انتشار الإسم إلا دليلاً على أهميته وسعة الإعتناء به وبزراعته.

أما الباذنجان فقد أشتهرت زراعته في العراق، لدرجة أن البعض ربط جهلاً بينه وبين بعض الأمراض لكثرة تناوله من قبل الأفراد ، وقدعُرف عن الخليفة الواثق كثرة تناوله للباذنجان على موائده[٧]، وعُد عند الأهالي في العراق طعاماً أساسياً أيضاً[٨]، فتعددت أنواعه منها: الباذنجان القرعي، والعنابي، والرومي، والملمع[٩]، ويظهر من كثرة الإشارات إليه سواء أنواعه أو الأغذية

---

(١) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٦٩.

(٢) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٥، ص١٥.

(٣) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٢، ص ٣٢٣.

(٤) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص ٥٥٧-٥٥٨.

(٥) علي، النبات والفلاحة، ص ٧٦.

(٦) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، النبات، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٤، وسيشار له لاحقاً: الأصمعي، النبات.

(٧) نصحه الخليفة المعتصم بترك أكله بدعوى أثره على النظر أو الرؤيا: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج١، ص ٣٢١؛ سبط بن الجوزي، مرآة العيون، ج١٤، ص٤٤٨.

(٨) عكس ذلك كثرة ذكره في أغذيتهم: الخطيب البغدادي، كتاب التطفيل، ص١٦١؛ البغدادي، كتاب الطبيخ، ص٤٧.

(٩) الطبرهاني، الدلائل، ص ٢٢٠-٢٢١.

التي يستخدم في تحضيرها، ارتباطه بمعيشة الأهالي ربما لرخص سعره.

وعرفت العراق أيضاً زراعة البطيخ ويُسمى بالرّقي[١]، ويزرع في العديد من المناطق مثل بادوريا[٢]، وقد جاء هذا الإهتمام بزراعته وتعدد أنواعه[٣]، بإعتباره من أهم العناصر التي تُزين بها موائد أهالي مناطق العراق[٤]، وقد اقترن باسمه (دار البطيخ) ؛ التي تُباع فيها جميع أنواع الفاكهة[٥]، ولعل أشهر الفاكهة الموجودة فيها هي البطيخ لذا غلب اسمه عليها.

وعُرفت مدينة حلوان بزراعة التين الذي عُدّ من أكثر ثمارها[٦]، كما عرفت في العراق أنواعاً مختلفة من الفاكهة مثل الأترج[٧]، وهو من ثمار شهر الخريف، الذي تملأ رائحته الضياع والبساتين المزروعة به في العراق عند موسمه[٨]، ولأهميته جُهزت له مخازن خاصة في بساتين الخلفاء حيث تُحفظ فيها ثماره وتسمى (دار الأترجة)[٩]، وقد كثر الحديث عن استخدامه في المناسبات والحفلات الخاصة بالخلفاء[١٠].

وهناك الكمثرى التي لقيت أيضاً استحسان بعض الخلفاء، حتى أن البعض منهم سمم بها[١١].

---

(١) أنظر مختلف مسمياته في البلدان عند: الأزدي، الماء، ج١، ص١٣٥، ٢٢٩.

(٢) الصابئ، الهفوات النادرة، ص٢٤٣.

(٣) أنظر أنواعه المزروعة بالعراق عند: الطبرهاني، الدلائل، ص١٠٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص٤٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٥.

(٥) ذكرت عند نهر طابق ببغداد، ويلاحظ ورود نفس الاسم لدار أخرى موجودة في دمشق مما يؤكد انتشار الاسم: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٦، ص٣١٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٤٠٣.

(٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٦١.

(٧) يُسمى باليونانية (ناليطسون) ويُعني ترياق السموم وهو ثمر شجر وصف بالطول يُستخدم فضلاً عن أكله في علاج الكثير من الأمراض ويُعد منه ترياق ضد سموم العقارب، وربما يُفسر ذلك اعتناء الخلفاء بزراعته في بساتينهم. الأنطاكي، داود بن عمر (ت ١٠٠٨ه/ ١٥٩٩م)، تذكرة داود الأنطاكي أو تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، ٢ جزء ( مجلد واحد) ، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص٤١، وسيشار له لاحقاً: الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب.

(٨) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ه/ ١٠٣٧م)، من غاب عنه المطرب، تحقيق عبد المعين الملوحي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م، ص ٦٨. وسيشار له لاحقاً: الثعالبي، من غاب عنه المطرب.

(٩) ذكرت سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م: مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٢٧٤.

(١٠) متز، الحضارة الإسلامية ، مج٢، ص ٣٠٥.

(١١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٨.

أما العنب أو الكرمة فقد اشتهرت مدن عديدة بالعراق بزراعة أنواعه المختلفة[١]، ويبدو أن مناخ كل مدينة كان له في أصناف الأعناب المزروعة فيها، فقد كانت سامراء عند بعض الجغرافيين أصح هواء وأطيب مكان لزراعته من بغداد نفسها[٢]، كما زرع العنب المدور الذي يتميز برقة قشوره في الأبلة والقرى المحيطة بها[٣]، وربما كان ذلك بسبب مناخها الرطب، وتتبع أهمية العنب أيضاً من عصره واستخلاص الشراب منه، وقد اشتهرت بذلك (الزندورد) [٤]، وما تزال العديد من أنواعه التي زرعت في الدولة العباسية تزرع اليوم في العراق[٥]، مما يؤكد جودة أصنافه وقدرتها على مواجهة الآفات والأمراض، فنالت اهتماماً من الفلاحين للاستمرار في غرسها.

وزرع في بساتين وضياع العراق أيضاً الجوز، والبندق، والمشمش، والسفرجل[٦]، والأجاص ويسمونه (شاهلوج) [٧]، والخرنوب[٨]، والتوت والرمان، الذي اشتهرت بهما أسواق بغداد، حيث يقول أحد الشعراء:

أحلى وأشهى لعيني إن مررت به

من كرخ بغداد ذي الرمان والتوت[٩]

---

(١) من أنواعه (الرازقي، الأقماعي) للمزيد أنظر: التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١، ص ٨٠؛ أبو الخير الإشبيلي (ت ق ٦هـ/ ١٢م)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، ٢ جزء، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٥٧٦. وسيشار له لاحقاً: أبي الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب.

(٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٦٠.

(٣) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ٩٣٩.

(٤) الزندورد: مدينة قرب واسط من جهة البصرة، خربت بعد عمارة واسط كثرت فيها الأديرة التي زرع بها العنب وهذا سبب كثرة الحديث عن عصره واستخلاص الشراب منه: أنظر الدمشقي، البدور المسفرة، ص١٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (زندورد)، مج٣، ص ١٧٣.

(٥) وزارة الزراعة، دليل أشجار الفاكهة، العراق، سلسلة إرشادية (٤٢) ، ١٩٧١م. ص١. وسيشار له لاحقاً: دليل أشجار الفاكهة.

(٦) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ١١٦٦، ١١٧٣، ١١٨٤، ١٢١٤.

(٧) البيروني، الصيدنة، ص ٢٤.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧،ص ١٢٩.

(٩) قاله بعض الأعراب في شعر متداول: الدينوري، النبات، ص ١٨٣-١٨٤.

كما زُرعت الحمضيات مثل البرتقال والليمون، والتي لقيت رعاية خاصة من الخلفاء حيث كثرت زراعته في قصورهم[١]، أما الزيتون فقد انتشر في العديد من المناطق مثل قرى بغداد، خاصة بجانب الأديرة، حيث شارك الرهبان في زراعته بشكل واسع مع أشجار أخرى متنوعة[٢]، وقد كان حطب الزيتون من أهم ما توقد به التنانير والأفران في العراق[٣]، وهذا يُبين الإستفادة من الأشجار في الحياة اليومية للأهالي، فضلاً عن أكل وتناول ثمارها مباشرة.

وعرفت العراق زراعة العديد من النباتات الورقية مثل الخس[٤]، والفجل (الواسطي والبصري)[٥]، والكرفس (الرومي والطبري)[٦]، بالإضافة إلى العديد من النباتات الورقية الأخرى التي تُستخدم كتوابل للأطعمة وفي وصفات بعض الأطباء[٧]، كما أن هذه النباتات ونظراً لسرعة نضوجها أو نموها، وسهولة زراعتها، كذلك قلة حاجتها للعناية بخلاف الأشجار الأخرى، جعل منها مزروعات أهلية تزرع في معظم الحقول.

وحظيت زراعة الورود بعناية خاصة بالعراق حتى أصبحت بعض الورود تُعرف باسم الورد العراقي[٨]، حيث كانت تُستخرج منه أنواع مختلفة من العطور والطيب[٩]، وللرياحين في العراق مُسميات خاصة تميزت بها، إضافة إلى مظهرها الجميل ورائحتها العطرة التي ميزتها عن غيرها

---

(١) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٧٠.
(٢) عن جهودهم ومشاركتهم أنظر: الشابشتي، الديارات، ص ٢٦٥.
(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص ١٦٢.
(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ١٢٩.
(٥) الطبرهاني، الدلائل، ص٧٧.
(٦) يظهر من بعض أسماء البقول أن أصولها على ما يبدو من مناطق من خارج العراق قدمت إليهم (مثل بلخ، خراسان): الطبرهاني، الدلائل، ص ١٣٤؛ البغدادي، كتاب الطبيخ، ص٥٧، ٦٣.
(٧) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ١١٧٧.
(٨) الشابشتي، الديارات، ص٢٤، مجهول، كنز الفوائد، ص١٣٧.
(٩) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٦٣٢.

من ورود البلدان[١]، ومن بزوره تُعد الوصفات الطبية[٢]، والمعاجين، والأدهان وبعض الأشربة العلاجية[٣]، إن هذا الإستخدام المتنوع للورد في العراق جعل لها أهمية عند الأهالي وشهرة لا تُضاهى في الأقاليم.

وفيما يخص المحاصيل الطبية فقد وجدت اهتماماً كبيراً لدى الفلاحين مثل النعنع البستاني، الذي أضر به أحياناً نقله من جوار الأنهار التي ينمو حولها طبيعياً، لزراعته في البساتين، مما سبب قلة رائحته وتركيزه[٤]، وهناك البقلة أو النبتة التي درج الفلاحون على تسميتها (الحمقاء)، لأنها تنمو على مجاري الأنهار دون أن تزرع، ولكن لصفاتها العلاجية سُميت عند الأطباء باسم (المباركة) [٥]، نظراً لفائدتها العظيمة واستخدامها في تحضير العلاجات[٦]، وهناك الزعفران العراقي وله ميزات تتعلق باللون والرائحة القوية، تُميزه عن غيره من الأنواع المزروعة في البلدان الأخرى، ولقيمته العلاجية الكبيرة، ولزيادة الطلب عليه دون غيره من الأنواع ، يرد أنه تعرض للغَش[٧]، كما له أيضاً استخدامات أخرى لا تقل أهمية عن صفته العلاجية، مثل استخدامه في صباغة الملابس، وطريقة ذلك أن يُطبخ بالماء حتى يصبح لون الماء أحمر، ثم تُغطس به الثياب حتى تتلون[٨]، وهذه قيمة أخرى تُضفي فائدة على الحياة الصناعية في العراق، وتدعم الحركة

---

(١) أفردت له بعض المصنفات أبواب تعكس قيمته الطبيعية وجمال منظره مثل (باب المُسليات أما بالشم أو بالنظر) للمزيد أنظر: ابن ليون التجيبي، اختصارات في كتاب الفلاحة، ص ١٢٥– ١٢٦، البيروني، الصيدنة، ص ١٧٤.

(٢) الكوهين العطار، منهاج الدكان ، ص ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢، ٣٢، ٥٣.

(٤) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ٧٧١.

(٥) الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٧٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٠–٢٠٤.

(٧) الكوهين العطار ، منهاج الدكان ، ص٢٥١ .

(٨) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٦٣٦.

التجارية بخاصة أن الصباغة ركيزة أساسية وحاجة يومية لايمكن الإستغناء عنها في العراق أو غيره من البلدان المجاورة لها.

ومن النباتات الطبية في العراق، حب الرشاد [١]، والبابونج (زهرة البيبون)، وما زال حتى اليوم ينبت في شمال العراق[٢]، وقد ساهم وجود الأنهار على انتشار النباتات الطبية بخاصة في منطقة بادوريا في الجانب الغربي من بغداد[٣].

وبعيداً عن الأنهار نمت العديد من النباتات الطبية البرية، مثل الزنجبيل، والجعدة، وغيرها[٤]، وقد شكل الإستغلال الأمثل للبيئة الزراعية بزراعة الأنواع المختلفة من النباتات، إضافة إلى استخدامها في تحضير الأدوية، أو تصنيع العطور، مثالاً متكاملاً على قدرة الفلاح العراقي التعامل مع البيئة ومكوناتها المتوفرة لديه.

هذه القدرة الفائقة يمكن لنا الوقوف على بعض ملامحها من خلال استقراء بعض أنماط التعامل أو الفكر الإقتصادي ، فقد تمّ التوجه مثلاً نحو ما يمكن أن نُسميه زراعة المحاصيل الصناعية أو الغلات النقدية، حيث اهتم الفلاح العراقي بزراعة نبات يُسمى (السُعادي) أو (السعد)، وأجوده الكوفي الذي ينسب أصله إلى الكوفة ، وهو أجود من نظيره البصري ، وهو نبات له حشيشة طولها ذراعين تُنسج منها الحُصر الخاصة بالفلاحين[٥]، إلى جانب ذلك استطاع الفلاح في العراق التعامل مع بعض تكوينات الأرض، والإستفادة منها بزراعة محاصيل مقاومة لظروف الإنبات فيها، وأكبر مثال على ذلك زراعته (السباخ) أي المناطق المالحة، بأنواع مُعينة من النباتات مثل نبتة رعوية تُسمى (الحاجُ) ، ويُسميها أهل العراق (العاقول) ؛ وهي محببة عند الماشية عن

---

(١) البيروني، الصيدنة، ص ١٥٦.

(٢) غزوان، الحضارة والتصميم، ص ١٤٢.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٢٠.

(٤) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص ٦٦٨-٦٦٩.

(٥) البيروني، الصيدنة، ص ٢٢١؛ الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٢٠٩.

غيرها من النباتات الرعوية[١]، وهذا يُمثل خبرة ودراية في الإستفادة من جميع المناطق المحيطة بالمناطق السكانية التي تنتشر فيها القرى والمدن.

أم على صعيد اختيار الأهالي وبخاصة الفلاحين لأسماء النباتات، فيبدو أن ذلك يرتبط برغبتهم تمييزها بسهولة، دون إعطاء أسماء ليس لها مدلول، فقد اعتمدت الأسماء أحياناً على طبيعة الرائحة المنبعثة من النبات ، وربطها مباشرة برائحة أخرى مشابهة أو مألوفة ليتم اتخاذ الاسم نفسه لكليهما، فقد سميت مثلاً إحدى النباتات البرية باسم (القرنفلي) لأن رائحته تُشبه القرنفل النبات المعروف إلى حدٍ كبير[٢]، لقد قادت الخبرة والإهتمام بزراعة النباتات بالعراق إلى أن يُصبح النبات العراقي بديلاً مقبولاً عن غيره في تحضير بعض أنواع العلاجات، ولكن أن يُستخدم غيره بديلاً عنه فهو أمر غير مفضل [٣].

مما سبق يمكن القول أن تقدم المهارة الزراعية، والقدرة على التعامل مع مختلف أنواع البيئات الزراعية في العراق، جعل لها ميزة التنوع في النباتات والمحاصيل والمزروعات، وبالتالي تنوع النشاط الإقتصادي للدولة.

---

(١) البيروني، الصيدنة، ص ١٤٦.

(٢) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ٧٧٥.

(٣) الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٩٦، ١٢١، ١٢٤، ١٢٨، ١٧٤؛ أبو الخير الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج٢، ص ٧٣٥.

**رابعاً : الثروة الحيوانية .**

تمثل الثروة الحيوانية جانباً أساسياً في النشاط الزراعي في العراق دلّ على ذلك الحديث عنها في بعض المصادر التي تحدثت عن العراق في فترة الدراسة [١]، فقد عرفت الضياع تربية المواشي، وعُين عدد من المشرفين لمراقبة أعمال الوكلاء في الضياع ومتابعتهم وتوجيه اهتمامهم للعناية بها، وقد أشار الخطيب البغدادي إلى اسم الحارث بن سريج المعروف بأبي عمر النقّال (ت ٢٣٦هـ/ ٩٣٧م)، كأحد المشرفين على الضياع[٢].

وتعددت وسائل الدولة في الحصول على الثروة الحيوانية، ففضلاً عن تربيتها واستيرادها، كان يتم الحصول عليها كغنائم للدولة في حروبها، ففي سنة( ٢٣١هـ/ ٨٤٥م ) أخذ المسلمون من أرض الروم نحو ألف بقرة وعشرة آلاف شاة[٣]، وفي سنة (٢٧١هـ/ ٨٨٤م) غنم جيش الدولة الكثير من الأغنام والأبقار والدواب في حربه مع الصفارين[٤]، كما غنم الكثير أيضاً في حربه مع الروم في سنة(٣٣٠هـ/٩٤١م)[٥].

ومن المصادر الأخرى للحصول على الثروة الحيوانية، هدايا الأمراء والولاة للخلفاء العباسيين، فقد أُهدي للخليفة المتوكل سنة (٢٤٤هـ/ ٨٥٨م) عند رجوعه من دمشق الكثير من الأبقار والجواميس والشياه والجمال والطيور[٦]، كما أهديت للخليفة الراضي في سنة (٣٢٧هـ/

---

(١) أنظر مثلاً : الجاحظ، الحيوان، مج١، ص ٣٧٠-٣٧١، ٤١٩، مج٣، ص ١٨٢، ٢١٢-٢١٣.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٨، ص ٢٠٦-٢٠٧.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٤٥.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٠٧.
(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق٢، ص ٣٧٨.
(٦) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ٣٠.

٩٣٨م) مجموعة متنوعة من حيوانات الجزيرة الفراتية[١]، وهذا وفرّ احتياجات قصـــور الخلفـــاء واصطبلاتهم من الأنعام المتنوعة.

ونسبت للسواد أسماء العديد من الحيوانات، دليلاً على شهرة الأصول التي تُربى بها، ومـــن ذلـــك الغنم السوادية، التي كانت تتواجد بكثرة في ضياع جنوب العراق إلى جانـــب الجـــواميس و الخـــراف[٢]، وتعددت أسباب اهتمامات الفلاحين بتربية الحيوانات، ففضلاً عن حاجتهم المعيشية لمنتجاتها مـــن لحـــوم والبان وأصواف، فإن الحاجة لنقل المحاصيل من البيادر، قد دفعتهم إلى تربية البغال[٣].

وحظيت خيول الخلفاء ودوابهم بالإهتمام من ناحية توفر المراعي، كتلك المنتشرة بالقرب من مدينة حلوان[٤]، كما اتجهت العناية بالإبل أو الجمال التي جُلبت من العديد من المناطق مثل الجزيرة العربية، وكذلك من (كابل) [٥] ، التي جُلبت منها النوق (البخاتي) ؛ وهي من أحسن أنواع الإبل[٦]، وقد استخدمت الإبل فضلاً عن النقل التجاري، إلى نقل الأسرى الخارجين على الدولة، حيث يـــتم إشهارهم عليها أمام العامة في بغداد[٧].

اشتهرت العراق وباديتها بأنواع الطيور، وقد جاء ذكرها في العديد من أشعار المعاصـــرين للدولة العباسية مثل الشاعر أبو تمام (ت ٢٣١هـــ/ ٨٤٥م) [٨] ومـــن هـــذه الطيـــور الطـــواويس

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٣.

(٢) مجيد، حياة هلال الصابئ، ص ١٧٣.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١١٩.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٥.

(٥) كابُل: ولاية واسعة ذات مروج بين الهند وغزنة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (كابل)، مج٤، ص ٤٨٣.

(٦) البخت: لفظ فارسي دخيل على العربية، وهي الإبل الخراسانية القوية ذات السنامين والتي تنتج بين عربية وفـــالج (ذات سنامين)، وقيل بل هي ضأن الإبل. الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص٧٥، مج٣، ص٢٤٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٢٤٣؛ ابن منظور، لسان العرب مادة (البخت)؛ وعند غيرهم تكتب ( بُختى ) . التونجي، المعجم الذهبي، ص١٠٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤٦٨.

(٨) هو حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائي شاعر عصره، جالس المعتصم وقدمه على الشعراء، ولي بريد الموصل أكثر من سنة، ألف الحماسة وبها اشتهر الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١١، ص ٦٣-٦٩؛ الصـــفدي،

والصقور والجوارح والنعام[١]، واشتهر العديد من الخلفاء بصيدها واللعب بهـا بخاصـة الحمـام والصقور منها [٢]،وهناك إشارات إلى اهتمام الدولة بتربية بعض أنواع الحمام كالحمام الزاجل الذي استخدم في نقل الأخبار والرسائل، فقد أفادت منه الدولة أيام الوزير علي بن عيسى سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) في نقل أخبار القرامطة وتحركاتهم[٣].

وقد ذُكرت بعض الأدوات التي استخدمت في صيد الطيور، مثل (الغاية) وهي القصبة التي تُصاد بها العصافير، وإلى جانب وجود الثروة السمكية فقد عرف العراق أدوات لصيد السمك مثـل (المعذقة) وهي شبكة صغيرة تُسد بخشبة يجمع بها الصياد السمك من الأنهار[٤]، وقد كان الخليفـة الواثق من الخلفاء الذين اشتهروا بصيد السمك وسط دجلة، حيث صُنع له ما يشبه المركب مقـداره عشرين ذراعاً في مثلها يجلس عليه أثناء صيده[٥].

أما الخليفة المتوكل فقد دفعه اهتمامه بتربية الحيوانات إلى إنشاء ما عُرف بـالحير، وهـو عبارة عن حديقة حيوانات جمعت فيها أصناف متنوعة من الحيوانات، بما فـي ذلـك الوحـوش المستأنسة، وقد استمر وجود الحير حتى سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) حيث ذكر أن قطعان الحيوانـات بما فيها الوحوش كانت " تقترب من الناس تشمهم وتأكل في أيديهم "[٦]، أن وجود مثل هذه الحدائق يتطلب وجود أفراد مدربين على العناية بها والقيام بترويضها لتصل الى هذا الحد مـن اسـتئناس الناس لها .

---

الوافي بالوفيات، ج١١، ص ٢٢٥؛ عبد الرحمن، عفيف، معجم الشعراء العباسيين، جروس بـرس، بيـروت، ٢٠٠٠م، ص٨٨، وسيشار له لاحقاً: عبد الرحمن، معجم الشعراء.

(١) الخطيب التريزي، شرح ديوان أبي تمام، مج٢، ص ١٤٩، ١٥٢، ١٦٨، ٢٣٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٨.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٢٥٣.

(٤) أبو هلال العسكري، التلخيص، ص ٤٣٧.

(٥) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ٢٤٦.

(٦) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ١٣٥.

## خامساً : السياسة الزراعية في العراق.

اتجهت الكثير من جهود رجال الدولة وموظفيها على الرغم من ضعفها نحو سياسة الإصلاح الزراعي، وفي مقدمة هذه الإصلاحات قيام الخليفة المعتضد سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) بتأخير النيروز[١]، وهو موعد جباية الخراج إلى موعد آخر أطلق عليه اسم النيروز المعتضدي، وقد جعلت بعض المصادر إصدار المعتضد لهذا القرار في سنة (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)[٢]، ولكن يبدو أن هذا خطأ مرده قيام الخليفة بنقل خراج سنة (٢٧٨هـ/ ٢٩١م) إلى سنة(٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)[٣]، أما قرار التأخير فقد جاء لاحقاً بسبب رغبة الخليفة المعتضد التخفيف على أرباب الخراج حتى تُدرك الثمار وتحصّل الغلات، وقد استحسن البعض هذا القرار بوصفه أمراً تنظيمياً مهماً، يتعلق بتدوين سجلات الخراج[٤]، ويلاحظ أن الخليفة المعتضد قد اتخذ قراره بتأخير موعد جباية الخراج أثناء خروجه إلى الموصل[٥]، وقد يُفسر ذلك ربما لخوفه من معارضة قد تكون ضده إذا اتخذ قراره في العراق.

ويلاحظ أن النيروز المعتضدي أخذ أبعاداً تأريخية مُهمة، فقد أصبح شائعاً مطالعة عبارات عديدة مثل التاريخ المعتضدي، والشهر المعتضدي، وحتى المهرجان المعتضدي[٦]، كما ضُبطت

---

(١) النيروز أو النوروز وهو عيد رأس السنة الفارسية الواقع في اليوم الأول من شهر (فروردين) الذي يوافق الأول من فصل الربيع، فجعله المعتضد في الحادي عشر من حزيران بدلاً من الأول من نيسان. حمدي، محمد، النيروز عبر التاريخ وفي الأدب العربي، مجلة عدد١، سنة٢، ١٩٦٠م، ص٣، ص٢٨، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٥٢.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص٧٩.

(٣) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٥١-٥٢.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٥٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٢٧٧.

(٦) الطبرهاني، الدلائل، ص ٦٩، ٧٩، ٨٩.

وفاة بعض المعاصرين لفترة الدراسة بليلة النيروز المعتضدي[١]، مما يعكس انتشار استخدام هـذا التأريخ في التدوين والتسجيل عموماً.

وبذل العديد من وزراء الدولة العباسية جهوداً إصلاحية لها قيمة في تطوير النشاط الزراعي ، فقـد ذكر أن الوزير حامد بن العباس (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) كان يُعمر الضياع، ويُحسن إلى الفلاحين ويحرص على رفع المؤن إليهم حتى أصبح لهم بمثابة الأب[٢]، لفرط إحسانه ومتابعته شؤونهم باستمرار.

ومع هذا فإن إصلاحات الوزير علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، كانت أبـرز إصـلاحات رجال الدولة العباسية، فقد ذكر مسكويه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) أنه من فرط اهتمامـه وعدلـه زُرعـت السطوح في بادوريا[٣]، كما أن العمارة بشكل عام زادت واتسعت معها الزراعة وتحسنت أحوالها[٤].

ويظهر أنه كان على درجة عالية من الضبط وحسن الإدارة المالية، المتآلفـة مـع مصـالح الفلاحين، فقد وجه أمراً إلى الولاة والعمال، يدعوهم فيه إلى ضرورة مُتابعـة المظـالم الخاصـة بأصحاب الضياع، والمتعلقة بجباية الضرائب قبل موعد الجباية المحدد لها، حيـث رفعـت مـن بعضهم شكاوى عن تعرّض مزروعاتهم للآفات، وبالتالي عدم تمكنهم من دفع ضـريبة الخـراج، الأمر الذي جعله يهتم بمساعدتهم، وتأخير الخراج عنهم، بشرط أن يتم التأكد من قبل عمال الجباية من حقيقة الضرر الواقع على مزروعاتهم[٥]، ومساهمة منه في زيادة قُدرة الفلاحين على الزراعة، قام بتسليفهم البذور والأموال[٦]، حرصاً منه على استمرار تنمية النشاط الزراعي.

---

(١) مثل وفاة الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز توفي سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م)، ليلة النيـروز: الخطيـب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٧، ص ٢٥٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٣٥٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص ٢١١.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٨٥.

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٣.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٨١.

(٦) الصابئ، الوزراء، ص ٣٦٥.

كما واجهت الزراعة العديد من التحديات السياسية التي أضرت بها، فقد شكلت مثلاً حركة الزنج قلقاً مباشراً من هذه الناحية، فقد كان أتباع صاحب الزنج يغيرون على ما حولهم من القرى ويسوقون المواشي وينهبون أموال الفلاحين(١)، مُستخدمين أحياناً عدداً من الفلاحين أنفسهم لإرسال الرسائل الخاصة بصاحب الزنج سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) إلى أتباعه(٢)، مما يعرضهم للخطر، وأحياناً للقتل في حال رفضهم، مُبدياً رفضاً شديداً تجاه العديد من أتباعه الذين رغب بعضهم العودة للعمل في أراضيهم التي كانوا يعملون بها(٣).

كذلك فإن كثيراً من الضياع والأراضي الزراعية، كانت ميداناً لحروب الدولة مع صاحب الزنج، مثل حروب سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧١م)(٤)، الأمر الذي أدى إلى تعطيل الزراعة فيها وتعريض إنتاجها للتلف والنهب.

كان صاحب الزنج قد اعتمد في سياسته الدفاعية ضد الدولة، التعدي على المزروعات بالنهب، والقيام بقطع النخيل واستخدام جذوعه في تحصين خنادقه، كما حصل في سنة (٢٦٩هـ/ ٨٨٣م)(٥)، وقد نهجت الدولة ذات السياسة بقيام قادتها في حروبهم معه بقطع النخيل، لتحصين الخنادق وسد الطرق أمام تحركاته(٦)، وهذا يوضح مدى الضرر الواقع على الزراعة من الحروب الدائرة في الدولة سواء من جيوش الدولة نفسها أو من خصومها.

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٤، ص ٤٠٧؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٧-١٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص ٤١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص ٤٩٨.

(٥)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦١٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٧٨.

من جهة أخرى فإن إجراءات الدولة العباسية، كانت شديدة تجاه الأفـراد المتعـاونين مـع الأعداء، ففي سنة(٢٣١هـ/ ٨٤٥م) حُبس أحدهم وقطعت نخله[١] ، بسبب مساندته أحد الأعداء، أما فيما يخص تعاون الفلاحين مع صاحب الزنج، فقد اعتمدت الدولة سياسة فيها الكثير من المرونـة، لكثرة من اتبعه من الفلاحين، حفاظاً على الأرض المزروعة.

وتركت حركة القرامطة ضرراً بالغاً أيضاً على الحياة الزراعية، بانضمام أعداد كبيرة مـن الفلاحين إليها، حتى أن الدولة العباسية قررت في سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)، ترك أعداد من أتبـاع القرامطة دون قتلهم، أو حتى حبسهم خوفاً من خراب السواد، بإعتبارهم كانوا فلاحيـه والقـائمين على شؤون ضياعه[٢]، وتركت عمليات النهب المتكررة، أثرها على الثروة الحيوانية والزراعيـة، ففي سنة (٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) نهب القرامطة حوالي خمسمائة من بغال الفلاحين من بيادر الكوفة[٣]، وطال النهب أيضاً الأعراب في السواد، ففي سنة(٣١٦هـ/ ٩٢٨م) نهب القرامطة جمال الأعراب وأغنامهم وفرضوا عليهم إتاوة[٤]، على كل بيت منهم دينار بقيت مستمرة عليهم حتى نهاية القـرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٥]، ولم تسلم من عمليات النهب التي مارسوها في السواد، غلاّت السلطان التي نهبوها في سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م) [٦]، وعلى الرغم من دعاية القرمطي القائمة على إيجاد ظروف وأوضاع اقتصادية أفضل، إلا أن الطابع العام للحركة هو الخراب الذي عم الضياع.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٧١.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١١٩.

(٤) إتاوة: تأتي بمعنى الرشوة والخراج أو كل ما أُخذ على موضع على سبيل الجباية وهذا المعنى – الأخير– هـو المقصود. السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج١، ص ٥٧–٥٨؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (أتى).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٢٥٧.

(٦) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ١٦٢.

ومن الحركات المناوئة للدولة العباسية حركات الطالبيين[١]، رافق بعضها عمليــات النهــب والتخريب، فقد رافقت حركة الطالبي بالكوفة في سنة (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) واسمه أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن، أخذ أموال الناس وضياعهم، والتعدي على مزروعاتهم بالسلب والتخريب[٢]، كذلك الأعراب، فإن ضرر هجماتهم طال في سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) الأنبار، عندما أغار بعضهم علــى قراها واستولوا على المواشي والدواب، وقتلوا كل من لحق بهم من الناس[٣]، بمن فيهم الفلاحــين ممن حاول استرجاع أمواله وأنعامه، وتكرر الأمر في سنة (٣١٥هـ/٩٢٧ م) عندما سار بعــض الأعراب إلى سواد الكوفة ونهبوا وخربوا الضياع[٤].

ولقد ساهم عدم استقرار الدولة وحالات الانقسام بين رجال الدولة والخلافات القائمة بينهم من جهة وبين الخلفاء من جهة أخرى، إلى زعزعة الإستقرار في الدولة واتاحــة الظــروف لتجــاوز الأعداء على ضياع المستضعفين من الفلاحين، فقد تركت الفتنة بين المعتز والمستعين، أثراً واضحاً على الواقع الزراعي من خلال السياسة الدفاعية التي قام بها قائد الدولة العباسية محمد بن عبد الله بن طاهر (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م) بقطع النخيل خاصة في بغداد (عند باب الشماسية) وذلك فــي ســنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) لتوسيع أماكن القتال وتسهيل حركة الجنود[٥].

لجأ الجند أثناء هذه الفتنة، نحو نهب غلات القرى حول عكبرا، حتى أن العديد من الضياع في ســنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، خربت وفسدت نظراً لشدة الهجمات وعمليات السلب التي تعرضت لها[٦].

---

(١) اشارت بعض المصادر إلى نهجها التأليفي القائم على عدم ذكر أعمال التخريب الناتجة عن حركاتهم ، الأمــر الذي حرم الدارسين من معرفة مدى الضرر الناتج عن حركاتهم . أنظر مثلاً : الأصفهاني، مقاتــل الطــالبيين، ص٦٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٧٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٦٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٣٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٠٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٠-٢٩١.

واتسمت بعض حالات شغب الجند بالعداء للفلاحين، والتعدي على ضياعهم، ففي سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) أدى الشغب إلى ذبح الكثير من الأبقار في قرى بغداد وسامراء[١]، وفي سنة (٣١٨هـ/ ٩٣٠م) أدت حالات الشغب أيضاً إلى قطع النخيل لاستخدامه في سد الطرقات لمنع الخيول والجند من الحركة[٢]، ولأن معظم حالات الشغب والاضطراب التي يقوم بها الجند هي بسبب عدم صرف الأرزاق لهم، فإن حلول الدولة كانت تقتضي أحياناً مصادرة غـلاّت الحنطة والشعير والأرز، وبيعها، وصرف أثمانها أرزاقاً للجند، محاولة منها لإرضاء قادتهم[٣]، وقد بلغ الصراع بين رجال الدولة، كما هو الحال بين أبو عبد الله البريدي (ت ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) وأمير الأمراء محمد بن رايق (ت٣٣٠هـ/٩٤١م) إلى حرق ابن رايق في سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) الضياع حتى لا يغنمها عدوه البريدي[٤]، وقام أبو عبد الله البريدي في سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) وبالتحديد وقت جني الغلات وحصادها في واسط، بأخذها ونهب الأرز منها[٥].

يلاحظ أن النشاط الزراعي في العراق قد واجه تحديات مختلفة، أبرزها حالة الاضطراب الناتجة عن الصراعات الحادة بين الخلفاء أنفسهم، أو صراعاتهم مع الحركات المناوئة، إضافة إلى حالات الصدام بين رجال الدولة أنفسهم، وشغب الجند، مما أدى في النهاية إلى الإضرار الواضح بالنشاط الزراعي، وما يتصل به من ثروة نباتية وحيوانية ، تُعد محركاً أساسياً في الإقتصاد الزراعي .

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٢٣٠؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٢٣٢.

(٢) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ١٥١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٦٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٤٤.

(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٣٣٥.

## سادساً : السياسة الإروائية في العراق .

تشغل مسألة الإهتمام بالري وإدارة مشاريعه، حيزاً مهماً في النشاط الإقتصادي الزراعي للدولة، وتعتبر مؤشراً عن مدى تطوره أو تراجعه.

وبالرغم من تعدد الأسباب التي أدت إلى تردي أوضاع نظم الري في العراق في الفترة ما بين (٢٢٨هـ -٣٣٤هـ/ ٨٤٢م- ٩٤٦م)، إلا أننا نجد عدداً من الخلفاء ورجال الدولة، قد اهتموا بدعم هذا القطاع، رغم الأوضاع السياسية والمالية المضطربة للدولة.

فهناك إشارات تتحدث عن قيام بعض المشاريع الإروائية في خلافة الواثق (ت٣٣٢هـ/٨٤٧م) في بلدان مثل مصر[١]، أما في العراق تحديداً، فقد نشط في خلافته عدد من العُمال في تحويل مجرى بعض الأنهار، مثل تحويل فوهة نهر ميمون في مدينة واسط ، لتوسيع نطاق الضياع والأراضي التي يرويها[٢]، ولكن حال السبب المالي من عدم تمكن الخليفة الواثق تقديم الأموال إلى أحد عُماله، لسد البثوق وحفر الأنهار في فرغانة[٣]، محتجاً بإنفاقه المال للبناء في مدينة الكرخ[٤]، ومن هنا يمكن القول أن الأوضاع المالية للدولة، لم تكن لتمنع قيام بعض المشاريع الخاصة بالري، سواء في العراق، أو غيره من البلدان التابعة للدولة ، لكن على ما يبدو أنها مشاريع محدودة، تعتمد على كفاءة العمال، وقدرتهم على التعامل مع الواقع المالي لعملهم أو ولايتهم.

---

(١) أنظر بعض هذه المشاريع عند: المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص ٣١٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٠٩.

(٣) فرغانة: اسم مدينة لكورة واسعة في بلا ما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (فرغانة)، مج٤، ص ٢٨٧.

(٤) الكرخ: أكثر من موضع بالعراق، لكن المقصود هنا كرخ بغداد ابتناها المنصور، ونقل إليها التجار، وهي في وسط بغداد والمحال حولها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الكرخ) ومادة (كرخ بغداد)، مج٤، ص ٥٠٧- ٥١٠، وانظر الخبر عنه: الإربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٢٤.

وتعتبر خلافة المتوكل وأعماله في الري، هي الأبرز في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بل ان البعض استغل موضوع التعمير والبناء عند هذا الخليفة لوصفه بالإسراف والتبذير، وبالرغم من ذلك فإن الجزء الأكبر من مشاريع الري المتطورة والمتقنة أنجزت في عهده، ويبدو أن توجيهاته المتواصلة بالإهتمام بهذه الناحية، هي التي دفعت عامله على الشرطة في بغداد إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، إلى حفر الكثير من العيون لري الأراضي في عموم السواد، والعمل كذلك على كري الأنهار وصيانتها(١)، لزيادة فعاليتها واستمرار عملها بالشكل الصحيح.

ويبدو أن اهتمام المتوكل الكبير بحفر الأنهار والقنوات، سببه المشاريع العمرانية العديدة التي تتطلب منه ضرورة إيصال المياه إليها، ولعل من أهمها بناء مدينة المتوكلية التي تطلبت منه حفر نهر لتزويد المدينة بالمياه، وقد أمر فعلاً بحفره في سنة ( ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) ، ليكون شرباً لها ولما حولها من الضياع والقرى(٢)، وقد بلغ طول النهر من فوهته على نهر دجلة وحتى بركة قصر الجعفري(٣)، حوالي ثلاث وستين كيلو متر(٤)، غير أن المياه لم تجري فيه إلا لمدة قليلة لم تتجاوز شهرين(٥)، وقد رجح بعض المؤرخين أن خراب النهر قد يعود إلى قتل الخليفة المتوكل وتوقف

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤١٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٢٢٦؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص ٢٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٢.

(٣) قصر الجعفري: بناه أمير المؤمنين المتوكل قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة استحدث عنده مدينة صارت أكبر من سامراء، وقد قتل في هذا القصر سنة( ٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الجعفري)، مج٢، ص ١٦٦؛ أنظر قصور المتوكل على الخارطة في الملحق (ص٤٦٠) من الرسالة.

(٤) سوسة، أحمد، مأساة هندسية أو النهر المجهول، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٧م، ص٤٢. وسيشار له لاحقاً: سوسة، مأساة هندسية.

(٥) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ٣ مجلدات، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٨م، مج١، ص ٢١٩. وسيشار له لاحقاً: السامرائي، تاريخ سامراء.

العمل في النهر[١]، ولكن يبدو أن هذا السبب ليس دقيقاً، فقد أشار اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) إلى أن النهر جرى جرياً ضعيفاً[٢]، وهذا يعني أن المياه جرت فيه لكنها كانت تسير بشكل ضعيف لوجود مشكلة فيه، وقد تبين أن من أوكلت لهم مهمة حفره ، غلطوا في تقدير فوهة النهر، فجعلوها أخفض من سائر النهر، فصار ما يغمر الفوهة من الماء لا يرتفع منسوبة إلى المستوى المطلوب، لتنساب المياه في باقي أجزاء النهر[٣]. ولم يكن سبب تلك المشكلة ضعف المهندس[٤] العباسي، الذي كان على قدر عالي من الدقة في استخدام الآلات، وإنما على ما يبدو خطأ في الحسابات فقد ذكر البوزجاني (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) أمثلة حسابية عديدة تتعلق بحساب أعماق الآبار، ويلاحظ أنه ربط أيضاً بين تجانس عرض النهر وعمقه[٥]، مما يعكس ضرورة الإنتباه لمثل هذه الحسابات دائماً.

وساهمت أمور أخرى في خراب النهر، منها صعوبة العمل في حفر النهر، والتي وصفها اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) بقوله: " ان الحفر كان صعباً ، حتى أن المعاول لم تكن تعمل، أو تُفيد بالحفر"[٦]، إضافة إلى رغبة الخليفة المتوكل سرعة إنجاز هذا النهر، لحاجة المدينة المتوكلية للماء، بعد أن استمر العمل فيه قرابة تسعة عشر شهراً[٧]، فجعلته يبدي تذمراً من هذه الإطالة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٢؛ النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢١٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢٨٣.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢.

(٣) ابن الداية، المكافأة وحسن العُقبى، ص ١٠٢-١٠٣، ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٤) يقصد بهذه الكلمة في تلك الفترة: الشخص الذي يُقدر مجاري القني ومواضعها حيث تُحتفر، وهي كلمة مشتقة من الهندزة وهي فارسية. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠٢؛ التونجي، المعجم الذهبي، ص٦١١.

(٥) البوزجاني، أبو الوفاء محمد بن عمر بن يحيى (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، المنازل السبعة، مجموع في كتاب تاريخ علم الحساب العربي، تأليف أحمد سليم سعيدان، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧١م، ص ٢٢١. وسيشار له لاحقاً: البوزجاني، المنازل السبع.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢.

(٧) السامرائي، تاريخ سامراء، ج١، ص ٢١٩.

وضخامة المبالغ المنفقة على الحفر، عكسه قوله: " قد أتلفا[١] جملة من مالي في هذا النهر"[٢]، لذلك يمكن القول أن أخطاء العمل، ورغبة الخليفة في سرعة الإنتهاء منه، بالإضافة إلى التكاليف العالية، كانت سبباً في عدم نجاح هذا المشروع العظيم. وقد حاول الخليفة المنتصر اتمامه ومعالجة أسباب خرابه[٣]، أما الفلاحين فقد استفادوا من ذلك العجز في إتمام مجرى النهر، وفُتحت من قبلهم وعلى ضفافه الشرقية، العديد من الفروع والقنوات الصغيرة، محاولين الاستفادة من مياه الفيضانات التي تجري عبره[٤]، لري مزروعاتهم، وفي ذلك إشارة إلى قدرة الفلاحين في التعامل مع مشاكل الري، من منطلق معايشتهم وعملهم المتواصل مع الأنهار المنتشرة في العراق.

ومن الأعمال الإروائية للمتوكل، عمل قناتين على جانب الشارع الرئيسي للمدينة (الجعفرية) تجري فيها المياه لري الضياع والأراضي الداخلية في المدينة[٥]، وقد سميت القناتين باسم القناة الشتوية والصيفية[٦]، لأن المياه تجري في كل واحدة منهما في فصلي الصيف والشتاء[٧]، وهذا يظهر مدى التقدم في إعمار المشاريع الإروائية في فترة المتوكل.

يُضاف إلى ذلك ابتكار العديد من الوسائل لزيادة فعالية جريان المياه في الأنهار، مثل إقامة حواجز تعمل على رفع منسوب المياه بُغية تحويلها لري البساتين والحدائق المقامة في المدن

---

(١) يقصد بذلك: أبناء موسى بن شاكر وهم أحمد ومحمد بن شاكر وأشهرهم محمد بن موسى (ت ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) كان أبوهم من رؤوس أئمة الهندسة وقد سارو على خطاه وتقدموا في الهندسة ولهم عدة مؤلفات في الحيل فيها الكثير من العجائب والغرائب. للمزيد عنهم أنظر: النديم، الفهرست، مج١، ص ٣٤٦-٣٤٧ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ٢٦٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سامراء)، مج٣، ص١٩٦.

(٤) اتخذت حديثاً العديد من الأسماء مثل: نهر سمرة، نهر الخرجة، وغيرها، للمزيد أنظر: سوسة، أحمد، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ٢ جزء، د.ن ، د.م، ١٩٤٩م، ج٢، ٣٢٩؛ وسيشار له لاحقاً: سوسة، راي سامراء، سوسة، مأساة هندسية، ص ١٢-١٣.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٠-٣١.

(٦) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٨٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سامراء)، مج٣، ص ١٩٦-١٩٧.

(٧) سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٣١٢.

وحولها[١]، ولم يكن النهر الجعفري هو النهر الوحيد الذي اعتمد عليه المتوكل في تزويد الجعفرية بالماء، بل يظهر أنه عمد إلى حفر أنهار أخرى وإن لم تكن بحجم المشروع السابق، ومن هذه الأنهار ما يعرف باسم (جبّة دجلة) ، حيث جعل فوهته بعيدة عن الجعفري بحوالي عشرة فراسخ[٢]، وربما كان هذا بديلاً عملياً للنهر الجعفري، ساعدت المسافة المذكورة في الإبتعاد عن المواضع التي تسبب مشاكل هندسية قد تؤثر في جريان مياه هذا النهر.

وقد أدرك الخليفة المتوكل، أهمية إيصال المياه إلى جميع المنشآت العمرانية التي ينوي إقامتها، وهذا العامل بلا شك ساهم في ري الكثير من الضياع والأراضي التي تتواجد على طول القنوات والأنهار التي قام بسحبها إلى منشآته، كما تُفسر هذه الأعمال كثرة الإشارات التي تتحدث عن مشاريع الري في عهده، فقد عمِد المتوكل إلى إقامة نهر يخترق السهل الذي عزم أن يقيم فيه (حير الوحش)[٣]، واستطاع تزويده بناظم ؛ وهو يشبه السد يتكون من أربع فتحات، هدفه رفع منسوب المياه في هذا النهر في موسم انخفاض المياه، وما تزال آثار هذه الأبنية الهندسية ظاهرة حتى الوقت الحديث[٤].

---

(١) سوسة، مأساة هندسية، ص ٤٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قصر الجعفري)، مج٢، ص ١٦٦.

(٣) حير الوحش هو: حديقة الوحش التي أقامها الخليفة المتوكل سنة ( ٢٤٥هـ/٨٥٩ م) عندما قام بإنشاء مدينة الجعفرية، حيث جمع فيه أنواع مختلفة من الحيوانات التي أكثرت المصادر في وصفها، خاصة في أحداث سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) عندما قدم رسول الروم على الخليفة المقتدر بالله، حيث سار الرسول والوفد في دهاليز وممرات حير الوحش، وقد تعرض هذا الحير إلى استخدامه معسكراً للجند ، كذلك تعرضه للضرر والهجمات في حالات عديدة أيام فتن الجند، للمزيد أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٥٨؛ عواد، ميخائيل، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص ١٠٠–١٠١. وسيشار له لاحقاً: عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد.

(٤) خروفة، نجيب وآخرون، ندوة نظام الري في العصر العباسي، المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٩م، ص ٢٨؛ وسيشار له لاحقاً: خروفة، الري في العصر العباسي.

ويظهر لدى المتوكل أيضاً اهتماماً بإقامة البرك المائية داخل قصوره، وقد كثر وشاع وصف هذه البرك لدى اشعراء[(١)]، والمؤرخين حيث يقول التنوخي (ت ٣٨٤هـــ/ ٩٩٤م) فـــي وصـــف أحدها: "بركة مرصصة يجري فيها الماء، فأمر أن يجعل في مجاري الماء إليها الزعفــران علـــى قدر، ليصفر الماء ويجري في البركة"[(٢)]، كما زودت القصور بـــالأحواض المائيـــة، وقـــد دلـــت المكتشفات الأثرية على وجود حوض داخل قصر (بركورا) [(٣)]، غايته ري الحدائق داخل القصـــر، وقد اتسمت هذه البرك والأحواض بوجود أنظمة صرف، تنقل المياه إلى البرك وتصرفها منها، وقد بلغ طول بعضها حوالي مائة متر، استفيد منها حتى وقت لاحق من العصر الحديث كأنظمة لصرف مياه السيول[(٤)]، وقد طالت رغبة المتوكل في تطوير أنظمة الري في العراق مناطق واسعة وصلت حتى الموصل، فقد أمر بتسهيل أبواب نهر دجلة هناك، ودعا إلى إزالة وقلع الحجارة المنتشرة فيه، إلا أن عمله هذا توقف عندما ناشده الأهالي بذلك قائلين له: " إنها – الحجارة – تـــرد المـــاء عـــن حافتي دجلة، ولولا هذه الحجارة لفقر الماء حتى تخطّ وأضر ذلك بالناس"[(٥)]، وهذه الإشـــارة تـــدل على مدى خبرة الأهالي في العراق ببعض الشؤون المتعلقة بأنظمة الري، وعلاقتهـــا بالجغرافيـــا والتضاريس التي تضبط في بعض الأحيان مجاري الأنهار وتدفع ضررها، وهذا يؤكد أن الـــري وإن تأثر بالأحوال السياسية والمالية للدولة، إلا أن هناك بعض الأسس حافظت على جوانب منـــه، أهمها بالتأكيد خبرة الأهالي ومعرفتهم.

---

(١) أنظر مثلاً: البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى (ت ٢٨٤ه/ ٨٩٧م)، الديوان، ٢ جـــزء، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص ٢٨-٣١. وسيشار له لاحقاً: البحتري، الـــديوان؛ الأصـــفهاني، الأغـــاني، ج٢٣، ص١٧؛ أبو حلتم، اتجاهات الشعر العربي، ص ٢٦٣.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ٣٠١.

(٣) من قصور الخليفة المتوكل. للمزيد أنظر: الشرقي، طالب علي، قصور العراق العربية والإسلامية حتى نهايـــة العصر العباسي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م، ص ٣١٨. وسيشار له لاحقاً: الشرقي، قصور العراق.

(٤) سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٣١١.

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٦٥.

ويلاحظ الدارس لشؤون الري في العراق، الإنقطاع والنقص الكبير في المعلومات في المصادر، حول الري في عهد الخلفاء بعد الخليفة المتوكل، إلا أنه يمكن لنا فهم طبيعة رعاية أنظمة الري من بعض الدلائل والإشارات الأثرية، التي أكدت إقامة قنوات مائية لإيصال المياه إلى قصور الخلفاء، والإستفادة منها في ري بعض الضياع المجاورة، ومن ذلك وجود آثار لقنوات أُقيمت (لقصر المعشوق) الذي بناه الخليفة المعتمد سنة (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، وأقام فيه حتى انتقاله إلى بغداد[١]، ويظهر أن هذه التقنية استخدمت أيضاً في (قصر الساج) وهو أحد قصور الخليفة المعتز، كذلك وجدت أمام (قصر الدكة)، الذي يقع في الحدود الشمالية لساحة الحير، بركة مائية مدورة كانت تستمد الماء من قناة سابقة بُنيت في عهد الخليفة المتوكل في سامراء[٢]، وربما تربط تلك الإهتمامات المتعلقة بمد القنوات وبناء البرك والأحواض المائية في القصور بالمؤرخين الذين أسهبوا في وصف البساتين والحدائق التي أقيمت في داخل القصور أو حولها، سواء تلك الخاصة بالخلفاء، أو التي كان يملكها بعض رجال الدولة بخاصة الوزراء.

وشهدت عملية صيانة أنظمة الري انتعاشاً واضحاً في عهد الخليفة المعتضد، فقد أمر في سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) بسد بعض البثوق[٣]، وأمر في سنة (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) بكري نهر دجيل[٤]، وقد أخذ الأموال لهذه الغاية من أرباب الضياع والإقطاعات، لتوفير ما يحتاجه العمل من مبالغ مالية،

---

(١) حمودي، خالد خليل، آثار سامراء، د.ن، عمان، ١٩٩٤م، ص٩، وسيشار له لاحقاً: حمودي، آثار سامراء.

(٢) طالب الشرقي، قصور العراق، ص ٣٣٦-٣٣٨.

(٣) الصابئ، الوزراء، ص ١٨٤.

(٤) اسم نهر في موضعين الأول هو مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت والقادسية يسقي مواضع وكور واسعة، والثاني بالأهواز. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (دجيل)، مج٢، ص ٥٠٥.

وقد عين على هذا العمل أحد قادته الترك مشرفاً ومراقباً على العمل[١]، وتُظهر سياسة أخذ الأموال من أصحاب الضياع آلية عمل الدولة العباسية في حل أزمتها المالية المتعلقة بإصلاح أنظمة الري.

ويظهر لنا حرص الخليفة المعتضد في الإشراف أحياناً على شؤون الضياع والري، واستماعه مباشرة إلى شكاوي الأهالي حول ما يعترضهم من مشاكل وصعوبات زراعية، مثل سماعه شكاوى أهالي قنطرة دمما[٢] الواقعة على نهر عيسى الآخذ من نهر الفرات، حول محاولة بعض أصحاب الضياع الاستئثار بالماء دون غيرهم، فأمر بخروج لجنة تتكون من الوزير والقضاة والمهندسين والعمال للتحقيق في الأمر وإعادة ضبطه، وانتهى التحقيق بإجراء يقوم على جعل سعة القنطرة عشرين ذراعاً، ليتسنى حفظ حقوق الأهالي من الماء على طول القناة[٣]، وضمان جريانه على طول النهر وصولاً لأراضيهم.

وعلى صعيد المشاريع الإروائية، قام المعتضد بإنشاء البحيرات[٤] ، وزودها بالماء منعاً لحدوث الجفاف، ومن ذلك قيامه بحفر أحد الأنهار التي تصب في إحدى بحيرات بغداد[٥]، وقد استخدمت هندسة (مقسم المياه) بفعالية في عهد الخليفة المعتضد، والتي تهدف إلى تقسيم مياه بعض الأنهار إلى فروع عدة لتغذية الأسواق والقصور والضياع بالمياه[٦]، مما سبق يمكن القول أن

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٤٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٩؛ الكبيسي، الزراعة والري، ص٩٩.

(٢) دمما: قرية على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (دمما)، ج٢، ص ٥٣٦.

(٣) الصابئ، الوزراء، ص ٢٧٨-٢٧٩، الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٥٢؛ الأعظمي، عواد مجيد، تاريخ الري في سهول الرافدين من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العهد العباسي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥م، ص٦٨. وسيشار له لاحقاً: الأعظمي، تاريخ الري في سهول الرافدين.

(٤) البيروني، كتاب الجماهر، ص٦١.

(٥) سهراب (ت ق ١١هـ/ ١٧م)، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تحقيق جانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م، ص١٢٩. وسيشار له لاحقاً: سهراب، عجائب الأقاليم.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١، ص ١٢٧.

سياسة المعتضد المائية كانت ذات جوانب متعددة شملت إقامة المشاريع الإروائية من جهة، وصيانة الأنهار والأعمال القائمة من جهة أخرى.

وأثر تناقص كميات المياه المتدفقة من بعض الأنهار في أواخر القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي والناتجة عن تراجع أعمال الصيانة، وتزايد طلب أصحاب الضياع للمياه بشكل عام، جعل الخلفاء العباسيين يتجهوا نحو الأمر بإقامة السدود، بهدف تحويل اتجاه المياه من بعض الأنهار إلى أخرى، مثل تحويل مياه نهر ديالي باتجاه النهروان عبر سد بُني من الآجر، وعملـت لـه أبـواب خشبية، وقد رجح الدارسون تاريخ الإنشاء إلى زمن الخليفة الراضي بالله[١]، الذي اتجه كسابقيه إلى الإهتمام ببناء البرك داخل قصوره ، حيث يصف الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٧م) إحـداها بقولـه: "مرصصة الجوانب والمجاري حسنة قد عملها، وملئت ماء وأمر فرمي فيها مثقلات كافور كبـار وصغار"[٢]، ولعل الغاية من الكافور هو تزيين البركه، بينما الغاية من الورود والأزهار في البرك التقليل أو التخفيف من تبخر المياه داخل البرك، وقد جرت العادة بذلك[٣]، إضافة إلى البعد الجمالي لذلك الإجراء.

وهذا يُبين تقدم تقنية بناء البرك، بالتزامن مع هندسة تطوير الري وأساليبه بشكل عام، حتى أصبحت بعض جدران البرك مثل بركة بستان الخليفة المقتدر، والتي ذكـرت سـنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، محاطة بالرصاص، وقد بلغ طولها ثلاثون ذراعاً( الذراع يساوي: ٤٩سم) ، والغاية منها بالتأكيد هي فضلاً عن الزينة ري البستان الذي تنوعت فيه الأشجار والزروع[٤]، وقد ساعد اهتمام

---

(١) سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٤٧٦.

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٩.

(٣) شحادة، سهير نوفل، الدور البيئي والتعبيري لعنصر المياه في تشكيل وتصميم الحدائق الإسلامية ما بين التراث والمعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م، ص١٣٨. وسيشار له لاحقاً: شحاده، الـدور البيئـي لعنصر المياه.

(٤) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ١٣٥-١٣٦.

المصادر بإظهار ملامح التبذير والترف عند بعض الخلفاء، بإعطاء معلومات دقيقة أحياناً عن تقنية الري ومشاريعه، تعكسها المواد المستخدمة في البناء.

واهتم الوزراء العباسيون بصيانة وتطوير أنظمة الري في العراق، فقد أنشأ مثلاً الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م )، ديواناً للمصالح وظيفته أعداد الآلات والمواد الضرورية الخاصة بإصلاح البثوق في الأماكن التي تكثر فيها هذه المشكلة[١]، كما رصد وزراء المقتدر ما بين سنتي (٢٩٩ - ٣٠١هـ / ٩١١ - ٩١٣م ) ما مقداره مائتين وخمسين ألف دينار، للعناية بالبثوق[٢] ومع أهمية هذه الجهود، يبقى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) من أبرز رجال الدولة العباسية الذين اهتموا بتطوير مشاريع الري، حيث ركز في العديد من وصاياه وأوامره للعُمال على الضياع والنواحي، بضرورة الاستقصاء في العمارة وحفر الأنهار[٣]، ولمنع التعديات التي يمكن أن تقع على الأنهار، ولحماية المناطق المجاورة أو الملاصقة لها والتي تُعرف باسم (حريم النهر)، فقد أمر بمنع بيعها[٤]، ورغم هذا الاهتمام بالري إلا أن المبالغ المالية التي رصدت لغايات الإصلاح كانت قليلة مقارنة بحجم الضرر والحاجة.

ويجب التنبه إلى مسألة مُهمة عند دراسة مسألة الإنفاق، وهي أن هناك بعض الخلل في بعض القوائم التي توضح النفقات أو المصروفات، وسببها عدم احتساب النفقات المتعلقة بإصلاح البثوق في بعض السجلات المرفوعة[٥]، وربما يفسر هذا جانباً مهماً من غياب ملامح النفقات المتعلقة بأجور إصلاح وصيانة مشاريع الري، في ظل وجود ربما مظاهر لأعمال السخرة في هذا

---

(١) تظهر بعض توقيعاته مطالبة بعض المهندسين بضرورة التوجه من مناطقهم إلى نواحي أخرى لإصلاح ما حدث فيها من بثوق: الصابئ، الوزراء، ص٢٣٩، ٢٨٠.

(٢) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص ٣٢-٣٣.

(٣) أبو المعالي الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ٧٣، ٧٥.

(٤) الصابئ، الوزراء، ص ٣٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

الجانب بسبب تردي الأوضاع السياسية والإقتصادية في الدولة العباسية، ولاشك أن سياسة إصلاح البثوق والخراب المرتبط بالري، لم يكن أحياناً مُجدياً، بسبب تعرض جهود الخلفاء العباسيين لبعض المُعيقات التي تسببها الصراعات الناشبة في تلك الفترة.

فقد كان خروج الخليفة المتقي ويرافقه أمير الأمراء في سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م) لإصلاح بعض بثوق نهر ديالي، غير مجدي بسبب اقتتالهم مع أبي الحسين البريدي (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، مما جعل نتيجة المهمة هي الفشل[١]، إلى جانب ذلك، ربما كانت جهود الخليفة المتقي غير مكتملة في هذا المجال دلّ عليها أنه في سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)، وعندما خرج إلى بثق النهروان، تحطم السد وعاد البثق إلى حاله[٢]، وتكرر فشل عمليات الإصلاح في سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) عندما توجه أمير الأمراء أبو الوفاء توزون (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) لإصلاح عدد من البثوق على نهر عيسى الذي لم ينجح على الرغم من أنه أكثر النفقة عليه[٣].

ولكن يبدو أن اتساع حدة البثوق، والأعطال التي أصابت أنظمة الري، تطلبت جهوداً كبيرة لم تستطع الدولة القيام بها في مثل الظروف الصعبة التي كانت تمر بها.

وقد سعت الدولة العباسية إلى استقدام الخبرات والمهندسين إلى السواد[٤]، والإستفادة أيضاً من خبرات بعض الحجاج القادمين من الأقاليم الشرقية إلى مكة عبر أراضيها في العراق[٥]، إضافة إلى ذلك، سعت إلى تنظيم أعمال الري ، من خلال تشكيل فرق صيانة وعمل، تُعنى بحفر الأنهار وإصلاح البثوق وهي[٦]:

---

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص٩٣.
(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٢٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٨.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ٢٤.
(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٢٦.
(٦) البوزجاني، المنازل السبع، ص ٢١٢-٢١٣.

١- الدراري، وهم القائمون على قشط النهر بالسلال، ويبلغ مقدار العمل اليومي لهم ستين ذراعاً بذراع السواد[١].

٢- نقل العدة: وهم العمال القائمين على نقل التراب الذي يُعد خصيصاً لسد البثوق والسكور، ويقدر جُهد العمل لكل عامل خمسة أذرع بذراع الميزان[٢]، ويشترط في التربة المنقولة أن تكون من (البوشكات) بمعنى التربة التي تُنقل من الأرض الجديدة (البكر) الصلبة.

ويختلف بالطبع عدد أفراد كل فرقة بإختلاف طبيعة العمل وحجمه، وتكون في أقل تقدير رئيس وثلاث نقالين أو عُمال، ولضمان راحة العُمال وتحقيق العدالة بينهم، فإن مقدار العمل الواجب إنجازه من قبل أي عامل في الأرض الرطبة (السهلة) يكون ثلاث أذرع ونصف، بينما يقابله في الأرض الصلبة (الصعبة) ثلاث أذرع فقط[٣]، وقد تطلبت بعض الأعمال مثل حفر النهر الجعفري سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) حوالي اثني عشر ألف رجل[٤]، ولكن يبدو أن هذا العدد الضخم، يتم ضبطه ومراقبة عمله من خلال تقسيمه إلى فرق، بحسب التنظيم والهيكلة السابقة.

يمكن القول، أنه وبالرغم من الصراعات القائمة بين الخلفاء أنفسهم، أو مع خصومهم، فإن ذلك لم يمنع الدولة من الإتجاه نحو سياسة إصلاح البثوق وإزالة الخراب الذي يعتري العديد من الأنهار والقنوات، ومع حجم الأعطال المتزايدة والتي تشكل تحدياً حقيقياً للدولة، فإن تلك الجهود الإصلاحية هي التي تُفسر ارتفاع وارد الدولة من غلاّت الضياع والأراضي خلال فترة الدراسة.

---

(١) ذراع السواد: استحدثت في عهد الخليفة العباسي المأمون يساوي طولها حوالي ( ٥٤.٠٤سم) . هنتس، المكاييل والأوزان ، ص٨٨.

(٢) ذراع الميزان: استحدثت في عهد الخليفة المأمون ، وكانت تستخدم في مسح القنوات، ويساوي طولها حوالي ( ١٤٥.٦٣سم). هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٩٠.

(٣) البوزجاني، المنازل السبع، ص ٢١٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٢.

**سابعاً : نظام الري وأدواته .**

اعتمدت أراضي العراق الزراعية بخاصة في الشمال، الري سيحاً[١]، اعتمـاداً علـى ميـاه الأمطار، ويمتاز هذا النظام بسهولته وعدم تكلفته على الفلاحين ، الذين لم يكن عليهم سوى عمـل فتحات بالأنهار والقنوات، للسماح بالمياه بالأنسياب تجاه البساتين والضياع[٢]، وقد عمد الفلاحـون ودعماً منهم لنجاح انحدار المياه إلى عمل ما يُعرف بالكهاريز، وهي تسوية أسـطح المنحـدرات لزيادة جريان مياه الأمطار، ليتم جمعها بقنوات خاصة تُسقى بها الحقول أيضاً[٣].

ومن الملاحظ أن فيضان نهري دجلة والفرات في العراق في العديد من الأشهر، وما يتلوها من شهور الحرارة المرتفعة، يدفع الفلاحين إلى ضرورة الري[٤]، وإلى جانب اسـتخدام الفـروع النهرية والقنوات للري، انتشرت الآبار بشكل واسع في العراق، نستشعر ذلك مـن خـلال أخبـار حركة صاحب الزنج، حيث تُفيد بعض الروايات أن العديد من الفلاحين كانوا يختبئون داخل الآبار هرباً من الزنج[٥]، ويظهر انتشار الآبار أيضاً في العديد من الأديرة بين الكوفة والقادسية[٦]، ويُعتمد على هذه الآبار في استيعاب وتجميع المياه المسحوبة من الأنهار، باتجاه الضـياع والبسـاتين[٧]، لتروى منها المزروعات في أوقات السقي.

---

(١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦٢.

(٢) السعدي، محافظة بغداد، ص ٨٥-٨٦.

(٣) ندوة نظام الري عند العرب، ص٧٠-٧١.

(٤) ويلكوكس، ويليم، ري العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٧م، ص١٧. وسيشار له لاحقاً: ويلكـوكس، ري العراق.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٨٤.

(٦) الشابشتي، الديارات، ص ٢٣٣.

(٧) مجموعة مؤلفين، ندوة التربة والري عند العرب، لجنة إحياء التراث العلمي، جامعة بغـداد، ١٩٨٨م، ص٢٢. وسيشار له لاحقاً: ندوة التربة والري عند العرب.

وقد ذكرت أسماء بعض الآبار الخاصة بمجموعة من الأفراد يملكونها للأغراض المنزلية وري ضياعهم الخاصة ، في حدود سنة (٢٣١هـ/ ٨٤٥م)[١]، وسنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م)[٢].

وتتضح الخبرة لدى أهل العراق في حفر الآبار، بدليل براعة المهندس العراقي الذي استطاع حساب أعماق الآبار عبر استخدام العديد من الأدوات، مثل الألواح الخشبية الخاصة والمقسمة إلى أبعاد ومسافات محددة[٣]، وتمكن من تحديد قياسات البئر بدقة.

ويتصل باستخراج الماء في الآبار، العديد من الأدوات، مثل (العناج) وهو حبل يُشد في الدلو الذي يُستخدم في إخراج المياه[٤]، وأجود أنواع الحبال المستخدمة في المدن والقرى هي المعمولة من ألياف النارجيل (جوز الهند) [٥]، مع ملاحظة استخدام أهل البادية الحبال المصنوعة من (جلد الإبل) ويُسمى (مسد) [٦]، وهذا يدلل على قُدرة الإنسان التعامل والإستفادة من عناصر البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل مع مكوناتها.

ويُبنى على باب البئر بناء يُسمى (قامة) يُستخدم لوضع أعواد البكرة[٧] ، التي يُعتمد عليها في سحب المياه، ولصيانة البئر وتنظيفه يتم إنزال شخص إلى قاع البئر، يُسمى (المنقي) أو المنظف، ويقتضي عمله الجلوس على صخرة خاصة، تكون موضوعة أسفل البئر تُسمى (الراعوفة) [٨]، ليتم سحب المواد العالقة والساقطة بالبئر ، من ثم رفعها عبر أشخاص يكونون خارج البئر.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣٧.
(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص١١.
(٣) البوزجاني، المنازل السبع، ص ٢٧٥-٢٧٦.
(٤) الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، مج١، ص ٢٥١.
(٥) الدينوري، النبات، ج٣، ص ٢٤٨، ٢٥٢-٢٥٣.
(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٣٣.
(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قامة)، مج٤، ص ٣٤١.
(٨) الخطيب التبريزي، شرح مقصورة ابن دريد، ص ٨٤.

وبخصوص أعماق الآبار، فيبدو أن ذلك يعتمد على مكان البئر ومستوى عمق وجود المـــاء تحت سطح الأرض، ففي القرى والمدن العراقية كانت أعماقها قليلة، لوجود المياه علـــى مســـافات قريبة، بينما كانت الآبار الموجودة في البادية تصل أعماقها ما بين (٨٠-٩٠) قامة (تساوي القامة حوالي ١,٩٧سم) [١].

ان توفر المياه بمصادرها المختلفة في العراق، أوجب على الفلاحين ضرورة القيام بســـحبها باتجاه الضياع والبساتين باستخدام العديد من الأدوات، وأبرزها ما يلي:

---

(١) الدينوري، النبات، ج٣، ص ٢٣٣؛ وعن القامة أنظر: فاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية، ص ١٤٧.

**١) الدولاب .**

وهو عبارة عن عجلة مائية تُشبه إلى حد كبير الناعور[١]، إلا أنها أكثر تعقيداً منه، وقد وجد منه نوعان فهناك ما يُدار بواسطة ثور، أو جمل، أو حصان واحد، ويُسقى سبعين جريباً (يساوي الجريب: ١٥٥٧متر مربع) من غلات الشتاء، وثلاثين جريباً من مزروعات الصيف، بينما يدار النوع الثاني بواسطة ثوران، ويسقي سبعين جريباً من غلات الصيف ومائة وخمسون جريباً من غلات الشتاء[٢]، وقد كانت مياه نهر دجلة تُنضح بواسطة الدواليب ، خاصة بالقرب من نهر المعلى[٣]، حيث تنتشر الضياع والبساتين[٤]، كما استخدمت في ري بساتين كرخ بغداد[٥]، إضافة إلى ري العديد من بساتين الكتّاب[٦]، وبعض بساتين وضياع البصرة[٧]، ويُعتمد عليه أيضاً في سحب مياه البرك الخاصة بقصور الخلفاء، مثل قصر الخليفة المتوكل[٨] . وتوصف طريقة ري بعض

---

(١) يقول المقدسي (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) عند حديثه عن الأهواز: " وعلى النهر دواليب عدة يديرها الماء تُسمى النواعير"، وهذا يعكس مدى الشبه الكبير بينهما: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٤١.

(٢) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦١؛

El- Samarraie,Husam,Agriculture in Iraq During The ٣rd Century,Beirut : Heidelberg press, ١٩٧٢,P.٢٧-٢٦.

البوز، رند خالد، الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦م، ص ١١٩-١٢٠،

(٣) نهر المعلى: محلة ونهر ببغداد وهو نهر يسنب إلى المعلى بن طريف مولى الخليفة المهدي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص ٣٧٤.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٢٧٣.

(٥) ابن الفوطي، مناقب بغداد، ص ٦٧.

(٦) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢١٨.

(٧) يُسمى بالبصرة الدولاب باسم (المنجنون) وهو اسم فارسي ويدار بالبصرة أحياناً كثيرة بواسطة الجمال: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥١٦؛ متز، الحضارة العربية الإسلامية، مج٢، ص٣٣٨.

(٨) سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٣٠٨-٣٠٩.

بساتين أهالي العراق بأنها تسقى بالدواليب[١]، مما يؤكد انتشارها وعموم استخدامها، ولكن يبدو أن انتشار النوع الذي يدار بواسطة حيوان واحد سواء الجمل، أو الثور هو الأكثر استخداماً في بساتين الفلاحين.

أما فيما يتعلق بصناعة هذه الدواليب، فقد وجد لها في العراق نجارين مختصين بصناعتها[٢]، إلى جانب انتشار الوكلاء أو العُمال في الضياع، ممن كان مُدرباً على إدارتها وتصليح ما يتصل بها من أعطال أو تلف[٣]، وقد حرص عند صناعتها اختيار الأخشاب الخاصة المميزة، فقد كانت أخشاب تُسمى (الصلاناي) تُجلب لهذه الغاية من ناحية حلوان ونينوى، ويتميز هذا الخشب بأنه يبقى رطباً مدة طويلة من الزمن بعد قطعه، فإذا ما صار صلباً بعد ذلك اشتد وقوي مع البقاء مدة طويلة لا يتغير، ولا يتآكل ولا تقع فيه آفة قد تأكله[٤]، مما يضعنا أمام تطور واضح في صناعة هذه الأداة، يقوم على تحديد مواصفاتها ومراعاة البيئة أو المناخ الذي تعمل به.

**٢) النواعير .**

آلة تعمل بقوة تيار الماء، وتتشكل من طوق خشبي كبير يصل قطره إلى عشرة أمتار، يربط بمركزه قطع خشبية كبيرة رُبطت حول شجرة ضخمة، مستنداً على دعامتين أمام مجرى النهر، وتوضع به سلسلة من الجرار الفخارية الصغيرة، أو الصناديق الخشبية المثبتة بالحبال القوية، ويظهر أن اسمها اشتق من نعيرها أي صوتها[٥]، أثناء حركتها لرفع المياه.

---

(١) مثل : إبراهيم بن عبد الله بن مسلم البصري (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٥م): أنظر ترجمته: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٦، ص ١٢٠.

(٢) الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٥٩.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٥٣.

(٤) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ١٢٤٨.

(٥) متز، الحضارة الإسلامية، مج ٢، ص ٣٣٨؛ ندوة الزراعة والري في العراق، ص٢٢؛ ندوة الفلاحة والري عند العرب، ص٢٣٠.

تروي النواعير من غلاّت الشتاء ما مساحته من ثلاثمائة وخمسين إلـــى أربعمائـــة جريـــب (الجريب يساوي : ١٥٥٧ مترمربع)، بينما تروي حوالي ثمانين جريباً في فصل الصيف[١]، وهذا الإختلاف في نسبة الأراضي المروية، سببه حاجة المزروعات في الصيف إلى مقدار مـــن المـــاء أكبر من مقدار حاجتها للماء في الشتاء، يُضاف إلى ذلك استفادة الأراضي الزراعية في الشتاء من مياه المطر، وتُستخدم النواعير في إرواء الأراضي عالية السقي، التي لا تصلها مياه الأنهار سيحاً أو مباشرة عبر القنوات[٢]، ويكثر استعمالها لري الضياع والمزروعات في بغداد[٣]، في نواحي نهر الصراة[٤] ، الذي شيد عليه العديد منها[٥]، كما اعتمد عليها في ري المزروعات في هيت[٦]، وقـــد ذكر مسكويه (ت ٤٢١هـــ/ ١٠٣٠م) أسماء بعض النواعير مثل ناعورة السبيل[٧]. أما صـــناعتها فتتم داخل العراق فقد اشتهر سوق يحيى في بغداد في عملها[٨]، وبقيت النواعير من أهـــم وســـائل الري في العراق حتى وقت قريب[٩]، ولكثرة استعمالها أصبحت عنواناً حضـــارياً لـــبعض مـــدن العراق، حيث أدخلت في تصميم شعار الأنبار[١٠]، مما يظهر ويدلل على فعالية هذه الآلـــة وقيمـــة استخدامها في الري.

---

(١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦٢ ؛ وانظر عن الجريب، فاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية، ص٣٦٨.
(٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٧١.
(٣) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٠٨.
(٤) الصراة: من أنهار بغداد يأخذ من نهر عيسى ويسقي الضياع في نواحي بادوريا. يـــاقوت الحمـــوي، معجـــم البلدان، مادة ( الصراة) ، مج٣، ص ٤٥٣.
(٥) سهراب، عجايب الأقاليم السبعة، ص ١٢٥.
(٦) غزوان، الحضارة والتصميم، ص ١٤٢.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٤٣٨.
(٨) ابن الفوطي، مناقب بغداد، ص ٥٢.
(٩) السعدي، محافظة بغداد، ص ٧٦.
(١٠) غزوان، الحضارة والتصميم، ص ١٤٣.

**٣) الدالية .**

هي عبارة عن آلة، على شكل عصا طويلة، في إحدى نهاياتها مغرفة من الجلد أو الخوص، وفي نهايتها الأخرى ثقل لحفظ التوازن، وتعمل على أخذ الماء من النهر، وصبه في القنوات والسواقي لري البساتين، وتُدار إما بقوة الرجال أو استخدام بعض الحيوانات[١]، وقد تقدمت صناعتها حتى عُدت بعض الأمور المتعلقة بها من اختصاص القائمين على هندسة المياه الذين كان لهم دور واضح في تحديد موقعها، ومسافاتها بالنسبة للأنهار[٢].

وقد عرفت منها عدة أنواع مثل الدالية الفارسية وطول زرنوقها [٣] أربعة وعشرين ذراعاً، والدالية الكوفية ويتراوح طول زرنوقها من اثنين وعشرين إلى ثلاثين ذراعاً، والدالية المحدثة ويتراوح طول زرنوقها بين سبعة وتسعة أذرع، وتختلف مساحة الأراضي المروية منها بحسب كمية المياه المتوفرة[٤]، وقد اشتهرت العراق باستخدام الدالية في ري المزروعات، حتى قال البلخي (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) في وصف ذلك: "وليس بالعراق ماء جارٍ إلا بالسواقي والدوالي، غير عين البصرة فإن المد يسقيها"[٥] وقد استخدمت في ري الضياع والأراضي على نهر صرصر على مقربة من بغداد[٦]، وبها تسمت مدينة الدالية على ضفاف الفرات[٧] ، مما يؤكد سعة انتشارها واستخدامها في العراق.

---

(١) El- Samarraie,Agriculture in Iraq p.٢٨ ، ندوة التربة والزراعة، ص٢٢.

(٢) ابن فريعون، جوامع العلوم، ص ١٣٤.

(٣) الدالية : هي منارتان تكونان على باب البئر ، و يستخدم في ايصال المياه للأراضي الزراعية البعيدة أو المرتفعة عن الأنهار . الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧١ ( وهامشها ) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( زرنق) .

(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٦٢-٦٣.

(٥) البلخي ، البدء والتاريخ، ج٢، ص١٥.

(٦) سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١٢٤.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الدالية)، ج٢، ص ٤٩٣.

**٤) السانية .**

هي آلة يُسقى بها باستخدام الدلو الكبير المثبت في نهايتها، ويُسمى (الغرب)، تُستخدم الجمال لإدارتها ويُعتمد عليها في ري الزرع والنخيل[١]، وهي نفسها التي يطلق عليها (النواضح) أيضاً [٢].

وتُشير المصادر إلى دور السانية في عمليات السقي من الآبار، سواء لرفع الحاجة من المياه لري المزروعات أو سقي الثروة الحيوانية التي يُربيها الفلاحين[٣]، وقد عُمد أيضاً إلى عمل بــرك حولها لجمع المياه تُسمى (المأجل)، وهو شبيه بالحوض أو البركة الواسعة، تجمع فيها المياه، ثــم تنساب في القنوات لري النباتات والزروع[٤]، لبساطة تركيبها وسهولة إدارتها وقد انتشرت بشــكل واسع في العراق.

**٥) الشادوف .**

هو عبارة عن دلو من البواري مثل دلو الدالية، يحتاج إلى أربعة رجال لتشــغيله، ويختلــف مقدار سقيه في الشتاء والصيف، حيث يبلغ حوالي سبعين جريب في الشتاء، وثلاثين جريبــاً فــي الصيف[٥]، وقد انتشرت الشواديف على ضفاف نهر صرصر[٦]، ويلاحظ هنا أن القوة التي يعتمــد عليها في إدارة الشادوف هي من الرجال، خلافاً للآلات السابقة التي يستخدم في إدارتها الحيوانات.

---

(١) الدينوري، النبات، ج٣، ص ٧٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (غروب)، مج٤، ص ٢٢١.

(٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٧٢.

(٣) الأصفهاني، أبو علي المرزوقي (ت بعد ٤٥٣هــ/ ١٠٦١م)، الأزمنة والأمكنة، ٢ جزء (مجلــد واحــد)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٣٠٢. وسيشار له لاحقاً: الأصفهاني المرزوقي، الأزمنة والأمكنة.

(٤) الأزدي، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٤٦٦هــ/ ١٠٧٣م)، كتاب الماء، ٣ أجزاء، تحقيــق هــادي حســن حمودي، وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان، ١٩٩٦م، ج١، ص ٤٩. وسيشار له لاحقاً: الأزدي، الماء.

(٥) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٦٢. El- Samarraie ,Agriculture in Iraq .p.٢٩

(٦) سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١٢٤.

**٦) الفوّارات .**

وهي من الطرق والأساليب الجمالية لرفع المياه ، ومع أنه أعتمد عليها قليلاً في ري حـــدائق قصور الخلفاء والوزراء، إلا أن وجودها يدل على المستوى المتقدم لوسائل الري ورفع المياه فـــي تلك الفترة.

والفوّارات آلات تعمل في الحياض والحمامات ونحوها، يفور منها الماء بأشكال مختلفـــة[١]، واستخدمت بشكل واسع في برك الخلفاء خاصة في مدينة سامراء، حيث أضيف إليها المسك والورد لزيادة جماليتها[٢]، وقد دلّت الآثار على وجود إحدى هذه النوافير في مسجد سامراء الكبير، قطرها حوالي ثلاثة أمتار تقريباً، وتصرف المياه منها عبر قناة تُحيط بحوض النافورة، ثم تصب هذه القناة في بركة أعدت خصيصاً لهذه الغاية[٣]، وقد ذكر وجودها في سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) فـــي أحـــد قصور الخليفة المقتدر[٤]، كما وصف العديد منها في قصور الوزارء، وبلغت من الحُســـن درجـــة كبيرة[٥]، وقد دلّت الحفريات الأثرية على تقدم في هندستها، من خلال عمل انخفاضـــات حولهـــا، وظيفتها التقاط المياه المتطايرة والعمل على إعادتها إليها، عبر قنوات مُتقنة، مرة اخرى[٦].

مما سبق يتضح مدى التقدم في ابتكار وسائل رفع المياه والري، وتعدد أشكالها وطبيعة القوة المحركة لها، من خيول وأبقار في المدن، والإبل في البادية وبعض القرى، إضافة إلى ذلك ظهور دور بارز لمهندسي الري في تنفيذها والعمل على زيادة فعاليتها.

---

(١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٢٥.

(٢) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ١٣٨.

(٣) شحادة، الدور البيئي لعنصر المياه، ص ١١.

(٤) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٨٩.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ٣٠٣.

(٦) شحادة، الدور البيئي لعنصر المياه، ص ١٣٨.

**ثامناً : المعيقات الإدارية والجغرافية للري .**

حاولت المصادر رسم صورة عامة عن تردي الأوضاع الإقتصادية في الدولة، بربطها بسيطرة الترك في البداية على مقاليد الحكم، ثم سيطرة الديلم (البويهيين) في سنة (٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، حيث يقول المسعودي (ت ٣٤٧هـ/ ٩٥٨) موضحاً ما آلت إليه الأوضاع " ثم آل ذلك إلى نقص وخراب لبثوق انبثقت وجلاء وانتقال، وجدب وجور وحيف من الأتراك والديلم، الذين غلبوا على هذا الصقع إلى هذا الوقت"[١].

ولعل الأحداث والنزاعات المتكررة ، سواء داخل الدولة من صراع الخلفاء والجند، أو خارجها، هي التي جعلت الدولة تتصرف إلى الإنفاق على الشأن السياسي والعسكري، مقابل نقص حاد في دعم المشاريع الإروائية والزراعية، بإستثناء بعض الجهود الفردية من قبل بعض الخلفاء ورجال الدولة، وجهود الترك بدعم مشاريع الري، ولكن الإشارات بهذا الخصوص في المصادر قليلة إلى حد الندرة، بسبب تركيزها على الشأن السياسي بصفة عامة من جهة، وإعادتها أسباب التدهور كما ذكرنا إلى الترك من جهة أخرى.

مع هذا فقد ذكر الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) في أحداث سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) عن وجود نهر في مدينة البصرة سُمي (نهر الأتراك) ، وقد وصفه بقوله: "نهر عريض غزير الماء"[٢]، ويقع هذا النهر على حدود مدينة صاحب الزنج في البصرة[٣]، ويوحي اسم هذا النهر بدور الأتراك أو علاقتهم المباشرة بحفره، إضافة إلى قيام وكيل بغا التركي مولى الخليفة المتوكل في سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) بحفر بعض الآبار[٤]، كما عمد أمير الأمراء بجكم التركي (ت ٣٢٩هـ/

---

(١) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٩٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (بئر أبي موسى)، مج١، ص٣٥٩.

٩٤٠م) إلى حفر الأنهار، وزراعة الأشجار في ناحية (البند نيجـين)[(١)] فـي سـنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)[(٢)]، وفي العام نفسه قام ببناء بركته المعروفة بالنجمي[(٣)]، وهذه الإشارات تعكس مشـاركة بعض الأتراك في الإشراف أو القيام ببعض الأعمال المتعلقة بالري.

ويمكن القول بأن عدم اهتمام رجال الدولة في مشاريع الري وصيانتها كان عاملاً أساسياً في تردي أمور الري، خاصة أن الإمكانيات والخبرات القادرة على بناء شبكة ري قوية كانت موجودة، دلّ على ذلك ما ورد عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) ما يشبه تذمر أحد الكيميائيين فـي عـدم استغلال هذه القدرات، قائلاً: "دعونا نضع لهذه الجسور صفة لا تنتقص أبداً فأبيتم، وقلنا لكـم مـا ترجون من هذه المسنيّات[(٤)] ، التي تهدمها المدود وتخربها المرادي[(٥)]، نحن نعمل لكـم مسـنيّات بنصف هذه المؤونة فتبقى لكم، فأبيتم"[(٦)]، قاصداً بهذا الرأي استخدام المعـادن فـي البنـاء مثـل الرصاص وهو من المعادن المتوفرة في بعض المواقع القريبة من العراق، مثل بلاد الشام[(٧)] ، لبناء وصيانة الجسور والمنشآت الأخرى ، ويبدو أن بعض رجال الدولة نظر في هذه الملاحظة تالياً، فقد دلت الحفريات على استخدام الرصاص في بناء بعض القناطر والسدود، إضافة إلى استخدامه فـي سد الفجوات بين حجارة الآجر المستخدمة في البناء على الأنهار[(٨)].

---

(١) البندنيجين: موضع بالعراق في طرف النهروان من أعمال بغداد. يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، مـادة (البندنيجين)، مج١، ص٥٩٢.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص٣٣٨.

(٣) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٤٤.

(٤) المسنيّات: ما يُبنى للسيل لرد الماء وسميت مُسناة لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب (يزيـد عند الحد). ابن منظور، لسان العرب، مادة (سنا).

(٥) المرادي هي: خشبة يدفع بها الملاح السفينة، ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرد).

(٦) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص ١٨٣.

(٧) أنظر مثلاً عن مواقعه: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (القلعة) مج٤، ص٤٤٢.

(٨) سوسة، مأساة هندسية، ص٥٥.

إن إهمال رجال الدولة كان سبباً في خراب أنظمة الري في بعض المناطق، فيذكر أن أحـد البثوق بقي أكثر من عشر سنوات وحتى سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) في ناحية بادوريا في غرب بغداد دون إصلاح أو عناية[١]، كذلك فإن عدم قيام البعض من العمال بإطلاق النفقـات المقـررة علـى إصلاح البثوق[٢]، قد زاد في الإهمال والخراب، وقد أشارت المصادر إلى شكاوى بعض الأهـالي في نواحي العراق من تقصير العمال في إقامة السدود[٣]، لحماية الضياع من الفيضـانات، ورفـع منسوب المياه أيام انخفاضها لتصل أراضيهم.

ولاشك فإن بعض المعاملات الزراعية المستخدمة مثل الضمان، زاد من انحـدار مسـتوى العناية بالري، فقد تطلع أصحاب الضمانات للحصول على الأموال، دون مشاركتهم في الإنفاق على مشاريع الري بخاصة المتصلة بكراء الأنهار، حتى أصبحت هذه المسألة من التُهم التي توجه إليهم في فترة الدراسة[٤]، ولاشك أن آلية العمل والبناء كانت أحياناً لا تتناسب مع حاجة الأهـالي، فقـد أقيمت بعض المسنيات بشكل صغير غير مُتقن مما لا يعود على المنطقة بالفائدة المطلوبة[٥].

لذا فإن بعض التجاوزات الإدارية سواء من العُمال أو متضمني الخـراج، وعـدم الإهتمـام بتوجيهات الوزراء، كانت من العوامل المهمة والواقعية في تردي أوضاع الري في العراق.

أما من الناحية الجغرافية فإن طبيعة بعض مواقع مشاريع الري كانت غير صالحة للإنشاء، أو بحاجة إلى عناية هندسية مُعينة على أقل تقدير عند تنفيذ المشروع عليها، فقـد أقيمـت بعـض القنوات والأنهار في مجاري جبسية سريعة الأنهيار[٦]، كذلك فقد ظهرت مشاكل أخرى فرضـتها

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٩.
(٢) الصابئ، الوزراء، ص ٢٨٠.
(٣) الصابىء ، الوزراء ، ص ٨١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤١.
(٥) تُشير بعض الروايات إلى عدم استيعاب بعضها شخصين للمرور عليها: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٦٨.
(٦) خروفة، الري في العصر العباسي، ص٦٥.

طبيعة الأرض وهي مسألة الترسبات، بدليل أن الكثير من الأنهار في العراق يلاحظ إلـــى جانبهـــا مجاري نهرية قديمة، تسير جنب المجرى الرئيسي لعدة كيلومترات، وقد هجرت بســـبب ترســـبات الطمي فيها، مما أدى إلى التقليل من قابلية النهر على استيعاب المياه ورفع منســـوب الميـــاه فـــي الأنهار[١].

وكانت مشكلة الطمي من أبرز المشاكل التي واجهها مهندسو الري في العصـــر العباســـي، والتي لا يمكن حلها عملياً إلا من خلال الإستمرار في تنظيف الأنهار من الطمي[٢] ، وقـــد بـــذلت الدولة العباسية جهداً في هذا الأمر دلّ عليه مثلاً أن ضفاف الأنهار في سامراء مرتفعـــة، بســـبب كميات التربة الطينية المستخرجة منها[٣].

وفي جنوب العراق بدت مشكلة زيادة الملوحة في الماء أمراً ظاهراً في طبيعة المنطقة، حتى أصبحت ظاهرة النقص في المياه العذبة واضحة في منطقة البطائح في البصرة[٤]، فقد عمد أهـــالي عبادان إلى استخدام الصهاريج للتخلص من هذه المشكلة، ووردت في ســـنة (٢٤٨هـــ/ ٨٦٢م) شكاوى من الأهالي، ذاكرين بأن الملوحة زادت لديهم منذ أكثر من ستين سنة[٥]، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة إنشاء قنوات (مبازل) [٦] لمحاولة غسل التربة والتخلص من الأملاح فيها[٧]، وواجـــه

---

(١) اتكنسن، جي، دي، الري في العراق ومصر، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٢م، ص ١٤-١٥. وسيشـــار لـــه لاحقاً: اتكنسن، الري في العراق.

(٢) بلغت كمية الطمي المحمولة في مياه دجلة أكثر من الفرات: سوسة، في ري العراق، مديرية الـــري العامـــة، بغداد، ١٩٤٥م، ص٧٩. وسيشار له لاحقاً: سوسة، ري العراق.

(٣) الجنابي، طارق جواد، المتوكلية؛ نموذج متطور لتخطيط المدينة الإسلامية، مجلة البحوث التاريخية، سنة ١٤، عدد١، ١٩٩٢م، ص٢٢.وسيشار له لاحقاً: الجنابي، المتوكلية .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٣٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٨-٢٩.

(٦) المبازل: يقصد بها في اللغة المبزل أو المبزلة أي المصفاة التي يُصفى بها، أو البزل أي تصفية الشراب، ويراد بها اصطلاحاً القنوات التي تعمل لتخليص الأرض من الأملاح . ابن منظور، لسان العرب، مادة (بزل).

(٧) السعدي، محافظة بغداد، ص ٨٧، ٩١.

أهالي البصرة الملوحة من خلال استخدام أعداد كبيرة من الزنج لكسح الأملاح، ولكن هذه الجهود تعثرت نتيجة قيام حركة الزنج (٢٥٥- ٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م) والتي أدت إلى انشغال أعداد كبيرة منهم بالحرب، ولا يستبعد أن يكون أهالي البصرة استخدموا نظام القنوات لصرف الأملاح، بدليل أن عملية مسح دقيقة وشاملة من الجو للبصرة يمكن لها كشف النظام المعقد من القنوات والأنهار القديمة في المدينة[١]، وقد كان لبعض التكوينات الجغرافية في بعض المناطق عاملاً مسانداً لتصريف المياه الزائدة من الري، والتي قد تتسبب في الملوحة، ففي سامراء مثلاً لعبت الأودية التي تسير باتجاه دجلة دوراً في تقليل المياه الزائدة وصرفها إلى النهر، وما تزال هذه الأودية تؤدي هذا الدور في سامراء حتى الوقت الحاضر[٢].

مما سبق نجد أن المعيقات الإدارية والتي سببها عدم كفاءة أو اهتمام بعض العُمال وتجاهلهم لواجباتهم، إضافة إلى الطبيعة الجغرافية لبعض المناطق في العراق، قد زاد من تردي الأوضاع المتعلقة بالري وبالتالي أثرها على الزراعة، ليشكل تحدياً آخر إلى جانب سوء الأوضاع السياسية التي تمر بها العراق.

---

(١) ويلسون، الخليج العربي، ص ١٣٢.

(٢) السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ج١، ص ٤٢.

## تاسعاً : أثر الأحداث السياسية على الري .

لقد كان للأحداث والإضطرابات السياسية في العراق، أثر واضح في تدمير وتخريب نظام الــري ووسائله في العراق بشكل واسع، ويلاحظ أن السمة العامة للخطط العسكرية المتبعة من مختلف أطــراف الصراع، هو احداث سلسلة من البثوق في الأنهار والقنوات، لمنع الجيوش المقابلة من التقدم.

فقد شهدت فتنة المعتز والمستعين في سنة (٢٥١هــ/ ٨٦٥م) استخداماً واسعاً لعملية افتعــال البثوق، فقد قام محمد بن عبد الله بن طاهر (ت ٢٥٣هــ/ ٨٦٧م) بافتعال العديد من البثــوق فــي الأنبار وغيرها من المدن، لإغلاق الطريق أمام جند الخليفة المعتز المتجهة نحــو بغــداد[١]، مــن جهتهم قام جند الخليفة المعتز بمحاولة منع مياه نهر الفرات من الوصول إلى العاصمة بغداد نفسها من خلال إغلاق أحد السدود[٢]، هادفين بذلك تضييق الخناق على جيوش المستعين وحرمانه مــن أهم طرق الإتصال المرتبطة ببغداد.

وما هي إلا سنوات قليلة حتى تأثرت الأنهار والقنوات في جنوب العراق، وتحديداً في مدينة البصرة، بسلسلة واسعة ومتواصلة من عمليات التخريب، نالت القناطر والسدود المقامــة عليهــا، الأمر الذي أضر بشكل مباشر على الري من قبل أتباع صاحب الزنج[٣]، لتشكل هذه الحركة وبفعل طول سنوات استمرارها، عمليات تدمير عانت منها الدولة والفلاحين فيما بعد، بسبب عدم الــتمكن من إصلاحها مباشرة ، مما جعل أثرها يمتد لفترة من الزمن.

وتستمر السياسة العبثية بالأنهار كأسلوب دفاعي تعتمده الدولة أيضاً أمام هجمات الأعــداء، فخطر الدولة الصفارية، وهجمات أميرها يعقوب بن الليث الصفار (ت ٢٦٥هــــ/ ٨٧٨م) دفعــت قادة الدولة العباسية في سنة (٢٦٢هــ/ ٨٧٥م) إلى إحداث البثوق في نهر دجلة ، لمنع يعقوب بن

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢٨٩، ٣١٨؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٤، ص ٣٤٢، ٣٤٨.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٢٠- ٣٢١.
(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص ٤٢١-٤٢٢.

الليث الصفار من دخول مدن العراق[١]، وقد تكررت سياسة الدولة هذه في العديد من المواقع التي تقترب منها جيوش الصفارين[٢]، وبالتالي نلاحظ أن أحداث البثوق وإغراق الأراضي الزراعية، أسلوباً يعتمده أعداء الدولة من جهة، وقادة الدولة أنفسهم من جهة أخرى، مع ملاحظة عدم إشارة المصادر إلى قيام الدولة بإصلاح هذه البثوق بعد انتهاء هجمات الأعداء عليها.

وبنفس الإتجاه خلفت حركة القرامطة وراءها أثراً واضحاً ومباشراً في إحداث البثوق وتخريب الأنهار، ومن ذلك قيامهم في سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) عند مهاجمتهم الأنبار، إلى عمل بثوق كبيرة واسعة الضرر[٣]، كما يرافق هجمات المناوئين للدولة، خطر شغب الجند ضد رجال الدولة بخاصة الوزراء ، بسبب تأخر أرزاقهم أو مطالبتهم بزيادتها، مما ينتج عنه قلاقل واضطرابات تطال الأنهار والقنوات، فعندما شغب الجند في سنة (٣١٨هـ/ ٩٣٠م) على الوزير علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، قاموا بإحداث بثوق في الأنهار لمنع جيوش الدولة من التقدم نحوهم وإيقاف حركاتهم[٤]، إلا أن حدة تأثير حركات الجند هذه، اتضحت بشكل أكبر مع ظهور النزاع حول منصب إمرة الأمراء، فقد قام مثلاً محمد بن رايق (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) بإحداث بثوق كبيرة على نهر ديالي والنهروان وذلك في سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، بقيت هذه مدة طويلة من الزمن[٥] ، يُعاني من أثرها الفلاحون مع غياب واضح للدولة في معالجتها، خاصة مع تزامنها مع الأوضاع المالية المتردية التي تُعاني منها الدولة.

وهكذا فالأحداث السياسية كانت سبباً مباشراً في إحداث العديد من البثوق والتجاوزات على القناطر والقنوات، وهي نفسها كانت السبب في الإتجاه لإصلاحها حتى من قبل أعداء الدولة

---

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص ٥١٧.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ص ١٧٩.
(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٢٥١.
(٤) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ١٥١.
(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٠٥– ١٠٦.

أنفسهم، فقد أمر يعقوب بن الليث الصفار سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) بإصلاح بعض البثوق التي أحدثها قادة الدولة لمنع تقدمه باتجاه بغداد وسامراء سعياً منه لتسهيل حركة جنوده[١]، ولنفس الهدف قام أحد قادة صاحب الزنج في سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م)، بتوجيه كتاب إليه يُخبره فيه عن رغبته حفر أحد الأنهار في البصرة، معللاً سبب طلبه هذا قائلاً: "متى أنفذه تهيأ له أي – صاحب الزنج– حمل ما في جنبلاء[٢] وسواد الكوفة"[٣]، وهنا نلاحظ أن الجدوى من تلك المشاريع حتى وإن قام بها خارجين على الدولة، جاءت خدمة للجند لا غير.

كذلك فإن قيام قادة الدولة بإصلاح البثوق وإقامة القناطر، كان ضمن حاجة الدولة العسكرية أيضاً، فقد قام أبو أحمد الموفق (ت ٢٧٨هـ/ ٨٩١م) قائد قوات الدولة الموجهة ضد صاحب الزنج، بسد البثوق وفتح العديد من السكور التي أحدثها صاحب الزنج في سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) على طول نهر دجلة في مدينة البصرة[٤]، ويأتي هذا الإهتمام خدمة للمصالح العسكرية وتمهيداً للطرق أمام تقدم جيوش الدولة.

لقد جاء سد البثوق ومحاولة إصلاحها من كلا الطرفين، الدولة وأعداءها سريعاً، نظراً للحاجة العسكرية الملحة والطارئة، دون الإلتفات إلى أهميتها من الناحية الإقتصادية، بخاصة على الزراعة التي من المفترض أن تكون هي الهدف من هكذا مشاريع، أو من أعمال صيانة، مع هذا يبقى توجه الدولة في هذا المضمار محدداً وغير شامل لجميع البثوق والأعطال التي أعقبت هذه الصراعات.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥١٧.

(٢) جنبلاء: كورة أوبليد بين واسط والكوفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ١٩٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٤٢؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٥، ص ٧٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٧٦.

**عاشراً : الكوارث والآفات الزراعية.**

تأثرت الحياة الزراعية في العراق بمجموعة من الكوارث الطبيعية والمخاطر البشرية، تركت نتائج مباشرة على مستوى الإنتاج، وزادت من حدة الأزمة المالية التي تعيشها الدولة ، وقد رصدت الدراسة عدداً من هذه الكوارث والمخاطر ومدى أثرها على الزراعة.

فقد شكلت الحرائق خطراً مباشراً يهدد الحياة الزراعية في العراق، ويبدو أن الإضطرابات السياسية في الدولة كانت وراء نشوب تلك الحرائق، فقد عمد مثلاً صاحب الزنج في سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) إلى إحراق عدد من القرى بما تحتويه من أشجار النخيل[١]، وقد تكررت سياسته هذه في سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) بإحداث حريق واسع في البصرة، وصفه الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) بقوله: "والنار في كل ذلك تأخذ في كل شيء مرّت به من إنسان، وبهيمة، وأثاث ومتاع"[٢]، مما يوحي بحرق جانب من الثروة الحيوانية ، والقائمين عليها في مدينة البصرة، وعلى ما يبدو فإن الخسائر المادية الناتجة عن الحرائق، ترتبط ارتباطاً مباشراً بحجم الحرائق واتساعها، وإن لم تشر المصادر لذلك مباشرة.

ففي سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) وقع حريق[٣] بنهر طابق[١] ، احترقت معه ألف دار[٢]، ويظهر من حجم الخسائر أن الحريق كان واسعاً فأضر بهذا العدد من الدور، كما لا يستبعد حدوث أضرار أخرى بالثروة الحيوانية والنباتية ومخازن الغلال.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص ٤٨٦.

(٣) أشير الى حدوث حريق في مكانين، أنظر: ابن كثير الدمشقي، اسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البداية والنهاية، جزء، تحقيق محمد بيومي وعبدالله المنشاوي ومحمد رضوان، مكتبة الإيمان، القاهرة، د، ت، ج١١، ص١٦٢. وسيشار له لآحقاً: ابن كثير، البداية والنهاية.

وأدى حريق حصل في سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) في واسط ، إلى حرق الكثيـر مـن غلاّتهـا اضافة إلى سرقة بعضها[٣]، مما يؤثر سلباً على الفلاحين وقدرتهم المالية المهمة في إعادة زراعة الضياع .

أن إفتعال الحرائق ، كان تكتيكاً عسكرياً لجأ إليه بعض الخارجين على الدولة، لكنـه خلـف أضراراً بالثروة النباتية والحيوانية، مقرونة بتأزم الأوضاع المالية للفلاحين وتعطيل قدرتهم علـى الإنتاج تالياً .

ويعد الجراد من بين أشد الكوارث إضراراً بالحياة الزراعية في تلك الفترة، وقد عبرت بعض المصادر عن ذلك بالعديد من الأقوال تربط بين حالة القحـط والجـدب وقـدوم الجـراد، يقـول الأصفهاني (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): "إذا أجدب الناس أتى الهاوي والعـاوي، الهـاوي الجـراد ، والعاوي الذئب"[٤]، وهذا يعكس مستوى الفكر الإقتصادي في تلك المرحلة، والذي يربط بين ظهور كارثة زراعية وأخرى ، تساهم في إعاقة النشاط الزراعي، كذلك اهتمام مؤلفين معاصرين في تلك الفترة (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) بالتأليف في موضوع الجراد[٥].

---

(١) نهر الطابق: محلة ببغداد من الجانب الغربي نسبة إلى نهر الطابق وقيل هو نفسه نهر بابك بن بهرام وهو نهر قديم، تكرر الحريق فيها سنة (٤٤٨هـ-١٠٥٦م) حتى خربت كلها. ياقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، مـادة (طابق)، مج٤، ص٤. مادة (نهر طابق)، مج٥، ص٣٧١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص١٦٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٢، ص٤٦٣.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، مج٦، ص٧٦.

(٤) الأصفهاني، أبو علي المرزوقي( ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) ، الأزمنة والأمكنة، ٢ جزء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت ،ج٢، ص ٣٧.وسيشار له لاحقاً: الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة.

(٥) مثل أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) صاحب كتاب (الجراد) للمزيد أنظر: النديم، الفهرست، مج١، ص ٩٦-٩٧. العطية، خليل إبراهيم، مؤلفات أبي حاتم السجستاني، مجلة الكتاب، عدد٤، سنة٩، ١٩٧٥م، ص ٤٩. وسيشار له لاحقاً: العطية ، مؤلفات السجستاني.

وقد عانى العراق من الجراد وأثاره الزراعية سنين عديدة[١]، فقد عانى أهالي بغـداد أيـام وزارة محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٧م) من الجراد[٢]، وفـي سـنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، قُتل الكثيرون في البصرة ممن خرجوا للقضاء عليه وجمعه[٣]، وفـي سـنة (٢٩٩هـ/ ٩١١م)، كثرت أعداد الجراد في العراق حتى بيعت الثمانية أرطال منه بدانق[٤]، مما يعكس حالـة القحط والعوز التي رافقته من جهة، وقدرة الفلاحين من الإستفادة من بعض الكوارث، مثل استخدام الجراد كغذاء عند الحاجة من جهة أخرى.

وتكرر ظهور الجراد في سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م) ، حيث ظهر بشكل كبير أدى إلى فساد الكثير من الغلاّت في الضياع[٥]، وواجهت بغداد الجراد مرة أخـرى وتحديـداً فـي سـنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)[٦]، الأمر الذي زاد الأوضاع الإقتصادية في العراق صعوبة، إلى جانب الظروف السياسية المضطربة التي تعيشها الدولة.

وفي سنة( ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) شهدت العراق انتشاراً للجراد، بحيث بيعت المائة رطـل منـه بدرهمين وثلاثة دراهم[٧]، وهو أسلوب بدا مألوفاً عند الأهالي، وقاموا في سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢م)

---

(١) استمرت كارثة الجراد في العراق حتى سنوات لاحقة . أنظر: الزيدي، وليد كاصد ، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين بين القرنين (١٧-٢٠) الميلاديين ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠٠٧م، ص٩٠.وسيشـار له لاحقاً : الزيدي ، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين.

(٢) لم تحدد المصادر السنة بدقة بل جعلتها أيام وزارته أنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٦٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٤٧٥.

(٤) الرطل يساوي (٤٠٧,٤٩ غرام) ، والدانق كلمة فارسية تعني سـدس درهـم . مؤلـف مجهـول، العيـون والحدائق، ق١، ص١٦١؛ هنتس ، المكاييل والأوزان، ص٣٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ٤٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٨.

(٧) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١ق٢ ص٣٨١.

عندما زاد عندهم الجراد، خاصة النوع المعروف باسم (الأعرابي الأسود)، بيع كل خمسين رطلاً بدرهم، معونة للفقراء، بسبب شدة الغلاء التي طالت سلع أساسية مثل الخبز[١].

يلاحظ مما سبق، أن العراق عانى ولسنين عديدة، زحف الجراد الذي أضر بالزراعة عامة، ولكن نجح الأهالي في تسخير تلك الكارثة لمعاشهم، من خلال بيعه معونة للفقراء وقت العوز والحاجة.

وعانت العراق من القحط، الذي غدا ظاهرة في تلك الفترة، حيث يقول ابن وحشية (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م): "فإنه نزل بإقليم بابل من القحط والضيق والشر، مالم ينزل بأحد مثله"[٢] ، ففي سنة ( ٢٤٨هـ/٨٦٢م) أرسل الخليفة المستعين إلى والي مصر يأمر بالإستسقاء بسبب القحط الذي عم الأقاليم بما فيها العراق[٣]، وفي سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) أصاب الناس القحط حتى أن المياه غارت في الأنهار والآبار، مما دفع الناس للإستسقاء مرات عديدة[٤]، وفي ذلك دلالة على حدة القحط واستمراره مدة طويلة من السنة، تطلبت منهم الإستسقاء أكثر من مرة.

وتكرر القحط في سنة (٣٠٧هـ/ ٩١٩م)[٥]، وفي سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) وكان شديداً، حتى اضطر الناس للهرب من بعض مناطقهم وضياعهم إلى مناطق أخرى، وقد مات بعضهم في الطرقات عند هربهم[٦]، وهذا دلالة على شدة القحط وبلوغه درجة عالية من الضرر.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٢١٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٠.

(٢) وقد ارتبطت صفة القحط بالعديد من أمثال وألفاظ العامة في العراق أنظر: ابن وحشية، أحمد بن علي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، الفلاحة النبطية ،٢ جزء ، تحقيق فهد توفيق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٥م ، ج٢، ص ١٠٠٢- ١٠٠٣. وسيشار له لاحقاً : ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ؛ الأزدي، الماء، ج٣، ص١٨٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٧٦.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٠١.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٢١.

(٦) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص ٢٣٥.

وألمحت المصادر إلى وقوع حالات أخرى من القحط في بعض مناطق العراق، دون تحديد سنة وقوعها، إلا أن بعض القرائن المتعلقة بحالات القحط، تُفيد وقوعه خلال فترة الدراسة، فقد ورد على لسان أبو بكر محمد بن داوود بن سليمان النيسابوري (ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) وهو أحد من قدم إلى العراق خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، قوله: "كنت بالبصرة أيام القحط"[١]، وعلى الرغم من عدم تحديد سنة هذا القحط، إلا أنها ربما كانت خلال فترة سابقة على وفاته بكثير، وما يعنينا هنا هو بأن عدم تحديد المصادر لسنوات القحط، لا يعني بالضرورة عدم وقوعه، فالقحط يبدو كارثة طبيعية استمرت طوال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، فقد ذكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) عند حديثه عن وفاة أبو بكر الصيدلاني محمد بن عثمان بن ثابت وكانت في سنة (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)، أن نهر عيسى ببغداد كان جافاً[٢]، مما يصور لنا حجم القحط والجفاف الذي لحق بالعراق آنذاك، بسبب سوء الأوضاع السياسية في الدولة العباسية، وما نتج عنه من إهمال للري ونظمه.

واستطاع الأهالي في العراق التعايش مع تلك الكارثة الطبيعية، بإتباع بعض الأنماط المعاشية الملائمة للواقع، فعلى صعيد الغذاء مثلاً، قاموا بتحميص العنب -عندما يكون زبيباً - ثم طحنه فأكله[٣]، كذلك كانوا يعمدون إلى جمع ثمرة تسمى (فَثّ) تخرج أيام الربيع، لها حب أسود، يجمع زمن الحصاد، ثم يُطحن، ويسميه أهل العراق (الحبّة)[٤]، وهناك نبات آخر اسمه (هُرطمان) وهو

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ٤٢١.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٣، ص ٢٦٠.
(٣) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص ٦٤٦.
(٤) أبو الخير الأشبيلي، عمدة الطبيب، ج٢، ص ٦٢٥.

نبات متوسط الحبة بين الحنطة والشعير، لا يؤكل إلا أيام المجاعات، بسبب كراهة رائحته[١]، وهذا يعني أنه وبالرغم من شدة القحط في العراق، إلا أن الأهالي نجحوا في استحداث مواد غذائية، مما يتوفر في الطبيعة من أنواع حبوب يتم جمعها وطحنها، ثم تستعمل كغذاء في حـالات الطـوارئ وأشدها القحط والمجاعة.

أما الأمراض والأوبئة فإنها تؤدي أيضاً إلى الحد من النشاط الإقتصادي، وقد تفاقمت آثارها مع الإضطرابات السياسية للدولة ، ففي سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م) كثر الوباء في البصـرة لحصـار صاحب الزنج لها[٢]، كما ساهم الحصار الإقتصادي ومنع وصول الميرة إليها في زيادة حجم آثاره عليها.

وعم الوباء مدن بغداد وسامراء وواسط في سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، وحصد الكثير من سكان تلك المدن[٣]، وقد سُمي هذا الوباء باسم (القُفّاع) [٤]، وقيل أن عدد الوفيات اليومية تراوحـت بـين خمسمائة وستمائة شخص من أهل المدن[٥]، مما يعكس بالتالي حجم الوباء وأثره الذي امتد ليشـمل البادية أيضاً كما حدث في سنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) حيث وصف الوباء في حينها بالعظيم، لدرجـة بلغت أن أصبح الناس يموتون في الطرقات، وأخذت الذئاب والكلاب تؤذي الناس والبهائم[٦]، فحجم الضرر كما يظهر طال الفلاحين وثروتهم الحيوانية .

---

(١) البيروني، الصيدنة، ص ٣٧٦.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٨٤.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٧.
(٤) القُفاع: هو داء تتشنج منه الأصابع. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٠١؛ ابـن منظـور، لسـان العرب، مادة (قفع).
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ١٠٩.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ١٤٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٤٣٣.

من ناحيتهم حاول الأهالي دفع آثار الأوبئة من خلال العديد من الإجراءات، منهـا أغـلاق دورهم على أنفسهم وأسرهم، كما حدث في سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م) خوفاً مـن انتشـار العـدوى بينهم(١)، وهو إجراء احترازي كان هو السبيل الوحيد المتاح للأهالي.

أما عن أسباب انتشار بعض الأمراض والأوبئة التي تشهدها العراق، فتأتي الظروف المناخية في المقدمة، ففي سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) وبعد شتوة وصفت بالدفيئة، لم يتخللها انجماد، كان هناك انتشار للأمراض ابتدأ بشهر شباط من تلك السنة، حتى كثر الموت بين الناس وانتشر بينهم (ذرب) (٢)، ويظهر أن عملية الانجماد والبرد، كان لها دور في القضاء علـى الجـراثيم المسـببة لهـذه الأمراض، مما دفع المؤرخين(٣) وإدراكاً لهذه القيمة القول بأنه شتاء دافئ.

وقد تأثرت الثروة الحيوانية وتحديداً الأبقار بهذه الأوبئة التي أخذت تنتشر في أوائل القـرن الرابع الهجري، أوائل القرن العاشر الميلادي، ففي سنة (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م)، وقع الوباء في البقـر وظهر في الناس ما يشبه البثور والجرب(٤)، تبعها في سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، وباء حاد وأمراض أصابت الماشية(٥)، ويبدو أن العدوى كانت تنتقل منها إلى الأهالي الذين كان الموت شـائعاً بيـنهم وهم في معظمهم من الفلاحين، مما يقود في النهاية إلى نقص مقدار ضريبتي الخـراج والجزيـة المجبية منهم.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ١٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٤٣٩، ٤٤١.
(٢) ذرب: هو فساد الطعام في المعدة ، وهو أيضاً المرض الذي لا يبرأ. الأزدي، المـاء، ج٢، ص ١٠٨؛ ابـن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١١٥.
(٣) هناك على ما يبدو خلفية ومعرفة طبية لدى بعض المؤرخين مكنتهم من رصد مثل هذه الظـاهرة (الأمـراض والأوبئة) مثل الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) الذي يصفه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) بقوله: "ونظر في الطب وأخذ منه قسطاً"، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٦، ص ٥٢٨.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٧٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٠٤.

إن الأوضاع الإقتصادية الصعبة وما ينتج عنها من غلاء للأسعار، قد ساهم في انتشار الأوبئة والأمراض كما حدث سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)[١] عندما رافق غلاء الأسعار، انتشاراً للأوبئة.

ومن ناحية أخرى، فقد تناولت كتب الفلاحة الحديث عن أسباب بعض الأمراض أو الأوبئة التي تُصيب المزروعات، فقد أشار ابن وحشية (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) إلى أن سبب (اليرقان) [٢] هو فساد يحدث في الهواء، مما يسبب تلف الكروم والنخيل والتين والحنطة[٣]، وعلى الرغم أن هذه التفسيرات ليست دقيقة، إلا أنها تعكس مدى اهتمام كتب الفلاحة بمعرفة أسباب الأمراض التي تُصيب الثروة النباتية، في محاولة للقضاء عليها .

ومن الكوارث التي عانت منها الزراعة، الرياح، بفعل قيامها باقتلاع الكثير من الأشجار، إضافة إلى إثارة الهلع والفزع بين الناس[٤]، مما يمنعهم أحياناً من القيام بأعمالهم، وأنشطتهم الإقتصادية خاصة الزراعة، ففي سنة (٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) هبت ريح عاصفة في العراق، لم يعهد الناس مثلها، فأدت إلى خراب وتلف العديد من الزروع في مدن الكوفة والبصرة، وقد استمرت حوالي خمسين يوماً امتد تأثيرها ليشمل العديد من المناطق[٥]، وأحياناً تساهم هذه الرياح كما حدث في سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م) في انتشار الحرائق التي قام بها صاحب الزنج في قرى الأبلة، ليتسع

---

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص ٢٢٣.

(٢) اليرقان: هو دود يكون في الزرع ثم ينسلخ عنه فيكون فراشاً ومن ذلك يُقال زرع ميروقٌ أي به يرقان. الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ه/ ١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، ٤ أجزاء، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٥م، ج٤، ص ٢٣٦-٢٣٧. وسيشار له لاحقاً: الدميري ، حياة الحيوان الكبرى.

(٣) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ١٠٥٣.

(٤) عن طبيعة أثرها أنظر: البلخي، البدء والتاريخ، ج٢، ص ٣٠١؛ تاريخ العلوم عند العرب، ص٢٦٨.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٧.

الحريق ويشمل مناطق وقرى عديدة[١]، وهذا يفسر شدة هذه الظاهرة إذا ما اقترنت بظواهر أخرى خطيرة.

وتكرر حدوث الرياح في سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، حيث تسببت في اقتلاع حوالي ستمائة نخلة عند بعض أنهار البصرة[٢]، ويبدو من تركيز المصادر على ذكر أعداد النخيل المتضررة وبدقة واضحة ، أن هناك توجه من الدولة بإحصاء الخسائر الإقتصادية التي تتركها الكوارث مثل الرياح، خاصة أن مدينة البصرة تعرضت مراراً لخطر الرياح، كما حصل في سنة (٢٨٩هـ/ ٩٠١م) حين تعرضت لريح عظيمة قلعت عامة نخلها[٣]، وفي سنوات أخرى لاحقة، كانت هناك رياح قوية كما هو الحال في سنة (٣١٨هـ/ ٩٣٠م) حملت معها الرمال وامتلأت بها شوارع بغداد وسطوحها[٤]، دون إشارة المصادر إلى الأضرار المباشرة التي تعرضت لها الحياة الزراعية، إلا أن فرضية تأثيرها على قنوات الري المكشوفة، وصعوبة تمكن الفلاحين في القيام بأعمالهم في مثل هذه الظروف احتمالات مقبولة.

وتشكل الأمطار مقياساً مناسباً لفهم البيئة الزراعية للأقاليم، فالإشارات الواردة في المصادر والتي تُفيد زيادة الأمطار أو قلتها، وما يرافقها من نتائج مثل وقوع السيول والفيضانات يُفهم منها الكثير عن الواقع الزراعي، وقد بدا أن ملامح هذا الأمر تظهر لدى مطالعة بعض مُسميات الأشهر عند أهل العراق، والتي كانت عند غيرهم أيضاً، فقد رأى البصريون والكوفيون تحديداً أن شهر جمادى سُمي بذلك لجمود الماء فيه[٥]، على أن جمود الماء في العراق قد يحدث أحياناً بسبب برودة الأجواء دون الأمطار، وهذا ما حدث في سنة(٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) عندما اشتد البرد جمدت مياه

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٧٢.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٠٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٨٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٤١.
(٤) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٧، ص٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٢٥٧.
(٥) الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، ج١، ص ٢٧٧.

الأنهار في العراق[١]، ولما كانت الأنهار مصدر ارواء أساسي للزرع، فإن تثبيت جميع الملاحظات المتعلقة بها أمراً لم يفت المصادر، ففي سنة (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) تحدثت المصادر عن تغير في لون ماء نهر دجلة، حيث مال إلى الصُفرة ولمدة ثلاث أيام[٢]، فأصاب الناس الفزع[٣] أما عن أسباب هذا التغير، فقد تكون وراءها العواصف الترابية التي تشهدها العراق، وهذا ما يفهم من قول بعض المؤرخين "هبت ريح صفراء ثم صارت سوداء"[٤]، لذلك جاءت الإشارة إلى الأمطار مرتبطة بشكل كبير بما يصيب الأنهار في العراق من تغيرات كما هي مرتبطة بالرياح أيضاً، مما يوفر لنا ملاحظات هامة عن أثر تلك الكوارث مجتمعة على الزراعة.

إن هطول الأمطار يأتي أحياناً مرافقاً للثلج (البَرَدْ) الذي تبالغ المصادر أحياناً في تقدير حجمه، كما هو الحال في سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) بقولهم "سقوط برد في العراق كبيض الدجاج"[٥]، والذي دفعهم الى تقدير حجمة بهذه الصورة هو مقتل الكثير من المواشي.

أما عن مدة هطول الأمطار، فقد تمتد أحياناً لأكثر من عشرين يوماً في بغداد، كما حدث في سنة(٢٤٦هـ/٨٦٠م)[٦]، حتى أن الأعشاب نبتت فوق الأجاجير[٧] من شدة الهطول وعمومه على مختلف المناطق، أما في سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م) فقد هطل المطر على أهل سامراء حتى وقت غروب الشمس، مما يدل على قصر مدة الهطول قياساً بما سبق، ويقترن بهدة السنة تحديداً قول

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٤٠١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٣١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٨٢، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٠١.

(٤) أنظر مثلاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٣٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣٦٢.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٦٢.

(٧) الأجاجير: مفردها (الإجَّار) وهو السطح بلغة الشام والحجاز وقيل هو السطح الذي ليس حوله ما يرد الساقط عنه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أجر).

ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): "مطراً جوداً سائلاً"[١]، قاصداً بذلك أن الثلوج لم ترافق الأمطار لسنة ( ٢٤٩ه/ ٨٦٣م) بخلاف غيرها من السنوات، ويرافق هطول الأمطار برودة عالية تتسبب بهلاك الأشجار بالأخص الثمار أو الحنطة والشعير مثل سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)[٢]، وذلك بسبب سرعة تأثر هذه المنتجات بالبرودة، وحاجتها إلى أجواء أكثر دفء، بينما رافق البرودة الواقعة في سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) والتي استمرت لعدة أيام، أمطار وصفت بالشديدة[٣]، وقد تكون تلك الأمطار سبباً في تخفيف شدة البرودة وأثرها على الزراعة، لعدم إشارة المصادر إلى ضرر لها على المزروعات.

وقادت رغبة الأفراد وحاجتهم إلى المطر، نظراً لأهميته الكبيرة في الحياة الإقتصادية بشكل عام، إلى اللجوء للمنجمين للتنبوء ، وقد استغل المنجمون تلك الرغبة لدى أهالي العراق بمعرفة طبيعة المناخ لسنوات قادمة، بتنبؤات يغلب دائماً عليها عدم المصداقية، بل جاءت الأوضاع المناخية عكسية تماماً لما ذكروا، ففي سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) تنبأ المنجمون بغرق أكثر مناطق العراق، فكانت السنة قحط شديد لم تأت فيه الأمطار إلا قليلاً، حتى أن مياه الأنهار والعيون غارت[٤]، بينما تبعتها سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) بأمطار غزيرة في نواحي الكوفة رافقها رياح نتج عنها تهدم وخراب عدد من الأبنية حول نهر دجلة[٥]، وقد تشكل عملية هبوب الرياح خلال مواسم

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٢.

(٢) لم يشر الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) إلى ذلك، ولكنه أشار إلى غلاء سعر الشعير وقد يكون ذلك سبباً مباشراً لما حدث من ظروف مناخية. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥١٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٦٨٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٧١.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص ٦٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٠٥.

الأمطار إلى سرعة انهيار السدود والموانع الترابية المنشأة على ضفاف الأنهار[١]، وهــذا يقــود بالتالي إلى تدمير الضياع المجاورة للأنهار.

ويسعى المؤرخون إلى تسجيل أثر الأمطار على منازل الأهالي، ومدى التدمير الذي لحقهــا كما حدث في سنة (٢٨٤هــ/٩٠٦م)[٢]، مع العلم أن الأمطار القادرة على تخريب المنازل قد تطال مزارع وضياع الفلاحين وتلحق بها الضرر والخراب.

ومع نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبسبب اشتداد أثر الظواهر المناخية على العراق، اتجه المؤرخون إلى استخدام مقاييس حسابية (وصفية) عند حديثهم عن الثلوج التي تسقط على مختلف مدن العراق، مع الأخذ بعين الإعتبار وجود بعض المبالغات في تقديراتهم، إلا أنها مع ذلك تبدو أكثر علمية مما سبقها من أوصاف[٣]، ففي سنة (٢٩٦هــ/٩٠٨م) قُدرت الثلــوج التــي سقطت في دروب بغداد وعلى سطوحها، بحوالي أربعة أصابع ( الإصبع يساوي: حوالي ٢سم) وقد كانت مدة سقوطه منذ الصباح حتى صلاة العصر، وقد تسبب في تلف الكثيــر مــن الأشــجار[٤]، وأحياناً قد يرافق سقوط الثلوج أمطاراً غزيرة ورياحاً كما حدث في سنة (٢٩٩هــ/٩١١م)، ممــا أدى إلى الإضرار بالطرق والجسور[٥]، بما فيها بالطبع تلك التي يعتمد عليها الفلاحون، إضافة إلى خراب لحق بضياعهم.

أما المبالغة التي ظهرت في تقديرات بعض المؤرخين، فجاءت في إشاراتهم إلى حجم البَرَدْ،

(١) سوسة، ري العراق، ج١، ص ٥٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٨٤.

(٣) مثل قولهم حجم حبة البرد (كبيض دجاجة) أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣٦٢، (بــيض الحمام) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٤٨٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ١٤١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٩٦، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٦٦١.

على الرغم من محاولتهم استخدام تقديرات أكثر علمية كالأوزان مثلاً، ومن ذلك ما ذكره المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) بقوله: "وقع بالكوفة بَرَدٌ عظيم الواحدة رطل بالبغدادي (٤٠٧غرام)" [١]، وعلى الرغم من وضوح المبالغة، إلا أن مدلول تلك الإشارة يفيد بشدة الهطول الذي شهدته مدينة الكوفة، إضافة إلى ضخامة نتائجه.

كذلك كان من نتائج هطول الثلوج على بغداد في سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٦م) ما يمكن وصفه بالكارثية حتى أنها أتلفت أكثر النخيل فيها، إضافة إلى تلف بعض الأشجار مثل التين والأترج، كما قادت إلى انجماد الأشربة مثل (الماورد والخل)، كما أدى إلى تجمد مياه نهر دجلة والفرات في بعض الأماكن[٢]، ولكن من أشد حالات الانجماد هو ما حدث في سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م)، حيث أفرد بعض المؤرخين تعليقاً على هذا الأمر بقولهم: "ولم يجمد الماء في شتوة مثل هذه السنة"[٣]، وعلى الرغم من محاولة أهل العراق الإستفادة من نزول الثلج، بأن جمعه الثلاجون فكبسوه، إلا أن تأثيره على المزروعات كان كبيراً، فأدى إلى حرق وهلاك الكثير منها.

إن التباين والاختلاف في أحوال المناخ، سمة واضحة في العراق، دلّ على ذلك رصد المؤرخين لحالات تبدو غير معهودة، فقد شهدت بعض أيام شهر تموز في سنة (٣٠٨هـ/ ٩٢٠م)، حالات من البرد القارص اضطر بسببها الناس إلى النوم داخل بيوتهم بدل سطوحها[٤]، كما جرت العادة في مثل هذه الأيام من السنة، وقد استطاع أهالي العراق التعايش مع مختلف تقلبات المناخ، بما فيها حالات انتشار بعض الحشرات الضارة المصاحبة لمثل هذه الأجواء في المدن والقرى، فقد

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٢٧٤.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٧١-٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٤٢.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٢٣.
(٤) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٢٢.

أدى مثلاً ظهور (البق) [١]، الى قيام الأهالي باتخاذ (الكلل)، وهي ثياب تُعمل من الكتان تُشبة الخيام، مشبوكة على الأرض، لحمايتهم من هذة الحشرة الضاره[٢]، وفي ذلك إشارة إلى المستوى الذي وصل اليه أهل العراق في القدرة على التعامل مع تقلبات المناخ، وما ينتج عنه من آثار جانبية قد تعيق النشاط الإقتصادي.

وفرت ظاهرة المد والجزر لأهل البصرة نعمة إضافية في حياتهم الإقتصادية، فهي تساعد على حمل السفن إلى القرى عبر شبكة الأنهار العديدة في المدينة، كما استغلوا تلك الظاهرة أيضاً في إقامة الأرحية (جمع رحى) على أفواه الأنهار، ليديرها الماء أثناء حركته[٣]، بالمقابل فإن إستمرار نقل نهري دجلة والفرات في مواسم الفيضانات لكميات كبيرة من الطمي، من المناطق الشمالية الى الجنوبية، يجعل القدرة الإستعابية لمجاري وقنوات المياة في الجنوب ضعيفة، وعرضة للبثوق أيام الفيضان[٤]، لتعكس تلك الظاهرة مدى قيمة وجدوى بعضها، وضرر بعضها الآخر.

تعرضت العراق خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي لأمطار غزيرة في بعض السنوات، نتج عنها أضرار كثيرة، ففي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) أصاب بغداد فيضان كبير سُمي (الغرق الأول) [٥]، وقد جاءت تلك التسمية بسبب عظم نتائجه ودرجة الخراب الذي تركه، وتسببت

---

(١) البق: نوع البراغيث، وقيل بل هو البعوض؛ خاصة الكبير منه، له تأثير على الأهالي بالعراق استطاعوا الحد والتقليل من ضررة من خلال لبسهم قُمص من الحرير الصيني طويلة الأردان والأبدان والتي ينامون بها. الجاحظ، الحيوان، مج٣، ص٢٠٠؛ الأزدي، الماء، ج١، ص١٤٢.

(٢) سربا قرية قرب البصرة على طريق واسط في وسط القصب النبطي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سربا)، مج٣، ص٢٤٦ .

(٣) للمزيد عن ذلك أنظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣١؛ ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، مج٢، ص ١٦٩.

(٤) خلف، حسن علي، الأهواز دراسة تاريخية ديموغرافية طبوبوغرافية، د.ن، د.م، ٢٠٠٣م، ص ٢١-٢٢. وسيشار له لاحقاً: خلف، الأهوار.

(٥) زادت فيها مياه دجلة قدر خمسة عشر ذراعاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (التاج)، مج٢، ص٥؛ ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٨٧.

الأمطار الشديدة في سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) إلى إحداث الفيضانات التي أدت إلى تدمير الكثير من دور بغداد[١]، وتكرر الأمر في سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) حيث غرقت فيها الدور وتقطعت الجسور والقناطر[٢].

ويظهر أن معدل الفيضانات قد زاد في العراق في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث اضطر أهالي بعض المدن التي شهدت فيضانات كبيرة إلى الهروب عن مدنهم، بسبب حجم الدمار الهائل الذي أصابهم، ففي حدود نيف وثلاثين وثلاثمائة هرب أهالي الكوفة باتجاه الموصل[٣]، وقد حاول الفلاحون اللجوء إلى بعض الطرق لوقاية ضياعهم من الفيضانات، بشق بعض القنوات لصرف المياه الزائدة ؛ وهي من الأساليب التي بقيت مستخدمة حتى فترات متأخرة من تاريخ العراق[٤]، وعلى الرغم من هذه الجهود، فإنها تبقى محدودة وغير قادرة على استيعاب المياه الزائدة التي جرفتها الأنهار باتجاه الضياع والأراضي الزراعية.

من جهتها حاولت الدولة التقليل من أثر الفيضانات من خلال زيادة عمل السدود التي تعمل على رد المياه وصدها عن زيادة معدلات الأنهار[٥]، ولكن العمل الأكثر جدوى هو محاولة الدولة الحصول على إنذار مبكر لحدوث الفيضان، بوضع (المقياس) [٦] على نهري دجلة والفرات، وهو من أهم جهود الدولة الرامية للحد من آثار الفيضانات.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٧٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص٧.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٣٠٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، مج١، ص ٩٦.

(٤) أكد ذلك بعض مشاهدات الرحالة اللاحقة أنظر: الزيدي، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين ص ٥٦.

(٥) عن هذه الجهود أنظر: العلي، صالح أحمد، نهر عيسى في العهود العباسية، مجلة سومر، مج٣٧، عدد ١-٢، ١٩٨١م، ص ١٧٨. وسيشار له لاحقاً: صالح، نهر عيسى.

(٦) المقياس: بناء عمل لقياس معدل ارتفاع مياه الأنهار طوله (٢٥ ذراع ) على كل ذراع علامة مدورة وعلى كل خمسة أذرع علامة مربعة، ويتكون كل ذراع من ثمانية وعشرين إصبعاً إلى أن ينتهي إلى اثني عشر ذراعاً وبعد ذلك يصير باعتباره أربعة وعشرين إصبعاً. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص ٥٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٧٠.

وعرفت بعض الأقاليم الإسلامية (المقياس) في فترة مبكرة، فقد عرفتـه مصـر فـي سـنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) أثناء ولاية يزيد بن عبد الله التركي (ولايتـه ٢٤٢هـ-٢٥٢هـ/ ٨٥٦م – ٨٦٦م) عليها في خلافة المتوكل[١]، الذي استخدم أبرز المهندسين القائمين على إدارة (المقياس) في بناء مشاريعه الإروائية العديدة في العراق[٢]، مع ملاحظة أن أبرز القائمين على إدارته في مصر، هم من المدن العراقية، مثل عبد الله بن عبد السلام بن الرداد البصري (ت ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) ومن بعده أولاده حتى فترة متأخرة[٣]، ومع كل تلك الخبرات والإمكانيات التي توفرت في العراق، إلا أن إنشاء مقياس فيها جاء متأخراً عن إنشائه في مصر، وهذا ما دلت عليه المصادر التي بدأت ترصد قراءات هذا المقياس في العراق بدءً من سنة (٢٨٩هـ/ ٩٠١م) وما بعدها.

وفيما يلي جدول يوضح القراءات أو الزيادات في نهري دجلة والفرات، إضافة إلى بعـض الملاحظات المتعلقة بحجم تأثيره على النشاط الإقتصادي، إن وجد.

| السنة | زيادة الفرات | زيادة دجلة | أثر هذه الزيادة/ ملاحظات أخرى |
|---|---|---|---|
| ٢٨٩هـ/ ٩٠١م | – | ١٥ ذراع | أقدم القراءات للمقياس [٤] |
| ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م | – | ٢١ ذراع | خربت بسببها بغداد[٥] |

(١) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م)، المواعظ والإعتبار بـذكر الخطـط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤ أجزاء، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيـروت، ١٩٩٨م، ج١، ص ١٠٩. وسيشار له لاحقاً: المقريزي، الخطط المقريزية.

(٢) أنظر مثلاً: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ٢٦١.

(٣) ابن يونس الصدفي، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد (ت ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، تاريخ الغرباء، ٢ مجلد، تحقيق عبد الفتاح فتحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، مج٢، ص ١١٢. وسيشار له لاحقاً: ابن يونس، تاريخ.

(٤) تدل هذه الإشارة على أن المقياس وضع قبل سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) التي أشير أنها سنة نصب المقياس علـى دجلة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٨٧. عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد ، ص ١٢٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٦١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٦، سوسة، حضارة وادي الرافدين، ج٢، ص ٢٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (جزء ٢٩١-٣٠٠هـ)، ص١٠؛ سوسه، أحمد ، فيضانات بغـداد فـي التاريخ، ٣ أجزاء، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٦٣م، ج١، ص٢٦٨. وسيشار له لاحقاً: سوسه، فيضانات بغداد.

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣١٥هـ/ ٩٢٧م | – | ١٢,٥ ذراع[١] | – |
| ٣١٦هـ/٩٢٧م | ١٢,٥ ذراع | – | قطعت بسببها جسور بغداد وغرق عدد من العاملين على إدارتها[٢] |
| ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م | ١١ ذراع | ١٩ ذراع | انبثقت العديد من البثوق، وانقطعت أجزاء من القنطرة الجديدة والعتيقة في بغداد، وغرق الناس والبهائم وبعض الشوارع في بغداد[٣]. |
| ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م | ١١ ذراع | ١٨ ذراع | بثوق في نواحي الأنبار وغرقت القناطر [٤] |
| ٣٣٠هـ/ ٩٤١م | – | ٢٠ ذراع | غرق الخلق[٥] |

مما سبق نلحظ حجم الضرر والخراب المتأتي من زيادة الماء في نهري دجلة والفرات، مع ملاحظة أن حجم زيادة نهر دجلة كانت أكبر من الفرات خلال العديد من السنوات الواردة في الجدول.

ويبدو أن استمرار جريان نهر دجلة في نفس مساره، وبشكل ثابت دون انحراف أو تغيير [٦]، جعل له تأثير بالغ في حجم الأضرار التي يحدثها على المباني والضياع، مما دفع الدولة للتنبه لمخاطره ومحاولة ضبطها بواسطة السدود، دلّ على ذلك ما نستشعر به من الروايات أن بناء مقياس عليه كان سابقاً على إقامة المقياس على نهر الفرات، مع هذا فإن تأثير نهر الفرات كان أيضاً واضحاً

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٨٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٨٦؛ سوسة، حضارة وادي الرافدين، ج٢، ص ٢٢١؛ سوسه، فيضانات بغداد، ج١، ص٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٨٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٧؛ سوسة، حضارة وادي الرافدين، ج٢، ص ٢٢٠-٢٢١؛ سوسه، فيضانات بغداد،ج١، ص٢٨٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٩٩؛ سوسة، ص ٢٢٠-٢٢١؛ سوسه، فيضانات بغداد،ج١، ص٢٨٦.

(٥) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص ٢٢٣؛ سوسه ، فيضانات بغداد، ج١، ص٢٨٦.

(٦) الري عند العرب، ص ١٧.

على الرغم من انخفاض مستوى الزيادة له عن معدلات الزيادة لنهر دجلة، كما هو الحال في سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م)، وقد يكون لذلك علاقة بارتفاع مجراه في بعض المناطق عن نهر دجلة، فمثلاً يرتفع عند الفلوجة بحوالي سبع أمتار عن نهر دجلة[١]، مما يفسر حجم الضرر.

من ناحية أخرى ولأهمية موضوع الزيادة النهرية، ربط بعض الأهالي بين زيادة نهر الفرات وبين بعض الأحداث التي تمر بها الدولة، وخاصة في مواجهتها لبعض الأفراد، وهو ربط ليس له صفة علمية أو منطقية، إلا أنه يعكس مدى اهتمام الأهالي بزيادة الأنهار ، ومحاولتهم فهم سبب الظواهر المرتبطة بها، ففي سنة (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) ربط الأهالي بين إلقاء جثة الحسين بن منصور الحلاج الصوفي (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م) [٢] في نهر دجلة وبين زيادة حدثت فيه[٣]، والملاحظ أن المصادر لم تعط قراءة تُبين زيادة في نهر دجلة في السنة المذكورة.

ووقع في العراق خلال فترة الدراسة عدد من الزلازل تركت أثراً بالغاً على الأهالي، وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر إلى حجم الخسائر الإقتصادية التي تركتها الزلازل، والإكتفاء فقط بالإشارة إلى الأعداد الكبيرة من القتلى، فقد يفهم ضمناً مستوى الدمار الذي لحق بالحياة الاقتصادية والأنشطة المرتبطة بها، مع إدراك صعوبة مواجهة مثل هذه الظواهر المفاجئة، إذا أخذنا بالإعتبار الأوضاع العامة للدولة.

لقد أدت زلزلة سنة (٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، إلى هلاك الكثير من الدواب والبقر في العراق[٤]، وتبعها في سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) وقوع زلزلة هائلة حتى سميت هذه السنة (سنة الزلازل)،

---

(١) سوسة، الدليل الجغرافي، ص ٣١.

(٢) أنظر ترجمته عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٣١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٤٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ١٤٠.

(٣) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج٢، ص ٦٨-٦٩؛ ابن الأثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ١٥١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢٠١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٤٨٦.

ضربت الشام وفارس وخراسان وألحقت بهم أضراراً بالغة[١]، مع هذا لم تأت إشارة مباشرة إلى أثرها في العراق، لكن ذلك لا يمنع حدوث ضرر بالحياة الإقتصادية خاصة في الزراعة، لإعتمادها في العديد من الإحتياجات على الأقاليم الأخرى.

يرافق الزلازل أحياناً بعض الظواهر المناخية التي تزيد من حجم التأثير الناتج عنها، ففي سنة (٢٦٨هـ/ ٨٨١م)، وقعت الزلازل في مدينة بغداد ورافقها المطر لمدة ثلاثة أيام[٢]، وفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) استمرت الزلازل لأيام وليالي عديدة في بغداد[٣]، وعلى الرغم من عدم ذكر آثارها إلا أن بعض المؤرخين أشار لها في أحداث السنة نفسها التي يؤرخ لها مرتين[٤] دليلاً على مستوى حدتها ومدى التأثير الذي أعقبها، وتتحدث المصادر أحياناً عن بعض إجراءات الدولة تجاه تخفيف حدة الزلازل، ففي سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) وعندما عمّت الزلازل الكثير من البلدان، وتعطلت أو تهدمت كثير من المدن والقناطر[٥] في العراق، أمر الخليفة المتوكل بتوزيع ثلاثة آلاف درهم على من أصيبت منازلهم جراء الزلازل[٦].

وقد نتج عن الزلازل التي أصابت العراق الكثير من الضرر، حتى أصبحت حالة الهلع والإضطراب سمة غالبة تظهر عند الأهالي في حال وقوع الزلازل، ويصف المؤرخ ابن

---

(١) أفرد الطبري (ت ٣١٠ه/ ٩٢٢م) العنوان الأول لأحداث هذه السنة بقوله: (ذكر أحداث الزلازل بالبلاد). الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢٠٧؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٨ – ٢٤٩؛ الغنيم، عبد الله يوسف، سجل الزلازل العربي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣م، ص ٨٢–٨٥. وسيشار له لاحقاً: الغنيم، سجل الزلازل.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦٠٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦، ص ٥١؛ الغنيم، سجل الزلازل، ص٩٢ (لم يشر إلى الطبري).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨٩؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦، ص ٢٥٩؛ الغنيم، سجل الزلازل، ص ٩٥–٩٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٣٨، ٤٤١.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣٨٢.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢١٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٥٢٣–٥٢٤؛ الغنيم، سجل الزلازل، ص ٨٦–٨٧.

الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ذلك بقوله : " زلزلت بغداد (٢٨٩هـ/٩٠١م) عدة مرات فتضرع أهلها في الجامع، فكشف عنهم" [١].

مما سبق يمكن ملاحظة تنوع الأثار التي تتركها الزلازل على أهالي العراق، سواء حالة التدمير التي لحقت بالمنازل أو الأراضي الزراعية ، أو من الناحية النفسية حيث أصيب الناس بحالة من الخوف والهلع الشديد .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٨٨.

# الفصل الثالث

# التجارة في العراق

## الفصل الثالث: التجارة في العراق

### أولاً : التجار والأسواق.

تقوم الفعاليات التجارية في العراق في العصر العباسي على وجود الأسواق التجارية المنظمة والمتنوعة ،إضافة إلى جهود التجار وقدرتهم على إدارة العمليات التجارية في الأسواق الداخلية أو الخارجية.

**١) التجار.**

لعب التجار دوراً مهماً في الحياة السياسية إلى جانب دورهم الأساسي؛ وهو إنعاش الحياة الاقتصادية، على الرغم من وجود آراء عديدة تدعو إلى عدم مشاركة التجار لرجال الدولة أو السلطان نفسه في التجارة خوفاً من الإستغلال[١]، ومع هذا، يلاحظ حضور واضح للتجار في مجالس الخلفاء ورجال الدولة بخاصة الوزراء، بل أصبح لبعضهم مشاركة في مراسيم بيعة بعض الخلفاء العباسيين، مثل مشاركتهم في بيعة الخليفة المتقي في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)[٢]. كما كان للتجار دور في إيواء عدد كبير من رجال الدولة الملاحقين أو الخارجين على الخلافة، مثل عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) الذي لجأ في سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) إلى دار ابن الجصاص التاجر (ت ٣١٥هـ/ ٩٢٧م) في بغداد[٣]، كما استتر الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) أيام مصادرته عند الأحوص بن المفضل بن غسان (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) تاجر البز

---

(١) للمزيد عن مساوئ التجارة مع الخلفاء وبعض الشكاوى منهم أنظر: ابن الجوزي المنتظم، ج٧، ص٣٦٤؛ ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد (ت ٨٩٦ه/ ١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك، ٢جزء، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الثقافة، العراق، ١٩٧٧- ١٩٧٨م، ج١، ص ٢٠٨-٢٠٩. وسيشار له لاحقاً: ابن الأزرق، بدائع السلك.

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٨٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٠، ص ٩٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٣٧؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٣٤.

ببغداد[١]، وكثيراً ما كان يتم وضع أموال الوزراء ودائع عند التجار هرباً من المصادرات، مثلما حصل مع أبي الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) وزير المقتدر، الذي جعل أمواله عند التجار[٢] حتى لا تحسب هذه الأموال ضمن موجودات سجلاته أو خزائنه، وهذا اللجوء إلى التجار هو الذي يُفسر سبب مكانتهم الكبيرة لدى الوزراء.

وقد ساهم الندماء ورجال البلاط في قصور الخلفاء أحياناً، في تفعيل العلاقة بين التجار ورجال الدولة، من خلال التوسط في عمليات البيع والشراء بخاصة تلك المتعلقة بالبضائع الثمينة مثل الجواهر[٣].

وتطورت العلاقات بين التجار والوزراء حتى توسط لهم الوزراء في شراء غلات ضياع الخلفاء وبأسعار أنقص أحياناً بمعدل دينارين عن أسعار تجار آخرين[٤]، وتحولت هذه العلاقة إلى قوة بيد التجار الذين أصبحوا يقدمون القروض للوزراء مقابل فائدة على كل دينار، كما هو الحال في قروض التجار للوزير علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) [٥]، هذه القروض التي كانت في معظمها تنفق كأرزاق للجند[٦]؛ لذا نرى أن التجار احتلوا تلك المكانة بسبب الأوضاع السياسية التي وصلت إليها الدولة ، والعجز الحاصل في خزائنها، في وقت لجأ فيه التجار ولكسب تأييد الأهالي،

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٤٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٦٠.

(٣) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٤، ص ١٨-١٩.

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ٨٠.

(٥) للمزيد عن قروض التجار للوزراء أنظر: الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص ٩١؛ الصابئ، الوزراء، ص٩٣.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ١١٢.

إلى شراء الكساء واللباس وتوزيعه على أسرى المسلمين لدى الروم[١]، كذلك محاولتهم بناء علاقات حسنة مع بعض أمراء الدول المحيطة بالخلافة مثل الدولة الطولونية[٢].

إن المحاولات التي بذلها التجار للتقارب مع الخلافة ورجال الدولة وعلى رأسهم الوزراء، لم تمنع الدولة العباسية من مصادرة بعض التجار بمن فيهم التاجر ابن الجصاص في سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) بالرغم من مكانته وثرائه[٣]. فالعلاقة بين التجار والخلفاء ورجال الدولة العباسية كانت مرهونة بالأوضاع السياسية وحاجات الدولة الآنية للأموال .

وقد وجد عدة أصناف من التجار في فترة الدراسة تبعاً لأسلوب تجارتهم، وطريقة تعاملهم في الأسواق والبلدان التي يخرجون إليها للتجارة، ويمكن القول أن العراق شهدت ظهور ثلاثة أصناف من التجار هم:

**أ ) الخزّان.**

وهو أن يقوم التاجر بشراء البضائع والسلع في وقت يكون عرضها في السوق واسعاً، وعند ملاحظته انخفاض نسبة الطلب أو الشراء عليها، يعمل التاجر على تخزينها حتى يزداد الطلب عليها، في وقت يكون ورودها – طرحها– إلى الأسواق قليلاً، إما بسبب صعوبة نقلها وارتفاع تكلفته، أو لنقص ورودها من مصادر إنتاجها[٤]، وقد أشار الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) في مقدمة كتابه عن التجارة إلى وجود ما يعرف اليوم بقانون (العرض والطلب) في أذهان العديد من الأفراد

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص ٥٦.

(٢) البلوي، سيرة ابن طولون، ص ٦٠.

(٣) ابن حمدون ، مخطوط التذكرة، ورقة ٢٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٦٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص١٩.

(٤) أبو الفضل الدمشقي ، جعفر بن علي ( ت. بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٣م) ، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩م، ص٦٣. وسيشار له لاحقاً : الدمشقي، محاسن التجارة .

ومنهم التجار، حيث أورد ما نصه: "زعم بعض المحصلين من الأوائل أن الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه، غالٍ بفقدانه إذا مست الحاجة إليه"[١]، وهذا يؤكد على وجود الخبرة والدراية المتعلقة بالتعامل مع مختلف الظروف التي تمر بها الأسواق، من حيث وجود البضائع والتجارات فيها أو انعدامها، الأمر الذي أدى إلى ظهور نوع من التجار استطاعوا التعامل مع هذه المتغيرات لصالحهم وفائدتهم.

**ب) الركاض.**

وهو التاجر الذي يعمل على نقل بضائعه وتجارته بين البلدان، ومن أبرز المشاكل التي يواجهها هذا التاجر حدوث بعض المعيقات التي تؤثر في تجارته كأن يتأخر في موعد مسيره، أو يبطل سفره بسبب مشاكل الطرق[٢]، بما فيها الظروف المناخية كالرياح والأمطار أو الاقتتال، مما يتطلب منه حذاقة واضحة وخبرة في التغلب على المشاكل السابقة، إضافة إلى دراية في تقدير الأسعار بين البلدان سواء بالبيع أو الشراء ليعمل على إضافة تكاليف النقل والضرائب أو المكوس التي يضيفها للسعر الذي يريد البيع به، مُستعيناً ببعض الوكلاء الأمناء في البلدان التي لا يعرفها[٣]، وقد أدت الصعوبات التي يواجهها هذا النوع من التجار على الطرق، من مخاطر ومعيقات تمنع سيره، إلى تكوين دراية عالية بالمسالك الآمنة والمختصرة، استفادت منها الدولة العباسية للإستدلال على الطرق، فقد اعتمد الخليفة المعتضد سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) على التجار الركاض في مسيره

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م )، التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ط٢، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٣م، ص١٣. وسيشار له لاحقاً : الجاحظ ، التبصر بالتجارة .

(٢) مثل هبوب العواصف والرياح في حال التجارة البحرية، أنظر ص (١٣٦) من الرسالة.

(٣) أبو الفضل الدمشقي، محاسن التجارة ، ص ٦٦-٦٧.

نحو الثغور الشامية[١]، مما أتاح لهؤلاء التجار بناء علاقة حسنة مع الخلفاء والقادة الذين وفروا لهم الرعاية والحماية، نظير خبرتهم ومشورتهم المُقدمة للدولة فيما يخص الطرق والمسالك.

**ج) المجهز .**

وهو التاجر الذي يكون له (وكلاء) في البلدان والأقاليم يرسل إليهم البضائع ليتولوا بيعها بدلاً عنه، وغُلب على التاجر المجهز صفة (التجهيز للأمصار) [٢]، دون أن يكون هناك حاجة منه للسفر ومباشرته التجارة بنفسه، على أنه وجب عليه أن يتخير في وكيله صفات أهمها الخبرة والأمانة مقابل أن يكون له حصة من أرباح التجارة[٣]، وقد عُنيت المصادر الفقهية ببعض المسائل المتعلقة بهذا النوع من التجار[٤]، مما يدلل على انتشارهم بشكل واسع.

ويتطلب هذا النوع من التجارة ضرورة تسجيل وتدوين عمليات البيع والشراء من قبل الوكيل، حفاظاً لحق صاحب البضاعة والمال، وقد وردت بعض الإشارات عن التزام تجار بغداد في سنة (٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) بتسجيل ما يبيعون[٥] حفاظاً على نصيب وحقوق الشركاء، وقد أطلق على هذه التسجيلات اسم (روزنامجه) [٦]، كما قام الوكلاء بتسجيل صفة البضائع وكمياتها المنقولة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٧٩.

(٢) الخطيب البغدادي، التطفيل، ص ١٧٧.

(٣) أبو الفضل الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٦٧.

(٤) مالك ، أبو عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩ه/ ٧٩٥م)، المدونة الكبرى، ( ٩) مجلدات ، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م ، مج٦، ص ١٨٦٤. وسيشار له لاحقاً: مالك ، المدونة .

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٩، ص ١٨٨.

(٦) روزنامجه: تفسيره كتاب اليوم لأنه يُكتب فيه ما يجري كل يوم من استخراج أو نفقه أو غير ذلك من حسابات. الخوارزمي، مفاتيح العلوم ، ص ٥٤.

معهم والمباعة للتجار في وثائق، وقد أطلق على هذه العملية اسم (البيع على برنامج وصفة معلومة) وقد عرف أهل العراق ذلك[١].

وانتشر هذا النوع من التجار في التجارة البحرية إلى الهند والصين[٢]، ربما لحاجة من يخـــرج إليها للإقامة لفترة طويلة فيها، مما قد يضر بمصالحة وتجارته التي تحتاج إلى متابعة، مما جعلـــه يلجأ إلى الوكلاء بديلاً عنه في تلك المناطق البعيدة، وقد عُرف من التجار المجهزين مثلاً إبـــراهيم بن عبد الله بن مسلم المعروف بأبي مسلم البصري (ت ٢٩٢هـــ/ ٩٠٤م) الذي كان يجهز التمر من البصرة إلى بغداد ليبيعه وكيل له هناك[٣]، ويراقب صاحب البضاعة أو التجارة وكيله من خـــلال توجيه المكاتبات إليه، وهذا ما عُرف عن التاجر ابن الجصاص (ت ٣١٥هـــ/ ٩٢٧م) في تعاملـــه مع الوكلاء أيضاً [٤]، مما يكفل ضبط تلك التجارة، وعدم تلاعب الوكلاء بها.

وعرفت أسواق العراق (السماسرة) أو الدلالين، وقد كان بعضهم يأتي إليها مـــن الجزيـــرة العربية وتحديداً من عُمان للعمل بالدلالة، حتى عاد البعض منهم إلى بلده ثرياً بسبب العمل بهـــا[٥]، وقد ظهر نشاط الدلالين بشكل واضح في بيع المنازل والعقارات وسائر المستغلات[٦]، لقاء مبـــالغ

---

(١) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله ( ت٤٦٣هـــ/١٠٧٠م ) ، الاستذكار، ٣٠ جزء، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٩٣م، ج٢٠، ص ٢٠٥. وسيشار له لاحقاً : ابن عبد البر، الإستذكار .

(٢) برزك بن شهريار، عجايب الهند، ص٨، ١٤٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٦٢.

(٤) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٧، ص ٣٩٠.

(٥) يرد ذكر الدلال كثيراً في الأمثال العامية العراقية حتى اليوم مثل قولهم ( دلال وضاع زماله). للمزيد أنظـــر: الرامهرمزي، بزرك بن شهريار الناخوذة (ت بعد ٣٤٠هـــ/ بعد ٩٥١م)، عجائب الهند وبحره وجزايـــره، د.ن، د.م، ١٩٠٨، ص١٠٧. وسيشار له لاحقاً: بزرك بن شهريار ، عجائب الهند؛ زلزلة، محمد، مجمـــوع المثـــال العامية البغدادية، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت ١٩٧٦م، ص١٠١. وسيشار له لاحقاً: زلزلـــة، الأمثـــال العامية البغدادية.

(٦) ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٢٥.

مالية تُمنح لهم من قبل أصحابها عند تمام عمليات البيع، وقد أختلف في مشروعية أو جواز أجرتهم أو عدم جوازها[١]، ومع ذلك نجد لهم نشاطاً من الناحية العملية في واقع الصفقات التجارية.

أما فيما يخص عمليات بيع العقارات وتأجيرها، فإننا نلحظ ظهورها أثناء تأجير الغرف والدكاكين خاصة تلك المطلة على الأسواق، والتي ينشط تأجيرها أيام المناسبات الرسمية للدولة العباسية، كما حصل في مناسبة استقبال الخليفة المقتدر للوفود سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) [٢]، أما فيما يتعلق ببيع المنازل فكان رائجاً أيضاً، مع أننا نلمح رفض البعض بيع منازلهم[٣]، وفي ذلك ملامح عن نشاط التجار في إدارة العمليات التجارية على اختلاف أنواعها.

**٢) الشركات**

شكلت الرغبة في زيادة حجم الحركة التجارية ورفع كفاءة النشاط الذي يقوم به التجار، وتحقيقهم نسبة أكبر من الربح ، وكذلك تعزيز قدرتهم على مواجهة الخسائر التي قد يتحملها بعض التجار بشكل منفرد، في ظل تردي الأوضاع السياسية التي تمر بها الدولة، حوافز لإقامة الشركات؛ وهي عبارة عن اتفاق جماعة من الأفراد على تجارة في المال أو العمل، بإعتبارها أمراً جائزاً في

---

(١) وينطوي على ذلك وجوب وجود عقد للتعامل معه ، وهذا يعكس مدى تطور هذه المهنة: أنظر مثلاً: ابن قدامة، المغني، ج٨، ص٤٢؛ البهوتي، منصور بن يونس (ت ١٠٥١هـ/ ١٦٤٢ م)، شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولى النهي لشرح المنتهي، ٣ مجلدات، ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م، مج٢، ص٢٤٦. وسيشار له لاحقاً: البهوتي، شرح منتهى الإرادات.

(٢) الصابئ، ابن الحسن الهلال بن المحسن( ت٤٤٨هـ/١٠٥٦) ، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، دار الآفاق ، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢. وسيشار له لاحقاً: الصابيء، رسوم دار الخلافة.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٩٣-١٩٤.

القرآن والسنة، وموائمة للمصلحة العامة أيضاً[١]، وقد تحدثت بعض المصادر عن إقامة أنواع من الشركات التجارية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي[٢]، ومنها :

**أ) شركة العنان:**

وسُميت بهذا الاسم لاستواء الشريكين في المال، وأخذ ذلك من استواء عنان الفرسين إذا تسابقا، وقيل بل سميت بذلك لحق كل واحد منهما –أي التاجرين– في التصرف في جميع المال كما يملك عنان فرسه فيصرفه كما يريد[٣]، وتكون هذه الشركة بإخراج كل واحد منهما مالاً، مثل مال صاحبه أو شريكه ويقومان بخلطه، ويأذن كل واحد منهما للآخر بالتجارة في صنوف التجارة المختلفة، على أن تكون نسبة الربح والخسارة بقدر مال كل واحد منهما[٤]، تحقيقاً لمبدأ العدالة.

ويجعل البعض جواز هذه الشركة عند تفاوت مقدار رأس المال بين الشريكين[٥]، ربما بسبب خبرة أحدهما التي قد تزيد عن الآخر، أو ربما وجود أحدهم في بلد كسبه أوفر من بلد شريكه، مما يجعله صاحب مسؤولية أكبر من الآخر[٦]، ويمكن أن تكون هذه الشركة مقررة لمشروع أو عملية

---

(١) الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، المنّة الكبرى في شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي، ٩ أجزاء، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠١م، ج٥، ص ٣٣٩. وسيشار له لاحقاً: الأعظمي، المنّة الكبرى.

(٢) أنظر مثلاً: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٧.

(٣) للمزيد عن أسباب التسمية أنظر: الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، نهاية المطلب في دراية المذهب في فروع المذهب الشافعي، (١٠) مجلد ات، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، مج٥، ص ٥٦٣. وسيشار له لاحقاً: الجويني، نهاية المطلب؛ البهوتي، شرح منتهى الإردات، مج٢، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٤) الجويني، نهاية المطلب، مج٥، ص ٥٦٣.

(٥) الكاساني، علاء الدين ابي بكر ( ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (١٠) أجزاء، تحقيق محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٠م، ج٦، ص ٩٩. وسيشار له لاحقاً : الكاساني ، بدائع الصنائع .

(٦) الأعظمي، المنّة الكبرى، ج٥، ص ٣٤٠.

تجارية واحدة، أو تطال المساهمة في مشاريع وعمليات تجارية دائمة[١]، لذلك فقد ذهب بعض الفقهاء وبسبب جواز إجراء هذه الشركة، إلى القول بأن شركة العنان هي الشركة الصحيحة دون غيرها[٢]، وعمد إلى ذكر صيغة التعاقد لهذه الشركة، ونص هذه الصيغة يكون كالآتي:

"هذا ما اشترك فلان وفلان اشتركا شركة عنان، وأحضر واحد منهما من خاصة ماله، وخلطاهما حتى صار مالاً واحداً، ليصرفا به على صنعة كذا "[٣]، إن ورود هذه الصيغة لدى الفقهاء، دليلاً على انتشار هذا النوع من الشركات في التعامل التجاري بين الأفراد ومشروعيته عند الفقهاء.

**ب) شركة المفاوضة.**

وتعني في اللغة المساواة في رأس المال والربح والتصرف، ويُضاف إلى ذلك التفويض الذي يكون من كل شريك إلى صاحبه[٤]، ويبدو أن شرط المساواة في رأس المال، يغلب على اشتراط تساوي جنسيهما، بمعنى أنه يجوز إشتراك أحدهما بالدراهم والآخر بالدنانير[٥]، فالأهم أن تتساوى قيمة المبلغين.

وبموجب عقد الشراكة هذه، فإن قرار أحد الشريكين تجاه طرف ثالث بالبيع أو الشراء أو المشاركة يكون ملزماً لشريكه[٦]، وهذا بالطبع حفظاً للمصالح في حال تغيب أحد الشريكين عن

---

(١) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٢٨.

(٢) السمرقندي، أبو نصر أحمد بن محمد (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، الشروط والوثائق، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨م، ص ١٤٢؛ وسيشار له لاحقاً: السمرقندي، الشروط والوثائق.

(٣) السمرقندي، الشروط والوثائق، ص ١٣٩-١٤١.

(٤) الأعظمي، المنّة الكبرى، ج٥، ص ٣٤٠.

(٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٧.

(٦) السرخسي، شمس الدين أبي بكر محمد بن سهل (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) ، المبسوط، (١٠) مجلدات ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، مج٩، ج١٨، ص ١١٥. وسيشار له لاحقاً: السرخسي، المبسوط.

البلد، وقد رأى المالكية والحنفية جواز هذه الشراكة بدليل أن المالكية لم يتناولوا الحديث عن شركة العنان لعدم معرفتهم لها في الحجاز[١]، وقد رفضت بعض المذاهب مثل الحنفية المفاوضة المنعقدة بين الذمي والمسلم لأنها رأت أن المفاوضة يشترط فيها أن تكون في عموم التجارات فلا يجوز اختصاص أحدهم بتجارة دون آخر، وهنا لا تجوز تجارة المسلم والذمي في بعض التجارات المحرمة شرعاً مثل الخمور[٢]، وعليه فإنه لايتم بينهما عقد مفاوضة أصلاً لتعذر عموم المشاركة في التجارة.

وبذلك نرى أن موقف المذاهب في التفصيلات الدقيقة، هدفه أبعاد التجارات بوجه عام عن كل ثغرة يمكن منها التسويغ لبعض التجارات المحرمة بالدخول للعقود، وهذا فيه رعاية للصالح العام ، ولأن قوام الشركة هو الكفالة والوكالة كان من أهم الشروط في صحتها هو أن يكون كلا الشريكين حُرين ومتفقي الدين[٣]، في حين اتجهت المالكية إلى جواز الشراكة مع الذمي والحر والعبد المأذون له بالتجارة ولكن وفق شروط معينة[٤]، وقد شدد الفقهاء على ضرورة بيان وإثبات نوع الشراكة في العقود المكتوبة[٥]، وذلك لضمان حقوق الأهالي نظراً لعدم معرفتهم في بعض الأحيان بشروط الشركات وما يترتب عليها شرعاً.

ويلاحظ أن بعض الفقهاء المحدثين رأى أن شركة المفاوضة هي ذاتها شركة العنان ولكن بتعبير آخر مع زيادتها عن المفاوضة[٦]، وسبب ذلك مدى التقارب والتداخل في هذه الأنواع التي

---

(١) مالك ، المدونة الكبرى، مج٦، ص ١٨٦٤؛ الجويني، نهاية المطلب، ج٥، ص ٥٦٥-٥٦٦.
(٢) للمزيد أنظر حول مفاوضة الذمي والصبي والعبد: الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٨؛ السرخسي، المبسوط، مج٩، ج١٨، ص١١٥.
(٣) السمرقندي، الشروط والوثائق، ص ١٤٣-١٤٤.
(٤) مالك ، المدونة ، مج٦، ص ١٨٦٥- ١٨٦٦؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٢٧.
(٥) السرخسي، المبسوط، مج٩، ج١٨، ص١١٦.
(٦) أنظر مثلاً رأي: الأعظمي، المنّة الكبرى، ج٥، ص ٣٤٣.

اجتهدت المذاهب الفقهية في مناقشتها وضبطها بأدق التفاصيل، سعياً منها لتحقيق الصـــالح العـــام المتوافق مع الشريعة الإسلامية، لذا وبالمجمل فإن التشديد في مناقشة شروطها وتفصيلاتها هو دليل واضح على مدى تعامل الناس بها وحاجتهم إلى توضيح بنودها.

**ج) شركة الوجوه (المفاليس).**

أخذت اسمها من طبيعة ومكانة طرفيها، بأن يكونا صاحبي جاه بين الناس، فيقــولان علـــى جاهنا بين الناس نشتري المتاع والبضاعة في ذمتيهم نسيء ( بمعنى شراء البضاعة بالدَّين الـــذي يُسد لاحقاً بعد تمام البيع وحصول النقد في أيديهما ) ، والبيع يكون نقداً ليكون الربح بينهما[١]، وهي بذلك شركة تقوم على حُسن سمعة الشركاء بين الناس[٢]، إضافة إلى قدرتهم وخبرتهم في التجـــارة وإدارة العمل، الأمر الذي يدفع الناس للثقة بهم لتأجيل دفع المال إلى أصحاب البضائع حتى قيامهم ببيعها.

وقد رأى الشافعية والمالكية عدم جوازها لأنها شركة تقوم في غير المال ليصبح حكمها مثل شركة الأبدان (من يعمل ببدنه ويشترك في الكسب دون المال مثل الأصطياد والإحتشاش) فجميعها عندهم باطلة[٣]، بإعتبار أن المال المشترك عندهم، أساس لأجل العودة إليه في حال انفساخ العقد[٤] لضمان حق كل طرف في الشركة، ويقر كلا الطرفين في صيغة العقد المكتوب بينهم على وكالـــة كل للآخر[٥] لتسيير العمل وإتمامه.

---

(١) الجويني، نهاية المطلب، ج٥، ص ٥٦٧.
(٢) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٢٨.
(٣) الجويني، نهاية المطلب، ج٥، ص ٥٦٨.
(٤) الأعظمي، المنّة الكبرى، ج٥، ص ٥٦٨.
(٥) السمرقندي، الشروط والوثائق، ص ١٤٧.

ويُجيز الحنفية هذه الشركة، استدلالاً بأنها نوع من الشركة يشبه شركة العنان[١]، ولأنها تدخل أيضاً في بعض جوانبها في شركتي العنان والمفاوضة[٢]، التي تقوم على الوكالة الصحيحة ولأن العرف والتعامل جرى بها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[٣]، لذلك فلا مانع من التعامل بها تحقيقاً للمصالح.

## ٣) الأسواق والنشاط التجاري .

تشكل الأسواق مركز النشاط التجاري، ومجالاً مهماً في تنمية الثروة المالية للعديد من الأفراد، خاصة مع زيادة حجم المبالغ المالية التي تنفق في النشاط التجاري، لذا توزعت في مدن العراق العديد من الأسواق بخاصة بغداد التي اعتنت المصادر بذكر أسواقها أكثر من غيرها من المدن[٤]، إلا أن دراستها تُعطي نموذجاً لباقي أسواق مدن العراق من حيث طبيعة توزع الأسواق، وأصناف التجارات فيها ، والتي لم تكن تختلف عن أسواق بغداد إلا في التفاصيل المعمارية وحجم البضائع المعروضة فيها[٥]، والتي كانت بلا شك أقل من أسواق بغداد العاصمة الأولى للعراق.

---

(١) الجويني، نهاية المطلب، ج٥، ص ٥٦٨.

(٢) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩١-٩٢.

(٣) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٢٨.

(٤) للمزيد أنظر الدراسات المتعلقة بأسواق بغداد مثل: الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٩م، ص ٨٥-٨٩. وسيشار له لاحقاً: الكبيسي، أسواق بغداد؛ المسري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٢م، ص١٠٨.وسيشار له لاحقاً: المسري، تجارة العراق .

(٥) للمزيد أنظر: خطاب، عادل عبد الله، خصائص استعمالات الأرض في المدينة العربية، دراسة دلالة التراث لمدن البصرة والكوفة وبغداد، مجلة الجميعة الجغرافية العراقية، بغداد، عدد ٢٤- ٢٥، ١٩٩٠م ، ص١٠٧. وسيشار له لاحقاً: خطاب، خصائص الأرض في المدينة العربية.

فقد تنوعت أسواق بغداد حسب الحرف والمهن في المناطق المختلفة، منها أسواق الحـذائين في الكرخ وهو من أشهر الأسواق[١]، وسوق السلاح[٢]، وسوق الجرار[٣]، وسوق الجلود[٤]، وسوق النحاسين والرفائين (رثي الثياب) [٥]، وسوق الغنم عند باب جامع المنصور[٦]، وقد حدد موقعه هذا لتوسطه في المدينة، وإمكانية البيع والشراء فيه بشكل مباشر عند قدوم الأهالي للصـلاة، وعلـى غراره كان هناك سوق للغنم في شارع بغداد في مدينة سامراء الذي كان نشطاً فـي حـدود سـنة (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)[٧]، وهناك في بغداد أيضاً سوق الدواب[٨]، وسوق المسك الذي كان عليه عامل لمراقبته[٩] ، نظراً لتعرض تلك السلعة للكثير من عمليات الغش، مما دفع الدولة لمراقبتها خاصة أن أسعارها المرتفعة سواء داخل العراق أو خارجه تُمثل دخلاً مهماً للتجار والدولة على السواء.

وقامت في بعض مدن العراق العديد من الأسواق من قبل بعض الخـارجين علـى الدولـة وتحديداً في البصرة، فقد عمد صاحب الزنج إلى إنشاء بعض الأسواق لإمـداد أتباعـه بالبضـائع والميرة، في ظل حصار الدولة العباسية له، فأقام مثلاً سوق (المباركة)، بالقرب مـن نهـر أبـي الخصيب بالبصرة والتي ساهمت في تنشيط حركة التجارة خاصة مع أهل البادية، الذين سعوا إلـى

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١١، ص١٧.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٠، ص٤٥.
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الخضيرية)، مج٢، ص ٤٣٢.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٣، ص٢٦١.
(٥) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص٩٩.
(٦) الصابئ، الهفوات النادرة، ص٧٦.
(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٥٢.
(٨) سهراب، عجايب الأقاليم السبعة، ص١٢٩.
(٩) له ذكر أيام الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/٩٢٤ م)، الصابئ، الوزراء، ص٢٦٦.

إمداده بالبضائع والتجارات، وقد أحرق أبو أحمد الموفق تلك السوق في سنة (٢٦٩هـ/ ٨٨٢م)[١].

وانتشرت إلى جانب الأسواق؛ السويقات (وهي تصغير السوق) في مدن بغداد وواسط وغيرها من مدن العراق[٢]، كما أقيمت أسواق موسمية مثل سوق الشتاء في بغداد، والذي ذكر في حدود سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م)[٣]، وأسواق شهرية مثل سوق الثلاثاء ، الذي يقام أيضاً في كل شهر مرة في بغداد، وقد أقيم مكانه لاحقاً سوق البزازين[٤]، وإلى جانب هذه الأسواق أقيمت أسواق في العراء خاصة بالقرب من الجسور والقناطر التي يجتمع إليها التجار القادمين من القرى المحيطة[٥].

ولا بد من الإشارة إلى أن أسواق معينة قد واجهت مشاكل ومخاطر في بغداد وخارجها، مثل تعرض سوق السيوف في سامراء – بسبب فتنة المستعين والمعتز– في سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م)[٦] للنهب وسرقة السلاح، خاصة مع حاجة الأفراد في مثل هذه الظروف إليه، ولا شك فإن التنوع في طبيعة الأسواق، قد ساهم في تنشيط الحركة التجارية كما ساهم بعض التجار – من خلال أموالهم الطائلة لامتلاك العديد من الدكاكين – في زيادة حركة النماء التجاري، من أمثال ابن الجصاص (ت٣١٥هـ/ ٩٢٧م) التاجر المشهور ، الذي امتلك العديد من العقارات والدكاكين في الكرخ ببغداد[٧].

---

(١)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٣٣؛ أحمد، سلوى عبد الخالق، ثورة الزنج، حوليات آداب عين شمس، القاهرة، مجلد ٣٨، عدد٣، سنة ٢٠١٠م، ص ٤٢–٤٣، وسيشار له لاحقاً: أحمد، ثورة الزنج.

(٢) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٦٢، وسيشار له لاحقاً: ياقوت الحموي، المشترك وضعاً.

(٣) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١١٠.

(٤) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص٢٦٠–٢٦١.

(٥) الكبيسي، أسواق بغداد، ص٨٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٠٥.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٨٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٧.

إن نظرة فاحصة للجدول التالي، قد تكون مفيدة في قياس حجم التجارة، ومعدلات التبادل للبضائع والسلع المتداولة في عموم أسواق مدن العراق، وأسعار بعض السلع كما وردت في المصادر.

| السنة | السلعة | السعر | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م | جُبة | ٦–٧ دنانير [١] | |
| ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م | السمك | يتراوح بين درهم ودينار | في خلافة الواثق يبدو أن ذلك يرتبط باختلاف أنواعه[٢] |
| ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م | جارية | ثلاثمائة دينار [٣] | – |
| ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م | منديل | سبعة دراهم | بيع ببغداد عند باب الشام[٤] |
| النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي | حمام واسط | الحمام خمسين دينار، الفرخ ثلاث دنانير والبيض ديناران | بسبب شهرة ذلك الحمام[٥] |
| النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي | كساء طبري<br>كساء قومسي | أربعمائة درهم<br>مائة درهم | كان يرتديه أحد باعة الجواهر[٦] |
| النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي | غفارة (زجاجة) من المسك | خمسين دينار | إذا كانت متقنة العمل[٧] |
| ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م | كتب | أربعة عشر ألف درهم | لأحد العلماء بعد وفاته[٨] |
| ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م | اللوز | دينارين | مقدار منه[٩] |

(١) ابن الجوزي، االمنتظم، ج٦، ص ٣٦٩.
(٢) ابن أبي أصبعة، طبقات الأطباء، ص ٢٢٦.
(٣) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٨، ص ٨٢.
(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص ٦٧.
(٥) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص ١٤١.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص ١٢.
(٧) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٢٩.
(٨) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٦٢.
(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٩، ص ١٨٨.

| ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م | دار بمدينة بغداد | مائة ألف دينار [١] | لرجل من كتّاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م) . |
|---|---|---|---|
| حوالي سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م | ثوبان من الوشي | ألف وخمسمائة دينار | من ثياب محمد بن عبد الله بن طاهر (ت ٢٥٣ه/ ٨٦٧م) [٢] |
| حوالي سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م | سبحة من الجوهر | أربعة آلاف دينار | من أملاك قبيحة أم الخليفة المعتز [٣] |
| ٢٨٠هـ/٨٩٣م | الجمل<br>الشاه | خمسة دراهم<br>درهم[٤] | – |
| ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م | صابون | دانقين | اشتراها اسحاق بن إبراهيم (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨ ) [٥] |
| ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م | ذراع من الأرض | دينار عيناً | سعر الأرض غير الطيبة على دجلة[٦] |
| ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م | حمل من التبن | ثلاثين درهماً | ارتفع بسبب الحاجة إليه من حملات الدولة العباسية[٧] |
| ٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م | عُقدين من الجوهر | أحدهما ثلاثين ألف دينار، والآخر ستين ألف دينار | في خزائن المكتفي[٨] |
| ٢٩٩هـ/ ٩١١م | ثوب | سبعين دينار [٩] | من ثياب الوزير علي بن عيسى (٣٣٤هـ/ ٩٤٦ م) |

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٥٧.

(٢) الشابشتي، الديارات، ص ١٢٣.

(٣) البيروني، الجماهر، ص ١٥٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٣٣.

(٥) ابن يعلي، أبو الحسين بن محمد (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، طبقات الحنابلة، ٤ أجزاء، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٥٣، ج١، ص٨٧. وسيشار له لاحقاً: أبو يعلى، طبقات الحنابلة.

(٦) مجيد، دراسة لحياة الصابئ، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٧) بسبب حملات الخلافة ضد الأكراد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٢.

(٨) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٣١٦.

(٩) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ٢٢٩-٢٣٠.

| ٣٠٠هـ/ ٩١٢م | زجاجة النبيذ | درهمين | نبيذ الدبس والتمر[١] |
|---|---|---|---|
| حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م | الدجاج | دينار[٢] | – |
| ٣٠٧هـ/ ٩١٩م | دار | ثلاثين ألف دينار | أسعار مرتفعة مقارنة بتكلفة البناء[٣] |
| ٣٠٩هـ/ ٩٢١م | خفان من جرجان | عشرة دراهم | أسعار المواد المستوردة[٤] |
| ٣١١هـ/ ٩٢٣م | دار | اثني عشر ألف | من مصادرات الوزير حامد بن العباس (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)[٥] |
| ٣١٣هـ/ ٩٢٥م | الرطب | ثمانية أرطال بحبة ( تساوي دانقين) | بسبب كثرة الأرطاب ببغداد[٦] |
| ٣١٨هـ/ ٩٣٠م | فص خاتم | نصف درهم | ليست من الجواهر[٧] |
| ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م | جوهرة | ستين ألف درهم | من مدخرات خالة الخليفة المقتدر[٨] |
| ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م | صف الحدادين بسوق بغداد | ثلاثة آلاف دينار[٩] | – |
| ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م | حمار | عشرة دنانير[١٠] | – |
| ٣٢٩هـ/٩٤٠م | بستان | عشرة آلاف دينار[١١] | – |
| ٣٣٠هـ/ ٩٤١م | التمر | ألـــف رطـــل بســـبعة | – |

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٣٨.

(٢) الخطيب البغدادي، التطفيل، ص ١٦٢.

(٣) تكلفة بناء حجرة سنة (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م) ألفي دينار. للمزيد أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٠، ص ٢٨٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٩.

(٤) ابن فضلان، الرحلة، ص٩٨.

(٥) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٣٦.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٢٤٠.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص ٣٦٢.

(٨) البيروني، الجماهر، ص٥٦.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص١٣٧.

(١٠) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢١٠.

(١١) المصدر نفسه ، ص٢١١.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | دنانير [١] | |
| ٣٣٤هـ/ ٨٤٦م | جُبة<br>ثوب | من ثمانين إلى مئة وعشرين دينار<br>سبعين دينار | من ملابس الوزير علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) [٢] |

يظهر من قائمة الأسعار السابقة، تنوع البضائع والسلع التي تزخر بها أسواق العراق، سواء تلك المنتجة داخله أو المستوردة من الخارج، مع ملاحظة رخص أسعار السلع المحلية سواء المنتجات الزراعية مثل التمور أو الصناعات مثل الصابون.

ويلاحظ في القائمة السابقة أن ورود النبيذ( نبيذ الدبس والتمر) في القائمة وبسعر قليل ( الزجاجة بدرهمين) ، يدل على سعة انتشاره ورواجه في المجتمع بسبب رخص ثمنه .

كما أن هناك فرق واضح بين الملابس والأثواب التي يشتريها العامة، والتي يترواح ثمنها بين ستة وسبع دنانير[٣] ، وتلك التي يرتديها رجال الدولة من الوزراء والقادة ، والتي يصل سعرها إلى أكثر من ألف دينار، في حين يتضح الإرتفاع الكبير في أسعار العقارات (الدور) في العراق بشكل واضح وبمعدلات تفوق تكلفة الإنشاء[٤] ، بكثير، مع ارتفاع سعر الأراضي التي أصبحت وحدة القياس لبيعها هي الذراع، مما يعكس بالضرورة قيمتها، حيث بلغ سعر الأرض غير الجيدة الذراع بدينار.

أما من الناحية النقدية فإن التعامل في الأسواق كان بالدينار والدرهم وحتى الدانق، وهذا يؤدي إلى انتعاش واضح في الأسواق حيث يراعى مقدار مدخرات الأفراد من النقد أو معدلات دخولهم.

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢١٣.

(٢) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ١٨٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٢، ص١٦.

(٣) يُعلق أحدهم على ثمن جبة للوزير علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) بيعت بسبعين دينار بقوله (لم ألبس ثوباً قط يزيد ثمنه على ما بين ستة إلى سبعة دنانير). أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٢، ص١٦.

(٤) نفقة إنشاء دار في البصرة للقاضي محمد بن عبده العباداني (ت ٣١٣هـ/ ٩٢٥م) كانت مئة ألف دينار سوى ثمن أرضها: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٠٨.

## أ) الأخطار التي واجهتها الأسواق .

واجهت الأسواق التجارية في العراق عدداً من الأخطار التي سببتها الأوضاع السياسية المضطربة والفتن التي عاشتها الدولة، فقد أصبحت الكثير من هذه الأسواق ميداناً وساحة للقتال بين الخصوم، ولعل سياسة حرق الأسواق التي يستخدمها القادة ، ظاهرة تتكرر في معظم حالات الإقتتال والفتن، ففي سنة(٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) أمر أوتامش التركي (ت٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) بحرق الأسواق في سامراء لإيقاف شغب الجند ضده [١]، وقد اتبع محمد بن عبد الله بن طاهر (ت ٢٥٣هـ/ ٢٦٧م) ، هو الآخر سياسة حرق بعض الأسواق ليسهل عليه القتال وحركة الجند والدواب أيام فتنة المعتز والمستعين[٢]، كما أدى خروج بعض الطالبين تزامناً مع الظروف السياسية المضطربة التي تشهدها الدولة العباسية إلى اتباعهم نفس السياسة، فقد أمر الطالبي الخارج بالكوفة في سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م) بإحراق بعض الأسواق فيها، قُدر عددها بسبع أسواق[٣]، وقد شهدت هذه السنة عمليات حرق واسعة ومتكررة للأسواق سواء في مدينة سامراء أو بغداد[٤]، وهي سياسة رأى فيها بعض القادة أسلوباً مجدياً لحسم القتال من خلال التضييق على الطرف الآخر وترويع الأهالي.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٨٤.

(٢) عن سياسته هذه أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٠٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦١٣.

(٤) ذكر الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) في أحداث سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م) وعن هزيمة الجند الأتراك في بغداد "وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكرهم وانتهبوا سوقهم وخربوا زورقاً لهم يقال له الحديدي كان آفة على أهل بغداد بالنار" الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٦١٧.

وتُعتبر حركة صاحب الزنج وما خلفته من نتائج اقتصادية سلبية، خطراً آخر هدد الأسواق، سواء بالإقدام على حرقها كما حدث في سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م) بالنعمانية[١]، أو انتقال ساحة الحرب إلى داخل السوق[٢]، مما يوقف عمليات البيع فيها.

ويظهر أن عملية حرق الأسواق كانت ظاهرة مستمرة في أسواق العراق ، وإن لم تُشر المصادر إلى جميع أسبابها، ولكن يبدو بأن الفتن والإضطربات السياسية إضافة إلى عمليات اللصوصية والنهب، هي من أبرز أسباب حرق الأسواق، وفيما يلي جدول يوضح بعض السنوات التي أحرقت فيها أسواق العراق ، والأسباب التي أدت إلى ذلك :

| السنة | مكان الحريق | أسبابه | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م | باب الطاق بغداد الجانب الشرقي | – | حرق ألف دكان مملوءة بضائع للتجار[٣] |
| ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م | باب الطاق بغداد الجانب الشرقي | – | عُرف بالحريق العظيم أحرق نحو أكثر من ثلاثمائة دكان[٤] |
| ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م | بغداد | مُتعمد بإلقاء النار فيه[٥] | – |
| ٣٠٣هـ/ ٩١٥م | سوق النجارين باب الشام | – | احترقت السوق بأهلها[٦] |
| ٣٠٧هـ/ ٩١٩م | حريق بالكرخ | – | احترقت العديد من الدور بما فيها من الناس[١] |

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٤٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ١٥٩.

(٢) جرت بعض هذه المعارك في سوق الخميس في البصرة سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م)، وفي سوق الريّان سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م)، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٥٦؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٢٥٢.

(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٤٩.

(٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٤٤٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٥.

| ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م | بغداد | – | حرق الأسواق ونهبها[٢] |
|---|---|---|---|
| ٣٠٩هـ/ ٩٢١م | حريق بسوق الكرخ | – | الحذائيين بين القنطرة الجديدة وطاق الحراني[٣] |
| ٣١١هـ/ ٩٢٣م | سوق المربد (البصرة) | القرامطة | أحرقوه عند دخولهم إليها[٤] |
| ٣١٤هـ/ ٩٢٦م | نهر طابق | بسبب حريق في دار السلطان ودور الأمراء ومنه امتد للأسواق | ألف دكان وألف دار[٥] |
| ٣١٥هـ/ ٩٢٧م | الرصافة[٦] | – | – |
| ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م | حريق بالكرخ | شغب الجند ومطالبتهم بالأرزاق | ثلاث مرات احترق فيه الحدادين والعطارين[٧] |
| ٣٠٥هـ/ ٩١٧م | بغداد | بسبب وثوب العامة على القادة[٨] | – |
| ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م | الكرخ | بسبب اللصوص | أحرق سوق الكاغد والسمّاكين والنعال وذهب بأموال خطيرة[٩] |

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٩٣.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٢٠٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص ٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص ٧١.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٣٠.

(٧) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٥٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٥٠٠.

(٨) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ٦٦-٦٧.

(٩) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٦٢.

يتضح من الجدول أن الأحداث السياسية كانت سبباً في معظم حرائق الأسواق، سواء كان بسبب الفتن أو شغب الجند المطالبين بأرزاقهم، وقد رافق عمليات الحرق نهب لمتاع التجار، وامتدت هذه الظاهرة (ظاهرة حرق الأسواق) إلى أسواق خارج العراق، والتي أدت إلى ضرر مباشر بمتاع التجار العراقيين، مثل حريق أسواق مدينة (خانفو) أو (كانتون) مرفأ الصين، وفيها احترقت الكثير من تجارات أهل العراق[١]، كما شهدت الموصل سنة (٣٠٧هـ/ ٩١٩م) حريق ضخم بسبب فتنة نشبت بين أصحاب الدكاكين[٢]، وهي من الأسواق المهمة بالنسبة لصادرات التجار العراقيين أو وارداتهم منها، ويلاحظ أن ظاهرة احتراق الأسواق، رافقها ارتفاع كبير في الأسعار، حتى اضطر أصحاب بعض الدكاكين أو الأسواق بكاملها- نتيجة لشدة الغلاء وعدم قدوم الناس إليها – إلى إغلاقها، كما حدث في سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م)[٣].

إن سياسة الإغلاق هذه التي تعرضت لها الأسواق، قد يكون لها أسباب أخرى ومنها هجمات القرامطة مثلاً[٤] ، وخوف التجار أن تُنهب تجارتهم وبضائعهم، كما كان تحرك الحنابلة في بغداد في سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م) سبباً في نهب دكاكين باب الشام[٥]، وشكلت أعمال العبث والنهب التي يقوم بها بعض القادة العسكريين، ضرراً آخر على الأسواق كما هو الحال في سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) عندما نهب قادة الخليفة المقتدر الأسواق والأموال[٦].

---

(١)التاجر، سليمان (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م) والسيرافي، أبو زيد حسن (ت ٢٦٧ه/ ٨٨٨م) أخبار الصين والهند، تحقيق يوسف الشاروني، دار المعرفة اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣٦. وسيشار له لاحقاً: سليمان التاجر والسيرافي، أخبارالصين والهند .

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٩٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤٨٩.

(٤) كما حدث سنة (٣١٩هـ/ ٩٣٧م) أنظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص ٢٠٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٤٨٠.

(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٦٥.

(٦) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٢٦٤.

ويجدر التنبه إلى أن هناك أسباب أخرى تؤثر على حركة الأسواق، كالتجاوزات التي تـتم على يد أصحاب الشرطة ممن كانت تدفع لهم الرشاوى، والتي قد يبلغ مقدار بعضها دنانير قليلة[١]، الأمر الذي قد يعكس الوضع المعاشي الصعب لهم، وتدني دخولهم ربما بسبب تأخر الأرزاق، وهي ظاهرة مألوفة في القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي في العراق .

كما أن بعض عمليات البيع غير الشرعية، والتي يمارسها بعض التجار، مثل بيع العينـة أو الرّبا، نجد لها صدى عند بعض الأفراد لما لها من ضرر عليهم[٢]، والإتجاه العـام بالتـالي لـدى الأفراد بنصيحة التجار في تركها والإبتعاد عنها[٣]، هذا إلى جانب أضرار أخرى طبيعية مثل عبث السنانير (القطط) في بعض الدكاكين[٤].

من جهتها سعت الدولة العباسية إلى تحسين الأسواق، من خلال العمل على توسعتها كما فعل الخليفة الواثق بأسواق سامراء وبغداد وواسط والبصرة، حتى أدى ذلك إلى زيادة عدد السفن الواردة إليها[٥]، وبذلت الأموال لبعض التجار المتضررين جراء عمليات التوسعة هذه[٦]، أما التجـار فقـد عمد بعضهم إلى عمل أبواب من حديد لحماية تجارته ودكانه[٧]، ويمنع نهبها وسرقتها أيام الفـتن والإضطرابات، رافق ذلك اهتمام رجال الدولة مثل الوزراء، على متابعة الشكاوى والرقاع التـي ترفع إليهم من التجار، بخاصة تلك التي يتكرر موضوع شكواها[٨]، وسعيهم إلى بذل الأموال للذين

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٣٨.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص ١٨٤.
(٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ١٤.
(٤) الصابيء، الوزراء، ص١٢٦.
(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٩-٣٠.
(٦) الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٢٤.
(٧) اليعقوبي، البلدان، ص ١٢٤.
(٨) الصابئ، الوزراء، ص ١٦١-١٦٢.

حرقت دكاكينهم ومنازلهم[١] لمساعدتهم على إعادة تعميرها وتشغيلها، كما زادت من فعالية التحقيق في أسباب حدوث الحرائق ومحاولة الوقوف على أسبابها الحقيقية أو المتسببين بها[٢]، وقامت الدولة كذلك بإجراءات وقائية، فقد تمّ العمل على اتخاذ جرار للمياه أو خابية بالقرب من الدكاكين، وفـــي الأسواق، بل وطلب من السقائين المبيت عند أصحاب الشرطة[٣]، للإسراع في إطفاء الحرائق وقت اشتعالها بشكل مفاجئ، خاصة أن عدداً كبيراً من الحرائق يحدث في الليل لإشغال الناس بها على ما يبدو وتسهيل قيام اللصوص بالسرقة.

إن تنوع الأخطار أو المشاكل التي تواجهها الأسواق مثل الحرائق، وهجمات أعداء الدولـــة، بالإضافة إلى تعرضها للنهب من قبل اللصوص، فضلاً عن فساد بعض القائمين على حمايتها مثل أصحاب الشرطة ، كانت من أبرز أسباب اضطراب النشاط التجاري في العراق، مع ملاحظة اتجاه بعض الخلفاء العباسيين أو الوزراء للعمل على مواجهة تلك الأخطار، من خلال بعض الإجراءات خاصة فيما له صلة بالحرائق.

### ب) المكاييل والأوزان والمقاييس .

يرتبط بالأسواق عادة استخدام المكاييل والأوزان والمقاييس ، وقد استخدم في العراق أيام الدولة العباسية أنواع متعددة من المكاييل والأوزان، تتبع أهمية استخدامها وبالتالي ضبطها لصلتها بالتعاملات المالية المختلفة، بإعتبار التلاعب والغش فيها إن وقع قد يؤدي إلى تعطيل ما ورد في

---

(١) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص ٣٨.

(٢) أثبتت التحقيقات أن سبب حريق سنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) هو كرة من الكتان مشبعة بالنفط ألقيت بفعـــل فاعـــل. مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٤٩.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٤٩.

الشرع[١]، ويتنافى مع أوامر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [٢]، ورأت الدولة ضرورة مراقبة الأوزان المستخدمة في الأسواق، عن طريق المحتسب الذي كان ذو خبرة ومعرفة واسعة بأساليب الغش والتدليس المتبعة لدى الباعة على اختلافهم[٣]، ومُلزماً الباعة بضرورة القيام بصيانة الأوزان ومسحها وتنظيفها حتى لا يلتصق بها شيء يؤدي إلى زيادة وزنها[٤]، وحرصاً على أن تكون العمليات التجارية سليمة ودقيقة.

وأُتخذت المكاييل من عدة مواد، حيث صُنعت من الخشب والمعادن والزجاج، وقد عثر على نماذج متنوعة منها تعود للقرون الهجرية الثلاث الأولى محفوظة في العديد من المتاحف العالمية[٥]، أما بالنسبة للأوزان فقد فُضل اتخاذها من الحديد والإبتعاد عن استخدام الحجارة، والتي وإن اضطر إلى استخدامها وجب ختمها من قبل المحتسب لضمان عدم التلاعب فيها[٦]، ويبدو من بعض الإشارات استخدام الخشب[١] ولو على سبيل الغش من قبل بعض التجار.

---

(١) ابن الرفعة الأنصاري، أبو العباس نجم الدين (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد اسماعيل الخاروف، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص٤٧. وسيشار له لاحقاً: ابن الرفعة الأنصاري، الإيضاح والتبيان.

(٢) سورة هود، آية (٨٥).

(٣) أنظر مثلاً: الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق أحمد جابر بدران، دار الرسالة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٧٦-١٧٨. وسيشار له لاحقاً: الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة.

(٤) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٧٦؛ الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٨، وسيشار له لاحقاً: الشيزري، نهاية الرتبة.

Serjeant, Robert ,**Studies in Arabian History and Civilisation**,variorum Reprints,London,١٩٨١ Vll,P.١٣.

(٥) حلاق، محمد صبحي، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ١٤٠-١٤٨. وسيشار له لاحقاً: حلاق الإيضاحات العصرية للمقاييس.

(٦) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص١٩ .

ويشكل الرطل البغدادي أهمية كبيرة في العراق، وقد أُختلف في مقداره فقيل مائة وثمانية وعشرون درهماً[٢]، وقيل مائة وثمانية وعشرون وأربعة أسباع الدرهم[٣]، وقيل مائة وثلاثون درهماً[٤]، وقد عُثر في مدينة سامراء على مكاييل زجاجية وفخارية خُتمت بالرطل البغدادي[٥]، مما يدلل على اتساع انتشاره في داخل العراق، بل وخارجه، فكان مستخدماً في إفريقيا لوزن القمح[٦]، وتجدر الإشارة إلى ورود استخدام الرطل للدلالة على أوزان بعض القيود التي كان يوثق بها أعداء الدولة العباسية[٧].

واستخدم القسط أيضاً، وقد أُتفق أنه يساوي نصف صاع نبوي، إلا أن الإختلاف كان في مقدار الصاع النبوي نفسه، وبما يعادله بالرطل البغدادي الذي اختلف أيضاً في مقداره، جعل بالنهاية قيمة القسط متباينة[٨]، أما عن استخداماته فقد استخدمه الأطباء[٩]، وهو عندهم مكيال يسع

---

Serjeant ,**Studies in Arabian History**. Vll,P.١٣

(١) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٧٧.

(٢) يساوي (٤٠٧,٤٩ غرام) أنظر: ابن الرفعة الأنصاري، الإيضاح والتبيان، ص٦٥؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص٣٥؛ فاخوري موسوعة وحدات القياس، ص ٣٩٠.

(٣) يساوي (٤٠٩,٣١ غرام)، ابن الرفعة الأنصاري، الإيضاح والتبيان، ص٦٥؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص٣٥؛ فاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣٩٠.

(٤) يساوي (٤١٣,٨٦ غرام)، مجهول، كنز الفوائد، ص ٢٣، ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن لوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، ١٩٣٧م، ص٨٠ . وسيشار له لاحقاً: ابن الأخوة القرشي، معالم القربة؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٣٥، فاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣٩١.

(٥) زره، فريدريش وأيرنيست هرتسفلد، تنقيبات سامراء، ترجمة علي يحيى منصور، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٥م، ج٢، ص٩٠ . وسيشار له لاحقاً: هرتسفلد ، تنقيبات سامراء .

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (باجة)، مج١، ص ٣٧٣.

(٧) أنظر مثلاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٦٠.

(٨) يساوي تقريباً بين (١) كيلو غرام و (١,٨) كيلو غرام، أنظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٥؛ فاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية، ص ٤٥٧–٤٥٨.

(٩) أغفلت بعض الدراسات الإشارة إلى ذلك مثل: الضلاعين، مروان ، التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول ( ١٤٥هـ – ٢٤٧هـ) ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٦م، ص ١٧٢. وسيشار له لاحقاً : الضلاعين، التجارة في بغداد، ص ١٧٢.

نصف صاع[١]، كذلك ورد استخدامه في البرديات العربية التي تعود إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لبيان كميات العسل والزيت وبعض المواد المستخدمة عند العطارين[٢]، ومع هذا الإختلاف في بعض الأوزان، إلا أن هناك ثباتاً في بعضها الآخر مثل المثقال[٣]، الذي فضّل الكثيرون استخدامه في الوزن بإعتبار قيمته ثابتة لم تختلف في الجاهلية وفي الإسلام[٤]، ويتم ضبط المثقال إما بحب الشعير أو الخردل البري المتوسط منها والتي لم تقشر وقد قطع ما امتد من طرفيها[٥]، مما يشير إلى الحرص الواضح في ضبط وزنها.

واستخدم كذلك الكر[٦] بأنواعه، المعدل[٧]، والفالج[٨]، والهاشمي[٩] والسليماني[١٠] والكامل[١١]، ومن المكاييل الأخرى أيضاً الكيلجة[١]، والمكوك[٢]، والمدُّ[٣] والمن[٤] الذي

---

(١) الأزدي، الماء، ج٣، ص ٢٠٣.

(٢) يساوي من الزيت (٠,٦) كيلو غرام، ومن العسل (٠,٩) كيلو غرام، جروهمان. أوراق البردي العربية، ج٥، ص ١٤٧، ج٦، ص ١١٤. فاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٢١٧؛ ابن الأخوة القرشي، معالم القربة، ص ٨١.

(٣) يساوي (٤,٥) غرام. الأزدي، الماء، ج١، ص٢٢٧؛ ابن الأخوة القرشي، معالم القربة، ص٨١؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٢١٧.

(٤) السمرقندي، الشروط والوثائق، ص ٤٠.

(٥) ابن الرفعة الأنصاري، الإيضاح والتبيان، ص ٥٠-٥٢.

(٦) هو ستون قفيزاً والقفيز يساوي ثمانية مكاييل والمكوك صاع ونصف. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٥؛ ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٧، ص ٢٨٤، هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٩.

(٧) تُكال به الغلات في سائر السواد ويساوي (٢٩٧٩,٨) كيلو غرام. البوزجاني، المنازل السبعة، ص ٣٠٣؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣٠٠، قارن مع: هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٩.

(٨) به كانت ترفع الحسابات ويساوي (١١٩١,٩) كيلو غرام، أنظر: البوزجاني، المنازل السبعة، ص ٣٠٤-٣٠٥؛ الصابئ، الوزراء، ص ٢٨٣، الفاخوري موسوعة وحدات القياس، ص ٣٠٢.

(٩) يساوي (٩٩٣,٢٧) كيلو غرام، البوزجاني، المنازل السبعة، ص ٣٠٣؛ الفاخوري، وحدات القياس، ص ٣٠٣.

(١٠) يساوي (٧٩٤,٦١) كيلو غرام. البوزجاني، المنازل السبعة، ص ٣٠٣؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣٠٥.

(١١) يُستخدم في واسط وله عدة أسماء بإختلاف مناطق استخدامه ويساوي (١٤٨٩,٩) كيلو غرام. البوزجاني، المنازل السبعة، ص ٣٠٣؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس ص ٣٠١.

استخدم في حساب وزن بعض السلع المهمة مثل المسك[٥]، وإلى جانب هــذه المكاييــل، فقــد استخدم الأطباء مكاييل أخرى يتضح على بعضها مُسميات تختص بالنقود مثل الــدرهم الــذي استخدم في حساب كميات العلاج والوصفات الخاصة بالعطارين[٦]، ويســاوي مقــدار ملعقــة الـــــدار[٧]، وهنـــــاك الـــــدانق الـــــذي اســـــتخدم فـــــي بعـــــض المقـــــادير العلاجية[٨]، ويساوي ما مبلغه سدس الدرهم[٩]، كما استخدم عند الأطباء الكف[١٠]، وهو من أشــهر مكاييل الأطباء تتميز بصغر حجمها وهذا ضروري لضبط كميات ومعدلات العلاج، والملاحظ أنها أيضاً استخدمت في حساب بعض المواد التي تُضاف إلى الأطعمة أو المأكولات[١١]، التــي كانــت تُزين بها موائد العصر العباسي.

---

(١) الكيلجة يُعتقد أنه مكيال فارسي الأصل، وقد اختلف في مقداره ويساوي تقريباً ما بين (١,٥٥) كيلو غرام إلــى (١,٩) كيلو غرام. هنتس، المكاييل والأوزان، ص٧١؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣١٤–٣١٥.

(٢) من المكاييل المهمة المستخدمة في العراق وقد اختلفت المصادر والدراسات الحديثة في تحديد مقداره بــين (٣) كيلوغرام و (٦) كيلوغرام، ويبدو أن الخلاف كان بسبب الإختلاف في حساب الجزيئات (الدراهم) التي يتكــون منها. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٧٨؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣٤٠.

(٣) المُدّ: مكيال يساوي رطلين عند أهل بغداد ويساوي تقريبــاً (٨١٢) غــرام. الأزدي، المــاء، ج٣، ص ٣٣٧، هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٧٤.

(٤) المن: يعادل رطلين ويساوي تقريباً عند التجار ما بين (٨١٦) غرام إلى (٨٢٧,٧) غرام أما عند الأطباء فيساوي تقريبــاً (٨١٨) غرام. هنتس، المكاييل والأوزان ص ٤٦؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٤٣٠، ٤٣٢.

(٥) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٥٩ (حساب مقدار كميات المسك المهداة).

(٦) أنظر وصفات أطباء الواثق وغيره من الخلفاء عند: ابن وحشية، الفلاحة النبطيــة، ج٢، ص ٧٩٢؛ الكــوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٢٣٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ١٩٢.

(٧) تساوي تقريباً (١٠/٧) من المثقال. الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٢٣٢؛ الفاخوري، موسوعة وحــدات القياس، ص ١٨٨–١٨٩. والبعض يقول أن المثقال نفسه يساوي درهم.

(٨) عن استخدام الدانق في الوصفات أنظر: الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٢٣١.

(٩) دانق مُعربة من الكلمة الفارسية (دانك) وتعني السدس وتساوي (٠,٥) غرام، الفــاخوري، موســوعة وحــدات القياس، ص ٣٨٢.

(١٠) الكف هو وزن يستخدم عند الأطباء والعطارين ويعادل حوالي ستة درخميات أي ما بين ٤ إلى ٢٧ غــرام. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٨٠؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٤٢٥.

(١١) أنظر مثل هذا الاستخدام عند: البغدادي، الطبيخ، ص ٥٠، ٥٣، ٩٧.

أما فيما يخص المساحة فقد استخدمت العديد من وحدات القياس مثل البريد[١] والفرسخ[٢] والذراع بأنواعها اليوسفية[٣] والسوداء[٤] والهاشمية الكبرى[٥] والهاشمية الصغرى[٦] والزيادية[٧] والعمرية[٨] والميراثية[٩]، يضاف إليها وحدات أصغر لقياس الطول مثل الشبر[١٠]والإصبع[١١]، ويجب الإشارة إلى وجود عدد من الوحدات المشتركة والتي تستخدم

(١) يساوي البريد (١٢) ميل ويساوي (٢٣,٦٧) كيلو متر. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٦، هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٨٢؛ الفاخوري، موسوعة العربية، ص ٩٥-٩٦.

(٢) الفرسخ يتألف من ثلاثة أميال وكل ميل يساوي ألف باع وكل باع أربعة أذرع شرعية أي يساوي تقريباً ما بين (٥,٩-٦) كيلو متر. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٩٤؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ١٤٤.

(٣) الذراع اليوسفية: باسم القاضي أبي يوسف (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م) يُذرع بها القضاة الدور في مدينة بغداد طولها حوالي (٥٢ سم). الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٨٢، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٢.

(٤) الذراع السوداء: وضعها الخليفة هارون الرشيد وقُدرت بذراع خادم أسود كان عنده، تستخدم عند التجار في قياس أطوال البز والأبنية وسائر التجارات وتساوي تقريباً ( ٥٤ سم). الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص١٨٢؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص٨٨؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس ص ١٠٧-١٠٨.

(٥) الذراع الهاشمية الكبرى هي ذراع الملك، أول من نقلها إلى الهاشمية هو الخليفة أبو جعفر المنصور، وتساوي حوالي(٦٦,٥) سم. الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٨٢؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٠.

(٦) الذراع الهاشمية الصغرى: يتعامل بها الناس في البصرة والكوفة وهي أنقص من الزيادية ثلاثة أرباع العُشر وتساوي حوالي (٦٠) سم. الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٨٢؛ هنتس المكاييل والأوزان، ص٩١.

(٧) الذراع الزيادية: سميت بذلك لأن زياد بن أبيه مسح بها السواد ويذرع بها أهل الأهواز وتساوي حوالي (٦٦,٥) سم. الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٨٢، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٨٨.

(٨) الذراع العمرية: ذراع عمر بن الخطاب التي مسح بها السواد، وتساوي (٧٢,٨) سم. الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٨٢-١٨٣؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص٨٩.

(٩) الذراع الميراثية: أول من وصفها المأمون، وهي التي يتعامل بها الناس في ذرع السدود والبزندات والسكور والأنهار والحفائر وتساوي (١٤٥,٦) سم. الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٨٣؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٠.

(١٠) الشبر: استخدمت لقياس طول بعض الملابس ويساوي (٢١) سم، المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ١٥٩، الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ١٣٦-١٣٧.

(١١) الإصبع: استخدم لقياس الأطوال والارتفاعات الصغيرة لبعض الملابس أو النباتات، ويساوي ما بين ٢ إلى ٣ سم، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٧٢، ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص٧٧٢؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٩٢-٩٣.

للدلالة على الوزن والمساحة مثل الجريب[١] والقفيز[٢] والشعيرة[٣]، للمقادير والمساحات الكبير والصغيرة.

مما سبق يتضح أن هذا التنوع في المكاييل والأوزان والمقاييس جاء بهدف ضبط العمليات الحسابية الخاصة بالزراعة أو التجارة سعياً لتحقيق مبادئ وأسس الشرع فيها ومنعاً للغش ، وقد سعت الدولة العباسية إلى ضبطها من قبل بعض العُمال مثل المحتسب، إضافة إلى ختمها للدلالة على أنها رسمية، وهذا ما دلت عليها التنقيبات الأثرية في بعض المدن العراقية.

### ج) التعاملات المالية .

تعددت وسائل التعاملات المالية في العراق، فأحياناً تُستخدم (النقود)، وأحياناً يُستعاض عنها بوسائل أخرى، فقد عرف التجار أسلوب (المقايضة) والذي انتشر في تعامل تجار العراق مع جزر المحيط الهندي وشرق افريقيا، حيث كان سكان هذه الجزر يدفعون بضائع متنوعة مثل الرقيق والعنبر والنارجيل (جوز الهند) مقابل الحصول من التجار على التمور والحديد والثياب المتنوعة[٤]، ويأتي هذا بديلاً عن النقود غير المتداولة في هذه الجزر، كما يلاحظ حاجتهم الشديدة للبضائع التي

---

(١) الجريب: وحدة مساحة لقياس الأرض وتساوي ما بين (١٥٥٧-١٥٩٢) متر مربع وهو وحدة كيل أيضاً متفاوتة القيمة. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦١، ٩٦؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص ٣٦٦، ٣٧٠.

(٢) القفيز: وحدة مساحة تساوي مابين (١٥٥ – ١٥٩) متر مربع، وهي أيضاً وحدة كيل اختلف في مقدارها، أنظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٦، ٩٨؛ الفاخوري، موسوعة وحدا القياس، ص ٤١٠، ٤١٢.

(٣) الشعيرة: وحدة طول تساوي (٠,٣٤) سم ووحدة وزن تساوي عند الفقهاء ما بين (٠,٠٤) غرام – (٠,٠٧) غرام، وعند الأطباء (٠,٠٦) غرام. ابن الرفعة الأنصاري، الإيضاح والتبيان، ص ٧٨- ٧٩، هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٣٩؛ الفاخوري، موسوعة وحدات القياس ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٤) للمزيد أنظر عن هذه المعالمة التجارية: سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص ٣٤ – ٣٥؛ بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص١١، ٣٠-٣١، مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٩-٢٠؛ شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٣؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٦٧.

يحملها تجار العراق الذين يمرون بهم، والتي يبدو عليها أنها أرخص قيمة من السلع التي تدفع إليهم من سكان الجزر، مما يجعل القيمة المالية والأرباح المجنية من قبل تجار العراق عالية.

أما على صعيد التجارة داخل العراق فقد استخدمت (النقود)، كما عمد بعض التجار ولضمان حقهم إلى أخذ بعض الجواهر الثمينة من أصحابها رهناً لديهم حتى يتم سداد دينهم، وقد عُرفت ممارسة هذا الأمر مع بعض الكتّاب في خلافة المتوكل[١]، كذلك أستخدم (الصك)[٢]، وهو من الوسائل المستخدمة في صرف أرزاق الخلفاء والأمراء، حيث صرفت بعض الصكوك في أيام خلافة الواثق لأخيه المتوكل قبل خلافته[٣]، ولكن كثر إستخدامه بشكل واسع في صرف أرزاق الجند، فقد عرّف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٤م) الصك بما يشعر أهميته في هذا المجال بقوله: (أنه السجل الذي يُعمل لتكتب فيه أسماء المستحقين، ومبالغ المال المقدرة لهم، وتحمل في خاتمتها توقيع السلطان، كدلالة على استحقاق صرفها)[٤]، فقد صرفها أحمد بن محمد بن المدبر (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) الكاتب[٥] للجند، كذلك صرفها للعديد من وجوه الناس، ودرج على هذا الأمر الوزير أبو علي محمد بن الحسين بن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) عندما عمد إلى كتابتها للكثيرين[٦]، كما حظي بعض المقربين من الشعراء والندماء في الحصول عليها، فقد حظي الشاعر أحمد بن جعفر أبو الحسن النديم المعروف بجحظة (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) بالحصول على صك عمد

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١١٥.

(٢) الصك: الإعتراف أو الإقرار بالمال، وهي معرب لكلمة (جك) وتعني أيضاً وثيقة أو كتاب وهي تشبه الشيك أو الكمبيالات اليوم . ابن منظور، لسان العرب، مادة (صكك)؛ التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص١٢٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٥٦؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠١.

(٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٥٦.

(٥) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص ١٥٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص١٢٥.

(٦) الصابئ، الهفوات النادرة، ص ١٧١.

إلى صرفه عند أحد الصيارفة، وأخذ فائدة مالية عليه هي درهم على كل دينار[١]، ويظهر أنها فائدة ثابتة في التعامل مع جميع الأفراد.

عُرف الصك عند البعض بأنه (عقد البيع) [٢]، ليوضح بذلك الغاية منه، وهي مسألة ضمان الحقوق في العمليات التجارية، وقد عرف تجار البصرة التعامل بها حتى أن البعض كان لا يستخدم في تجارته سواها[٣]، وهذا يعكس وجود بعض الصكوك التي كانت تحتوي على مبالغ مالية صغيرة لا تتجاوز الدراهم، ففي سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) كتب لأحدهم صك بثمن بواري[٤] ونفط اشتريت بتسعة دراهم[٥]، ولكن ذلك لا يمنع من احتواء بعضها على مبالغ مالية ضخمة تساوي ثروات بعض رجال الدولة البارزين، فقد كتبت في سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) صكوك بثروة بعض رجال الدولة لتنقل لبجكم التركي (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) [٦]، وهذا يعني شيوع استخدام الصكوك، وتنوع مقدارها المالي وطبيعة التعامل بها من قبل جميع أفراد الدولة، بما في ذلك الخلفاء والأمراء وكبار القادة والجند، إضافة للتجار بطبيعة الحال.

أما السفاتج وهي إحدى وسائل الإئتمان والتعامل المالي، فهي أن يكون لأحدهم متاع ببلد عند رجل يتصف بالأمانة، فيأخذ من آخر عوض ماله ويكتب له به إيصالاً (كمبيالة) [٧]، خوفاً من غائلة

---

(١) الخطيب البغدادي، البخلاء، تحقيق أحمد مطلوب وآخرون، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤م، ص ١٥٦-١٥٧. وسيشار له لاحقاً: البغدادي، البخلاء ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٦٢؛ متز، الحضارة ، مج٢،ص ٣٨٠.

(٢) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٢، ص ٣٧٢- ٣٧٣.

(٣) علوي ، ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م )، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٣م، ص ١٦٤.وسيشار له لاحقاً: خسرو ، سفر نامه .

(٤) البارية: الحصير الخشن، ابن منظور، لسان العرب، مادة (برى).

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١١٠.

(٦) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٤٨.

(٧) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص١٦٨؛ التونجي، معجم المعربات الفارسية ص ١٠٨.

الطريق ومخاطره، وكان من المألوف أن ترسل أموال الدولة من قبل عمالها على سفاتج بلغت قيمة بعضها في سنة(٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) خمسمائة ألف درهم[١] وهذا يشير إلى شيوع استخدامها حتى من قبل الدولة نظراً للأمن المتأتي من استخدامها، وقد استمرت بعض الولايات التابعة للدولة العباسية، على رفع أموالها إلى بغداد وعلى مدار العديد من السنوات على سفاتج، فقد قُدّرت قيمة السفاتج التي كان يرفعها أحمد بن طولون (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) إلى الخليفة المعتمد وعلى مدار أربع سنوات ما بين سنة (٢٦١- ٢٦٥هـ/ ٨٧٤- ٨٧٨م) بحوالي ألف ألف دينار ومائتا ألف ألف دينار[٢]، وتكرر استخدامها في سنة (٢٦٨هـ/ ٨٨١م) بإرسال سفتجة بمبلغ مائة ألف دينار إلى بغداد[٣].

وحرص رجال الدولة العباسية بخاصة الوزراء على التعامل بها، حتى قدر مبلغ ما ورد بواسطتها في سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) بثلاثمائة ألف دينار[٤]، وهذا يؤكد درجة الأمان التي تتمتع بها، إضافة إلى أنها كانت تخضع لمراقبة الدولة العباسية بدليل مصادرة الدولة في سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٥م) السفاتج قادمة من فارس وأصفهان ونواحي المشرق[٥]، كما أنها كانت تصرف كما تدل بردية مؤرخة بالقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على يد الجهابذة[٦]، وذلك لضمان عدم

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ١١٢.

(٢) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨١-٢٨٦.

(٤) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص ٥٧.

(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٨٣.

(٦) أنظر نماذج من هذه البرديات: جروهمان، أوراق البردي العربية، ج٤، ص ٢٣٠؛ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الفهارس التحليلية للإقتصاد الإسلامي، عمان ، ١٩٨٥م ، ج٣، ص ٦٤. وسيشار له لاحقاً : الفهارس التحليلية للإقتصاد الإسلامي .

التلاعب بها وبقيمتها، خاصة أن وثائق الجهابذة والصيارفة أُعتبرت حجة قانونية وشـرعية أمـام القضاة[١] ، يعتمدون عليها في قضاء الخصومات.

وكثر استخدام السفاتج بين التجار خاصة المسافرون إلى الهند والصين[٢]، كوسيلة تبعدهم عن خطر القراصنة واللصوص، الذين ينالون من بضائعهم وأموالهم، وزودت الأسواق في تلك النواحي بالقائمين على صرفها[٣]. كذلك استخدمت السفاتج بين التجار في بغداد بشكل واسع أيام وزارة أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/ ٩٢٤م) [٤] ، واستخدمت معها أيضاً وثـائق ماليـة أخـرى هـي البراءات، لضمان بلوغ الحقوق إلى أصحابها سواء كانت قروض تجارية أو ديون[٥]، وقد أشارت أوراق البردي إلى صيغ خاصة بها [٦] .

إن هذا التنوع في وسائل المعاملات المالية والإجراءات الدقيقة المستخدمة بُغيـة ضـبطها، ساهم بشكل واضح في تنشيط الحركة التجارية، وجعلها قادرة على ابتكار وسائل عديدة لحل مشاكل التجارة وتعاملاتها.

---

(١) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٨، ص ١٢١– ١٢٢.

(٢) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ١٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٧.

(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٦٩.

(٥) البراءة: هي حجة أو ورقة يبذلها الجهبذ أو الدائن إلى المدين بما يدفع إليه من مال استخدمت بشكل واسع في التجارة والتعاملات المالية بين الأفراد، للمزيد أنظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٥٥–٥٦؛ التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مج١، ص ١٤٥؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق٢، ص ٣٨٨.

(٦) أنظر العديد من هذه العقود والصيغ عند: جروهمان، أوراق البردي العربية، ج٣، ص ١٥٨؛ الفهارس التحليلية للإقتصاد الإسلامي، ج٣، ص ٦٧–٦٨.

## ثانياً : الصادرات.

شهدت الحركة التجارية في العراق ، سواء على الصعيد الداخلي في المدن أو الخارجي مع الأقاليم، نشاطاً واسعاً في تبادل السلع والبضائع سواء كانت زراعية أو صناعية، مما جعل للعراق مكانة مهمة على صعيد العلاقات التجارية مع الأقاليم والبلدان التي وصلها تجار العراق، ونقلوا إليها بضائعهم التي لقيت رواجاً واهتماماً من قاطنيها مما زاد في طلبهم عليها.

وارتأى الباحث تناول الصناعات في العراق من خلال الحديث عن الصادرات، لأهمية الربط بين الأمرين في توضيح نوعية الصناعات وأماكن تصديرها في الداخل والخارج، و بيان التنوع الزراعي ومدى الإفادة منه في التسويق، فقد ارتفع من مدينة بغداد التمر الذي كان يُنقل منها لمدن العراق نفسه[١] ، كما ارتفع منها الصابون، والذي على الرغم من قلّة المصادر التي تشير إلى كيفية عمله[٢]، إلا أن هناك بعض الإشارات التي تدل على تقدم أهل العراق بصناعته، فقد عرفوا مزج مادة (القلي Souda) مع الزيت لصنع الصابون[٣]، وأضافوا اليه العديد من الأصباغ لإنتاج الأصناف الملونة منه، مثل الأبيض والأخضر (فيه قليل من الجنزارة) [٤] وهناك الأزرق(علية من

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٠.

(٢) كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين قاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢م، ج١، ص١٩٨. وسيشار له لآحقاً: كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية.

(٣) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٢٩.

(٤) الجنزارة، أو زنجار: هي صدأ النحاس عبارة عن خضرة تعلو الآنية المصنوعة من النحاس تنتج من تفاعل الأوكسجين مع النحاس مكونة أوكسيد النحاسوز أو النحاسيك السام. الباشا، محمد، معجم الكافي، شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٢م، مادة (الجنزار)، ص ٣٤٣. وسيشار له لاحقاً: الباشا، الكافي، أمريكاني، منتخبات صناعية، ص ٣٨.

مادة النيل)، والأحمر (قليل من الزعفران)، والأصفر (أضيف اليه نسبة عالية مـــن الزعفـــران)، وغيره من الألوان ، واستخدمو الأخشاب الجيدة للنقش عليه [١] .

ان هذة التقنية تجعلنا ندرك مدى التقدم الذي أحرزه أهل العراق وتحديداً أهل بغداد في معرفة عمل الصابون، نظراً لحاجتهم إليه، فقد قدرت الحمامات فـــي العـــراق أيـــام الخليفـــة المعتضـــد (ت٢٨٩هـ/ ٩٠٢م) بمائة وعشرين ألف حمام[٢]، كان الكثير منها في مدينة بغداد.

واشتهرت بغداد بتصدير وصناعة الثياب مثل(الكرباس) ، التي نُسبت إلى أماكن عمله العديد من المحال والدكاكين [٣] ، وهناك أيضا الثياب ( الإبريسيمية) التي ذكرت محالها ودكاكينهـــا فـــي حدود سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)[٤]، والمنسوجات القطنية[٥] ،كذلك صناعة العطـــور مثـــل العطـــر المسمى (المقتدري)؛ ربما لشهرة إستخدامة من قبل الخليفة المقتدر، وقد تميـــزت هـــذة العطـــور بجودتها وحسن عملها حتى قيل أنها لا تؤثر في الثياب[٦] ، ولجودة سلع مدينة بغداد، فقد تعرضت للتدليس في بعض المدن خارج العراق، فقد كانت مثلاً تُصنع بنهر تيري[٧]، ثياب تشبه ثياب بغداد،

---

(١) مؤلف مجهول، كنز الفوائد، ص ٢٢٨؛ أمريكاني، منتخبات صناعية، ص ٨.

(٢) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص ١٨-١٩.

(٣) ثياب الكرباس منسوبة إلى بلدة الحظيرة من أعمال بغداد جهة تكريت . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مـــادة ( الحظيرة ) ، مج٢، ص٣١٦.

(٤)الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٨، ص ٣٤١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج١، ص ٣١٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٤٤٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٠٩ ؛ العلي، صالح أحمد، المنسوجات والألبســـة العربية في العهود الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٥. وسيشار له لاحقاً: العلي، المنسوجات والألبسة.

(٥) ذكرت دار القطن في بغداد سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م): الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص ١٣٤.

(٦) أنظر العديد من أنواع العطور البغدادية عند: التوحيدي، الرسالة البغدادية ص ١٣٩ – ١٤٨.

(٧) نهر تيري: بلدة من ناحية الأهواز اشتهرت بعمل الثياب . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (نهـــر تيـــري)، مج٥، ص ٣٦٨؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٧٦.

فتدلس على أنها بغدادية صنعت في بغداد نفسها[١]، وربما كان سبب ذلك الغُش هو شهرة ثياب بغداد وارتفاع أثمانها في مختلف الأقاليم.

وعلى الرغم من ندرة الإشارات عن سعر الثياب خارج العراق، إلا أن بعض البرديات التي تعود للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، تُشير إلى أن أسعار أردية بغداد تتراوح أسعارها في مصر مثلاً بين دينارين وثلاثة دنانير وثلث[٢]، مما يشير إلى جودتها وسمعتها الطيبة عند أهالي تلك الأقاليم.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الثياب المشهورة صناعتها في الأقاليم، صنع بعضها في مدينة بغداد، وإن كانت تحمل أسماء توحي بأنها صنعت في مدن أخرى، فمثلاً الثياب التسترية تُعمل على أيدي أهل تستر المُقيمين في بغداد نفسها[٣]، وهذا يعكس استفادة أهالي المدن العراقية من العمالة القادمة من خارجها في تفعيل صناعاتها وتنشيط حركتها التجارية، وقد ساهمت المرأة في بغداد في العملية الصناعية للمنسوجات والملابس خاصة في العمل المتعلق بمهنة الغزل[٤]، وهذا يقيس مدى المشاركة الواسعة من مختلف أهالي المدينة في العمل الصناعي وبالتالي تنشيط التجارة.

واشتهرت مدينة الكوفة بعمل أو صناعة الوشي[٥]، الذي كان يلبسه الكثير من رجال الدولة العباسية[٦]، وعمائم الخز التي وصفت بجودتها العالية[٧]، أما مدينة البصرة التي وصفت بأنها

---

(١) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٦٥؛ العلي، الأهواز، ص ٢٧.
(٢) جروهمان، أوراق البردي العربية، ج٦، ص ٩٢، ٩٩، ١٠١.
(٣) نوري، موفق سالم، خطط بغداد في معجم البلدان لياقوت الحموي، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠١م، ص٦٠-٦١، وسيشار له لاحقاً: نوري، خطط بغداد.
(٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٤٠٢.
(٥) الجاحظ، التبحر بالتجارة، ص ٢٧.
(٦) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص ٩٧.
(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٤.

"مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها"[١]، فقد عرفت صناعة الزجاج والمنسوجات المختلفة التي صدرت حتى إلى إفريقيا[٢]، والمسك الذي عُرف في الأقاليم والمدن خارج العراق باسم (المسك العراقي) رغم عمله بالبصرة، وهو مهم لصناعة العديد من العلاجات عند الأطباء والعطارين[٣]، والذي احتل المكانة الثالثة كأفضل أنواع المسك المستخدمة في أكثر الأقاليم[٤]، ويصدر من البصرة الأُزر والطرائف والكحل[٥]، والأسماك والتمور المختلفة الشهيرة[٦]، كما شكلت سوقاً رائجاً لبيع الكتب في سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) وسنة (٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)[٧] وبيع القصب[٨] أيضاً، وهذا كله يشير إلى تنوع البضائع المصدرة منها، وقد يكون لموقع البصرة التجاري دوراً مهماً في ذلك.

وصُنعت بالبصرة أنواع عديدة من النعال[٩]، استخدم في صناعتها أنواع مختلفة من الجلود، بخاصة جلد البقر[١٠]، كما استخدمت العديد من الأدوات التي ترد كثيراً في المصادر، مثل (القُزُوم) وهي الخشبة أو المجسمات التي يُعمل عليها الحذاء، أو النموذج الذي يُقدر عليه حجم النعل، وهناك

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٨٠؛ التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٦، ص ١٣.

(٢) صالح العلي، صاحب الزنج، ص ٢٨.

(٣) الكوهين العطار، منهاج الدكان، ص ٦٨.

(٤)المصدر نفسه ، ص ٢٤٦.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٤.

(٦)المصدر نفسه ، ص ١٢٥.

(٧) المريخي، سيف شاهين، تجارة الكتب العرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين، حولية التاريخ الإسلامي، جامعة عين شمس، مج٦، سنة ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م، ص ٩-١٠، وسيشار له لاحقاً: المريخي، تجارة الكتب.

(٨) ذكرت أسماء بعض من يقوم ببيعه أنظر: ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ/ ٨٩٤م) الرقة والبكاء، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، مكتبة العبيكان، ١٩٩٤م، ص ٧٥، وسيشار له لاحقاً: ابن أبي الدنيا، الرقة والبكاء.

(٩) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١١٦؛ الوشاء، الموشى، ص ١٦١.

(١٠) أبو هلال العسكري، التلخيص، ص ١٦٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (صعدة)، مج٣، ص٤٦١.

(الميجنة) وهي الخشبة التي يعمل عليها الأدم التي تُصنع منه النعال[١]، ويراعى في عملها طبيعة الموسم أو الفصل الذي تلبس فيه، فقد اشتهر عن أهل العراق ارتداء النعال المشعّرة أو البحيرية [٢] في فصل الشتاء لمناسبتها للبرد، وهذا يظهر ملاحظة الصناع أو أصحاب الحرف لطبيعة المناخ الذي يعيشون فيه، والصنعة الملائمة له.

وصدرت مدينة سامراء العديد من السلع أيضاً، في مقدمتها الزجاج الملون[٣]، والخزف بألوانه المختلفة، فقد دلت التنقيبات الأثرية على صناعة خزف بألوان الأزرق والأخضر والحليبي، والتي تتميز بتقنية (التزجيج)، وهو أسلوب طلاء القطع الخزفية بأصباغ معدنية تُكسب الإناء بريقاً جميل ذو لمعة، وتتم مرحلة الطلاء في المرحلة قبل الأخيرة والتي تسبق حرقه بالنار[٤]، ولسهولة تصديره إلى الخارج فقد عُمد عند عمل الصحون إلى جعلها غير عميقة وحافتها منبسطة ليساعد ذلك على ترتيبها فوق بعضها البعض دون أن تتضرر بسبب النقل أو الحركة[٥]، ووصلت تلك الصناعة في سامراء إلى درجة متقدمة دلّت عليها التنقيبات الأثرية التي عثر عليها في مدينة سامراء، إضافة إلى العثور على نقوش وكتابات على بعض القطع مثل كتابة (عمل كثير بن عبد الله) وهي على ما يبدو تظهر اسم من قام بعمله[٦]، وتحتفظ العديد من المتاحف العالمية بأشكال عديدة من الخزف السامرائي، تعود العديد من القطع إلى القرنين الثالث والرابع الهجري/ التاسع

(١) للمزيد عن هذه الأدوات أنظر: أبو هلال العسكري، التلخيص، ص ١٦٦.

(٢) الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، ج١، ص ٢٦٩.

(٣) عثر عليها في قصور لسامراء تعود للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أنظر: بصمه جي، فرج، كنوز المتحف العراقي، وزارة الإعلام، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٢م، ص ٤١٧، وسيشار له لاحقاً: بصمه جي، كنوز المتحف العراقي.

(٤) يونس السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ج١، ص ١٩٢ – ١٩٥؛ هرتسفلد، تنقيبات سامراء، ج٢، ص ٢٣.

(٥) حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي،ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ١٧٨، وسيشار له لاحقاً: حسن، الفنون الإيرانية.

(٦) يونس السامرائي، تاريخ سامراء، ج١، ص ١٦٢؛ حسن، الفنون الإيرانية، ص ١٨١.

والعاشر الميلادي، عليها كتابات بالخط الكوفي، تُشابه قطع أخرى عُثر عليها في الصين والهند والخليج العربي أيضاً[١]، مما يدل على التأثير المتبادل فيما يخص صناعة الخزف وتشابه التقنيات والأساليب المستخدمة في صناعته.

وقد درج استخدام الأواني الخزفية وغيرها في العصر العباسي وتعددت أسماؤهاعند الأهالي[٢]، مما يعكس بذلك مدى انتشارها في مدن العراق، وقد عرفت سامراء كذلك تزيين البيوت بالجص[٣]، وهذا يوحي بشمول وارتفاع مستوى الصناعات لديها، إلى جانب اهتمامها بالصناعات أو الحرف الفضية[٤]، وعلى ما يبدو فإن انتقال الخلفاء العباسيين إليها وإقامتهم فيها، دفع العديد من الحرفيين للسكن فيها أيضاً، وهو أمر زاد من فعاليتها الإقتصادية في مختلف النواحي.

وفي مدينة واسط، تقدمت صناعة البسط والأقمشة والثياب المصبوغة[٥]، فقد عرف أهل واسط صبغ الصوف ببعض المواد المجلوبة من مدن اليمن، وبلغ بهم الإتقان في عملية الصبغ درجة أن أصبحوا أشهر من مصر في ذلك[٦]، كما برعوا في صباغة الإبريسيم[٧] وعملوا منه

---

(١) كرسويل، الخزف الصيني، ص ٥٨؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٢٧ – ١٢٨.

(٢) أطلق بنان (ت ٣٠٠هـ/ ٩١١م) على الجفنة أم كثير، والخوان أبو جامع، والطست بشر والإبريق بشير، والطيفورية أم روح. الخطيب البغدادي، التطفيل ص ١٦٥؛ وعن معاني هذه الآنية أنظر: الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، مبادئ اللغة، تحقيق يحيى عبابنة وعبد القادر الخليل، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧م، ص ١١٧–١٢٢. وسيشار له لاحقاً: الإسكافي، مبادئ اللغة.

(٣) مديرية الآثار العامة ، دليل متحف الموصل،ط٢، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٣٨. وسيشار له لاحقاً: دليل متحف الموصل.

(٤) بصمه جي، كنوز المتحف العراقي، ص ٤١٨.

(٥) مجموعة باحثين، حضارة العراق، ١٣ جزء، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥م، ج٥، ص٢٨٠. وسيشار له لاحقاً: حضارة العراق.

(٦) أبو دلف، مسعر بن مهلهل الخزرجي( ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) ، الرسالة الثانية، تحقيق بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، ترجمة محمد خير مرسي ، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٤٨. وسيشار له لاحقاً : أبو دلف، الرسالة الثانية .

(٧) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٢.

العديد من الثياب[١]، وشكلت المحاصيل الزراعية مثل الشعير والرز والسمسم جانباً من صـــادرات واسط حتى كان لها دور في تثبيت أسعارها في أسواق العراق للعديد من السنوات[٢]، نظراً لكثـــرة إنتاجها منها ورخص أسعارها.

دفع التنوع الزراعي في مدن العراق إلى اختلاف المواد والسلع المصدرة ، فتشتهر عبـــادان بالحصير الذي يعمل من الحلفاء[٣]، حتى كان الكثير من التجار والمسافرين المارين بها يحرصون على شراء الكثير منه[٤]، وساعدت ليونته على إمكانية طيه بالعرض كما تطوى الثياب[٥]، الأمـــر الذي ساعد على نقله بسهولة.

وقد رافق تعدد المنتجات النباتية بخاصة الفاكهة إشارات عديدة لها عند الشعراء، خاصة فيما يتعلق بعمل أنواع مختلفة من المربيات[٦]، إلى جانب ذلك تمّ ابتكار أساليب مختلفة وســـهلة لحفـــظ ثمار الفاكهة، فمثلاً يكون حفظ التين بأخذ اليابس منه ويُحشى بالعسل والزعفران، ثم يوضــــع فـــي غربال ويوضع على رأس قدر فيها ماء يغلي، ويترك حتى ينضج، ثم يوضع في آنيـــة وأطبـــاق لحفظه[٧]، وهذا يشعر بمستوى التصنيع المرتبط بآلية حفظ المواد الغذائية من جهة، والتكيّف السليم مع البيئة ومنتجاتها المتنوعة من جهة أخرى .

وبشكل عام، فإن سياسة الإكتفاء وتوفير المتطلبات المتعلقة بالحرف البسيطة، والتي قد ينتج عنها فائض يُستفاد منه في التصدير سواء لمدن العراق أو خارجه كان شائعاً حتى في بادية العراق،

---

(١) الوشاء، محمد بن إسحاق (ت ٣٢٥ه/ ٩٣٧م)، الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق كمـــال مصـــطفى، ط٢، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٣م،ص١٦٢؛ وسيشار له لاحقاً: الوشاء الموشى.

(٢) حضارة العراق، ج٥، ص ٣١٦-٣١٧.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢٥.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٦٩.

(٥) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٣٧.

(٦) أبو حلتم، اتجاهات الشعر العربي، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٧) مؤلف مجهول، كنز الفوائد، ص ٢٥١-٢٥٧.

التي بدا فيها اهتمام بالحياكة والغزل عبر أدوات بسيطة[١]، ســاهمت فــي صــناعة المنســوجات والثياب.

فضلاً عن إهتمام الخلفاء العباسيين بالملابس، فقد كانو يتدخلون أحياناً في توجيه صــناعتها فيُذكر أن الخليفة المستعين( ت٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) وسع أكمام الثياب وصغر القلانس وقصــرها[٢]، وأكثر الخليفة المتوكل (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) من لبس ثياب الملحم [٣]،مما دفع الناس إلــى لبســه وبالتالي ارتفاع سعره[٤]، وهي سلوكيات كان لها أثرها في تنشيط الحركة التجارية.

## ثالثاً ) العلاقات التجارية والواردات .

ارتبطت العراق بعلاقات تجارية نشطة مع العديد من المناطق والأقاليم، جرى من خلالها التوسع في عمليات استيراد البضائع وتصديرها ، ومن هذه العلاقات :

### ١) التجارة مع البادية .

تُعد البادية مصدراً هاماً لتزويد المدن العراقية بالسلع الأساسية، ومما يؤكد على شدة الترابط التجاري بين مدن العراق خاصة بغداد والبادية، هو تسمية أحد أبواب مدينة بغــداد باســم (بــاب البادية)، ومنه كانت تأتي قوافل الصحراء[٥]، التي تمد المدن بــبعض الحيوانــات مثــل الأغنــام والإبل[٦]، إضافة إلى المنتجات الحيوانية المتنوعة مثل الصوف والوبر والشعر الذي برعــت فــي

---

(١) أبو هلال العسكري، التلخيص، ص ١٥٥؛ الإسكافي، مبادئ اللغة، ٣١٦-٣١٧.

(٢) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمائهم، تحقيق وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٤. وسيشــار له لاحقاً: اليعقوبي، مُشكالة الناس لزمائهم.

(٣) الملحم : نوع من الثياب تتخذ من البرد ذات السواد والبياض. الوشاء، الموشــى، ص١١٨، ١٦١، الســمين الحلبي، عُمدة الحفاظ، مادة (ملح)، ج٤، ص١٢٤.

(٤) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمائهم، ص ٣٣.

(٥) ويلسون، الخليج العربي، ص ١٣١.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦٠٥.

غزله نساء البادية، إضافة إلى مشتقات الألبان مثل السمن والذي عــرف منــه (الســمن العربــي البصري) [(١)].

وزودت البادية المدن بالنباتات الطبية وعُصارة العديد من الأشجار التي تستخدم في تحضير العلاجات[(٢)]، إضافة إلى بعض الصناعات مثل الحبال والرحال التي تُنقل من البادية إلــى أســواق المدن العراقية[(٣)]، لذا فإن هذا التنوع في سلع البادية يعكس مقدار الأهمية ومستوى النشاط التجاري الذي تشكله في أسواق العراق .

ولعب أهل البادية دوراً في الإضطرابات السياسية بصورة غير مباشرة، فقد كان لهم دور في إمداد صاحب الزنج بالميرة والسلع[(٤)]، مما ساهم نوعاً ما في إطالة عمر الحركة وقــدرتها علــى الإستمرار في مواجهة الدولة، فقد ذكر الطبري (ت ٣١٠هــ/ ٩٢٢م)، أن في البصرة عند صاحب الزنج سوق سُمي بسوق الغنم[(٥)]،أُعتمد في إمداده على أهل البادية ، الأمر الذي دفع قائــد الجــيش العباسي الموفق (ت ٢٧٨هــ/٨٩١م) إلى توجيه تجارة أهل البادية إلى أسواق أخرى قام بإقامتهــا في البصرة سنة (٢٦٨هــ/٨٨١م)[(٦)]، ضمن سياسته القائمة على التضييق على صــاحب الــزنج، وتوفير بديل يوفر دخلاً لتجار البادية.

---

(١) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٩١هــ/ ٩٠٣م)، مجالس ثعلب، ٢ جزء، تحقيق عبد السلام هــارون، دار المعارف، مصر، ١٩٤٨، ق١، ص١٧٥. وسيشار له لاحقاً: ثعلب، مجالس ثعلب؛ الخطيب البغدادي، كتــاب التطفيل، ص ١٧٣.

(٢) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ١٢٥٨.

(٣) الأصمعي، النبات، ص ٢١، ٣٥؛ الدينوري، النبات، ج٣، ص ٢٣٤؛ الخطيب التبريزي، شرح ديــوان أبــي تمام، مج٢، ص ٢٩٧؛ ابن الأجدابي، كفاية المتحفظ، ص٢٢٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص ٦٤٨.

(٦)الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩، ص ٦٠٥.

وقد شكلت هجمات الأعراب تحدياً بارزاً أمام الدولة العباسية بخاصة تجـاه قوافـل الحـج والتجارة في البادية، يقول المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) في هذا الإطار: "وعلى الجملة لا يمكـن أن يعبر أحد الطريق – البادية – إلا بخفر أو قوة، وترى الحاج مع قوتهم يهتكون وتؤخذ أباعرهم وخزائنهم"[١]، وقد ساهم في هذا الإضطراب أن البادية كانت وجهة هرب بعض الخـارجين علـى الخلفاء العباسيين كما هو الحال أيام الخليفة المكتفي[٢]، مما دفع الدولة العباسية ولتأمين الأوضـاع إرسال العديد من الحملات مثل حملة بغا الكبير (ت ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) في سنة (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) على الأعراب حول المدينة المنورة[٣]، وقد تمكن من القضاء عليهم وتـأمين طـرق المواصـلات الخاصة بالتجار والحج.

ومن خلال إشارات المؤرخين، يمكن أن نستشعر بعض المؤثرات التي واجهت أهل الباديـة وبالتالي أضرت بمستوى التجارة، ومن ذلك تأثر البادية في سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) بزلزال عظيم وقع عليهم[٤]، بالإضافة إلى انتشار بعض حالات الوباء التي أثرت مباشرة على الإبـل والأغنـام عندهم[٥]، مما يعني أن قدرتهم الإنتاجية قد تضررت لاسيما الرئيسة منها وهي الحيوانية، ومع ذلك فإن قدرة أهل البادية على التعايش مع البيئة الصحراوية، جعلتهم يبتكرون العديـد مـن الطـرق المتعلقة بصنع الأطعمة أو حفظها، فقد برع مثلاً أهل البادية في تسخين اللبن من خلال القاء حجر فيه قد سُخن في النار (يسمى الرضف) ذكره الشاعر أبو تمام في شـعره (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)،

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣١.
(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص ١٩٠-١٩١.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٠١.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص ٥١١؛ الغنيم، سجل الزلازل العربي، ص ٩١.
(٥) كما هو الحال سنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) للمزيد أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ١٤٦؛ ابـن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٤٣٣.

بإعتباره من أهم الشعراء الذين تنقلوا بين قبائل البادية العراقية [١]، كما نجد أن أهـل الباديـة قـد امتلكوا بعض الأدوات الخاصة بتحضير ودق النباتات والأعشاب التي يبيعونها لأهل المدن[٢].

لذا يمكن القول أن أهل البادية كانت تربطهم علاقات تجارية هامة بمـدن العـراق خاصـة بإمدادهم ببعض السلع بما فيها المواد الخاصة ببعض الصناعات الطبية أو العطرية[٣]، والتي تعتبر من الصناعات المشهورة عند أهل العراق في الآفاق.

**٢) التجارة مع الجزيرة العربية .**

هناك بعد تاريخي في العلاقات التجارية بين العراق والجزيرة العربية بإعتبارها وجهة الكثير من تجار العراق أثناء موسم الحج، فضلاً عن قداسة الحج نفسه الـذي زاد مـن حـرص الدولـة العباسية على الإهتمام بصيانة الطرق وتحسين أحوالها، كـذلك القضـاء علـى جميـع مظـاهر الإضطراب أو المشاكل التي قد تواجه الطريق باتجاه الجزيرة العربية، خاصة مع ازدياد هجمـات الأعراب التي قد تواجه الطريق باتجاه الجزيرة العربية، والذين شجعهم أحيانـاً بعـض الأحـوال السياسية المضطربة الناتجة عن قيام بعض الحركات كحركة القرامطة[٤]، مع ذلك فإن من المألوف أن تسير قوافل الإبل باتجاه الجزيرة العربية[٥]، لتحمل معها البضائع القادمة من تجـارات الهنـد والصين من جهة المشرق، وتجارات مصر من جهة المغرب حتى وصفت بعض موانئ الجزيـرة العربية من جهة بحر القلزم بأنها "خزانة مصر ومطرح الشام والعراق"[٦]، وقد تنبه الجغرافيون إلى

---

(١) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مج٢، ص ٣٤٥.

(٢) النديم، الفهرست، مج١، ص ٧٥.

(٣) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج٢، ص ٨٤٤، ١١٥١.

(٤) عوض، أحمد رفيق، القرمطي، بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله، ٢٠٠١م، ص ٢٣١. وسيشار له لاحقاً: عوض، القرمطي.

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ٨٩.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٩.

هذه الصلة الكبيرة بين موانئ الجزيرة العربية ودورها في نقل تجارة الهند والصين إلى العراق، فقد قيل عن (صحار) على ساحل عُمان "دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن"[١]، وهي بذلك تشكل بالنسبة للعراق ميناء آخر يُساند الأبُلة في إمدادها بالسلع والبضائع القادمة من المشرق بخاصة من الهند والصين لأهمية السلع والطرائف المحمولة منها.

وتشيد المصادر بالسلع والطرائف القادمة من الجزيرة العربية إلى الخلفاء العباسـيين علـى سبيل التهادي، فقد بعث حاكم عُمان إلى الخليفة المقتدر سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) هدية متنوعة مـن بضائع الهند فيها الكثير من ألوان الطيب والتوابل والبهارات واللبان والصمغ وطرائف البحـر[٢]، وفي سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) وُجهت للخليفة المقتدر هدايا أيضاً في أقفاص من الحديد[٣]، مما يشعر بتقدمهم في مجال النقل البري وطريقة حفظ البضائع.

من جهتهم سعى التجار العراقيون المتعاملون مع الجزيرة العربية إلى التقرب مـن الخليفـة العباسي، حيث قدموا إليه في سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) جملة من الطرائف الثمينة[٤]، وقد سـاهمت سياسة التهادي هذه إلى تحسين العلاقات التجارية وتنشيطها، بل وسعى الخلفـاء العباسـيون إلـى تطويرها من خلال بعض الإجراءات المتعلقة بالأمن خاصة، فقد وجد على كل بريـدين (البريـد يساوي: ٢٣,٦٧كم) من الطريق باتجاه الجزيرة العربية مشرفاً مسؤولاً عن حفـظ الأمـن ونقـل الأخبار الخاصة بالتجار وغيرهم من الحجاج أيضاً[٥]، مما ساهم في زيادة حركـة التجـار حتـى أصبح وجود التجار العراقيين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أمراً مألوفاً، فقـد كـان

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (صحار)، مج٣، ص ٤٤٧.
(٢) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٨.
(٣) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ١٥.
(٤) بزرك بن شهريار، عجائب الهند ، ص ٦٥.
(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٨.

الكثير من البصريين في اليمن وتحديداً (صعدة)، حيث يصدر منها إلى العراق الدباغ الخاص بصبغ النعال والأدم(١)، وقد شارك هؤلاء التجار – البصريون – في بيعه وتحسين مستوى صناعته أيضاً، من جهته كان المحتسب في الأسواق حريصاً على توجيه السقائين نحو استخدام الروايا المدبوغة بالصبغة اليمانية لجودتها وعدم تحللها في المياه، إضافة إلى الترغيب في استخدام الجلد اليماني نفسه لحسنه ومتانته(٢)، وهذا يظهر قيمة تلك السلعة وأهميتها.

ومن البضائع الأخرى التي تصدر من الجزيرة العربية فهو اللؤلؤ، خاصة من البحرين(٣) وعُمان التي يُنسب إليها النوع المُسمى اللؤلؤ الصافي الذي يباع بأسعار عالية، وهناك أيضاً القطري منه الذي يقل وزنه عن العُماني(٤)، وجميع هذه الأنواع رغم تفاوت صفاتها كانت تُفضل عن ذلك اللؤلؤ المستخرج من بحر القلزم وغيره أيضاً (٥)، نظراً لجودتها وصفائها ورواج بيعها والطلب عليها في الأسواق، ومن اليمن كانت تصدر الأحجار الكريمة(٦)، وقد نشط التجار العراقيين في نقل السلع بين مدينة عدن وسامراء، خاصة الذين ربطتهم علاقات تجارية مع الخلفاء العباسيين أنفسهم مثل الخليفة المعتمد، الذي كان يشتري من هذه الطرائف(٧). وتُعد الجلود من سلع الجزيرة العربية المصدرة إلى العراق ومنها (الغرفية) نسبة إلى شجر الغرف الذي ينتشر باليمن، ويستفاد منها في

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٨٣.

(٢) الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة ، ص ٣٧٦.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٨.

(٤) ابن ماسويه، يحيى (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، كتاب الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي وصفة الغواصين والتجار، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م، ص ٢٨ – ٢٩. وسيشار إليه لاحقاً: ابن ماسويه، الجواهر.

(٥) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ١٨ –١٩.

(٦) ابن ماسويه، الجواهر، ص ٦٩.

(٧) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ٩٧.

الدباغة، وهناك أيضاً الجلود البحرانية نسبة إلى البحرين[١]، ويؤتى من الجزيرة العربية بالصقور والشواهين التي يستخدمها الخلفاء العباسيون في الصيد[٢]، والإبل النجائب والخيل العراب[٣] والتي كانت تصدر من العراق إلى العديد من البلدان البعيدة مثل الهند والصين.

وهناك الثياب والبرود مثل الثياب العدنية[٤]، والثياب الصحارية[٥]، وأنواع أخرى مشهورة من الجلد مثل الرق التهامي[٦]، وقد ساعد هذا التنوع في السلع إلى وجود العديد من الأسواق المزدهرة داخل الجزيرة العربية، والتي يرتادها التجار من العراق[٧]، وقد ساهم البحارة في نقل السلع بين موانئ الجزيرة العربية والعراق[٨] مما جعل الحركة بين الموانئ نشطة، وقد فضل العديد من التجار العراقيين الإقامة في بيوت لهم في مدن الجزيرة العربية[٩]، لمتابعة تجارتهم.

ويلاحظ أنه وبالرغم من وجود بعض المعيقات أمام الحركة التجارية كالأوضاع السياسية المضطربة، وهجمات الأعراب، إلا أن تجارة العراق مع الجزيرة العربية استمرت دون توقف بفضل جهود الخلفاء العباسيين في دعمها وارتباط هذه التجارة بفريضة الحج، لكن ذلك لم يمنع من

---

(١) الدينوري، النبات، ج٣، ص ١١٩.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٨٠.

(٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٥ – ٣٦.

(٤) انظر إلى الثياب المنسوبة إلى اليمن: الوشاء، الموشى، ص ١١٨؛ الأجدابي، ابراهيم بن اسماعيل (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، تحقيق عبد القادر المبارك، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣، ص٢٠٩– ٢١٠. وسيشار له لاحقاً: ابن الأجدابي، كفاية المتحفظ .

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٩٤.

(٦) الوشاء، تفريج المُهج وسبب الوصول إلى الفرج، تحقيق محمد يونس عبد العال، دار الفردوس، عمان، ١٩٩٧م، ص ٥٩. وسيشار له لاحقاً: الوشاء تفريج الهم.

(٧) إبراهيم، حقي إسماعيل، أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٦٥؛ وسيشار له لاحقاً: إبراهيم، أسواق العرب التجارية .

(٨) مثل تاجر يُسمى عمران الأعرج حوالي سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) للمزيد أنظر: بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ٩٣.

(٩) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٤٠.

أن تتأثر التجارة بعوامل أخرى مثل الحرائق، فيذكر أن حريقاً شب في أسواق عُمان سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) أسفر عن حرق الكثير من البضائع والسلع[١]، وبذلك تبقى الظروف والأحوال السياسية والكوارث الطبيعية معيقاً أمام التجارة ولكن ليس مانعاً يُلزم توقفها.

**٣) التجارة مع بلاد الشام .**

اهتمت الدولة العباسية بتنشيط التجارة مع بلاد الشام بإصلاح الطرق وصيانتها، ولعل زيارة بعض الخلفاء العباسيين إلى بعض مدن بلاد الشام بخاصة دمشق كان مجدياً في هذه الناحية، فقد أمر الخليفة المتوكل سنة (٢٤٥هـ /٨٥٩م) بإصلاح الطرق وإقامة المنازل عندما أراد التوجه إليها[٢]، ونشطت الدولة في توفير ما عُرف (بالبذرقة)، وهم الجماعة التي تحرس القوافل من هجمات الأعراب أو غيرهم أثناء مرورهم بين مدن بلاد الشام[٣]، كما يلاحظ إقامة فنادق مخصصة لراحة التجار على طول الطرق التجارية باتجاه بلاد الشام، فيذكر مثلاً أن الخليفة المعتضد نزل سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠ م) في طريقه نحو انطاكية في فندق (الحسين) بين المصيصة والثغور[٤]، وهذا مما يشعر بتعدد الخدمات على الطرق بين بلاد الشام والعراق.

ولم تكن القبائل المنتشرة في بادية الشام مصدر قلق للتجار دائماً، بل على العكس من ذلك، فقد شارك بعضها في خدمة التجار وتنشيط الحركة التجارية، فبنو كلب مثلاً كانوا يحملون الرسل وأمتعة التجار على إبلهم[٥] كما حصل في سنة (٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، وقد شكلت استفادة القبائل من

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٦٠.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص ٤٩١.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص ٤٩٧.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٨١.
(٥) المصدر نفسه ، ج١٠، ص ٩٥.

العوائد المالية للتجارة، حافزاً مهماً في تفاعلهم مع النشاط التجاري في حدود مناطق إقامتهم بـــدلاً من التعدي عليها والإضرار بطرقها.

ومع هذا فهناك إشارات إلى تعديات على أموال التجار سببها الأوضاع السياسية المتردية، فقد تعرضت أموال التجار أيام المستعين (ت ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦ م) في مدينة حمص للتعدي عليها(١)، كما توالت شكاوى أهالي مدن بلاد الشام إلى الخلفاء العباسيين حول سوء الأوضاع السياســية لــديهم، والتي كان لها تأثير مباشر على الحياة الإقتصادية، مثل شكوى أهل مدينة طرســوس فــي ســنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) للخليفة المعتضد المتضمنة طلبهم بتعيين والٍ عليهم لضبط أمن مدينتهم، نظــراً لعدم وجود من يقوم بذك العمل لديهم(٢)، وهذا بالتأكيد له ارتباط وثيق بالحالة التجاريــة وتــأمين الطرق، خاصة أن الطريق الأعظم (طريق الحرير) له مرور ببلاد الشام ويربطها بمصر والمغرب كما أشار إلى ذلك اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) (٣)، كذلك الحال بالنسبة لبعض الطرق النهريــة من الرقة باتجاه مدن العراق والتي ينقل عن طريقها السلع الأساسية مثل الــدقيق(٤)، وقــد ازدادت أهمية الطرق مع بلاد الشام لمرور الكثير من رجال الدولة مثل الوزراء عليها(٥)، من هنا نجــد أن وصف العديد من مدن الشام، يكشف عن صلة وثيقة بالعراق، فمدينة (بالس) على شط الفرات، هي أول مدن الشام من ناحية العراق، والطريق إليها عامر بإعتبارها فرضة الفرات لأهــل الشــام(٦)، وهذا يشير إلى الصلة والترابط بين مدن في العراق وبلاد الشام فيمــا يخــص التبــادل التجــاري والإمداد بالميرة والبضائع.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص ٤٩٦ – ٤٩٧.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٥٢.
(٣) للمزيد عن هذا الطريق أنظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٨٠.
(٤) اليعقوبي، البلدان، ص ١٨.
(٥) كما هو الحال سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٤٢.
(٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٦.

وتمدنا المصادر بأسماء بعض التجار العراقيين الذين أقاموا في مدن بلاد الشام مثل ابن أبي ثابت أبو إسحاق إبراهيم بن محمد العراقي (ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م) نزيل دمشق والذي وصف بأنه تاجر نبيل[١]، ربطتهم علاقات وثيقة وتعاون تجاري مع تجار العراق، فقد كتب بعض تجار الرّقة إلى بعض معارفه في العراق بشراء السلع التي انعدمت لديهم[٢]، لتعكس تلك الإشارات على قلتها طبيعة العلاقات التجارية بينهما.

أما فيما يخص أبرز السلع التي كانت تتصدر قائمة التجارة بين البلدين، فمن أهمها الزيت، فقد أوضح ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) مدى توفره في بلاد الشام بخاصة مدينة القدس مُشيراً أيضاً إلى طريقة تخزينه المبتكرة قائلاً: "وفيها أي – القدس – أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسن ألف منّ[٣] من زيت الزيتون يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونه إلى أطراف العالم"[٤]، أما عن كثرة الزيتون في بلاد الشام فيقول ابن الفقيه (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م): "ريف الدنيا من الزيتون فلسطين إلى قنسرين"[٥].

ويصدر من القدس القطن وقدور القناديل والإبر، ومن عمّان الحبوب والخرفان والعسل، ومن صور السكر والزجاج، ومن حلب القطن والثياب والأشنان[٦]، ومن أريحا النيلة[٧]، كذلك يصدر من

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ٤٦١.

(٢) أمر أحمد بن أبي عوف (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م) أحد وكلائه بشراء هذه السلع وتأمينها إلى تجار بلاد الشام، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٩.

(٣) منّ: وتكتب منا أو منى وهي وحدة وزن تعادل رطلين ولأن الرطل تختلف مقاديره من بلد لآخر تقدر بحوالي (٧٩٥) غرام إلى (٨٢٧) غرام. الفاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية، ص ٤٢٩ – ٤٣٠.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامه ، ص ٦٧.

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ١٦٤.

(٦) الأشنان: هو القلو نبات من الحمض منابته السباخ تُغسل به الأيدي ويصنع منه الصابون . الدينوري النبات، تحقيق لوين، ج٥، ص ٤١؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (أشن).

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧٧– ١٧٨.

مدنها الفاكهة مثل الإجاص والتين بخاصة الدمشقي منه، والخرنوب والعناب والتفـــاح الشـــامي[(١)]، والذي به يضرب المثل[(٢)]، كما اشتهرت لبنان أيضاً بالتفاح الذي نُقل منها إلى الأطراف البعيدة[(٣)]، وقد اشتهرت مدن أخرى مثل معرة النعمان باللوز والفستق إلى جانب مدينة طرابلس التي صُـدّر منها الورق الذي بلغ من الشهرة والحسن أنه أفضل وأحسن من الورق السمرقندي[(٤)]، ولعل قـــرب العراق من بلاد الشام جعل الفاكهة تتصدر أهم السلع التي تنقل إليها.

إن اهتمام الخلفاء العباسيين في بعض الفترات بالشام ونيتهم الإقامة فيها مثل الخليفة المتوكل، كذلك دورها في الربط بين العراق ومصر جعل للشام مكانة مهمة في التجارة العراقية.

**٤) التجارة مع مصر.**

عكست العديد من الأقوال والعبارات قيمة مصر التجارية، فقد ذكر المقدسي (ت ٣٩٠هـــ/ ٩٩٩م) في رواية مسندة إلى الجاحظ (٢٥٥هــ/ ٨٦٨م) قوله: " التجارة بمصر"[(٥)]، مما يدلل على مكانتها التجارية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

واتجهت أنظار الخلفاء العباسيين إلى القضاء على الأخطار والإضطرابات التي تهدد التجارة مع مصر، فقد أمر الخليفة المتوكل سنة (٢٣٨هــ/ ٨٥٢م) ببناء سور حول مدينة دمياط لحمايتهـــا من هجمات سفن الروم المتواصلة عليها[(٦)]، ولنفس الغاية قام سنة (٢٤١هــ/ ٨٥٥م) بمحاربة ملك

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٩- ١٨٠.

(٢) كما تحضر منه بعض أطعمة العراق؛ مؤلف مجهول، كنز الفوائـد، ص ١٠٢؛ الحـداد، الأمثـال المولـدة، ص٢٥٥.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص ١٦٦.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٦ -٥٨.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٦١.

(٦) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص ٣٩٥-٣٩٦.

البجة[١] وأجبره على دفع الضرائب للدولة العباسية بعد أن قطعها ورفض دفعها[٢]، وقد أثمرت هذه الجهود في تنشيط التجارة ليس فقط في البحر الأبيض المتوسط بل شملت بحر القلزم في حدود سنة(٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[٣]. فتُشير المصادر إلى كثرة من سكن مصر من أهالي بغداد زمن الخليفة المتوكل، بمن فيهم التجار، الذين اتخذوا لهم دوراً في مصر[٤]، للمداومة على متابعة تجارتهم فيها.

وعلى الصعيد الرسمي فقد نجحت سياسة تقديم الهدايا للوزراء العباسيين[٥] ومشاركة بعض كتّاب ورجال الدولة الطولونية في التجارة، من تعميق العلاقات التجارية[٦]، فقد شهدت الفترة ما بين سنة (٢٥٩هـ- ٣٢٤هـ/٨٧٢مـ- ٩٣٥م) وجود العديد من التجار بين البلدين، وفيما يلي جدول رصد فيه الباحث أسماء بعض التجار العراقيين الذين مارسوا التجارة، مع بعض الملاحظات التي توضح طبيعة تجارتهم .

| اسم التاجر | تاريخ وفاته | ملاحظات |
|---|---|---|
| • أبو الحسن علي بن معبد البغدادي | ت ٢٥٩هـ/٨٧٢م [٧] | – |
| • يزيد بن سنان بن يزيد البصري | ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م[٨] | – |
| • عمرو بن أحمد بن طشويه البغدادي | ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م[٩] | – |

---

(١) البجة: قوم نزلوا بين بحر القلزم ونيل مصر، وأرضهم غنية بمعادن الذهب والزمرد، وتتصل بلادهم جنوباً حتى بلاد النوبة، سكنها مع انتشار الإسلام بعض القبائل العربية خاصة بني ربيعة بن نزار فارتبطوا مع أهلها بعلاقات الزواج مما زاد من شوكتهم وقوتهم ضد الدولة العباسية، المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٦.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠٩.

(٤) ابن الداية، المكافأة وحسن العقبى، ص٣٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص١٣١.

(٥) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٩٩.

(٦) ابن الداية، المكافأة وحسن العقبى، ص٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧٤.

(٧) ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص ١٥٥-١٥٦.

(٨)المصدر نفسه ،ج٢، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٩) ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص١٥٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٢، ص ٢١٧.

| | | |
|---|---|---|
| • عبده بن سليمان بن بكر البصري | ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م[١] | – |
| • فهد بن سليمان بن يحيى الكوفي | ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م | دلالاً في البز[٢] |
| • اسحاق بن محمد بن معمر البصري | ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م | تاجراً في الجواهر[٣] |
| • محمد بن أحمد بن جعفر الكوفي | ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م | قدمها تاجراً إلى مدينة تنيس[٤] |
| • محمد بن جعفر بن حفص البغدادي | ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م | سكن دمياط[٥] |
| • محمد بن جعفر القواذي البغدادي | ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م[٦] | – |
| • العباس بن يوسف بن عدي العطار الكوفي | ت ٣١٣هـ / ٩٢٥م | كان فيها عطاراً[٧] |
| • عفان بن سليمان أبو الحسن البغدادي | ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م | كان واسع الأمر( أي في التجارة )[٨] |

يتضح من الجدول السابق تنوع المدن التجارية التي ينتمي لها تجار العراق، وهي بغداد والبصرة والكوفة، وبالرغم من عدم إشارة المصادر إلى نوع التجارة بين البلدين، لكن يبدو أن تجارة الجواهر زمن الدولة الطولونية مع العراق، هي الأبرز، كذلك العطارة كانت مُهمة، حيث أشارت المصادر إلى قيمة واردات مصر من الأعشاب الطبية القادمة من العراق، أما عن عدم وجود إشارات للتجار قبل سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) فربما ارتبط ذلك بطبيعة الأخطار التي واجهتها التجارة، فقد أشار الطبري ت (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) في أحداث سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) إلى نهب

(١) ابن يونس الصدفي، تاريخ ج٢، ص ١٣٩.
(٢)المصدر نفسه ،ج٢، ص ١٧١.
(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٨، ص ٢٧٧.
(٤) ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص ١٨٧-١٨٨.
(٥) ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص ١٩٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص ١٢٩.
(٦) ابن يونس الصدفي، تاريخ، ج٢، ص ١٩٦.
(٧) ابن يونس الصدفي، تاريخ ،ج٢، ص ١٩٧.
(٨) المصدر نفسه ،ج٢، ص ١٤٩.

الروم لسفن التجار المتجهة نحو العراق[١]، ومع ذلك فإن هذا الجدول يعطي ملمحاً عاماً عن النشاط التجاري بين البلدين.

وواجهت التجارة مع مصر صعوبات أخرى، منها هبوب ريح الشمال بشكل يمنـــع أحيانـــاً السفن من الإبحار، مما يضطر التجار إلى السفر برّا بين العراق ومصر[٢]، عبر الطريق الذي يمر بين بغداد ودمشق ومصر، وهو ما عُرف باسم (طريق الجمّازات) أي الجمال الســريعة[٣]، وقــد ساهم الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هــ/ ٩٤٦م) في ترتيب الجمّازات لتسهيل نقل الأخبار بــين مصر والدولة العباسية في حدود سنة (٣٠٢هــ/ ٩١٤م)[٤].

ويبدو أن الطريق البرية نفسها في مصر كانت تنقسم إلى قسمين أحدهم يسلك فـــي الشـــتاء وآخر في فصول السنة الأخرى[٥]، لمزايا معينة وجدت فيه.

ومن الأخطار الأخرى التي واجهت التجار حالات الغرق في بحر القلـــزم بســـبب صـــعوبة الإبحار فيه[٦]، كذلك انتحال بعض أصحاب الدعوات السياسية ضد الدولة العباسية صفة التجـــار، والتنقل بينهم عبر الطريق بين مصر والعراق[٧] ، مما دفع الدولة إلى التضييق على التجار وتكثيف إجراءات المراقبة والتفتيش ضدهم أحياناً.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٩٤.

(٢) أشار إلى ذلك الخطر ناصر خسرو (ت ٤٨١هــ/ ١٠٨٨م) بقوله: "ثم عزمت على أن أغادر بيت المقدس إلى مصر عن طريق البحر، ولكن كانت الريح معاكسة وتعذر السفر بالبحر، فسرنا عن طريق البر". ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٩١.

(٣) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ٦٥.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣.

(٥) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ١١٩.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص ٢٧٤.

(٧) كما هو حال الفاطميين زمن الخليفة المعتضد، أنظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص ١٨١.

أما عن أبرز السلع التي كانت ترد العراق من مصر، فأكثرها شهرة الملابس الدبيقية التي كانت فراشاً لبعض الخلفاء، مثل الخليفة المقتدر سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م)(١)، كذلك انتشر استخدام المناديل الدبيقية من قبل رجال الدولة العباسية خاصة الوزراء مثل ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) (٢)، وقد عرفت أنواع عديدة منه أشهرها الدبيقي الشقيري(٣) ، وقد وصف التوحيدي (ت٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) هذا النوع من الثياب بقوله: " منديل دبيقي، مخمل متوكلي طرازي عمل مصر، ألين من القز وأنعم من الخز"(٤)، وقد انتشر لشهرته حتى عند عامة الناس في العراق(٥)، وخاصتهم مثل الوزراء والأطباء(٦).

ومن الثياب الأخرى المجلوبة من مصر (الطرز) من مدينة تنيس ودمياط وغيرها من المدن(٧)، وقد اشتهرت مصر بصناعة (القصب الملون) الذي تعمل منه ثياب النساء(٨) في العراق، بالإضافة إلى المناديل التي استخدمها أهالي العراق في تغطية الطعام والحلوى(٩)، وقد دلّ على قيمة تلك الثياب أن التاجر ابن الجصاص (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) تمّ مصادرته سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) والقبض على ما مقداره خمسمائة سفط من الثياب كانت له في سوق يحيى، جاءت إليه من مصر(١٠)، التي نشطت تجارته معها.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٨.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٦٩.

(٣) نسبة إلى شقير الخادم (ت ٢٥٩ه/ ٨٧٢م) . أنظر: اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص ٥٠٣، ٥١١.

(٤) أنظر الوصف كاملاً عند: التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٦٦.

(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٦، ٢١٠؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص ١٢٥.

(٦) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ١٨٢.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٨٧؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٥.

(٨) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٩٢.

(٩) الثعالبي، مرآة المروءات، تحقيق إحسان ذنون الثامري، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م، ص ٦٧. وسيشار له لاحقاً : الثعالبي، مرآة المروءات .

(١٠) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ٤٨.

ويأتي من مصر ثياب الصوف[١]، والكتان الذي شارك في تجارته أمراء الدولة الطولونية مثل أحمد بن طولون (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) [٢]، ولكن نجد أن زراعته في مصر قد تأثرت أحياناً بالآفات والضرر، فقد جاء في إحدى البرديات (غير المؤرخة) والمُرجح تاريخها القرن الثاني أو الثالث الهجري/ الثامن أو التاسع الميلادي، ما يظهر شكوى أحد الفلاحين بما لحق زراعته من مشاكل حيث جاء في البردية: " وتلف جلّه، وكذلك الكتان هذه السنة، وبطل الرعاة فهربوا والحبوب أكلها الفأر"[٣]، وهذا يشعر بتعذر تجارته أو تأثرها في بعض السنوات.

ومن الصادرات المصرية الأخرى إلى العراق الحُمر الأهلية[٤]، وقد أشير إلى الكثير منها في البرديات[٥]، ويكثر استخدامها في العراق عند الخلفاء والجواري[٦]، وقد وصفت بأنها أجود الحمير وأفضلها[٧]، لذلك استخدمت بشكل كبير في العراق لنقل السلع والتنزه في الحدائق والبساتين، وقد كانت الخيول أيضاً والبغال وما تحتاجه من أدوات مثل السروج من أبرز الهدايا التي كانت ترفع للخلفاء العباسيين من مصر، أمثال: الخليفة المعتمد سنة (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) والخليفة المعتضد سنة ( ت ٢٨٩هـ/٩٠٨م)[٨] ، كما يرفع للخلفاء العباسيين من مصر الغلمان أما عن طريق

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٧؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص ٣٧٧.

(٢) احتفظت المتاحف بالعديد من الطرز على الكتان: بصمه جي، كنوز المتحف العراقي، ص ٤١٦؛ البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٣١٨.

(٣) أنظر هذه البردية عند: محمد، الألقاب وأسماء الحرف، مج٣، ص ٧٣.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٨.

(٥) محمد، الألقاب وأسماء الحرف، مج٣، ص ٧٣.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ١٢٧.

(٧) الدميري، حياة الحيوان، ج٢، ص٩٣؛ الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٧٠.

(٨) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٥٠٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٣٠؛ الغساني، علي بن داوود (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٠٠. وسيشار له لاحقاً: الغساني، الأقوال الكافية .

الشراء[١]، أو كضريبة فرضت على بعض المناطق أحياناً[٢]، فقد وصف غلام أُهدي للخليفة المقتدر من مصر بأنه "عظيم اللسان"[٣]، ومن مصر كانت تُصدر القراطيس المشهورة (المصرية العريضة) التي تكتب بها كتب الخلفاء[٤]، وقد انتشرت في العراق بشكل واسع.

واشتهرت مصر أيضاً بما يُصدر منها من الذهب[٥]، ودهن البلسان الذي يُنسب إلى شجرة تنبت في مصر في موضع يُقال له عين شمس، ومنها كان يُصدر إلى أقطار الأرض[٦]، بما فيها العراق، وقد دلّت بعض الحفريات والتنقيبات الأثرية في مدينة سامراء، على وجود نقوش على بعض الأخشاب الزخرفية، والتي كانت تُجلب من مصر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٧].

مما سبق يلاحظ إهتمام الخلفاء العباسيين وأمراء مصر أيام الدولة الطولونية في تأمين الطرق التجارية وضبطها، لأهميتها للطرفين، كما أن معظم السلع المستوردة للعراق كانت في الغالب من الحاجات التي يستخدمها الخلفاء العباسيين ورجال القصر، وهذا ساعد على ازدهار التجارة وتطورها بين البلدين.

**٥) التجارة مع المغرب .**

وجدت علاقات تجارية بارزة بين العراق والمغرب، خاصة إذا علمنا أن تجار المغرب، كانوا في بعض الأحيان يعدلون طريق تجارتهم بعد عودتهم من الصين باتجاه بلاد الروم لبيع

(١) الصابئ، الوزراء، ص ٦١.
(٢) محمد، الألقاب وأسماء الحرف، مج٣، ص ٢٤٥.
(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٤، ص١٥.
(٤) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٦؛ الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص ١٢٦.
(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ٨٩.
(٦) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٦؛ الغساني، حديقة الأزهار، ص ٦٤.
(٧) بصمه جي، كنوز المتحف العراقي، ص ٤١٩.

منتجاتهم هناك، ومنها يتوجهون نحو أنطاكية، ثم يركبون الفرات باتجاه بغداد التي ربمـــا انطلقــوا منها عبر ميناء الأبلة إلى عُمان[١]، وأحياناً تصل تجارة المغرب إلى العراق عن طريق مصر التي كان تجار مدن المغرب مثل القيروان " يغدون إليها من مصر على الحمير المصرية"[٢] ، بإعتبارها – أي مصر – منفذاً لتصدير وتسويق البضائع المغربية.

من جهة أخرى كان هناك حرص واضح على تحسين العلاقات السياسية بين ولاة المغــرب وخلفاء الدولة العباسية، فقد أُرسلت للخليفة المكتفي سنة (٢٩١هـ/ ٩٠٣م) هدايا تحتوي على لُبــد مغربية وطيب وبقر وحشية[٣]، لذلك لا نستغرب أن تحتوي الكثير من بضائع الوكلاء التجاريين في بغداد على سلع مغربية مثل فوط الكتان المغربية التي وصفت بالمليحة[٤]، ممــا يــدلل علــى أن البضائع القادمة من المغرب كانت مهمة في العمليات التجارية في مدن العراق.

إن هذا التأثير الإقتصادي بين العراق والمغرب قد يكون سبباً في الــنمط والتشــابه بــين المراكب المستخدمة في النقل عند البلدين، فيشير اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) إلى أن المراكــب الخيطية عند السوس الأقصى تُقارب تلك التي يركب فيها من الأُبلة إلى الصين[٥]، وربما كان انتقال مثل هذه المهارات في تصنيع السفن مرتبطاً بوجود العديد من أهالي مدن العــراق مثــل البصــرة والكوفة مقيمين في مدن المغرب[٦]، كما كان هناك انتقال للعُمال المهرة بعمل الفخار من العــراق

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٤.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢١٢.

(٣) الرشيد، الذخائر والتحف، ص ٤٧.

(٤) الصابئ، الهفوات النادرة، ص ٨٤.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ١١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٨.

إلى المغرب، وقد اعتمد عليهم حكام المغرب الأغالبة(١) في تزيين وهندسة عدد من الأبنية، دلّ على هذا تشابه القطع الأثرية الفخارية التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي في المغرب بتلك الموجودة في مدينة سامراء في نفس الفترة(٢)، مما يعكس عملياً مدى العمق في العلاقات التجارية بين البلدين، وساهم في ذلك النشاط التجاري الحرص على تهيئة الطريق البحرية في المغرب وتزويدها بالمحارس والمناظر على السواحل، حتى قيل أن الخبر كان في سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٤م) يصل من سبتة(٣) إلى الإسكندرية في ليلة واحدة(٤)، هذه العناية جعلت السفن التجارية تسير في مواعيد ثابتة في شهر (برمهات) (٥) حاملة التجار إلى المغرب(٦)، كذلك تهيئة الطرق البرية بتزويدها بالمياه، من خلال حفر الآبار التي تحمل أسماؤها بعض الدلالات على

---

(١) الأغالبة: دولة قامت في إفريقا على يد إبراهيم بن الأغلب (ت ١٩٦هـ/ ٨١١م) ، الذي وليها من قبل هارون الرشيد سنة( ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، واستمرت وراثية في أبنائه من بعده حتى خلافة المقتدر، وانتهت في سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، وبذلك حكمها أحد عشر أميراً منهم لمدة مئة واثنا عشر سنة، وقد كانت سياستهم تقوم على الإعتراف بشرعية الخليفة العباسي في بغداد وذكر اسمه في الخطبة، وفي عهدهم نمت الناحية العمرانية في أفريقيا على صعيد العمارة الدينية بخاصة تجديد بناء المساجد، وإقامة الرباطات (أبنية مسورة لها أبراج). للمزيد: ابن وردان( ت ق ٩هـ/ ١٥م) تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٣٥، ٥٣، ٦٤؛ وسيشار له لاحقاً: ابن وردان، الأغالبة ؛ الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيادي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣٦٤.

(٢) هرتسفلد ، تنقيبات سامراء، ص ٤٦.

(٣) سبتة: هي بلدة جبلية مشهورة تتكون من سبع جبال صغار ، تعتبر من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على طرف بر البربر تُقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سبته)، مج٣، ص٢٠٥-٢٠٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٣.

(٤) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٢.

(٥) برمهات: يقابله شهر شباط وهو ابتداء شهر الربيع وفيه يكون جريان المراكب في البحر الأحمر (القلزم) والبحر الأبيض المتوسط، وفيه زراعة الفول والعدس والكتّان وقصب السكر. ابن مماتي، الأسعد( ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) ، قوانين الدواوين، تحقيق عزيزسوريال، مطبعة مصر، القاهرة ، ١٩٤٣م، ص ٢٤٧- ٢٤٨. وسيشار له لاحقاً : ابن مماتي، قوانين الدواوين.

(٦) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٤١.

النشاط التجاري، مثل بئر الجمّالين على الطريق التجاري بالقرب من مدينة قابس[١]، كما انتشر الجنود على الطرق لحماية التجار[٢] مما ساهم في فعالية حركة القوافل.

أن نظرة فاحصة في أسماء النباتات التي تعج بها دكاكين وأسواق العطارين في المغرب، تدل على أن أصول الكثير منها معروفة بالعراق والمشرق[٣]، والتي وصلت للمغرب عن طريق التجار، أما فيما يخص السلع التي كانت تصدر من المغرب فهي الجلود خاصة من النمور التي كان يبرع في صيدها البربر في مناطق السوس الأقصى، ثم يصدرونها إلى معظم مدن المسلمين[٤]، ويُصنع منها الأنطاع (بسط الجلد) المذهبة المغربية المشهورة[٥]، والتي يكثر استخدامها عند أهالي مدن العراق، كما اشتهر من سلعهم الدرق المغربية التي تعرف باسم (الدرق اللمطية) حيث يبلغ قطرها عشرة أشبار ( الشبر: ٢١سم) ، ويبلغ ثمن الجيد منها ثلاثين ديناراً، وقد تميزت بدبغها وصناعتها المتقنة[٦]، حتى كانت السيوف لا تخترقها بل تتعلق بها وبالتالي كان من الصعب جذب السيف منها أو سحبه[٧].

ويصدر من المغرب زيت الزيتون[٨]، كذلك يُجلب منها الخدم والجواري حيث يبلغ ثمن البعض منهم نحو ألف دينار وأكثر، والفراء والسيوف والديباج[١]، بالإضافة إلى العنبر[٢] الذي

---

(١) قابس: مدينة بين طرابلس وسفاقس على ساحل البحر فيها نخل وبساتين تشتهر بوجود الفنادق فيها والحمامات. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قابس)، مج٤، ص٣٢٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٠؛ وانظر : قدامة بن جعفر، الخراج ص ١٢٤.

(٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٣٣.

(٣) أنظر أسماء العديد من هذه النباتات عند: رينو، هـ. ب، تحفة الأحباب في ماهية الأعشاب، مكتبة بول فطنير، باريس ، ١٩٣٤م، ص٣١، ٣٨-٣٩، ٤٧. وسيشار له لاحقاً: رينو، تحفة الأحباب .

(٤) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣١، مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٣٤.

(٥) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣٥؛ التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٣٦-١٣٧.

(٦) ابن الفقيه، البلدان، ص ١٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (كاكُدم)، مج٤، ص ٤٨٩-٤٩٠.

(٧) ابن الفقيه، البلدان، ص ١٣٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٩٤.

يحتل المكانة الثانية على مستوى الأقاليم من حيث جودته بعد العُماني، فقد تميز العنبـــر المغربـــي بلونه المميز الذي يضرب إلى السواد[٣] ، مما جعل الطلب عليه كثيراً.

لاشك بإن الإهتمام بالتجارة مع المغرب واستيراد سلعها الحسنة ، جعل منها مصدراً مهمـــاً لتجارة العراق.

**٦) التجارة مع الأندلس .**

نشطت التجارة بين العراق والأندلس، ويرد في المصادر أسماء بعض التجار الذين مارســـوا التجارة بين البلدين، مثل أبو زيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م)، الـــذي تاجر بالوشي (وهي ثياب معمولة من الإبريسيم اشتهرت بصناعتها العراق)، حيث كان يخرج فـــي تجارته من البصرة إلى مصر ومنها إلى الأندلس[٤]، كما كانت الأبلة مركزا لإستقبال بعض التجار الأندلسيين القادمين من الهند ، ممن كان يعمل على جلب واستيراد البضائع التي تنتقل من العـــراق إلى الأندلس[٥].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٣؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٧.

(٢) العنبر: هو مادة تخرج من البحر، أجودها الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر ثم الأسود، يرى البعض أن أصـــلها قطع شمعية تُقذف إلى البحر من جبال عالية، بها عسل كثير يرعى نحله الأزهار الطيبة التي لا يمكن الوصول إليها، فتسيل هذه المادة من الجبال إلى البحر وقيل بل هي من دابة فيه كبيرة تفرزه تســـمى (العنبـــر) وهـــذا الحديث الأخير أدق؛ الأزدي، الماء، ج٣، ص٧٢- ٧٣؛ الدميري، حياة الحيوان، ج٣، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) أبو الفضل الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٣١.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص ٢١٤؛ الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـــ/ ١٠٩٥م)، جذوة المقتبس، تحقيق روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٢٨؛ ابن يـــونس الصـــدفي تاريخ، ج٢، ص ٢٤٩.

(٥)القوصي، عطية، تجارة لخليج العربي بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ١٩٨٠م، ص ١٠. وسيشار له لاحقاً: القوصي، تجارة الخليج .

وقد تتبع ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) الطريق التجاري من الأندلس إلى السوس الأقصى إلى إفريقيا ثم إلى مصر ومنها إلى الرملة ثم دمشق ثم الكوفة حتى بغداد ومنها إلى مدينة البصرة ثم الأهواز وحتى الهند والصين[١]، ويدل تتبعه له على أنه من الطرق النشطة في الحركة التجارية في القرنين الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي.

وقد كانت سلع العراق رائجة الإستخدام في الأندلس، فقد كانت نساء الأندلس تُكثر من لبس الثياب والمقنّع العراقي[٢] خاصة في مدينة قرطبة[٣] الأندلسية، وتمثل العراق أيضاً مصدراً مهماً للأندلس من ناحية إمداده بالنباتات، فقد أشارت مصادر الفلاحة الأندلسية نفسها إلى انتقال النباتات من الأقاليم الشرقية مثل خراسان إلى بلاد الأندلس عن طريق بغداد ومدن عراقية أخرى [٤]، وساهم النشاط الواضح للأسطول الإسلامي في حماية طرق التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط، خاصة من خطر الهجمات التي كانت تتعرض لها موانئ مصر في سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)[٥]، حيث أتاح المناخ الآمن المجال أمام التجار للتنقل بين مصر والأندلس والعراق، باستخدام الطريق البحري بعد نجاح تأمينه، بدلاً عن تنقلهم عبر الطريق البري المار بشمال أفريقيا ومخاطره العديدة .

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م)، قُضاة قرطبة، تحقيق ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٤. وسيشار له لاحقاً: القرطبي، قضاة قرطبة.

(٣) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس قريبة من البحر وكانت سرير ملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية فتحت في سنة( ٩٢هـ/ ٧١١م ) ، تشرف على سهل خصب يعتبر من أفضل المناطق الزراعية في الأندلس كلها ، ويكثر فيها زراعة الزيتون لذا تشتهر بصناعة الصابون . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قرطبة)، مج٤، ص٣٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦؛ حتامله، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، ٢ جزء، عمان ، ١٩٩٩م، ج٢، ص٨٠٠-٨٠٤. وسيشار له لاحقاً : حتامله ، موسوعة الديار الأندلسية .

(٤) أنظر بعض أسماء هذه النباتات: أبو الخير الأشبيلي، عمدة الطبيب، ج٢، ص٨٢٤.

(٥) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١١، ج٢٣، ص٢٨.

أما أبرز السلع التي كانت تصدر من الأندلس فمنها الخدم الصقالبة والغلمان الرومية والجواري والجلود[١]، إضافة إلى العنبر الذي كان يؤتى به من شواطئ الأندلس فيحمله التجار إلى مصر[٢]، ومنها إلى العراق.

ويصدر من الأندلس أيضاً أنواع من الفاكهة المشهورة مثل الكراوية الأندلسية[٣] ، التي ترد كثيراً في وصفات كتب الطبيخ والغذاء العراقية، أما في مجال الثروة الحيوانية فقد اشتهرت الأندلس بأنها من أهم المناطق التي تُصدر منها البغال الأندلسية الشهيرة[٤]، والتي كانت تنقل البضائع عبر الطرق البرية بين مصر والمغرب على الشواطئ المقابلة للأندلس[٥]، ويجلب من مدينة مالقة[٦] إلى إفريقيا والمشرق جلود التماسيح التي تُصنع منها مقابض السيوف الصلبة[٧]، ومن قرطبة تجارة التُحف المعدنية والزجاجية والخزف والمنسوجات التي اشتهرت بصناعتها[٨] .

إن فعالية النشاط التجاري بين الأندلس والعراق، جاء عن طريق انتقال التجار مباشرة إليها، أو عن طريق نقل البضائع باتجاه مصر ومنها يحصل تجار العراق على البضائع الأندلسية المهمة والتي لها خصائص لا يمكن تجاهلها.

---

(١) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٥.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٢٠.

(٣) مؤلف مجهول، كنز الفوائد، ص ١٦٩.

(٤) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٦٣.

(٥) يُشير ابن الفقيه (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) في حساب المسافات بين مدن المغرب بقوله (مرحلتان على البغال). ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٢-١٣٣.

(٦) مالقة: مدينة بالأندلس عامرة، تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بين الجزيرة الخضراء (على مضيق جبل طارق) وبين المرية، وصفت بالأسواق والمتاجر العامرة ، ومنها تصدر البضائع بما فيها التين للأقاليم مثل العراق والشام الهند والصين . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (مالقه)، مج٥، ص٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٧؛ حتامله، موسوعة الديار الأندلسية، ج٢، ص ٩٩٦-٩٩٨.

(٧) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٣٦.

(٨) حتامله ، الموسوعة الأندلسية، ج٢، ص٨١٣.

**٧) التجارة مع الصين .**

بلغت العلاقات التجارية بين الدولة العباسية والصين مستوى مُتقدم، حيث حرصت الدولة العباسية على تعزيز تلك العلاقات من خلال مداومتها على إرسال السفراء إلى الصين[١]، أما على صعيد اهتمام الصين بالتجار القادمين من العراق، فيبدو واضحاً من خلال حصول بعض التجار على درجة (تشن – شي) أي سيد مُتقدم[٢]، ويعود سبب هذا الإهتمام إلى حجم الفائدة المالية العائدة من تجارتهم.

تعتمد السفن التجارية العراقية على ميناء (سيراف) للإبحار بالبضائع باتجاه الصين[٣]، وذلك بسبب بعض الصعوبات التي كانت تواجهها في ميناء الأبلة نتيجة لضحالة المياه فيه، يُضاف إلى ذلك أن السفن الصينية كانت تتميز بكبر حجمها مما يصعب عليها دخول بعض الموانئ في الخليج العربي ومن بينها ميناء الأبلة[٤]، ويفضل التجار العراقيين المتجهين إلى الصين سلوك الطريق البحري[٥]، نظراً لسهولته مقارنة بالطرق البرية، إضافة إلى إمكانية حملهم كميات أكبر من البضائع في السفن، والإستفادة أيضاً من الإتجار مع أهالي الجزر المنتشرة على سواحل المحيط الهندي أثناء إبحارهم باتجاه الصين والهند.

---

(١)شيفر ادورد، دراق سمرقند الذهبي دراسة في غرائب تانج، ترجمة سامي الشاهد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥م، ص ٦٩. وسيشار له لاحقاً: شيفر، دراق سمرقند.

(٢) شيفر، دراق سمرقند، ص ٦٣.

(٣) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص ٣٧.

(٤) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص ٣٨.

(٥) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ٥٠.

ان ازدهار التجارة بين البلدين العراق والصين دلّ عليه أيضاً التسمية التي أُطلقت على العباسيين عند تجار الصين وهي (heb–i–Ta–shin) وتعني العرب ذوي الأردية السوداء[١]، كما ارتبط بهم ميناء (خانفو) أو (كانتون) الذي أطلق عليه اسم خانفو العرب[٢] لكثرة من كان يرتاده من تجار العرب بخاصة من العراق، وقد أُعتبر هذا الميناء قصبة الصين الصغرى[٣] بإعتباره مركز تجارتهم، بل وأهم مصادرها المالية التي توفر لحكام الصين الدخل المرتفع، ومنه تنطلق السفن التجارية العراقية معتمدة على أيام هبوب الرياح الموسمية[٤]، عبر طريق بحري لقي الإهتمام من حكومة الصين لضمان سلامة قوافل السفن التي قد يصل عددها أحياناً إلى عشر سفن[٥]، ومن مظاهر الإهتمام انشاء نظام منارات للملاحة مقسم على طول ساحلها لإرشاد السفن التجارية، وقد ضبطت أماكن تواجدها بحيث جعل في مسافة كل عشر أميال منارة[٦]، وهذا بلا شك من العوامل المساندة في دعم التجارة[٧]، خاصة أن أكبر الأخطار التي قد تواجه السفن مثل القرصنة أو العواصف، يمكن الإبتعاد عنها أو الخروج منها من خلال منظومة المنارات أن ضبطت بشكل فعّال.

---

(١) الفيل، محمد رشيد، العلاقات التجارية بين العراق والصين في القرون الوسطى، الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، ١٩٦٤م، مج٢، ص ٨٧. وسيشار له لاحقاً: الفيل، العلاقات التجارية بين العراق والصين.

(٢) شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٧؛ الفيل، العلاقات التجارية بين العراق والصين، مج٢، ص ٨٦.

(٣) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ٩٢-٩٣.

(٤) شيفر، دراق سمرقند، ص ٤١-٤٢.

(٥) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٨، ص ١٢٢-١٢٣.

(٦) ليفاثيس، لويز، أسطول الكنز يوم سادت الصين البحار مفخرة عرش التنين، ترجمة علي أحمد كنعان، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، ٢٠٠٥م، ص٤٩، وسيشار له لاحقاً: ليفاثيس، أسطول الكنز.

(٧) ترد بعض الإشارات اللاحقة على فترة الدراسة تذكر عدم أخذ الصين المكوس في بعض الأوقات، تُشعر باهتمام بالتجارة مع المسلمين للمزيد أنظر: الغرناطي، أبوحامد محمد عبد الرحيم الأندلسي( ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) ، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٢ . وسيشار له لاحقاً : الغرناطي، تحفة الألباب.

أما فيما يخص تنظيم موانئ الصين، فيمكن التعرف على ملامحها من خلال مطالعة إجراءات ميناء (كانتون)، فقد أنشئ فيه مركزاً لرعاية مصالح التجار الأجانب (غير الصينيين) عُرف بإسم (مساراتهافاك) ومعناه قائد القوافل، كما أقيم حي خاص بإقامة هؤلاء التجار يبدو عليه أنه كان منفصلاً عن مناطق السكن الأخرى لضمان راحة التجار الذين يقيمون فيه منتظرين هبوب الرياح الموسمية لمواصلة رحلة عودتهم باتجاه بلدانهم(١).

وخصص للتجار المسلمين رجل مسلم مهمته الحكم بينهم، ويتضح أن التجار العراقيين في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي هم أكثر التجار المسلمين في الصين، حيث خصهم التاجر سليمان (ت ٢٦٧هـ/٨٨٠م) بقوله عن علاقتهم بهذا القاضي "ان التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئاً في أحكامه وعمله بالحق"(٢) وقد أسفر عن هذه التنظيمات حصول الحكومة الصينية على عائدات مالية ضخمة من الضرائب(٣). لاشك فإن هذه الحالة المتقدمة من الأمن والتنظيم كانت تتعرض أحياناً الى بعض المعيقات، ففي سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) اجتاح أحد الأفراد الثوار ويُدعي (هوانج تشو) مدينة كانتون وقام بقتل عدد كبير من التجار المسلمين، كما عمد إلى تدمير بساتين التوت، التي تتغذى عليها ديدان القز المنتجة للحرير وهو أهم صادرات الصين(٤)، ومع ذلك فقد بقيت العلاقة التجارية بين العراق والصين مستمرة، فقد أشار الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) إلى أن

---

(١) شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٨، ٥٧.

(٢) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٧.

(٣) قدرها ليفاثيس بحوالي نصف مليون من العملات في القرن الحادي عشر الميلادي. ليفاثيس، أسطول الكنز، ص٤٩.

(٤) شيفر، دراق سمرقند، ص ٥٠-٥١، ٥٤؛ سليمان التجار والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص٦٤؛ القوصي، تجارة الخليج العربي، بين المد والجزر ص٣١.

صاحب الزنج كانت تأتيه في سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م) الميرة والبضائع من الصين[١] ، وهذا يـدلل على قوة التجار وتعدد المراكز التجارية[٢] الصينية التي كان يتعامل معها تجار العراق.

أما فيما يخص السلع الواردة للعراق من الصين فأهمها الحرير، وهو الاسم الذي يطلق على الحرير الخام الذي يُصنع من شعر الحرير الذي يعمله دود القز، وهناك نوعـان منـه: الخيـوط الحريرية الطويلة وتُسمى (filaments) والتي لا تحتاج أن تغـزل مـرة أخـرى صـناعياً قبـل استخدامها، وهناك نوع آخر منها يُسمى (fluff) والذي يحتاج إلى التحضير والغزل الصناعي قبـل الإستخدام[٣]، وعلى الرغم من شهرة الصين بالحرير إلا أنها هي نفسها كانت تقبل أحيانـاً أنواعـاً معينة من الحرير القادم إليها من الخارج، خاصة ما يقدم على شكل هدايا، مثل الحرير الذي يُسمى (البونجي) الذي يهدى لها من اليابان، ويستخدمه رساموا البلاط الصيني في رسم اللوحات[٤].

أما بالنسبة للتجار المسلمين فإنة فضلاً عن إستخدامه في صنع الملابس، فهو يسـتخدم فـي صناعة الرايات المستخدمة في الحروب لإخافة الأعداء[٥]، مما يجعلة بحق أهم السلع المسـتوردة بالنسبة لتجار العراق.

ومن السلع الأخرى المهمة الخزف الصيني، وقد عُثر في تنقيبات مدينة سامراء على بعـض الأواني الخزفية التي وجد منقوشاً عليها كلمة (صين)، مما جعل بعض الباحثين يرجح أن مصدرها الصين، بخاصة ذلك الخزف الأبيض والذي وجد منه بكثرة في مدينة سـامراء[٦]. ويتميـز هـذا

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٤٢.

(٢) أنظر هذه المراكز عند: الفيل، العلاقات التجارية بين العراق والصين مج٢، ص٨٦.

(٣) شريف، ابراهيم، حضارة دودة القز وصناعة الحرير، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، عدد١١، سـنة ١٩٨٠م، ص ٥. ويشار له لاحقاً: شريف، حضارة دودة القز.

(٤) شيفر، دراق سمرقند، ص٤١٨.

(٥) مؤلف مجهول، الرسالة الوجيزة، ص٧٤.

(٦) هرتسفلد، تنقيبات سامراء، ج٢، ص ٦٢–٦٣، ٦٨–٦٩.

الخزف بالطلاء الزجاجي الصلب نصف الشفاف، وقد إمتد طريق تصديره مــن ســاحل الصــين الجنوبي إلى ميناء سيراف والخليج العربي في حوالي ستة الآف ميل[١]، ومن المُفيد الإشارة أنه قد عُثر على سفينة تجارية غارقة في جزيرة (belitung) الأندونيسية تنقل البضائع خاصة الخــزف الصيني باتجاه العراق كان تاريخ صناعتها بحسب التقديرات حوالي سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) [٢].

كما أهتم التجار العراقيون بجلب أحسن البضائع والسلع حتى قيل في ذلك "ليس بالصين متاع أحسن مما يحمله التجار الى العراق"[٣]، كما جلب منها (الدارصيني) [٤]، وهو من المواد الضرورية في إعداد الأطعمة وتحضير الأدوية في العراق[٥]، ويأتي من الصين أيضاً المسك التبتي(نسبة إلــى بلاد التبت) والمشهور بجودتة[٦]، ولشدة رائحته في موانئ العراق وسفن تجاره فلا يستطيع التجار اخفاؤة عن العشارين، يقول اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧م) :" لا يستطيع التجــار العــراقيين أن يستروه عن العشارين عندما يقتربون من الأبلة"[٧]، ويجلب منها العود وأفضلها (الصنفي) نسبة الى بلد في الصين[٨]، والعنبر النادر اللذي سماه الصينين باسم (لعاب التنين) وهو دواء يســتخدم فــي

---

(١) ليفاثيس، أسطول الكنز، ص ٣٦-٣٧.

(٢) Michael flecker, Aninth- Century AD., Arab on Indian Shipwreak in Indonesia for DirecT Thade with Chians, World Archaeology Vol. ٣٢ No.٣, Shipwercks (feb ٢٠٠١) p. ٣٣٥-٣٣٧.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص٧٠.

(٤) الدارصيني: دار بالفارسية وتعني شجر، ومعناه شجر صيني، ويُطلق اللفظ على أنواع كثيرة من الأشجار التي يستخدم منها اللحاء وأشهرها وأكثرها جودة المسمى (القرفة) وجميع أنواع هذا الشــجر متقاربــة فــي الطعــم والرائحة والشكل ويستخدم في العديد من العلاجات. ابن النفيس، الشامل في الصناعة، ج١٣، ص٢٧؛ أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج١، ص ٢٨٧.

(٥) أبو الفضل الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٣٥.

(٦) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الهند والصين، ص٨٢؛ الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٢٤-٢٥.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص١١٧.

(٨) المصدر نفسه، ص١٢٠.

العديد من الأمراض[١]. ويُنقل من الصين أيضاً أخشاب الصندل الأصفر والأبـيض والأحمـر[٢]، واللبود والعقاقير والأقفال[٣].

إضافة إلى بعض الأدوات الخاصة بإعداد العلاجات مثل الأوعية أو ما يُسمى(البرنيـه) [٤]، والذي كانت لها شهرة واسعة في البلدان[٥] ومنها العراق.

بلغت التجارة بين البلدين حداً عكستة كثرة الأمثال المستخدمة في العراق والتي تعكس جودة انتاج بضائع الصين[٦]، فتجارة الصين كانت شرياناً حيوياً لم ينقطع عن العراق لرعايـة الخلفـاء العباسيين وحكام الصين لها بالرغم من الأزمات التي كانت تمر بها الدولة .

**٨) التجارة مع الهند .**

تعتبر الهند من أهم المراكز التجارية التي تتجه إليها السفن التجارية من العراق، حيث شكل ميناء (الأبلة) و (سيراف) أساسين مهمين في تنشيط هذه العلاقات التجارية، فعلى مدى ثلاثة قرون كان ميناء الأُبلة يساهم بفعالية في هذه التجارة، يسانده ميناء سيراف الذي كانت ترسو فيه السـفن التجارية الضخمة والتي لا تستطيع دخول ميناء الأبلة[٧]، لضحالة مياهه وصعوبة مسالكه.

---

(١) ليفاثيس، أسطول الكنز، ص ٣٦.

(٢) ابن الجزار، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت ٣٦٩ه/ ٩٧٩م)، كتاب الإعتماد في الأدوية المفردة، مخطوط طبع بالتصوير عن مخطوط آيا صوفيا (رقم ٣٥٦٤) المحفوظ في مكتبة السليمانية، اسطنبول، نشـر معهـد تـاريخ العلوم العربية الإسلامية، ١٩٨٥م، ص١٠٠. وسيشار له لاحقاً: ابن الجزار، الاعتماد.

(٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٤-٣٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٠.

(٤) البرنيّة: هي آنية من الفخار تستعمل في تحضير الأدوية والعلاجات المحتاجة للتبخيـر أو التقطيـر. الأزدي، الماء، ج١، ص١٢٢، ابن منظور، لسان العرب مادة (برن).

(٥) مؤلف مجهول، كنز الفوائد، ص ١٦٣.

(٦) الحداد، الأمثال المولدة، ص١٩٦.

(٧) القوصي، تجارة الخليج بين المد والجزر، ص١٢.

ويأتي ميناء عدن في جنوب الخليج العربي ضمن شبكة الإتصال هذه أيضاً، حيث كانت تأتي إليه البضائع من الهند بإعتباره (مرفأ مراكب الهند وبلدة التجار ومرابح الهند) ومنه تذهب إلى الجزيرة العربية والعراق[١]، لهذا فإن تعدد الموانئ ذات العلاقة التجارية بين العراق والهند كان عاملاً في تطوير التجارة بينهما، دلّ على ذلك وصف أحد التجار لمجلس أحد ملوك الهند زمن خلافة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) بقوله عنه: "جالس في حُجرة في غاية الحسن، والسرور ، والظرف ، وفاخر الالات ، كأنها من حجر دار الخلافة ، ودست [٢] طبري في نهاية الحسن، والملك جالس فيه وعليه قميص قصب في نهاية الخفة والحسن، وسراويل دبيقي بتقطيع بغدادي، وعلى مسورته[٣] رداء قصب فاخر جداً، وبين يديه الآت ذهب، وفضة ، وصياغات كثيرة عراقية، كلها حسنة مملوءة بالكافور والماورد والعنبر والندّ " [٤]، وهذا الوصف يعكس مدى العلاقة بين العراق والهند في مجال التجارة، بالإضافة إلى أهمية العراق في إمداد الهند نفسها بالسلع والبضائع العراقية، وحتى على ما يبدو تلك المستوردة للعراق من مصر مثل (السراويل الدبيقية) الشهيرة بمصر.

وكانت الزيارات أمراً قائماً بين الأهالي في البلدين بخاصة أهالي المدن العراقية في حدود القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٥]، ممن سعوا إلى امتلاك الياقوت والجواهر الثمينة المستوردة من

---

(١) القزويني، آثار البلاد، ص١٠١.

(٢) دست : مسند أو قاعدة ويقصد به مجلسه وتعني أيضاً مجموعة كاملة من الثياب الطبرية ( يك دست ) وهي سترة وبنطال . التونجي، محمد ، المعجم الذهبي ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م، ص٢٦٧. وسيشار له لاحقاً: التونجي، المعجم الذهبي .

(٣) مسورته : وسادة يتكأ عليها تعمل من أدم . ابن منظور، لسان العرب، مادة( سور) .

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص١٠٦.

(٥) الدينوري، النبات، ج٣، ص٤٦.

الهند[١]، وقد ذكرت بعض المصادر أسماء عدد من تجار البصرة المقيمين في الهند في حـــدود ســـنة ( ٢٨٨هــ/ ٩٠٠م) [٢]، مما يوحي بمتانة العلاقات والصلات التجارية بين البلدين ودرجة تطورها.

لاشك بأن التنظيم التجاري في أسواق الهند العظيمة[٣]، كان عاملاً مهماً في استقطاب التجار إليها من العراق وسواها من البلدان والأقاليم، فقد عملت الهند على إيجـــاد قـــاضٍ مســـلم يُســـمى (هنرمن) مسؤوليته القضاء في كل ما يتعلق بالتجار المسلمين من الخصـــومات وأنـــواع القضـــايا الأخرى [٤]، بالإضافة إلى ذلك فإن سُبل الراحة المتوفرة بما فيها الخانات المزودة بجميع الحاجات الخاصة بالتجار، كانت عاملاً إضافياً لجذب التجار[٥]، كل هذا جعل الطريق البحري عبر المحـــيط الهندي بين العراق والجزيرة العربية والهند[٦]، تكثر فيه السفن التجارية المحملة بالبضائع المختلفة.

ويبدو أن التجارة مع الهند كانت قد انحصرت حتى حدود القرن الخامس الهجري/ الحـــادي عشر الميلادي على المناطق الساحلية، ثم بدأت بعد ذلك تتعمق في داخـــل الهنـــد[٧]، وقـــد أشـــار القزويني (ت ٦٨٢هــ/ ١٢٨٣م) إلى ذلك بقوله: "ان التجار لا يصلون إلا إلى أوائلها، وأما أقصاها فقلما يصل إليها أهل بلادنا لأنهم – يقصد أهلها– كفار يستبيحون النفس والمال"[٨]، لذا فإن المخاطر على التجار وبضائعهم كانت هي سبب اقتصارها على مدن الساحل الهندية.

---

(١) البيروني، كتاب الجماهر، ص٥٥.
(٢) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص٢.
(٣) يصف بزرك بن شهريار أسواق إحدى الجزر بقوله: "نيف وثلاثون سوقاً كل سوق طولها نصف ميل". بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص٥.
(٤) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص١٦١.
(٥) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص٨٩.
(٦) سُمي هذا الطريق باسم (طريق السندباد البحري)، ريسلر، الحضارة العربية ص ١٣٤.
(٧) مقبول، العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ص٣٤.
(٨) القزويني، آثار البلاد، ص١٢٧.

ونتج عن تطور العلاقات التجارية بين المسلمين والهند، أن تُشكل العديد من الجاليات على طول المناطق الساحلية في الهند، كما تزوج بعضهم من السكان المحليين للمدن الهندية فأطلق على المولــدين من هذا الزواج اسم بياسرة[١]، وهذا يفسر جانباً من استمرار العلاقات التجارية مــن جهــة، ووجــود الخبرات البحرية الخاصة بمعرفة الطرق والأسواق بعيداً عن خطر القرصنة البحرية من جهة أخرى.

وقد حرص ملوك الهند على تحسين هذا الجانب الإقتصادي لإستمرار الحصــول علــى البضــائع القادمة من العراق، إلى جانب حصولهم أيضاً على الضرائب المرتفعة من التجار القادمين لــبلادهم مــن العراق، فقد كان للملوك من الهند المناظر والمناطق الخاصة بفرض الضــرائب والتــي أقيمــت علــى الشواطئ لهذه الغاية[٢] . أما التجار العراقيون فيستوردون من الهند العديد من السلع مثل خشــب الســاج الذي تُصنع منه السفن ويُستخدم في بناء الكثير من دور العراق[٣]، ويعتبر هذا الخشب من بين أهم الهــدايا التي يُقدمها ولاة الهند إلى الخلفاء في بغداد[٤]، ومن الأخشاب الأخرى المستوردة من الهند خشب الصندل بأنواعه العديدة، الأبيض والأحمر، وهو من الأشجار التي تعيش بكثرة في جزر الهند[٥]، كما كان يُجلــب من الهند النارجيل (جوز الهند) أو ما يُسمى بنخيل النارجيل[٦]، ويأتي من الهند أيضــاً البســط والثيــاب والنعال الجيدة[٧]، والعقاقير الطبية والتوابل والكافور الحسن[٨].

كما يشكل العنبر[٩] الهندي أكثر السلع المحملة إلى مدينة البصرة[١٠]، والقرنفل[١]، والقرفة[٢]، وهي

---

(١) مقبول، العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ص ٣٤-٣٥.

(٢) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص١١.

(٣) ناصر خسرو ، سفر نامة، ص١٦٦؛ أبو الخير الإشبيلي، عُمدة الطبيب، ج٢، ص٧٠٥.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٢٦.

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص٥١٢؛ ماركو بولو، رحلات، ج٣، ص٣٩.

(٦) سُمي بذلك لشدة الشبه بينه وبين النخيل. سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٣.

(٧) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص٧٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٢.

(٨) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص٣٤؛ القوصي، تجارة الخليج بين المد والجزر، ص١٨-١٩.

(١٠) اليعقوبي، البلدان، ص١١٩.

من أجود الأنواع[٣]، المستخدمة في تحضير العديد من الوصفات العلاجية والأطعمة بالعراق[٤] ، ويـأتي بالفلفل من جزيرة في الهند يُقال لها (صندافور) [٥]، والعود الهندي الذي اشتهرت به أسـواق العطـارين ببغداد[٦]، بمختلف أنواعه مثل العود المندلي (نسبة إلى مندل بلد بالهند) والعود القماري (نسبة إلى قمار بلد بالهند) [٧]، ومما يدلل على انتشاره في العراق وكثرة الطلب عليه ، إشارة الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) إلى مزايا العود الجيد البعيد عن الغش، بقوله: "شدة رائحته وإذا وضع في الماء يطفو"[٨]. وهي مـن أهـم الطرق للكشف عن احتمالية حدوث الغش فيه، وتدلل أيضاً على خبرة التجار أو الباعة، ومقـدرتهم علـى حل المشاكل التجارية المتعلقة بجودة البضائع والسلع.

ومن أثمن السلع القادمة من الهند، الألماس واللؤلؤ وأنواع أخرى من الجواهر[٩]، بإعتبـاره من أكثر السلع الرابحة عند التجار، حيث بلغ سعر الحجر من الياقوت عند تجـار البصـرة فـي

---

(١) القرنفل: نبات أوراقه تشبه القرفة غير أنها أصغر وتميل للإستدارة، أما عن طريقة قطفها فيصف لنـا الرحالـة الـذين شاهدوها بأنها عملية تقليدية، فعندما ينضج القرنفل يضرب الرجال فروع شجره ويضعون تحته الحصر لتتلقـى القرنفـل المتساقط. فارتيما، لودفيكودي (ت٩هـ/ ق ١٥م) ، رحلات فارتيما الحاج يونس المصري، ترجمة عبد الـرحمن عبـد الله الشيخ الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٨٢. وسيشار له لاحقاً: فارتيما، رحلات.

(٢) القرفة: شجرتها تشبه الغار خاصة من ناحية الورقة والقرفة عبارة عن لحاء الشجرة حيث تقطع فروع الشجرة كل ثلاث سنوات ويُنزع عنها اللحاء وتُصبح من النوع الجيد بعد مرور شهر على تقطيعها. فارتيما، رحـلات، ص ١٦٠-١٦١.

(٣) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص١٨٠.

(٤) مؤلف مجهول، كنز الفوائد، ص ٢٠٩.

(٥) الغساني، حديقة الأزهار، ص ١٢٩.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٣، ص٤٩٣.

(٧) الدينوري، النبات، ج٣، ص١٩١؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٥٣؛ ابـن الأجـدابي، كفايـة المـتحفظ، ص٢٢٠-٢٢١.

(٨) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٤.

(٩) ابن ماسويه، الجواهر، ص٥٢؛ الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٠؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٥٣؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٥١٢.

النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي خمسة آلاف درهـم[١]. وتعتمـد بعـض الصناعات العراقية مثل صناعة الجلود على العديد من الصبغات والدباغ القادمة من الهند مثل دباغ الكندلاء نسبة لشجرة تعيش بالهند يؤخذ منها هذا الدباغ[٢].

ويعتمد أهل العراق على العديد من أصناف الحيوانات القادمة من الهند، مثل النمور والفيلـة وسنور المسك[٣] ، والتي يُستفاد منها في حدائق الخلفاء بالإضـافة إلـى جلودهـا المهمـة فـي الصناعة[٤]، على أنه يجدر التنبيه إلى أن عمليات استيراد أو جلب الحيوانات إلى العراق لم تكـن ناجحة دائماً لإختلاف المناخ، فقد تراجع التجار مثلاً عن استيراد الطواويس لعدم ملائمة الأجـواء والبيئة العراقية لها[٥].

وقد شجع حرص الخلفاء العباسيين في الحصول على طرائف الهند على تنشيط التجارة، فقد ذكر اليعقوبي ( ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) أن الخلفاء كانوا يوكلون بعض الأشخاص للبحث في المراكب العراقية القادمة من الهند إلى الأبلة للحصول على السلع والطرائـف لقصـورهم[٦]، كمـا كانـت الواردات المالية المتأتية من عشور التجارة المفروضة على السفن القادمة من الهند وغيرها مهمـة بالنسبة للخلفاء.

---

(١) ابن ماسويه، الجواهر، ص٥٢.

(٢) الدينوي، النبات، ج٣، ص١٢٠.

(٣) سنور المسك: ويسمى (هر الزباد) وهو نوعين الإفريقي والماليزي، له جيب ضخم في المنطقة الحالبية (لـدى الذكر منها فقط) يفرز منه المسك يمسحه بالصخور إذا مر بها واحتك، يشبه المرهم إذا تعرض للشمس وجـف. الأنطاكي، تذكره، ج١، ص٢٨٧؛ الغزي، نادية، الطيب والعطر في الشرق، الدار العربية، بيـروت، ٢٠١١م، ص ١٨-٢٠. وسيشار له لاحقاً: الغزي، الطيب والعطر.

(٤) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٤؛ البيروني، الصيدنة، ص٢١٠.

(٥) مقبول، العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ص ٤٠.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص١٢١.

من جانبهم فقد كان التجار العراقيين يصدرون إلى أسواق الهند بعض السلع التي كانت توفر دخلاً مالياً كبيراً، مثل الثياب العراقية، والخيول العربية الأصيلة التي كانت محببة تحديداً لحكام الهند والأهالي[١]، فالرعاية الرسمية من الخلفاء العباسيين وحكام الهند، والأرباح المتأتية من التجارة بين البلدين كانت من أهم عوامل تطور العلاقات التجارية بينها.

**٩) التجارة مع بلاد ما وراء النهر[٢].**

ارتبطت العراق بعلاقات تجارية نشطة مع بلدان ما وراء النهر نظراً لوقوع هذه البلاد على طريقها التجاري البري باتجاه الهند والصين، إضافة إلى تبعية العديد من هذه الأقاليم للدولة العباسية من الناحية السياسية، كذلك شهرة العديد منها بالسلع، حيث تُظهر العديد من المُسميات لبعض المدن القيمة التجارية لها، فقد سُميت مدينة بخارى (بمدينة التجار) [٣]، حيث تصدر منها إلى العراق الثياب المشهورة والمُسماة (الزندنيجي) [٤]، والموصوفة بجودة عملها ونسجها، فقد كانت تشترى بالعراق بأسعار عالية تُقارب سعر الديباج نفسه[٥].

وتأتي من بخارى أيضاً الثياب القطنية الجيدة[٦]، وترتفع منها الوسائد والبسط وسجاجيد الصلاة والطرز الخاصة بالخلفاء العباسيين[٧]، مما يوحي بأهميتها التجارية بالنسبة لتجار العراق

---

(١) الغساني، الأقوال الكافية والفصول الشافية، ص٣٦٢؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص١٣٤.

(٢) تشمل الأراضي المحيطة بنهري سيحون وجيحون ، في تركستان الكبرى ، وهي جمهوريات تركستان وأزبكستان وتاجكستان. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٧٦؛ خصباك، شاكر، الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٥٨. وسيشار له لاحقاً: خصباك، الجغرافية عند العرب.

(٣) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣٩؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٣٥.

(٤) زندنة: قرية كبيرة من قرى بخارى بما وراء النهر بينها وبين بخارى أربعة فراسخ شمالي المدينة تنسب لها الثياب الزندنجية المشهورة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (زندنة) مج٣، ص١٧٣.

(٥) كانت تجري بها أسواق أسبوعية لعرض هذه الثياب: النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣١.

(٦) الاصطرخي، المسالك والممالك، ص١٧٥.

(٧) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣٧.

نظراً للأرباح الوافرة التي يجنيها التجار من سلعها المجلوبة إلى الأسواق في العراق، خاصة أن بعض الخلفاء كانوا يفضلون ارتداء منتجات بلاد ما وراء النهر، فقد كان الخليفة العباسي الراضي كثيراً ما يرتدي الأُزر المَرَوية[١]، كما تجلب من كرمان العمائم والطيالسة والثياب الرفيعة[٢] بخاصة الكمون الأبيض الكرماني الذي يُعتمد عليه في وصفات العطارين ويرد ذكره في كتب الأطباء[٣]،

كما كانت ترتفع من مدن كرمان وخوارزم سروج الخيل التي كانت توصف بخفتها وحسن مناسبتها للخيول في العراق[٤]، أما حزم الخيل فكانت تأتي من خرسان[٥] التي تنوعت بضائعها المرتفعة إلى العراق، فيأتي منها الكاغد[٦] الخراساني الذي وصل إتقان صنعه لدرجة يمكن بها كتابة سطور عديدة عليه[٧]، إضافة إلى طول أوراقه واتساع مساحتها.

وتأتي من خراسان الثياب المتعددة والتي تُسمى في العراق لحسنها (ديباج خراسان) [٨]، ومنها تُجلب اللبود[٩] والعمائم والغزل والفراء بأنواعه[١٠]، ومنها تجلب أيضاً أنواع السراويل

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٧٢.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٨٣.

(٣) ابن الجزار، الإعتماد ،ص١٢١.

(٤) ماركو بولو، الرحلات، ج١، ص٧٣؛ الغساني، الأقوال الكافية، ص٢٠٠.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٠.

(٦) الكاغد: وأحياناً يقال (الكاغد) والنسبة إليه الكاغدي وهو الورق الذي يكتب عليه ولا يُعمل إلا بالمشرق وأشار السمعاني (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) إلى عمله فقط (بسمرقند) . السمعاني، الأنساب، مج٤، ص١١٦.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٣، ص٣١٧.

(٨) الصابئ، الوزراء، ص١٩٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٠.

(٩) اللبود: اللبد هو الصوف، ولباس مُلبد أي متخذ من الصوف، وهي أيضاً البسط التي تفرش على الأرض. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لبد).

(١٠) يرد بعضها في قائمة هدايا الخلفاء العباسيين، أنظر: الرشيد، الذخائر والتحف، ص٦٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٧٨.

والجوارب[١] والبسط التي تُفرش على الأرض والتي تتميز بأنها متصلة النسج لا كسر ولا ثني فيها لنعومتها ودقة صناعتها، حتى وصفت كأنها " طبق منثور أو فص بلور"[٢]، وتتميز أسواق مـدن خراسان بأنها من المحطات التجارية التي تستقبل بضائع وسلع العديد من البلدان المجاورة والبعيدة مثل بلاد الروس التي تأتي منها الأحجار الكريمة والرقيق وجلـود الحيوانـات الثمينـة[٣]، ومـن خراسان كانت تصدر إلى أسواق العراق[٤]، واشتهر تجار خراسان بنشاطهم فـي مسـألة تجهيـز غيرها من البلدان بالتجارات وإمدادها بالبضائع، فقد كان العديد منهم يتجه إلى العـراق مُحملـين بالبضائع التي تجهز بها المراكب التي تذهب إلى الصين[٥].

أما أصفهان فقد ارتفعت منها السلع الثمينة بخاصة الأحجار الكريمة والخواتم[٦]، والأثمـد أو الكحل بخاصة (الكحل الأسود الأصفاني) ، الذي اشتهر في وصفات الأطباء [٧]، ومنها تأتي علـى العراق أنواع عديدة من الفاكهة مثل التفاح والكمثرى والسفرجل[٨]، والذي يذكر كثيراً فـي موائـد أهالي العراق[٩]، نظراً لميزاته الغذائية المفيدة.

---

(١) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٥١.

(٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٧٢.

(٣) عن بضائع الروس القادمة إلى خراسان ومنها إلى العراق أنظر: ابن فضلان، الرحلـة، ص ١٤٩، ص١٥١، ص١٧٢.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨١-٢٨٢.

(٥) سليمان التاجر والسيرافي، أخبار الصين والهند، ص٧٩.

(٦) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٣٤.

(٧) ابن الجزار، الاعتماد، ص١٧٧.

(٨) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣٩.

(٩) مؤلف مجهول، كنز الفوائد، ص١٣١.

واعتمدت أيضاً بعض صناعات العراق على المواد القادمة من بعض بلدان ما وراء النهر والأقاليم الشرقية، مثل الأخشاب القادمة من جرجان بالإضافة إلى حريرها المستخدم في صناعة الملابس(١)، ومن نيسابور ترتفع الأُزر وثياب الملحم، المشهورة بالعراق بحسنها.

ومن جرجان يرتفع الإبريسيم الجيد الذي لا يحتاج من جماله وجودته حتى إلى الصباغ(٢)، ومنها كان يرتفع إلى طبرستان التي تُصنع منه الفرش والأكسّية الطبرية ذائعة الشهرة(٣)، والتي كان الكساء أو الفراش منها يباع بدنانير عديدة(٤)، لينتقل منها بدوره إلى العراق(٥) إضافة إلى التفاح المصدر منها إلى العراق بأنواعه مثل البسطامي(٦) والقومسي(٧) وغيرها من الأنواع المتواجدة في أسواق العراق(٨).

وأوردت المصادر أسماء بعض التجار ممن نشط في حركة التجارة بين العراق ومناطق ما وراء النهر والأقاليم الشرقية، وربما كان اتجاه بعض مؤلفات التراجم أو المصادر التي ترد فيها أسماء التجار، نسبتهم إلى المناطق التي يقيمون فيها بعد قدومهم إليها من العراق، سبباً في صعوبة

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص٤١.

(٢) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٨٧.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٤١.

(٤) يصل سعر بعضها عدة دنانير . للمزيد أنظر: أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٨٤.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (جرجان)، مج٢، ص١٣٩.

(٦) البسطامي، نسبة إلى بسطام وهي بلدة كبيرة بقومس على طريق نيسابور، ينسب إليها التفاح الحسن مشرق اللون الذي يحمل منها إلى العراق ويعرف بالبسطامي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (بسطام)، مج١، ص٥٠٠.

(٧) القومسي: نسبة إلى قومس، كورة واسعة تشمل مدن وقرى ومزارع في ذيل جبال طبرستان، من مدنها بسطام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قومس)، مج٤، ص٤٧٠.

(٨) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٨٦–٨٧.

الإهتداء إلى الكثير منهم، ومن هؤلاء التجار الحسن بن عمر بن شقيق أبو علي الجرمي البصـــري (ت ٢٣٠هــ/ ٨٤٤م) الذي كان يتجر مع بلخ حتى غلبت عليه كنيته بالبلخي[١].

ومنهم أيضاً أحمد بن عيسى بن حسان، أبو عبد الله المصري المعروف بالتســتري، والــذي كان يتجر مع تستر، وقد قدم منها إلى بغداد سنة (٢٤٣هــ/ ٨٥٧م)[٢]، مما يدلل على أن العــراق كانت مُهمة حتى بالنسبة لتجار مصر المتجهين إلى الأقاليم الشرقية وبلاد ما وراء النهر للتجــارة، بخاصة لحمل الديباج التستري المشهور في الآفاق[٣]، ومن التجار العــراقيين أيضــاً مــع مدينـــة نيسابور المسيب بن زهير بن مسلم أبو مسلم (ت ٢٨٥هــ/ ٨٩٨م)[٤]، ورغم قلة أسماء التجــار التي نستطيع الإهتداء إليها، إلا أنها تُعبر عن عموم نشاطهم في ما وراء النهر، كما تلقي الإشارات جانباً من الضوء على تكاليف النقل بين العراق وهذه المناطق، حيث قُدرت تكلفة حمل بضاعة أحد التجار باتجاه خراسان سنة (٣٢٩هــ/ ٩٤٠م) بحوالي ألفي دينار[٥]، مما يُشير إلى أهمية الإستمرار التجاري مع هذه الأقاليم، رغم تكاليف النقل نظراً لصعوبة المسالك أحياناً، فيشار مثلاً أن الخليفـــة المكتفي أراد نقل بعض السلع المهمة من همذان، لكنه عدل عن رأيه لكثرة العقبات في الطـــرق[٦]، ومع هذا تبقى التجارة مع تلك الأقاليم ظاهرة اقتصادية حيوية للدولة العباسية.

يتضح مما تقدم، استمرار النشاط التجاري مع الأقاليم والبلدان المجاورة، بـــالرغم مـــن تـــردي الأوضاع السياسية للدولة، وتكرار الإضطرابات إلى جانب الأخطار التي قد تتعرض لهـــا حركـــة التجارة ، ويلاحظ من خلال تتبع طبيعة وواقع التجارة خلال فترة الدراسة، قدرة التاجر العراقـــي

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٧، ص ٣٦٧-٣٦٨.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٥، ص٣٠.
(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص٣٩٩.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٣، ص١٤٣.
(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٩٣.
(٦) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩٩.

على التعامل مع الظروف الصعبة ، يأتي ذلك التعايش في إطار حرص الدولة العباسـية نفسـها، وكذلك خصومها أو أعداءها على ضرورة استمرار التجارة، بإعتبارها مورداً مهما في توفير السلع الإقتصادية الأساسية التي فقدت أو قل انتاجها بسبب الظروف السياسية التي تعيشها الدولة العباسية ، إلى جانب حرص العديد من رجال الدولة العباسية على تنمية ثرواتهم في المجـال التجـاري ، كبديل عن مجالات أخرى أصابها الكثير من الضرر .

## رابعاً: الطرق التجارية .

تشكل الطرق التجارية وما يجب أن تحظى به من اهتمام الدولة ورعايتها، عنصراً رئيساً فـي ضمان استمرارية النشاط التجاري ، وتميزت العراق بنظام متصل من الطرق التجارية ، كان كفيلاً بالسماح للتجار من الوصول إلى مختلف الأقاليم شرقاً وغرباً، الأمر الذي يسهم في تنشيط التجارة ودعم مالية الدولة في بعض الأحيان، غير أن الحالة السياسية التي تشهدها الدولة، جعل هناك حالة من التباين في مدى مشاركة التجارة في تعزيز مالية الدولة ، خاصة خلال فتـرة الدراسـة التـي شهدت الكثير من حالات الإضطراب والقلق ، وفيما يلي استعراضاً لأهم هذه الطرق[١] :

### ١) الطرق البرية ووسائلها .

ارتبطت المدن العراقية بشبكة واسعة من طرق المواصـلات البريـة سـواء الداخليـة أو الخارجية، وهذا الحجم من الطرق يُفسر حجم الفعاليات التجارية في تلك الفترة، وتعتبر مدينة بغداد هي مفترق الطرق التي تربط العراق بالأقاليم المجاورة[٢]، نظـراً لموقعهـا وأهميتهـا السياسـية بإعتبارها مركز الدولة وعاصمتها، ومن هذه الطرق:

---

(١) أنظر خريطة الطرق التجارية البرية والبحرية في الملحق ص ( ٤٦١–٤٦٢) من الرسالة .

(٢) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨– ٥٠ ؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٤٣؛ المسري، تجارة العراق ، ص ١٨٠.

أ – الطريق الجنوبي من بغداد إلى واسط ثم إلى البصرة[١]، وقد شكل هذا الطريق أهمية بالغة للدولة ، سواء على صعيد الحركة التجارية، أو انتقال الجنود في حالات الفتن والحروب، لذا نجد أن أبو أحمد الموفق (ت ٢٧٨هـ/ ٨٩١م) أمر في سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) وأثناء حروبه مع حركة الزنج بضرورة إصلاح الطرق المتجهة إلى مدينة واسط[٢]، مما ساهم في صيانة هذا الطريق وزيادة فعاليته لمدة أطول.

وتشكل مدينة البصرة امتداداً مهماً لهذا الطريق يربط العراق بالجزيرة العربية، وقد وصف الإصطخري (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) هذا الطريق باتجاه البحرين بقوله: "مسلوك عامر، غير أنه مخوف"[٣]، حيث تعرض إلى بعض الأخطار خاصة من اللصوص، فقد ظهر فيه لصاً يعرف (بالكرخي) أدى إلى إيقاف حركة القوافل في سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)[٤]، ويجب التنبه إلى أن إشارات الجغرافيين لهذا الطريق ووصفهم له، تؤكد أن سلوكه لا يعني عدم المرور ببعض الأنهار والتنقل عبرها خاصة في الجزء الجنوبي منه عند البطائح[٥]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يشكل هذا الطريق أهمية كبيرة لإرتباطه بميناء الأُبلة في مدينة البصرة.

**ب** – الطريق الشرقي إلى حلوان ثم إيران ثم أواسط آسيا[٦]، وهو المعروف بطريق خراسان العام، وقد بقيت أجزاء منه عامرة ومستخدمة حتى فترة متأخرة[١]، ويسمى كذلك بالطريق أو الخط العظيم[٢]، أو طريق الحرير الذي يصل بغداد بالصين[٣].

---

(١) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٤٣.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٧٤.
(٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٨.
(٤) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٢٦.
(٥) يقول ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) في وصفه: "البطائح ثم نهر أبي الأسد ثم دجلة العوراء ثم في نهر معقل ثم في فيض البصرة". ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٥٩؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٣.
(٦) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٣؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٤٣.

وتعبر على هذا الطريق قوافل كبيرة للتجار تتجاوز ألف جمل أحياناً، تنقل البضـائع بـين العراق وبلاد فارس والهند والصين[٤]، ويُعد الحرير من أهم السلع التي تُنقل عبره وأشهرها حيث تصل طريق الحرير بين الحدود الشمالية للصين وعلى طول حافة صحراء جوبى[٥] حتى العـراق وبلاد الشام[٦]، وتتفرع هذه الطريق من بغداد شمالاً باتجاه ديار بكر (الجزيرة الفراتية) ومنها إلـى حلب، وآخر باتجاه الغرب نحو دمشق، ومنها يتفرع إلى أنطاكية وغيرها من موانئ الشام وحتـى باتجاه مصر[٧]، بالإضافة إلى هذه الفروع الرئيسية، فإن هناك فروع أخرى لكنها غيـر مطروقـة باستمرار من التجار[٨]، نظراً لوعورتها واضطراب أوضاعها الأمنية بسبب هجمات اللصوص.

ويمتد طريق الحرير على مسافة خمسة آلاف ميل، وبالرغم من صعوبة التضاريس التـي يمر بها، إلا أن وجود الأودية خلاله وفر وجود مناطق تنساب منها السيول والجداول، التي تصب في عدد من الواحات[٩]، الأمر الذي يوفر المياه للتجار والقوافل، وهـو أمـر أكـده الجغرافيـون

---

(١) يُعلق أحمد سوسه عند حديثه عن هذا الطريق بقوله: " ثم يسير في اتجاه الطريق الحالي بين بعقوبة وخانقين ثم قصر شيرين ثم حلوان". سوسه، ري سامراء ج٢، ص ٣٨٨.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٤٣ – ٤٤.

(٣) Saliba, Ceorge, Chine and Islamic Civilization Silk Road, Volume ٦, number ١, Summer, ٢٠٠٨, p٩.

(٤) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٤.

(٥) صحراء جوبي؛ وتعرف بالصينية (هانهاي) واسعة تفصل بين منغوليا الداخلية والخارجية تبلغ مساحتها حوالي ١,٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع.

(٦) شيفر ، دراق سمرقند ، ص ٤٤.

(٧) سليم، محمد السيد وآخرين، طريق الحرير الجديد، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٥. وسيشـار لـه لاحقاً: سليم، طريق الحرير الجديد.

(٨) سليم ، طريق الحرير الجديد، ص ١٠.

(٩) ايرين فرانك وديفيد براونستون، طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المجلـس الأعلـى للثقافـة، القـاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٥. وسيشار له لاحقاً: ايرين فرانك، طريق الحرير.

المعاصرون، حيث يشير الاصطخري (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) إلى وجود أحواض المياه على طول هذا الطريق على كل فرسخ أو فرسخين (الفرسخ يساوي: ٥,٩كم) [١].

وقد ساهم النشاط التجاري على هذا الطريق إلى نمو عدد من المدن مثل مدينة بلخ وبخارى وغيرها [٢]، وهذا يعكس القيمة الأساسية للتجارة من خلال نشوء مدن تجارية توفر مناخاً مناسباً للتجار وحركتهم بين المناطق.

وتعرض هذا الطريق لأخطار منها ظهور اللصوص فيه، وقطاع الطرق الذين يتعرضون للتجار وقوافلهم، ويعود سبب انتشارهم وعدم القدرة على القضاء عليهم هو أن أماكن تواجدهم: " ليست في حيز إقليم بعينه، فيرعاها أهل ذلك الإقليم بالحفظ "[٣]، كما تعرض هذا الطريق لأخطار أخرى، منها العواصف الرملية لمرور معظمه في الصحاري والقفار[٤] التي تكثر فيها الرمال وتنشط فيها حركة الرياح وهبوبها المستمر.

ونتج عن إهمال الصين في صيانة الجزء الممتد من هذا الطريق داخل أراضيها، إلى تراجع التجارة عليه، الأمر الذي جعل الطريق البحري معها عبر المحيط الهندي هو الأكثر استعمالاً من قبل التجار[٥]، في حين اهتمت الدولة العباسية بهذا الطريق، وعملت على إصلاح الطرق المتصلة بعقبة حلوان[٦]، بعد شكاوى الناس من صعوبة المرور فيها، مما دفع الخليفة

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٣٣.

(٢) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٠٤؛ شريف، حضارة دودة القز ، ص ٢٨.

(٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٣٨.

(٤) ايرين فرانك، طريق الحرير، ص ٢٧.

(٥) ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، ج٢، ص ١٩٧.

(٦) عقبة حلوان: حلوان هي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وصفت بالعامرة، أما العقبة فهي الجبل الطويل الذي يعرض للطريق فيأخذ فيه، تشكلت من جبل حلوان الذي عندما بلغها صار شعبتين تمر أحداهما شرق حلوان وتنقسم هذه الشعبة مرتين مما يشكل صعوبة لمرور القوافل فيها . سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١١٤– ١١٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (حلوان)، ج٢، ص ٣٣٤، مادة (عقبة) ج٤، ص ١٥١.

المعتضد إلى الأمر بضرورة تسهيلها في سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) [١]، وهذا يؤكد متابعة الدولة العباسية لهذا الطريق، على الرغم من وجود بعض الإشارات التي تُفيد بوجود طرق أخرى فرعية متصلة بهذا الطريق تستخدم في بعض الأوقات كفصل الشتاء، وتحديداً بنواحي مدينة بلخ[٢]، ومع هذا تبقى مسألة الإهتمام بهذا الطريق أمراً حيوياً بالنسبة للدولة العباسية، بوصفه شرياناً رئيسياً لتنشيط تجارتها مع الأقاليم الشرقية.

**ج-** الطريق الشمالي إلى الموصل والجزيرة الفراتية[٣]، ويبدو أنه طريق معروف كانت تسير عليه القوافل منذ القدم [٤]، ويسير هذا الطريق بين بغداد وسامراء على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة، وكانت القوافل ترغب بالمرور بمحاذاة النهر لأنه عامر[٥]، مما يوفر لها شعوراً إضافياً بالأمن خاصة وقت الإضطرابات والأخطار، هذا مع وجود طرق أخرى تُسلك أحياناً إلى سامراء والموصل دون المرور بمدينة بغداد[٦].

ونشطت الحركة على هذا الطريق ( الشمالي) ، خاصة أيام حروب الدولة العباسية مع القرامطة، ففي سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) أصبحت طريق الحاج العراقي والتجار تتجه نحو الموصل، ومنها إلى الشام ثم الحجاز، بسبب انقطاع الطريق الجنوبية باتجاه مكة[٧]، وبالرغم من تباين المناخ وأثره على الطريق، مثل سقوط الثلج عليه بالقرب من الموصل في سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) يرافقه

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ح٧، ص ٢٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص ٩٧.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١١٠.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٩٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٤٣.

(٤) درادكه، صالح موسى، دراسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١م، ص١٩٩. وسيشار له لاحقاً: درادكه: دراسات في الجغرافيا التاريخية .

(٥) سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٣٧٨ – ٣٧٩.

(٦) أشار الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) إلى نية ايتاخ سلوك هذا الطريق سنة (٢٣٥هـ/ ٨٥٠ م) .الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٦٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٥٣.

اشتداد البرد[١]، إلا أن القوافل استفادت أحياناً من حالة انجماد نهر دجلة (عند الحديثة) فـــي ســـنة (٣٢٣هـــ/٩٣٥م) للمرور فيه مُحملة بالبضائع[٢]، وهذا يعكس مدى الإستفادة من بعض التغييرات أو الأحوال المناخية، والتعايش معها للإستمرار في الأنشطة الإقتصادية.

وحظي ذلك الطريق باهتمام الدولة العباسية، فعندما رغب الخليفـــة العباســـي المكتفـــي (ت ٢٩٥هـــ/٩٠٨م) الخروج للصيد، أنفذ الكتب إلى عماله بضرورة إصلاح الطرق[٣]، وهـــذا وفـــر للطريق عناية إضافية ، ومع هذا فإن خطر اللصوصية كان ظاهراً على ذلك الطريق خاصة فـــي مرحلة انشغال الدولة ببعض الفتن والأحداث السياسية الصعبة، التي أثـــرت فـــي قـــدرتها علـــى مواجهتهم، ومع نجاح الدولة في التغلب عليهم أحياناً، مثلما حصل في سنة (٢٦٣هـــ/ ٨٧٦م)[٤]، إلا أن الخوارج في الموصل تمكنوا في سنة (٢٦٧هـــ/ ٨٨٠م) من فرض الأموال علـــى الســـفن المتجهة أو القادمة من العراق[٥]، وهي السنة التي شهدت جهوداً كبيرة من قبل الدولة للقضاء على حركة الزنج، ومع هذا فإن ملامح اهتمام الدولة العباسية بهذا الطريق كانت واضحة حيث حـــرص صاحب البريد، وكان من مهامه الإشراف على الطرق مكاتبة الدولة بإستمرار وأخبارها بأمر مـــن يخرج عليه من اللصوص[٦]، وهذا يُشير إلى حرص الدولة على مراقبة الحركة التجارية، وتـــأمين تنقل القوافل على الطرق، ومتباعتها والعمل على حمايتها.

**د** – الطريق الغربي من بغداد إلى الرقة ومنها إلى بلاد الشام ثم مصر[٧]، وتقدر المسافة من بغداد عبر دمشق إلى مصر بحوالي خمسمائة وسبعون فرسخاً (الفرسخ: ٥,٩ كم) أي حوالي ألـــف

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص ٢٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص ٣٢٣.
(٣) الصابئ، الوزراء، ص ١٤٤– ١٤٥.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٣٠.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٦٨.
(٦) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص ١٣٧.
(٧) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٤٣.

وسبعمائة وعشرة أميال[١]. وإلى جانب الطريق الخارج من بغداد إلى دمشق باتجاه مصر، فهنـــاك طريق آخر من الكوفة إلى دمشق ثم إلى مصر[٢]، وترد إشارة إلى طرق أخرى يمكن تأمينها بشكل أفضل لاستخدامتها المتعلقة بالدولة، ومنها الطريق من مصر إلى أنطاكية عبر البحر، ثم العراق براً وقد ورد استخدامها في سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)[٣].

ويأتي تأمين الطريق البري باتجاه مصر عبر استخدام الخفارات أو الحراسة بمشاركة القبائل القاطنة في بلاد الشام، حيث كانت جماعات من كلب مثلاً، تخفر الطريق بين الكوفة ودمشق فـــي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، إلا أن انضمام بعضهم إلى القرامطة[٤]، أدى إلى تخوف التجـــار الـــذين حرصوا دائماً على مكاتبة الدولة وإيصال الأخبار المتعلقة بتحركات القرامطة كما حصل في ســـنة (٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) [٥]، للمساهمة بالحد من خطرهم على القوافل، إضافة إلى إعلام الدولة بأخبارهم بغية محاربتهم أيضاً.

وقد تأثرت التجارة مع مصر والحركة على الطريق التجاري إليها، بالفتن الواقعة بـــالعراق وأبرزها ما حصل سنة (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) بين المعتز والمستعين، والتي جلبت على تجارة مصـــر حالة من الكساد والتراجع، إضافة إلى تعطل طرقها مع المشرق كله[٦]، إلى جانـــب هـــذا كانـــت هجمات الأعراب واللصوص تُشكل تهديداً للقوافل على طول الطريق[٧]، فقد أشـــار المقدســـي (ت

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٧١.

(٤) وهناك ذكر لمشاركة النصارى في حمايتها خاصة عند الرصافة: مؤلف مجهول، العيون والحـــدائق، ق١، ص ١٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (الرصافة)، مج٣، ص ٥٤-٥٥.

(٥) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١١١.

(٦) ساويرس ، تاريخ مصر، ج٣، ص ١٤٤- ١٤٥.

(٧) المرزباني، معجم الشعراء ، ج١، ص ٤٨٩ – ٤٩٠؛ البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٧ – ٣٨؛ ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٥٨.

٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) عند حديثه عن الرقة بقوله : "إلا أن الأعراب بها محيطة والطرق إليها صعبة"[١]، ومع هذا فقد شددت الدولة العباسية من مراقبتها لتلك الطريق والقيام بإصلاحها[٢]، مما جعل منها طريقاً مهماً وحيوياً رغم الصعوبات التي واجهت التجار عليه.

**هـ** – الطريق الجنوبي الغربي إلى الكوفة ثم الجزيرة العربية حتى مكة المكرمة[٣]، وقد كان هذا الطريق وبسبب الحرص على طرق الحج، أوفر حظاً بإهتمام الدولة من غيره، بالرغم من الأوضاع المالية الصعبة التي تمر بها الدولة ،إلا أنها أنفقت على صيانته الكثير من الأموال، وقد يأتي ذلك مع رغبة أحد الخلفاء بأداء فريضة الحج[٤]، فيصرف حينها عليه مبالغ مالية ضخمة[٥]، إضافة إلى مبالغ مالية أخرى كانت ترسل من قبل بعض أمراء الولايات في المشرق، مثل عمرو بن الليث الصفار (ت ٢٨٩هـ /٩٠١م)، الذي أرسل في سنة(٢٨٤هـ/٨٩٧م) الأموال لتُنفق على إصلاح طريق الحج[٦]، وتُظهر الآثار وجود العديد من المنارات وحتى البيوت والقصور التي أقيمت لمراقبة الطريق واستراحة الحجاج والتجارة[٧].

ومع ذلك فقد تعرضت قوافل الحجاج والتجار لهجمات الأعراب[٨]، بالرغم من جهود الدولة المتواصلة للقضاء على خطرهم كما حصل في سنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)[١]، فقد اتبع الوزير علي بن

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٧.

(٢) ساويرس ، تاريخ مصر، ج٣، ص ٦٠ ، ٩٢.

(٣) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص ١٤٣؛ داردكه، دراسات في الجغرافيا التاريخية ، ص١٤٣؛ سعيد، المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، دار تهامة، جدة، ١٩٨١م، ص ٢٣. وسيشار له لاحقاً: سعيد، دروب الحجيج؛ إبراهيم، أسواق العرب التجارية، ص ٤٥ .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٤٠.

(٥) يُنفق المقتدر كل سنة ثلاثمائة ألف وخمسة عشر ألف وأربعمائة وستة وعشرين دينار على الحرمين وطريقهما: ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٣٨٤.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٢٧.

(٧) سعيد، دروب الحجيج، ص ٢٨.

(٨) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص ٤٨٠.

عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) خطة جديدة في سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) لحماية تلك الطريق، تقضي بإقامة ما يقارب خمسة الاف فارس مع عيالاتهم على هذا الطريق، وتُصرف لهم أموال محددة لقاء حمايتهم له من خطر الهجمات(٢)، تلك الهجمات التي بقيت تُهدد طرق الحج حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(٣)، إلا أن أهمية هذا الطريق من الناحية الدينية والتجارية كان وراء حرص الدولة على رعايته.

أما عن وسائل النقل البرية ، فقد تعددت لدى التجار في العراق ، بإختلاف وتنوع السلع والبضائع المنقولة عليها ، إضافة إلى تباين المسافات التي تنقل إليها هذه البضائع، ولعل الإبل من أهم الحيوانات المستخدمة في النقل، وقد استقدمت إلى العراق من عدة مناطق أبرزها الجزيرة العربية، وتحديداً نجد التي تنسب إليها الإبل النجدية(٤)، كما جُلبت من مناطق الديلم حيث وصفت بعض مدنها بأنها معدن الإبل(٥)، ومن مدن أخرى مثل نيسابور(٦)، ومن السند التي تصدر من عندهم الإبل إلى معظم الآفاق والمناطق(٧)، ومن جرجان التي تُنسب إليها الإبل البخاتية(٨)، ومن بلاد البجة (النوبة) جنوب مصر وقد اشتهرت بتجارة الإبل كما دلت على ذلك النقوش(٩)، وهناك الإبل التركية التي وصفت في رحلات بعض المعاصرين للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي،

---

(١) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ٣٣.

(٢)عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري ، ص ١٣٠.

(٣) يقول ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) عن أحداث سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٥٧م): "ثم بلغنا مكة ولم تحضر لمكة قافلة من أي بلد في هذه السنة، وكان الناس مملوئين رعباً من العرب". ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٨٨.

(٤) للمزيد عن أنواع ابل الجزيرة العربية أنظر: الأجدابي، كفاية المتحفظ ، ص٧٣ ؛ الغساني، الأقوال الكافية ، ص ٣٨٧؛ متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص ٣٤٧.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٠٠، مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ٧٤.

(٦) المقدسي أحسن التقاسيم، ص ٢٧٩.

(٧) الاصطخري، المسال والممالك، ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٨) اليعقوبي، البلدان، ص ٤١.

(٩) الحداد، محمد حمزة، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٢٧؛ وسيشار له لاحقاً: الحداد، النقوش الاثارية.

بأنها منتشرة الإستخدام في الأقاليم الشرقية وتحديداً في سنة (٣٠٩هـ /٩٢١م)[١]، وجميع هذه المناطق ربطتها بالعراق علاقات تجارية قوية جعلت معظم هذه الأنواع تُستخدم في العراق.

ومن بين أنواع الإبل المستخدمة في النقل، الجمل الفالج (ذو السنامين) [٢]، والذي درج استخدامه في نقل الهدايا والخلع إلى الخلفاء، إضافة إلى نقل الأسرى والخارجين على الدولة، حيث يُدار بهم ويعرضون على العامة في مدن العراق[٣]. أما الجمازات وهي الإبل التي تتصف بالسرعة فقد استخدمت في نقل البريد، وفي سفر الخلفاء وأمهاتهم[٤]، وقد حرص الخلفاء الحصول على أنواع مختلفة من الإبل[٥]، عبر العديد من الوسائل مثل الإهداء إليهم من قبل الولاة والعمال[٦]، أو عن طريق الشراء حيث خصصت الأموال لشراء الإبل الموصوفة بحسبها وعراقة نسبها[٧]، وقد اقترن ظهور الإبل على نقود الصلة (توزع في مناسبات خاصة وليست للتجارة والتعامل النقدي) إلى جانب الخلفاء، فقد ظهر على درهم المتوكل المضروب سنة (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) صورة الخليفة وهو يقود الجمل[٨].

---

(١) ابن فضلان، رحلة، ص ٨٦.

(٢) دلت النقوش الأثرية على وجود رسومات للإبل ( ذات السنامين) على آثار جدران قصور سامراء التي تعود الى عهد المتوكل . للمزيد انظر : كريزويل ، كيبل ، الآثار الإسلامية الأولى، نقله للعربية عبد الهادي عبله ، دار قتيبة، دمشق ، ١٩٨٤م، ص٣٤٨. وسيشار له لاحقاً: كريزويل، الآثار الإسلامية.

(٣) الهمداني، تكملة الطبري، ج١، ص ١٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٢٢٥؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٢.

(٤) الجاحظ، الحيوان، مج١، ص ٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤٥١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص٢٢.

(٥) أنظر الأنواع المنشرة خلال فترة الدراسة عند: الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص ٧٥.

(٦) أهديت للمعتمد في سنة ( ٢٧١هـ/ ٨٨٥م ) بعض الفوالج (ذو السنامين)، الرشيد، الذخائر والتحف، ص ٣٧.

(٧) الصابئ، الوزراء، ص ٢٣.

(٨) النقشبندي، نقود الصلة والدعاية، ص ١٠ – ١١.

واهتمت المصادر بذكر صفات الإبل المستخدمة بل المفضلة للنقل، مثل أن تكــون القــوائم سمينة لتساعد في رفع الأحمال الثقيلة، وهذه من أبرز صفات الإبل البختية[١] ، التــي اســتخدمت بكثرة في العراق، كذلك أن تكون عريضة الخف، ولينة الأرساخ وتُسمى لذلك (إبل الحمّــالين) [٢]، وللإبل أهمية اقتصادية من خلال استخدام لحمه ولبنه ووبره في الحاجات العائلية[٣]، لذا نجد العديد من أشعار المعاصرين للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تزخر بالألفاظ التي تصــف الإبــل وحركتها[٤]، مما يعكس أثر وقيمة الإبل في البيئة العامة للأفراد، وتميزت الإبل المســتخدمة فــي العراق بقدرتها على تحمل حرارة الصيف، وقساوة برد الشتاء، وما يعتري المنــاخ مــن تبــدلات وتباينات كثيرة[٥].

وقد استخدمت الإبل في نقل السلع والبضائع في العراق من قبل أفراد البادية، لإمداد صاحب الزنج بالميرة في سنة (٢٦٨هـ/ ٨٨١م)[٦]، واعتمد عليها بشكل واضح في التجارة مع الأقــاليم الشرقية[٧]، ومع الجزيرة العربية خاصة التجار المرافقين لقوافل الحج[٨]، وقد فُضّلت الإبل الفوالج (ذو السنامين) في التجارة مع الأقاليم الشرقية، وذلك بسبب قدرتها الفائقة في اشتمام مواطن وعيون الماء اللازمة لشرب التجار، إضافة إلى قدرتها على التنبؤ بحدوث العواصف الرملية، من خــلال

---

(١) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ١٩٤.

(٢) السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، شرح ديوان امرؤ القيس، مخطوط نســخة مصورة في الجامعة الأردنية عن مخطوط جامعة بيل، الولايات المتحدة الأمريكية تحت رقــم L . ٣٥٥ ، ص ٢٠، وسيشار له لاحقاً: السيرافي، شرح ديوان أمرؤ القيس.

(٣) ريسلر، الحضارة العربية، ص ٢٠.

(٤) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، مج١، ص ١٢٠ – ١٢١، ابن الأجدابي، كفاية المــتحفظ؛ ص ٧٨-٧٩.

(٥) الزبيدي، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ص ٧٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦٠٧.

(٧) حوالي سنة ( ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) . ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص ١١٦.

(٨) أحداث سنة ( ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م ) قطع الأعراب طريق الحج وأخذو خمسة آلاف بعير بأحمالها. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٥٧.

اتخاذها بعض التعابير الدالة على ذلك، مثل وقوفها متشابكة الأقدام دافنة أفواهها بالرمـــال، الأمـــر الذي يجعل التجار يأخذون حذرهم ويتخذون بعض الإجراءات الإحترازية الواقية فـــي مثـــل هـــذه الظروف، كتغطية وجوههم باللبادات والأقمشة[١]، حماية لهم من خطر الرمال.

وذكرت المصادر انتشار مرابط واصطبلات للجمال في مدينة بغداد في ســنة (٣٢٩هـــــ/ ٩٤٠م)[٢]، وقدوم الحمّالين إلى العراق بحثاً عن الرزق، من أمثال القادمين من الموصل في عهــد الخليفة المعتمد[٣]، وعلى الرغم من تأثر الكثير من الإبل بالأحداث السياسية التي مرت بها الدولـــة بخاصة هجمات الأعراب وسلبها عدد منها [٤]، وصراعات الدولة مع بعض الولاة مثل يعقوب بن الليث الصفار (ت ٢٦٢هـــ/ ٨٧٥م) وتعرض الكثير منها للقتل والسلب [٥]، فقد بقيت الإبل من أهم وسائل النقل المستخدمة في الحياة التجارية.

واستخدمت الخيول بشكل واسع أيضاً، وتعد الجزيرة العربية هي المصدر الأساسي لها، حيث يتجه البعض للقول أن خيولها انتقلت إلى بلاد العراق وفارس منذ أزمنة سبقت الفتوح الإسلامية[٦]، وقد عرفت الجزيرة العربية وجود أسواق خاصة لبيع الخيول[٧]، ومنها تحصل العراق على أفضل السلالات، بينما كانت الخيول العادية تجلب لها من الموصل[٨]، بإعتبار أن الخيول العربية تأتي في

---

(١) شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٥.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ٥١.

(٣) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص ١٣٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٤٧.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ١٧٩ – ١٨٠.

(٦) الجاسر، حمد ، أصول الخيل العربية الحديثة، ٢ جزء، دار اليمامة، الرياض، ١٩٩٤م، ج١، ص ٨٠. وسيشار له لاحقاً: الجاسر، أصول الخيل.

(٧) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٢١٨.

(٨) متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص ٣٤٨.

مقدمة أفضل السلالات، ثم يليها ذات الأصول الفارسية، ثم السركازينية (نسبة إلى مدينة سركازين شمال القوقاز)، ثم الخيول التترية ثم التركية[١].

وأثرت الخيول العربية في سلالات الخيل المنتشرة في العديد من المناطق، حيث يقول ماركو بولو (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) عن خيول فارس: "إن بفارس سلالة الخيل الممتازة، ويبدو أنها سلالة ناتجة عن التهجين بين السلالتين العربية والتركية "[٢]، وقد حصلت العراق على بعض الخيول من مناطق أخرى مثل بلاد الروم[٣]، مع ذلك تبقى السلالات العربية هي المفضلة، حتى أن بعض المصادر الجغرافية خصصت أبواباً كاملة للحديث عن محاسن ومساوئ وصفات الخيول العربية[٤]، هذه الصفات التي مكنت من تصديرها من العراق حتى الهند والصين، وقد لاحظ الصينيون مزايا الخيل العربية، بخاصة العمود الفقري الملائم للركوب حتى بدون وضع السرج عليه[٥]، وقد اعتمد عليها في عهد أسرة تانج الصينية (ق١– ق٣هـ/ ق٧ – ١٠م) في البريد ونقل السلع[٦]، وهذا يعود إلى الكثير من الصفات المستحسنة فيها[٧]، حتى جعلتها من أهم صادرات العراق لتلك البلاد تحديداً.

---

(١) الزبيدي، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ص ٧٨.

(٢)بولو، ماركو (٧٢٣ه/ ١٣٢٣م) الرحلات، ٣ أجزاء، ترجمة عبد العزيز جاويد ووليم مارسدن، القاهرة ، ١٩٩٥م، ج١، ص ٦٩، ص ٢٠٦. وسيشار له لاحقاً : ماركو بولو، الرحلات ؛ الغساني، الأقوال الكافية ص ١٩٨.

(٣) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ٧٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٦١، ٨٤، ١٤٣.

(٤) أنظر مثلاً باب: "في الخيل وأصولها والمختار منها والمذموم وصورة ذلك". مؤلف مجهول، غرائب الفنون وملح العيون، تحقيق المهدي الرواضية، دار صادر، بيروت ٢٠١١م، ص ٤٧٣. وسيشار له لاحقاً: مؤلف مجهول، غرائب الفنون.

(٥) شيفر، دراق سمرقند، ص ١٣٣.

(٦) شيفر، دراق سمرقند، ص ١٣٥– ١٣٦.

(٧) أنظر بعض أنواع الخيول العراقية: الحافظ الدمياطي، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (ت ٧٠٥ه/ ١٣٠٥م)، فضل الخيل، تحقيق نظام محمد صالح، دار النوادر، دمشق، ٢٠١١م، ص ٣٨١ وسيشار له لاحقاً: الدمياطي، فضل الخيل.

واهتم الخلفاء العباسيون من أمثال المعتضد بعمل اصطبلات خاصة للخيل، لتكثير أنواعها في مصر[١] وجلبها منها إلى العراق، وقد خصص لها بعض المراعي[٢]، كذلك أعدت للخيل في العراق العديد من الميادين، لفحصها وقياس سرعتها[٣]، نظراً للحاجة إليها في الحروب وفي التجارة، إما لنقل بعض السلع أو لركوبها من قبل المرافقين للقوافل.

ومن الحيوانات الأخرى المستخدمة في النقل البغال، والتي تجلب للعراق من عدة مناطق مثل مصر[٤]، وهمذان[٥]، وأرمينيا[٦] التي كانت تقام بها أسواق لبيع البغال بشكل خاص [٧]، وللبغال عند الأهالي صفات معينة مفضلة[٨]، تجعلهم يعتمدون عليها خاصة في اجتياز المناطق والطرق الوعرة[٩]، وقد عرفت مدن العراق خلال فترة الدراسة عدد ممن يعملون على تأجيرها لنقل البضائع حتى لمناطق بعيدة من أقاليم الدولة مثل خراسان، ومن هؤلاء موسى بن هارون بن عمر المكاري (ت ٢٩٩هـ/ ٩١١م) [١٠].

ونشط استخدامها في نقل الثلج إلى العراق من الشمال ( منطقة أقليم الجبل) في سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، أيام فتنة المعتز والمستعين، إلا أن الأوضاع السياسية دفعت لتحويل نشاطها التجاري لخدمة الجيوش المتحاربة[١١]، كما نشط استخدامها في نقل المياه إلى بيوت الأهالي في

(١) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص ١٢٧.
(٢) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص ٤٩.
(٣) الطبرهاني، الدلائل، ص ٣٨؛ الغساني، الأقوال الكافية، ص ٢١٣.
(٤) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٦٣.
(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ٥١٣.
(٦) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٦٣.
(٧) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٥٦.
(٨) الثعالبي ، رسائل، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠١م، ص ٥٨. وسيشار له لاحقاً: الثعالبي، رسائل.
(٩) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٣٥.
(١٠) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٣، ص ٥٦.
(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢٩٤.

مدن مثل سامراء[1]. وكان الخطر الأبرز التي تعرضت له في فترة الدراسة، هو تحويلها للإستخدامات الخاصة بالجيوش مما عرض الكثير منها للقتل، وأفقد التجار وسيلة مُهمة لنقل السلع والبضائع.

أما الحمر الأهلية، فقد جُلبت للعراق أيضاً من مصر واليمن (صنعاء) [2]، على أن المجلوبة من مصر هي الأكثر استخداماً خاصة عند الخلفاء للتنزه[3]، فقد كان الخليفة المتوكل يستخدمها للسير عليها في قصره[4]، كذلك الخليفة المكتفي[5]، إضافة إلى ركوب الجواري عليها أثناء الذهاب للأسواق كما هو حال قهرمانة أم المقتدر (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) [6]، لقضاء بعض الحاجات الخاصة بالقصرمثل شراء السلع أو القيام ببعض المهام الأخرى .

وإلى جانب هذه الوسائل استخدمت (البراذين)، وهي المُسماة (الكوادن)، وبإصطلاح العامة تسمى (الكوادش)، وهي بمنزلة البغال[7]، ويغلب في استخدامها نقل الشعير[8] ، من البيادر إلى الأسواق، ولاشك أن استخدام البغال والحمير كان سائداً داخل الأسواق وذلك بسبب سهولة حركتها أثناء ازدحام الأسواق بالمارة، إضافة إلى حاجتها القليلة للأعلاف[9]، كذلك رخص أجور استخدامها.

وما يلفت الإنتباه، هو عدم تناول الباحثين مسألة استخدام التجار للعربات في الدولة العباسية، وبالرغم من قلة الإشارات وندرتها بهذا الخصوص، إلا أن بعض الإشارات تشير إلى استخدام

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٣٢٦، ٣٩٨.

(٢) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٧٠.

(٣) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١١، ص ٣٦٧.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قُبّة)، مج٤، ص ٣٤٩.

(٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٧) الغساني، الأقوال الكافية، ص ٣٦٢.

(٨) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٦، ص ١٥٥– ١٥٦.

(٩) ماركو بولو، رحلات، ج١، ص ٧٠؛ الحداد، الأمثال المولدة، ص ١٣٠.

(العَجل) أي العربة في نقل الأسرى الخارجين على الدولة، وإشـــهارهم أمـــام العامـــة فـــي ســـنة (٣٠٧هـــ/ ٩١٩م)، ووصفت بأنها( أي العجل) : "واسعة المقعد ويجلس عليها أكثر من شخص"[١]، وذكر ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـــ/ ٩١٢م) بأنها كانت تُستخدم في بلاد الروم، فيقول واصفاً بريدهم: "بين فرسين عجلة عليها غلمان"[٢] وهذا يؤكد معرفة المسلمين والتجار لها، فقـــد اســـتخدمت فـــي الأقاليم الشرقية لنقل الحطب خاصة[٣]، أما فـــي العـــراق تحديـــداً، فقـــد ذكـــر ابـــن الجـــوزي (٥٩٧هـــ/١٢٠٠م) في أحداث سنة (٢٤٢هـــ/ ٨٥٦م)، أن أحد الكتّاب حج من مدينة البصرة على عجلة تجرها الإبل مما دفع الناس للتعجب منه[٤]، ويبدو أن هذا الإستخدام المحدود يتعلق بصعوبة المسالك والطرق، إضافة إلى أن حركة الدواب كانت أسهل وأيسر[٥].

إلى جانب هذا التقدم في وسائل النقل التجاري، استخدم الحمام الزاجل (الهدي) الذي عُـــرف أصلاً في نقل الأخبار المتعلقة بأخبار الجيوش، بخاصة تحركات القرامطة فـــي ســـنة(٣٢٤هـــــ/ ٩٣٥م)[٦] ،و في سنة (٣٢٩هـــ/ ٩٤٠م)[٧] ، وقد وصف أهل مدن العراق مثل بغـــداد والبصـــرة بمعرفة صفات أفضل هذة الأنواع[٨] ، وفضل إستخدامها في الصحاري والبحار بسبب قلة أعلامها أوتضاريسها[٩] ، مما يمكن الحمام من تحديد طريقه أفضل من المناطق المزروعة التي تكثر فيهـــا

---

(١) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٢٠٢؛ الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج١، ص ١١٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٤٩٩.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١١٢.

(٣) ابن فضلان، الرحلة، ص ٨٣.

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٤٩٦ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣٦٨.

(٥) كاهن، تاريخ العرب والشعوب ، ج١، ص٢٢٥.

(٦) الصولي،أخبار الراضي والمتقي، ص٨٦.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٧.

(٨) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص١٠٧-١٣١،١٠٨.

(٩) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص١٣٤.

العلامات والدلائل، وقد إعتمد عليها في التجارة البرية والبحريـــة[١]، حتـــى فتـــرة متـــأخرة فـــي العراق[٢]، وهي مُهمة بالنسبة للتجار من أجل معرفة أخبار القوافل، أو الإبلاغ عن أي مخـــاطر أو أعطاب، قد يتعرضون لها فيرسلون الحمام طلباً للمساعدة والنجدة.

وارتبط بعملية النقل وجود فئة مُهمة هي (الحمّالين) القائمين على نقل السلع للأسواق، وقـــد عُرفت في مدن العراق شوارع خاصة بهم يسمى بعضها (شـــارع الحمّـــالين)[٣]. وقـــد ذكـــرت المصادر اسماء بعضهم مثل هارون بن موسى الحافظ المعروف بأبي موسى البغدادي (ت٢٤٣هـــ/ ٨٥٧م) الذي كان يعمل بأجرة يتقوت بها[٤].

ويتضح من بعض الإشارات أن إجور الحمّالين كانـــت قليلـــة، فقـــد قـــام أحـــدهم فـــي حـــدود سنة(٣٣٢هـــــ/ ٩٤٣م)، بنقل ستمائة حمل من كتبه بأجرة بلغت مئة درهم[٥]، هذا داخل العـــراق، أمـــا النقل الخارجي، فيذكر أن بعض الكتب نقلت إلى سجستان من العراق سنة(٣١٦هـــ/ ٩٢٨م) بأجرة بلغت ستة دنانير[٦]. وتنوعت طرق حمل السلع والبضائع بين المدن والأقاليم التـــي شـــهدت نشـــاط التجـــار العراقيين، وارتبطت بنوع وطبيعة السلع، فقد استخدمت (الركون[٧]) في حمل الفاكهة الطازجة من الشـــام الى العراق[٨] ويعتمد عليها بسبب قدرتها على حفظ الفاكهة دون ان يلحقها ضرر، وهناك الأقفاص خاصة داخل أسواق بغداد دلّ على ذلك ذكرها خلال أمر الخليفة المعتضد أصحاب الدكاكين فـــي حـــدود ســـنة

---

(١) مثل الصين: شيفر، دراق سمرقند، ص٤٤.

(٢) الزيدي، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ص٨٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٧٧٤.

(٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٣٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٤٨.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٩، ص٤٧٢-٤٧٣.

(٧) الركون: شبة وعاء يتخذ من الأدم أو شبه لقن يتخذ للماء، ويبدو أنها أتخذت لنقل بعض السلع. السمين الحلبي. عُمدة الحفاظ، ج٢، ص١٢٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ركن).

(٨) الصابئ، رسوم دار الخلافه، ص١٨ .

(٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، بأخذ أقفاصهم وبضائعهم من باب الشماسية عنـدما أراد التوسعه مكانها[١]، كما استخدمت البراميل والعلب[٢]، بإعتبارها تناسب أنواع عديدة من البضائع. أما فيما يخص الحطب فقد أستخدمت الأطواف لحمله[٣]. وتوضع البضائع وترتب في أماكن خاصة، وأحياناً قد توضع في أجزاء من السفن تشبه العنابر، كما هو الحال في نقل الباقلاء بالسفن من مدينة البصرة إلى بغداد[٤].

مما سبق يتضح التنوع في وسائل نقل البضائع والسلع، إضافة إلى إستخدام أنواع وطرق معينة للحمل تناسب السلع والمحافظة عليها سالمة، حتى يتم بيعها بأسعار مناسبة لا تتعرض للنقص بسبب عيب قد يصيبها نتيجة لأخطاء في النقل.

**٢) الطرق النهرية ووسائلها .**

ساد في العراق استخدام الطرق التجارية النهرية ، ساعد على ذلك وجود شبكة نهرية واسعة ، فيذكر اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) مثلاً أن معظم تجارات العراق تُنقل إليه من الشمال ، بخاصة الموصل وغيرهاعبر السفن في نهر دجلة[٥]، وترد في المصادر مشاهدة العديد من المعاصرين لفترة الدراسة ( لقراقير) [٦] الرمان ( وأطواف) الزيت والخشب تتنقل في أنهاره[٧]، بإعتبار الزوارق والسفن هي وسيلة الأهالي في التنقل داخل المدن، كما هو الحال في مدن البصرة وبغداد وواسط[٨].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨٦.

(٢) ريسلر، الحضارة العربية، ص١٣٥.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٩٥-٩٦.

(٤) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص١٦٩.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص٧، ٣٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٥١.

(٦) القرقور: نوع من السفن عرفه العرب منذ القدم، تتفاوت أحجامه منه الكبير والصغير، استخدم في القتال وفي التجارة، من كبر حجم بعضها لا يستطيع دخول الموانئ حتى كان يفرغ بواسطة قوارب. النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٢٠-١٢٣.

(٧) الصابئ، الوزراء، ص٢٧٩.

(٨) سهراب، عجايب الأقاليم، ص١٢٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩١؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٤١؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص٥٧.

وقد ساعد حجم الأنهار وعرضها وما يتفرع منها، على سهولة انتقال السفن فيها ، يقول ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) واصفاً مشاهدته لأنهار الأبلة: " ويتفرع عن هذا النهر ترع كل منها في سعة النهر"[١]، وقد أحصيت أعداد السفن أيام أبي أحمد الموفق (ت ٢٧٨هـ/ ٨٩١م) فبلغت ثلاثين ألف ، وقُدّر كسب الملاحين في كل يوم بحوالي تسعين ألف درهم[٢]، وهذا المبلغ المالي المرتفع يعكس القيمة التجارية المهمة لهذه الوسيلة.

وتعددت أنواع السفن المستخدمة داخل أنهار العراق، منها السميريات والطيارات[٣]، والشذوات[٤] وغيرها[٥]، وقد ذكرت المصادر أسماء بعض مالكي هذه السفن[٦]، وذلك لأهميتها التي تُلزم الجميع في السعي للحصول عليها إما بالتملك أو الإستئجار.

وقد اختلفت سعة هذه السفن بإختلاف قدرتها على حمل الأفراد بناء على نوعها، فالزوارق تبلغ سعتها من ( ٦-١٢ ) فرداً[٧]، وقد ذكر أنها كانت تحمل في سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) حوالي ( ١٩ ) فرداً[٨]، أما السفن الكبيرة فقد ذكر أبو العيناء (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وكان قد ركب السفينة باتجاه البصرة، إن سعتها كانت حوالي (٨٠ ) فرداً[٩]. وهذا تطور في سعة السفن، نلحظه تالياً

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٦٨؛ مؤلف مجهول، غرائب الفنون، ص٤٠١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١، ص١٣٠؛ ابن الفوطي، مناقب بغداد، ص٦٣.

(٣) الطيارات: نوع من السفن النهرية يتميز بخفته وسرعته في الماء استخدم في العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، النخيلي، السفن الإسلامية، ص٩٢.

(٤) الشذوات: نوع من السفن المستخدمة في أنهار العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يكثر ذكره أيام الحروب والفتن حيث يستخدم في القتال. النخيلي، السفن الإسلامية ، ص٧٥-٧٧.

(٥) أنظر القائمة الطويلة منها عند: التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص ٣١٣-٣١٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٦٠. Agius, Dionisius, Classic Ships of islam from MesopotamiaTo The Indian Ocean , Brill, Leiden, ٢٠٠٨,P ٢٩٩, P٣٠٣-٣٠٥.

(٦) أنظر بعض الأسماء عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٧٤.

(٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٣٢.

(٨) البيروني، الجماهر، ص ١٤٨.

(٩) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، مج٧، ص ٤٢١.

بوجود سفن أخرى كبيرة مخصصة لنقل الخيول مثلاً كانت تسمى الرّقيات[١]، ربما كان ذلك نسبة لمدينة الرّقة، كما أن هناك سفن أخرى تعرف باسم (الصلغة)، وصفت بأنها كبيرة تستطيع نقل الكثير من المواد ، وقد كثر الحديث عنها في حرب صاحب الزنج[٢].

ولا يستبعد أن تتم صناعة السفن في العراق، فالتجارة النشطة تتيح الحصول على الأخشاب من الأقاليم والمدن المجاورة مثل أرمينيا، التي كانت مركز إمداد العراق بالأخشاب[٣]، وقد أشير إلى أن العديد من مدن أرمينيا كانت تُبنى السفن فيها من خشب الصنوبر[٤]، مما يدل على انتشار الأخشاب فيها بكثرة، كما حصلت العراق على الأخشاب من الهند مثل خشب الساج[٥]، الذي استخدم في البناء داخل العراق بسبب جودته العالية، إضافة إلى أنواع أخرى من الأخشاب المتوفرة في العراق[٦]، أما الحبال الخاصة بربط ألواح السفن فيتم الحصول عليها من شجر النارجيل (جوز الهند) التي استخدمت عوضاً عن المسامير[٧]، ويصف ماركو بولو (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) طريقة الربط بواسطة الحبال بأنها رديئة ، لأنها تُعرض السفن إلى الخطر، أما السبب لعدم اعتماد المسامير، فيعود إلى أن الأخشاب المستخدمة صلبة لا تدخلها المسامير[٨]، كما أن وجود الشعاب

---

(١) ذكرت أحداث سنة (٢٦٩ه / ٨٨٢م): الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٩ ص٦٤٥.

(٢) أحداث سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) وسنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م). الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٢٢، ٥٣٧، ٥٦٢.

(٣) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٢٢.

(٤) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠٦.

(٥) الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (ت ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، تحقيق عبد العلي الحسني وأبو الحسن علي الندوي، مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، ١٩٧٢م، ص١٦. وسيشار له لاحقاً: الحسني، نزهة الخواطر؛ Agius,Classic Ships of islam P.١٤٩.

(٦) القزويني، آثار البلاد، ص١٤٩.

(٧) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ه/ ١٠٤٨م)، في تحقيق ماللهند ، مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، ١٩٥٨م، ص ١٦٩. وسيشار له لاحقاً، البيروني، تحقيق ماللهند.

(٨) ماركو بولو، رحلات، ج١، ص٨١؛ الحسني، نزهة الخواطر، ص٢٢؛ Agius, Classic Ships of islam P.١٦٥.

المرجانية الكثيرة يؤدي الى تحطم السفن ، إضافة الى تعرض الحديد للصدأ يجعل استخدام السفن المخيطة أفضل.

ومع وجهة النظر هذه، إلا أن بقايا السفن المكتشفة من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تؤكد استخدام هذه الطريقة والتي كانت دارجة بشكل واسع[١]، أما مساوئ تلك الطريقة خاصة الفراغات والشقوق التي تنتج عن الحبال، فيمكن التغلب عليها باستخدام مادة (القير) أو القار [٢] الذي تطلى به السفن[٣]، وقد وجد بالعراق العديد من الأماكن التي يمكن الحصول منها على القير مثل منطقة (دير القيارة)؛ وهي على مسافة أربع فراسخ (الفرسخ يساوي: ٥,٩كم) من الموصل وفيها عين للنفط تُقير منها السفن[٤]، وقد شكلت هذه المهنة على ما يبدو دخلاً للدولة ذكر في قوائمها المالية مثل قائمة علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، والتي أعدها في سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)[٥].

واستخدم إلى جانب القير شحوم بعض الأسماك التي يتم الحصول عليها من الهند[٦]، وبذلك نلاحظ أن جميع المواد اللازمة لصناعة السفن سواء محلية أو مستوردة كانت تتوفر في العراق.

وكان العراق خلال فترة الدراسة (دولة وخارجين) ، بحاجة إلى سفن وزوارق لإستفضل. خدامها في المواجهات، فقد اتخذ صاحب الزنج في سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) مثلاً الزوارق الخفيفة

---

(١) Michael, Indian Shipwreak , p. ٣٤٠.

(٢) القير: شيء أسود تُطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل، وقيل هو الزفت وهي كلمة مُعربة. ابن منظور، لسان العرب مادة (قير)، التونجي، معجم المعربات، ص ١٤٢.

(٣) مازالت تستخدم هذه الطريقة في العراق: جبار، لمياء صبيح، الصناعات الشعبية في العراق، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٩م، ص٤٦، ويشار له لاحقاً: جبار، الصناعات الشعبية.

(٤) الشابشتي، الديارات، ص٣٠٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٨٠، مادة (بارما).

(٥) أنظر قائمة علي بن عيسى (القيارة بهيت) :

ابن حمدون ، مخطوط التذكرة ، ج١٢، ورقة ٢٠٠

Kremer , Ueber das Einnahmebudget das abbasiden p: ٢٦-٣٢ .

(٦) سليمان وأبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص ٩٥.

التي احتاجها لمهاجمة الأنهار[١]، كما قام سكان بغداد في سنة( ٣١٥هـ/ ٩٢٧م) وعند مهاجمة القرمطي لهم بصناعة العديد من الزوارق للهرب[٢]، أما السفن فيتم الحصول عليها من بعض المدن مثل سيراف[٣] وجنابا[٤]، حيث يشار إلى أن هذه المدن كانت تصنع السفن في سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) وتصدرها إلى العراق[٥].

إلى جانب هذه المدن وصناعتها للسفن، فقد وجدت دور صناعة عملت على تنشيط التجارة الخارجية مثل دار الصناعة بعكا[٦]، التي نقلها الخليفة المتوكل سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) إلى مدينة صور[٧]، ضمن سياسته القائمة على ضرورة توزيع نشاط الأسطول الإسلامي على الساحل الشامي لحماية التجارة فيه، وقد تعرضت العديد من دور الصناعة إلى عمليات تخريب كما هو حال دار صناعة سوسة[٨] ، في سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م)[٩] ، ومع ذلك بقيت دور الصناعة هذه بالإضافة إلى تلك الموجودة في مصر[١٠]، مهمة في تنشيط تجارة العراق مع مصر والمغرب والأندلس.

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٤، ص ٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٥٤.

(٣) سيراف: مدينة جليلة (ميناء) على ساحل الخليج العربي كانت قديماً فرضة الهند، بينها وبين البصرة سبعة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة(سيراف)، مج٣، ص٣٣٤.

(٤) جنابة: بلد صغير على سواحل فارس، وهي فرضة (ميناء) ترسى فيها سفن من يريد الهند. ياقوت الحموي، معجم البلدان (جنابة)، مج٢، ص١٩٢.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٨٥، ٥٩٢.

(٦) عكّا: اسم بلد على ساحل بحر الشام ، وهي مدينة حصينة تطور بناء الميناء فيها عند قدوم الدولة الطولونية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة(عكة)، مج٤، ص١٦٢، وذكرها بإسم (عكّا)، مج٣، ص١٥٩، مادة عكّا.

(٧) للمزيد عن الأسطول العباسي في البحر الأبيض المتوسط أنظر: فهمي، علي محمود، التنظيم البحري الإسلامي في الشرق المتوسط من القرن السابع حتى العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨١م، ص٦٢– ٦٤. وسيشار له لاحقاً: فهمي، التنظيم البحري الإسلامي.

(٨) سوسة: مدينة صغيرة بنواحي أفريقية بينها وبين سفاقس يومان، أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سوسة)، مج٣، ص ٣٢٠.

(٩) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٧٧.

(١٠) عن دور الصناعة في مصر أنظر: فهمي ، التنظيم البحري الإسلامي، ص٣٨ .

وواجهت السفن في أنهار العراق مخاطر، منها انخفاض مستوى المياه خاصة في مدينة البصرة، حيث أشير إلى العديد من الحالات التي علقت فيها السفن بالطين كما حصل في سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧١م)[١] ، وسنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م)[٢] ، وسنة (٢٦٨هـ/ ٨٨١م)[٣]، وقد استخدم صناع السفن طريقة جديدة تقلل من هذه المشكلة، بتوسيع أرضية المركب بحيث يصبح أسفله مسطحاً[٤]، وقد بقيت هذه الطريقة مجدية حتى فترات لاحقة.

ومع محاولات الدولة والأفراد السفن لتجاوز المشاكل، إلا أننا نطالع حالات غرق مثلما حصل في سنة(٢٦٧هـ/ ٨٨٠م)[٥] وسنة (٢٩٨هـ/ ٩١٠م)[٦]، ولأسباب متنوعة، يعود بعضها للحروب والصراعات السياسية، وبعضها إلى الرياح وتقلبات المناخ، ولمواجهة حالات الغرق المفاجئة للأفراد والسفن، فقد وجد غواصين يملكون مهارات متقدمة في السباحة لإنقاذ الغرقى[٧] ، وهي بلا شك مهارات ضرورية في مناطق اشتهرت بوجود الأنهار فيها، ومعظم تنقل أفرادها يتم عبر السفن. أما عن مواجهة حالات الغرق أو العطب (التلف) الذي قد يصيب السفن التجارية، فكان بتزويد السفن بزوارق صغيرة تسمى (الفلو)[٨]، يُعتمد عليها في حالات الإخلاء والطوارئ.

مما سبق يتضح وجود عناية لدى أهل العراق بالطرق النهرية والبحرية ، يرافقها وجود خبرة ودراية لديهم في صناعة السفن، ومواجهة الأخطار والمعيقات التي قد تواجهها، كذلك

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٩٦.
(٢) المصدر نفسه ، ج٩، ص ٥٩٨.
(٣) المصدر نفسه ، ج٩، ص ٦١٠.
(٤) الزيدي، بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ص ٢٦.
(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٥٢.
(٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٩، مسكويه، تجارب الأمم ج٥، ص ٧٢.
(٧) كان صبيان البصرة يتعلمون العوم في نهر (أم عبد الله). الجاحظ، الحيوان، مج٣، ص ١٠٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٣، ص ١٧٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص٧٩.
(٨) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ٢٧.

محاولتهم التعايش مع طبيعة البيئة التي يمارسون فيها النشاط التجاري، الذي قد يضطرهم أحياناً إلى اعتماد سياسة نقل البضائع على عدة مراحل داخل النهر الواحد(١)، سعياً منهم إلى الإستمرار في ممارسة الحياة التجارية.

## خامساً: وسائل الإرشاد وخدمات الطرق.

ارتبط بالطرق التجارية في الفترة العباسية مجموعة من الخدمات أو الوسائل المساندة لتسهيل الحركة على الطرق التجارية، وفي مقدمتها قيام الدولة ببناء سلسلة من المنارات على الطرق، وصيانتها حتى أنه قلما يوجد مكان شرق أقاليم الدولة أو غربها، إلا وضعت عليه ما يُرشد إلى الدروب والطرق(٢).

ومن المنارات المشهورة منارة الإسكندرية، والتي تخدم التجارة بين العراق ومصر، وقد بلغت خلال فترة الدراسة مبلغاً عظيماً من الأهمية(٣)، فقد وصفها اليعقوبي بقوله: "منارة متقنة محكمة، طولها مائة وخمس وسبعون ذراعاً (الذراع يساوي:٤٩,٣ سم)، عليها مواقيد توقد فيها النيران، إذا نظر النواظير إلى مراكب البحر على مسافة بعيدة "(٤)، بمعنى أن ارتفاع المنارة سمح برؤية النيران المتقدة في أعلاها من على مسافة بعيدة، ليساهم ذلك في التقليل من تحطم السفن في البحر الأبيض المتوسط، وهو أمر قلما نطالعه في المصادر التي لا تذكر عطب السفن أو خرابها.

واشتهرت مدينة الأبلة أيضاً بوجود منارة في أسفلها(٥)، هي عبارة عن أربعة أعمدة من خشب الساج(١)، ترتفع على سطح البحر حوالي أربعين ذراعاً (الذراع يساوي:٤٩,٣ سم)، وعلى

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٥٩.

(٢) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٣٦.

(٣) انظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص ٢٩١، ٢٩٤

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٩٢.

(٥) الصابئ، الوزراء، ص ٤٧ (يُسميها المنارة).

قمتها حجارة قرميد مقامة على الخشب كأنها سقف يقف عليها الحراس[٢]، وتتبع أهمية تلك المنارة كونها بُنيت على جهة ضحلة المياه، فإذا وصلتها المراكب ارتطمت بقاع البحر لقلة عمقه، وتُشعل عليها للملاحين مصابيح (سراج) زجاجي لا تطفئه الرياح عند هبوبها، تدل السفن على الطريــق، وتساعدهم في الإبتعاد عن سفن القراصنة[٣] ، الذين كانوا يتربصون بالسفن عــادة عنــد مــداخل الموانئ لسهولة الإنقضاض عليها وسلبها.

وانتشرت أيضاً بعض المنارات داخل العراق، وعلى أنهاره، مما يدلل على الإهتمام بالتجارة الداخلية ، والتنبه لقيمة الطرق الداخلية (خاصة النهرية) في تنقل الأهالي والجند، مثل منــارة فــي البطيحة سميت باسم (منارة حسان) [٤] ، وهناك منارة (عبرتا) وهي بناء يقع فــي وســط المدينــة (عبرتا) آثارها قائمة حتى الوقت المعاصر، وقد بنيت من الآجر وما يزال اسمها (المنارة) [٥] كمــا حظيت مدينة واسط بوجود المنارات فيها، حيث دلّت الحفريات الأثرية على وجود منارة فيها على ارتفاع أحد عشر متراً، تستطيع السفن والقوافل مشاهدتها على مسافة تقدر بحوالي خمسة عشر كيلو مترا[٦]، ويبدو أن انتشار المنارات لم يكن حكراً على العراق فقط، بل اهتمت الدولة بإنشاء وصيانة العديد منها على طول الطريق التجارية باتجاه خراسان والمشرق، فقد وصفت مثلا طريق الــري

---

(١) الساج: شجر عظيم في نموه طولاً وعرضاً ينبت بالهند والزنج خشبه أسود رزين ولا تكاد تُبليه الأرض، يجلب إلى العراق ومنه تُصنع السفن، واستخدم في بناء الكثير من بيوت مدن العراق. الــدينوري، النبــات، ق٢، ص ٢٥؛ الصابئ الوزراء، ص ٣٤؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٣٣٩.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٦٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٤٠.

(٣) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١٦٩.

(٤) سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١٣٥.

(٥) عبرتا من أعمال بغداد تقع بين بغداد وواسط. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (عبرتــا)، مــج٤، ص ٨٧؛ سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٤٠٣.

(٦) الحديثي، عطا، الصيانة الأثرية في واسط، مجلة سومر، مديرية الآثار العامــة ، بغــداد، مــج٣١، ١٩٧٥م، ص٢٠٠. وسيشار له لاحقاً: الحديثي، الصيانة الأثرية.

بانتشار المناظر والمسالح عليها[١]، ونظراً لأهمية الطريق التجاري بين العراق والجزيرة العربية، الذي ينتقل عليها الحجاج أيضاً[٢]، فقد عمدت الدولة إلى وضع المناظر والأعــلام علـــى الجبـــال المتواجدة فيه، مثل جبل ( خرمان ) شمال الجزيرة العربية ، وتوقد فيها النيران للدلالة والإرشاد[٣]، والإفادة منها أيضاً في تحديد المسارات والطرق الصحيحة التي يجب سلوكها.

وابتكرت الدولة نظراً لحاجة التجار إلى تحديد الطرق ، العديد من الأســاليب الإرشــادية، كغرس الأشجار في أجزاء من الطرق لتكون معالم بارزة يهتدي بها التجــار أيــام ســقوط الــثلج والضباب [٤]، وقد كثر إستخدام هذا الأسلوب في المناطق الشرقية للدولة العباسية، بينما نلاحــظ أن الطرق في بعض المناطق الصحراوية قليلة المياه في الجزيرة العربية، ولصعوبة غرس الأشــجار عليها، فقد لجأت الدولة العباسية إلى اعتماد إِسلوب آخر هو وضع علامات مــن الحجــارة علـــى الطرق لهداية التجار والمتنقلين تسمى (الصُّوى)[٥] .

إن تلك الأساليب المتنوعة تنبه إلى مدى إهتمام الدولة والأفراد إلى خصوصية البيئة التـــي يمر بها التجار والمسافرين، وبالتالي قدرتهم اعتماد أنماط معينة من وسائل الهداية والإرشاد يغلب عليها الكفاءة.

واستخدمت النجوم كدلالات مهمة بالنسبة للتجار براً وبحراً، فقد إعتمدت السفن في ســيرها على ظهور العديد من النجوم، بينما أُعتمد على (سقوطها) أو عدم ظهورها في التنبؤ والدلالة على

---

(١) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٧٥.

(٢) عن أهمية طريق الحج وطبيعة من يرافق القوافل أنظر: داردكه، دراسات في الجغرافيا التاريخيــة، ص١٥٤-١٥٦.

(٣) مثل جبل (خُرمان) منه يعدل أهل البصرة عن طريق أهل الكوفة. يــاقوت الحمــوي معجــم البلــدان، مــادة مج٢، ص ٤١٣.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٠، ١٧٥.

(٥) الخطيب التبريزي، شرح مقصورة بن دريد، ص ٩٧.

صعوبة الإبحار، فقد قيل مثلاً عند سقوط أو غياب النجوم المعروفة باسم (البُطين) وهي ثلاثة نجوم خفية يصعب رؤيتها أحياناً : " يرتج البحر ، ولا تجري فية جارية "[١]، بإعتبارها من النجوم المهمة لهداية الملاحين في البحار، وقد حظيت دلالات النجوم بمتابعة وملاحظة المصادر متنبهين إلى مسألة مهمة، وهي أن العديد من النجوم التي يعتمد عليها في الإستدلال تختلف في وقت ظهورها أو إختفائها (سقوطها) من مكان إلى أخر، فمثلاً يذكر أن النجم المشهور والمعتمد عليه لدى المسافرين في تنقلهم وهو (نجم سهيل)، يظهر بأرض العرب واليمن والفارق الزمني بين رؤيته في الحجاز وبين ملاحظتة في العراق حوالي بضعة عشر ليلة[٢].

وإلى جانب النجوم إعتمد الملاحون على الشمس وحركتها أثناء النهار[٣]، وهذه الحسابات الدقيقة كانت ضرورية وعلى قدر من الأهمية بالنسبة للملاحين الذين ربطوا مواعيد إقلاعهم[٤] بها.

ويبدو أن الأفراد حتى من غير المختصين، أصبحت لديهم قدرة على الإستدلال أثناء تنقلهم أو أسفارهم مثل الإستدلال بالبرق ليلاً[٥]، أو بملاحظة بعض أنواع الأسماك التي قد يدل ظهورها على اقتراب حالة هياج بالبحر[٦]، فيأخذوا حذرهم بعدم الإبحار أو تأخير مواعيد سفرهم، كما اعتمدوا أيضاً على بعض المعالم الجغرافية الموجودة على الطرق، كعلامة على اتباعهم الطرق الصحيحة،

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، الأنواء في مواسم العرب، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، الهند، ١٩٥٦م ، ص ٢١. وسيشار له لاحقاً: ابن قتيبة الدينوري، الأنواء.

(٢) المرزوقي الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، ج١، ص ٢٠١؛ شهاب، حسن صالح ، الدليل البحري عند العرب، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ١٩٨٣م. ص ٢٣، وسيشار له لاحقاً: شهاب، الدليل البحري.

(٣) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص٩٢.

(٤) (اقلع) مصطلح يستخدمه البحارة بمعنى: فتح القلع أو الشراع استعداداً للرحيل. أنظر هذه المصطلحات: عبد العليم، أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت، ١٩٧٩م، ص ٢٦. وسيشار له لاحقاً عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار.

(٥) البيروني، الجماهر، ص ٤٣.

(٦) ابن الفقيه، البلدان، ص ٦٥.

خاصة الطريق البحري باتجاه الهند[١]، وهي أساليب يظهر في بعضها مبدأ الإرتجال أو ابتداع وسائل من خلال الخبرة.

ومن وسائل الإرشاد الأخرى الإصطرلاب[٢]، ويُشير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) إلى استخدامه من قبل ملاحي العراق، يقول في أحداث سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) "وقد كان أهل البصرة انتهبوا السفن التي كانت معه – مع أحد قادة صاحب الزنج – وأخذوا الدواب التي كانت فيها في هذا اليوم، وظفروا بمتاع من متاعه وكتب من كتبه واصطرلابات كانت معه"[٣].

وقد استخدم صاحب الزنج الإصطرلاب: "فقاس به الشمس ونظر في الوقت"[٤]، وهذا يوضح استخدام العراقيين للمقاييس والطرق العلمية في الملاحة منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على أقل تقدير.

واستخدم الأدلاء[٥]، الذين عرفوا الطرق وبرعوا في تحديد مسافاتها خاصة أولئك الذين كانوا على معرفة بالطرق المؤدية إلى الهند والصين[١]، ويدل انتشارهم في العراق خلال فترة الدراسة،

---

(١) مثل منطقة (الجُمحة): وهو سن خارج من البحر بأقصى عُمان يُسميه البحريون بهذا الإسم رأس الجمحة يستدلون به إلى الهند سواء عند سفرهم إليها أو قدومهم منها باعتباره علامة ودلالة. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (الجمحة)، مج٢، ص ١٨٦.

(٢) الإصطرلاب: هو آلة تُستخدم لمعرفة ارتفاع النجم والشمس، يتكون من قرص معدني أو الخشب يُعلق بحلقه وفي المركز مؤشر يمكن إدارته، ويُقسم القرص إلى درجات تُعين زاوية ارتفاع الشمس أو النجم في أي لحظة وقد برع العرب والمسلمين فيه حتى ألفوا في ذلك كتب تُظهر مدى براعتهم بذلك واصفين فيها جميع الأجزاء المكونة له وكيفية حساب ارتفاع النجم والشمس في أي مكان أو وقت. الصوفي، عبد الرحمن بن عمر (ت ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)، كتاب العمل بالإصطرلاب، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٦٢م، ص ٥٦. وسيشار له لاحقاً: الصوفي، العمل بالإسطرلاب؛ الدفاع، علي عبد الله ، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م ، ص ٣٥. وسيشار له لاحقاً: الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٩، ص ٤٢٣.

(٥) يُشير الفقهاء إلى جواز استئجار الأدلاء لدلالة على الطرق، مما يشعر بوجود مثل هذه العادة عند البعض ومنهم التجار. أنظر: ابن قدامة، المغني، ج٨، ص٤١.

اعتماد قادة جيوش الدولة عليهم، ففي سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) اعتمد عليهم موسى بن بغا (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) في مسيره لصاحب الزنج في البصرة[٢]، لصعوبة المسالك في البطيحة تحديداً، مما يتطلب ضرورة وجود العارفين بطرقها، وفي سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) استخدمهم الخليفة المعتضد أيضاً[٣].

وقد اشتهرت العديد من مدن العراق بوجود الأدلاء فيها ، من أصحاب الخبرة مثل مدينة هيت[٤]، ويظهر أن أهميتها الإستراتيجية وموقعها التجاري كان سبباً في امتهان أهلها للدلالة.

وتنبه أعداء الدولة العباسية لأهمية الأدلاء، من منطلق ضرورة خبرة من يلي بعض الأعمال بالمسالك والسبل، فقد ولى صاحب الزنج على البطائح في سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) من اشترط فيه معرفة مسالكها[٥]، ويبدو أن وجود الأدلاء له أهمية بالغة في ظل الأوضاع السياسية المضطربة، التي تمر بها الدولة العباسية، مما يتطلب وفرة الأدلاء سواء للجيوش أو التجار، لحمايتهم ووصولهم إلى المناطق التي يتوجهون إليها بسلامة دون مخاطر.

وارتبط بالقوافل التجارية خاصة المتجهة إلى الأقاليم الشرقية، ما عُرف بالترجمان[٦]، بسبب تعدد اللغات التي يتحدث بها أهالي تلك المناطق، ممن لهم صلات تجارية مع المسلمين[٧]، وقد تمّ الإستفادة في هذا المجال من المترجمين أو أصحاب اللغات ممن أسلم من الترك، وخالط بسبب

---

(١) يُشير إليهم ماركو بولو بقوله: " كلهم أتباع الديانة المحمدية"؛ بولو، ماركو ، الرحلات ، ج١، ص ٧٠؛ ابن فضلان، الرحلة، ص ٨٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٠٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٦٩.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم ج٦، ص ١٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٢١؛ صالح العلي، صاحب الزنج، ص ٣٧.

(٦) الترجمان: هو المُفسر للسان أو من ينقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ترجم).

(٧) ابن فضلان، رحلة، ص ٩٢.

إسلامه المسلمين، وأتقن اللغة العربية إلى جانب لغته القديمة، ليصبح مترجماً بين المسلمين وبلاد الترك[١]. وأحياناً قد يعتمد تجار القوافل في الدولة العباسية على لغة الإشارة، خاصة مع سكان بعض الجزر في المحيط الهندي لصعوبة معرفة لغتهم[٢].

إن تلك الممارسات الخاصة بالتواصل، ومهارات الإتصال مع المناطق التي يصلها التجار في الفترة العباسية، يقيس مدى تمكنهم من تحسين قدراتهم على التعامل مع المناطق التي تربطهم معاملات تجارية معهم.

ومن الخدمات المساندة للتجارة أيضاً إقامة الجسور والقناطر على طول طرق التجارة البرية والنهرية في العراق، فقد نُصبت العديد من (جسور السفن) على أنهار العراق[٣]، وتعمل تلك الجسور من خلال صف عدد من السفن التي تُشد إلى بعضها البعض بسلاسل من الحديد، ثم يوضع فوق السفن الخشب الممدود وعليه التراب[٤]، لتمر من فوقها الدواب المحملة بالبضائع والسلع المتنوعة، ويبدو أن هناك سفن لها صفات معينة [٥]، يعتمد عليها في تثبيت الجسر والمحافظة على تماسكه .

ويلاحظ انتشار هذا النوع من الجسور على العديد من أنهار العراق ، مثل جسر مدينة النهروان[٦]، والذي تكون من حوالي عشرين سفينة، وقد دلّت بعض الدراسات الأثرية أن عرض

---

(١) ابن الفقيه، البلدان، ص ٦٧.

(٢) البيروني، الجماهر، ص ٢٠٥.

(٣) تسمى: أحياناً (جسور الزوارق): سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١٢٧.

(٤) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صُبح الأعشى في صناعة الانشاء، ٥ أجزاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص ج٤، ٣٣٤. وسيشار له لاحقاً: القلقشندي، صبح الأعشى.

(٥) يقول ابن أبي أصيبعة عن جسر الجانب الشرقي من بغداد "الزنبريتان – من أنواع السفن – وهما السفينتان اللتان في الجسر من الجانب الشرقي، فإن الجسر لا يصلح إلا بهما". ابن أبي أصيبعه، طبقات الأطباء، ص ٢٢٧.

(٦) مثل نهر صرصر: الاصطرخي، المسالك والممالك، ص ٣٩٠.

النهر كان في هذه المدينة حوالي (١١٠ أمتار) [١] ، مما يقودنا للقول أن عرض كل سفينة كان يقارب حوالي خمس أمتار ونصف.

وإلى جانب هذا النوع من الجسور، انتشرت القناطر والجسور المبنية من الحجارة والأخشاب[٢]، ويكثر وجود هذا النوع بالقرب من الأسواق التي يعبر عليها التجار حاملين البضائع والمنتجات[٣]، وهذا يسهل العملية التجارية ويساعد على انتشار العديد من الأسواق خاصة بالقرب من الأنهار، التي تشهد ازدهاراً واضحاً فيما يخص حركة نقل البضائع والتجارات.

ويبدو أن إقامة الجسور أو المعابر كان يشمل أيضاً إلى جانب الأنهار الأودية، خاصة التي يتعذر المسير عليها بسبب جريان السيول، وقد نشط عمل هذه الجسور على الأودية المنتشرة على الطريق بين البصرة والجزيرة العربية[٤]، خاصة أن هذه الطرق مُهمة لحركة قوافل الحج.

وقد تنبهت الدولة العباسية إلى أهمية صيانة هذه الجسور وإصلاحها[٥]، بالرغم من تعرض العديد منها للأنهيار، الذي قد ينتج عنه الكثير من الضحايا[٦]، بسبب شدة الفياضانات التي تتعرض لها أنهار العراق، كذلك نقص الموارد المالية المخصصة لصيانة الجسور في ظل التردي الواضح في الأوضاع السياسية في العراق.

---

(١) سوسة، ري سامراء، ج٢، ص ٣٩٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦١٧.

(٣) أنظر أسماء هذه القناطر: سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١٢٣ – ١٢٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١، ص ١٢٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (قوّ)، مج٤، ص ٤٧١.

(٥) عمدت الدولة إلى إصلاح الجسور سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م)، وفي سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠ م) . الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٧٠؛ الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٠٧.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٤٤٩؛ كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام ، تعريب فؤاد جميل ومصطفى جواد، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٦٢م، ص ١٣٣. وسيشار له لاحقاً: كوك، بغداد.

وضمن موضوع الإهتمام بالخدمات الخاصة بالطرق، ظهرت في معظم المدن (الخانات) أو الفنادق (بلغة أهل الشام) [١]، التي توفر سبل الراحة للتجار والقوافل بعد قطعهم مسافات واسعة، ويتم اللجوء إليها إثر تعرض القوافل إلى العواصف الرملية الشديدة، التي قد يرافقها أحياناً فقدان العديد من القوافل التجارية [٢]، وفيما يلي رصد لبعض الفنادق المقامة على الطرق التجارية، والمدن التي يتعامل معها تجار العراق خلال فترة الدراسة.

| **اسم الخان/ الفندق** | **موقعه** | **ملاحظات** |
|---|---|---|
| خان الطيالسة | بغداد | بالقرب من قطيعة الربيع[٣] |
| خان أبي زياد | بغداد[٤] | – |
| خان حماد | بين بغداد والمشرق (على طريق الحرير)[٥] | – |
| خان بغا (الفندق الجديد) | بين أذنة وطرطوس | ذكر ذلك الطبيب أحمد بن الطيب (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) [٦] |
| خان سالم | مدينة كرمان[٧] | – |

(١) ويلفظه بعض الأعراب (فنتق): الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠هـ/ ١١٥٠ م)، المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٩. وسيشار له لاحقاً: الجواليقي، المعرب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (فندق)، مج٤، ص٣١٤.

(٢) ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٣٥ – ١٣٦.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٩٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٤، ص ١٠.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٨٩.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (طرسوس)، مج٤، ص ٣٢.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٥٤.

| | | |
|---|---|---|
| خان الأبرار | على الطريق بين الأهواز وأصبهان[١] | – |
| خان اشتران | بين شيراز ونيسابور | المسافة بينه وبين رباط محمد بن يزداد ستة فراسخ (الفرسخ يساوي: ٥,٩كم) [٢] |
| خان ازدمرد | بين شيراز وسيراف | في صحراء قدرها ثلاثة فراسخ (الفرسخ يساوي: ٥,٩) [٣] |
| خان عاصم | بغداد | له ذكر في عهد الخليفة المتوكل[٤] |
| خان السندي | بغداد | أشير له في حوالي سنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[٥] |
| فندق حسين الخادم | الرافقة | له ذكر في أحداث سنة (٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)[٦] |

يلاحظ من الجدول انتشار الخانات ( الفنادق) في معظم المناطق والمدن التي يتوجه إليها التجار العراقيون خاصة على طول الصحاري التي يجتازونها، وإن كانت بغداد هي أوفر المدن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ٥١.

(٣) الاصطرخي، المسالك والممالك، ص ٧٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٧، ص ٣٦٩.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١٣، ص ٣٢١.

(٦) المصدر نفسه، ج١٣، ص ٤٣.

حظاً في إنشاء الخانات فيها، وهذا ليس مستغرباً بإعتبارها مركزاً للتجارة آنذاك، كما نلمح ذكر العديد منها في عهد الخليفة المتوكل مما يعكس دور التجارة وفعاليتها في عهده.

كما يلاحظ أن انتشار الخانات يكون على مسافات متباعدة تبلغ أحياناً مسافة ستة فراسخ (تساوي: ٥,٩كم)، وهذا يتعلق بالطرق التجارية باتجاه الأقاليم الشرقية، بينما نجد أن المدن التجارية كانت تتوفر فيها العديد من الخانات، وإن لم تشر المصادر إلى عددها، إلا أن وصفها ببعض المدن يدل على ذلك، فقد وصفت الموصل بأنها حسنة الأسواق والفنادق حتى بلغ على كل ركن فيها فندق[١]، وقد توحي أسماء بعض الخانات في الجدول بعلاقة بعض قادة الترك بها، وجهودهم في انتشارها، مثل ( خان بغا ) الواقع بين أذنة[٢] وطرطوس[٣]، وهو مهم بالنسبة للتجارة مع الثغور الشامية وهي بالطبع في تلك الفترة.

وربما قام موسى بن بغا (ت ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧م) ببناء هذا الخان، لما عرف عنه الإهتمام براحة التجار[٤]، كما يلاحظ أن وجود معظم الخانات هو في المناطق الشرقية ، التي تصل بين (إيران والعراق وبلاد الشام) وهي على ما يبدو مراكز للتجارة الدولية[٥] .

وتتكون الخانات عادة من العديد من الغرف، إلى جانب وجود فُسحة أو مساحة أمام الغرف، يُستفاد منها في وضع البضائع وإطعام الدواب[١]، ووُضع لهذه الخانات حراس من أجل حماية

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٤.

(٢) أذنة: مدينة مشهورة بالثغور الشامية يُنسب إليها العديد من العلماء. مثل ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (أذنة)، مج١، ص ١٦١.

(٣) طرسوس: مدينة بين أنطاكية وحلب بالثغور الشامية وقريبة من بلاد الروم ياقوت الحموي، معجم البلدان، مداة (طرسوس)، مج٤، ص ٣٢.

(٤) فقد قام سنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) بعمارة مدينة تُعرف باسم (شمكور) بنواحي أرمينيا وقد سماها المتوكلية: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (شمكور)، مج٣، ٤١٣.

(٥) بيير لوبيفر، خانات الطرق في الشرق الأوسط من القرن التاسع حتى التاسع عشر، الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، سنة ١٩٩٦م، ص ١٨٢. وسيشار له لاحقاً: بيير، خانات الطرق.

التجار وبضائعهم[٢]، كما زودت الخانات بالآبار والتي يصل عددها في بعض الخانات إلى حوالي خمسة آبار[٣]، وتوفرت بالقرب من الخانات أو فيها العديد من الحوانيت لبيع التجار والمقيمين ما يحتاجون إليه[٤]، كما توفرت لدى بعضها خدمة اكراء أو تأجير الدواب للتجار[٥]، خاصة إذا تعرضت بعضها للتعب أو الموت جراء المسافات الطويلة التي تعبرها.

ويجدر التنبه، أن عدداً كبيراً من نزلاء هذه الفنادق هُم من الأفراد أو العُمال الباحثين عن العمل والرزق[٦]، وهو ما يوفر للتجار بعض (المعاونين) لهم في نقل البضائع ، أو حتى مرافقتهم في تسيير القوافل، وقد تنبهت الدولة إلى طبيعة اختلاف الزوار والمقيمين القادمين من مناطق مختلفة، فأدركت ضرورة مراقبتهم من خلال نشر العيون بينهم[٧]، لضمان سلامة المقيمين ومنعاً لتعرضهم للإعتداء والسرقة.

وأقيم إلى جانب الخانات والفنادق بعض المباني والأربطة، التي تتبع أهميتها للمسافرين أيام العواصف الرملية الشديدة التي قد يتعرضون لها أثناء سفرهم، حيث يتقون فيها من خطر هذه العواصف، ويحصلون على المياه الموجودة بالصهاريج ويسقون بها دوابهم[٨]، مع التنبه لمسألة هامة وهي تعرض الخانات أو بعض الأبنية الخاصة بحماية التجار أو المسافرين للسقوط أحياناً، فقدت شهدت سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) سقوط أحد الخانات في العراق وتحديداً عند جسر النهروان

---

(١) ببير، خانات الطرق، ص ١٨٨.
(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص ٩٩.
(٣) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٧٥ (وصفه رباط زبيدة على طريق أصفهان).
(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٠.
(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١٠٦.
(٦) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص ٢١٥؛ الصابئ، الوزراء، ص ٢٨٦.
(٧) ابن فضلان، الرحلة، ص ٧٨.
(٨) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٨٥.

وعلى طريق التجار المتجهين نحو طريق خراسان[١]، ويبدو من موقع الخان أن أسباب الأنهيار ترتبط بالفيضانات، التي يكثر حدوثها.

ومن الخدمات الأخرى التي زودت بها الطرق التجارية، الآبار والبرك، خاصة على الطرق المتجهة نحو الجزيرة العربية بإعتبارها طريقاً لقوافل الحج[٢]، وتوجد الآبار على أعماق كبيرة دلّ عليها طول رشاء[٣] بعضها، والذي يصل أحياناً حوالي خمسة وثمانون قامة (القامة تساوي: ١,٩٧ متر) [٤]، وربما يعكس عمق مثل هذه الآبار على الرغم من عدم الجزم بمدى دقتها على وجود مشكلة في الحصول على المياه .

وتتوزع الآبار على الطريق التجاري بين العراق والبحرين[٥]، وقد تعرضت العديد من الآبار والعيون إلى التخريب من قبل أعداء الدولة العباسية خاصة القرامطة، ففي سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) وأثناء هروبهم باتجاه السماوة[٦] كان القرامطة " يغوورون المياه ويقطعونها " [٧]، وتكرر الأمر في سنة (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م) حيث قاموا بهدم الآبار والبرك على طريق مكة، ورموا فيها جيف الحيوانات[٨]، مما يشير إلى أثر الإضطرابات السياسية على التجارة ومرافقها، ومع ذلك فإن انتشار

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ٥٣.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٢٦ – ١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (ساق)، مج٣، ص ١٩٣.

(٣) الرشاء: هو الحبل الذي يستخدم في سحب المياه من الآبار وأغلظها الحبل المعروف باسم (الرواء). للمزيد عنها أنظر: الدينوري، النبات، ج٣، ص ٢٣١ – ٢٣٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سعد)، مج٣، ص ٢٤٩، مادة (الرميل) مج٣، ص ٤٢؛ وعن القامة أنظر: فاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية، ص ١٤٧.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (غمازة)، مج٤، ص ٢٣٧، مادة (الكاظمة) مج٤، ص ٤٨٨ – ٤٨٩.

(٦) السماوة: هي بادية بين الكوفة والشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (السماوة)، مج٣، ص ٢٧٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٠٣.

(٨) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ١٢٥.

هذه الخدمات وبشكل واسع، وعلى طول طرق التجارة في العراق، يدلل علـى أهميـة التجـارة، واستمرارها، رغم المخاطر والإضطرابات السياسية.

## سادساً : الأخطار التي واجهتها الطرق التجارية .

تأثرت التجارة بالأوضاع السياسية التي كانت تمر بها الدولة، وانشغالها بترتيب شؤونها الداخلية، فتعرضت لأخطار عدة من أبرزها:

**١) الفتن والحركات السياسية .**

تعرضت التجارة النهرية في العراق لعدد من المخاطر في أوقات الأزمات والفتن السياسية ، ولعل سياسة مصادرة السفن ونهب البضائع من أهمها، إضافة إلى إغلاق الأنهار ومنع السفن مـن مواصلة إبحارها.

فقد قام صاحب الزنج باتباع أشكال متعددة من السياسات التي أضرت بحركة الملاحة، حتى وصفت ممارسته بميناء البصرة "بالضربة العنيفة للملاحة على يد العبيـد الأفارقـة الثـائرين"[(١)]، إضافة إلى قيامه بعمليات النهب المتكررة للسفن في أنهار البصرة[(٢)] وعُرف ذلك (بالغنيمة الباردة) لسهولة سيطرته عليها [(٣)]،كذلك قيامه ببناء السكور والموانع داخل الأنهـار مثـل وضـعه سـنة (٢٦٩هـ/ ٨٨٢م) سلسلة حديدية في نهر أبي خصيب بالبصرة [(٤)] لمصـادرة السـفن وتعطيـل حركتها، وقد أثرت ممارساته على الأسطول النهري في العراق، فقللت من عدد السفن فيه خاصـة عندما رافق سياسته هذه حرق الكثير منها، من جهة أخرى فإن قيام الدولة نفسها بإعـداد نفـاطين

---

(١) شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٨، ٥٤٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ٨٨.

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦٢٥، ٦٥١؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص ٥٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٧١.

لحرق سفن صاحب الزنج قلل أيضاً من السفن العاملة بالتجارة بإعتبارها سفن تجارية أصلاً حصل عليها صاحب الزنج بعد سلبها من الأهالي [١].

إن تلك الأعمال بمجملها قد أوقعت الضرر البالغ بالحركة التجارية النهرية سواء داخل العراق أو خارجه، خاصة بعد سيطرة صاحب الزنج على ميناء البصرة وهو الأبُلة، وكان لفتنة المعتز والمستعين سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م) تأثيرها البالغ، حيث مُنعت السفن من الانحدار من سامراء باتجاه بغداد[٢]، ضمن سياسة منع وصول الميرة إلى المحاصرين من الجنود داخل هذه المدن، وهذا جعل المناخ الإقتصادي غير ملائم خاصة للتجارة التي تعتمد على الأمن وحرية التنقل بالدرجة الأولى.

ولم تنته الأخطار عند هذا الحد، بل شكلت مسألة اللصوصية وقيامهم بقطع الطرق والتعدي على القوافل التجارية، في ظل انشغال الدولة العباسية في العديد من الفتن والإضطرابات السياسية المتواصلة، خطراً لا يقل ضرره عن الضرر المباشر الناتج عن الإضطرابات السياسية نفسها، فقد واجهت التجارة البرية خطر اللصوصية وقطاع الطرق بشكل متواصل، حتى أصبحت العديد من المدن خاصة في المناطق الشرقية للدولة العباسية، مأوى للصوص وأصحاب الغارات على التجار[٣]، وقد استغل اللصوص صعوبة بعض الطرق وعدم اهتمام الدولة بحمايتها، ليتمكنوا من القوافل كما حدث في سنة (٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) عند مفازة سرخس[٤]، وتعرضت كذلك طريق

---

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص ٤٢٠، ص ٤٩٧ – ٤٩٨.

(٢) للمزيد عن ضرر هذه الفتنة أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٢٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٩٧ – ٥٩٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج١٠، ج٢٢، ص ٢٢٣.

(٣) مثل مدينة (شهرزور) الواقعة في الجبال بين أربل وهمدان. أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٥٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٣٩٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (شهرزور)، مج٣، ص ٤٢٥ – ٤٢٦.

(٤) سرخس، مدينة بنواحي خراسان بين نيسابور ومرو في وسط الطريق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سرخس)، مج٣، ص ٢٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٩٢.

خراسان (الطريق العظيم أو طريق الحرير) إلى هجمات من قبل الأكراد سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)[١]، تلاها مهاجمتهم لقافلة في سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) كانت تحمل بضائع وأموال تعود ملكيتها إلى أمير الأمراء بجكم (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) فسلبوا ما فيها[٢]، وهذا يشعر بعجز الدولة وعدم قدرتها حماية القوافل بما فيها تلك التي تعود ملكيتها إلى رجال الدولة من أمثال أمير الأمراء.

ويبدو أن اللصوصية هذه أصبحت تجد ما يمكن أن نُسميه الرعاية أو الدعم من قبل بعض الأفراد، إذ أصبح من المألوف أن يجمع البعض حوله لصوص وقطاع طرق، ويعمل على تنظيمهم وقيادتهم[٣] ، وانعكست تلك الظاهرة على الأمثال التي يتداولها الأفراد، حتى قيل في المثل: "السارق في الحضر والسفر خمسة: المحتال ، وصاحب ليل، وصاحب طريق، والنباش، والخنّاق"[٤].

أما داخل العراق فقد تعرضت القوافل قرب مدينة واسط إلى هجمات الأكراد[٥]، حتى أن بعض من كان يقوم على سرقة القوافل ومهاجمتها في سنة (٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) هُم ممن كان يعمل سابقاً على خفارة أو حراسة القوافل والطرق[٦] ، وهذا بالطبع يُفسر حجم الهجمات المتزايد وخبرة اللصوص الواضحة في إختيار المواقع المناسبة والبعيدة عن مراقبة الدولة، إضافة إلى استفادتهم من العلاقات التي أقاموها مع اللصوص أنفسهم.

وقد إشتد خطر اللصوص في بغداد سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) حتى كانوا يسرقون ثياب الناس من المساجد والطرقات[٧] ، وكثر عبثهم وتآمرهم على العامة والتجار في سنوات لاحقة، مثل ما

---

(١) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٣٦.
(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٢٠٣.
(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١١، ج٢٥، ص٢٠٤.
(٤) الحداد، الأمثال، ص ٢٠٩.
(٥) الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨ه/ ١٠٦٥م)، تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ٣٤، وسيشار له لاحقاً: الأنطاكي، تاريخ.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣.
(٧) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٢٠.

حدث في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)[١] ، وفي سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) التي شهدت هجمات متكررة للصوص، رافقها ارتفاع للأسعار[٢] ، وقد بلغ الحال ببعض اللصوص أن أصبح ينزل للأسواق والدور بالشمع والمشاعل جهاراً، وقد جاء ذلك متزامناً مع ظهور ما يُعرف(بضمان اللصوصية) وهو قيام بعض اللصوص بدفع مبالغ مالية شهرية[٣] ، لبعض رجال الدولة، مُقابل حمايتهم لهم وإطلاق أيديهم في الأسواق على التجار والأهالي.

وعانت التجارة أيضاً من هجمات الأعراب على قوافل الحج والتجارة مثلما حدث في سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م)[٤]، وتكرر ذلك في سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)[٥]، وفي سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) وتحديداً على الركب العراقي[٦]، مما يعني استمرار هجمات الأعراب وارتباطها بطبيعة الأحداث السياسية التي تمر بها الدولة وعدم قدرتها على التصدي لها.

وواجهت الدولة خطر القرامطة وتكرار هجماتهم على القوافل التجارية، واتباعهم سياسة النهب، وحرق السفن أيضاً، كما حدث في سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥م)، عندما نهبوا وأحرقوا سفن التجار في الفرات[٧]، الأمر الذي دفع الملاحين للهرب وعدم الجرأة على التنقل في الأنهار، وقد تزامن ذلك مع نهبهم للقوافل البرية المتجهة نحو الجزيرة العربية، بخاصة المرافقة لقوافل الحجاج

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤٨٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٣، ص ٣٤.

(٣) بلغ بعضها (خمسة وعشرين ألف دينار) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١١٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٣٢٣ – ٣٢٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٥٩٩؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٧٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٢، ص ٣٦٠.

(٦) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص ١٨٠.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ١٢٣؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق ق١، ص١١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٠٤.

مثل هجومها على قافلة حج سنة (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م)[١]، و قافلة حج سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)[٢]، مما جعل خطر هذه الحركة كبيراً على التجارة في ظل ضعف الدولة العباسية في التصدي لها، إضافة إلى اتباعهم سياسة الهجوم الخاطف أو السريع أحياناً.

وبالتالي يلاحظ أن التجارة النهرية داخل العراق كانت تتعرض أثناء الفتن إلى مصادرة السفن واستخدامها في القتال[٣]، إضافة إلى تعمد حرقها بما فيها من بضائع كما حدث في سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)[٤]، ومنع الملاحين من الإبحار أو الملاحة باتجاه المدن المحاصرة أثناء الفتن[٥]، وهي أخطار أصبحت اعتيادية في القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي ، يُضاف إليه تعرض بعض السفن لحالات الغرق داخل الأنهار، ولأسباب عديدة تتعلق بالمناخ، أو أمور ملاحية أخرى لها صلة بأعطاب قد تُصيب السفينة[٦].

وقد قادت الأخطار السابقة، إلى هروب التجار من العراق بسبب انعدام الأمن فيه، وسياسة بعض رجال الدولة من الأمراء والوزراء الظالمة تجاه التجار[٧]، بما فيها أعمال المصادرة[٨]، والتي شكلت هي الأخرى هاجساً مخيفاً لدى التجار دفعتهم إلى استغلال حركة قوافل الحجاج للهروب معها باتجاه الحجاز، ثم إلى بلاد الشام أو مصر، كما حدث في سنة(٣٣١هـ/ ٩٤٢م)[٩].

---

(١) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص ١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤١٥.

(٣) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص ٥٤.

(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص ١٢٦–١٢٧؛ مسكويه، تجارب الأمم ج٦، ص ٥٥.

(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٠٦.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٣، ص ٤٠٤.

(٧) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٩٣.

(٨) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٥٠؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري ج١، ص ١٣٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ١١٣.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٢١٧.

ولم تقتصر ظاهرة الهرب هذه على التجار العراقيين المسلمين، بل شملت أيضاً مياسير اليهود والمجوس الذين اتجهوا سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) نحو بلاد الشام[١]، وهذا يعكس الإضطرابات السياسية وممارسات بعض رجال الدولة بخاصة الأمراء والوزراء، وأعمال التنكيل وفرض الضرائب العالية على التجار، التي دفعتهم في النهاية اللجوء إلى الهروب عن العراق وبخاصة من مدينة بغداد.

من جهتها حاولت الدولة العباسية من خلال بعض الجهود الحد من هذه الأخطار التي تواجه القوافل التجارية سواء البرية منها أو البحرية، بوضع الحراسة أو الخفارة عليها خاصة أيام الفتن، كما حدث أيام الزنج، بوضع حراسة على السفن في البصرة سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[٢]، كما انتشرت الحراسة على طول الطرق التجارية البرية أحياناً[٣]، ووجهت جميع جهود رجال الدولة وأمراء النفوذ في بعض الإمارات في المناطق الشرقية، للحد من انتشار اللصوص والتخفيف من ضغطهم على الطرق البرية الواصلة بين ولايات الدولة العباسية ، وبين بعض الدول مثل الصين والهند، ففي سنة (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) طالب أهالي بخارى أميرهم ببناء سور حول المدينة لحمايتها من هجمات اللصوص ليلاً[٤]، وهو أمر عطل تجارتهم مع الأقاليم والمدن الأخرى بخاصة العراق وقد توالت جهود الأمراء الخراسانين للقضاء على جماعات اللصوص في المناطق الشرقية، والذي بلغ تعداد إحدى جماعاتهم حوالي أربعة آلاف رجل من لصوص وقطاع طرق[٥]، وهذا العدد قد يلقي ضوءً على مدى الضرر الناجم عن قطعهم للطرق البرية.

---

(١) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٥١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٦٦٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٥.

(٤) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ٥٧.

(٥) النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١١١.

وفي مجال إعمار الطرق وربطها، أمر الأمير بجكم (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) بهدم أحد السجون لبناء جسر مكانه، وذلك في سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)[١]. مما يعكس أولوية لديه ، هي صيانة الطرق وحمايتها خلال هذه الفترة الحرجة، ولكن بالمقابل هناك سياسات خاطئة من بعض الولاة زادت من حجم الخلل والمخاطر، فقد أدى مثلاً عزل صاحب شرطة بغداد في سنة(٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، إلى طمع اللصوص وكثرتهم في المدينة[٢]، ولا نعرف سبب عزله، ولكن الأهم هو اضطراب الحالة بعد بعد عزله، مما يعني أن عدم حزم قادة الشرطة كان سبباً في زعزعة الأمن، إضافة إلى قيام بعضهم بالتحالف مع جماعات اللصوص بعد عزلهم، وهو أمر مألوف في هذه الفترة، كما أن عدم اهتمام الولاة بإصلاح الطرق وصيانتها ابتداء[٣]، أو حتى سماع الشكاوى والنظر في رقاع المطالب التي ترفع لهم بهذا الخصوص[٤]، قد زاد من خطرهم.

وتلجأ الدولة أحياناً إلى جلب (التوابين)، وهم شيوخ بعض جماعات اللصوص ممن كبر وتاب منهم، حيث يتم التعاون معهم على جلب المسروقات لأصحابها، وفي بعض الأحيان يتقاسم هؤلاء الشيوخ المسروقات أو الغنائم مع اللصوص السارقين[٥] دون إعادتها إلى الدولة التي طلبت منهم المساعدة، وقد اتبع بعض الوزراء مثل علي بن عيسى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م) سياسة المفاوضة مع بعض الخارجين على الدولة مثل القرامطة في سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) وإطلاق يدهم بالتجارة بيعاً وشراء ، ربما ليضمن عدم مواجهتهم للقوافل، إلا أن ذلك استغل كتهمة وجهت إليه من البعض[٦]، كما أن سياسة الدولة اتجاه

---

(١) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ١٣٩.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٨٨.
(٣) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٩٨- ٩٩.
(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ج١، ص ٤٧٤.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٢٢٠.
(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٢٠٩.

حماية الطرق تتصف بالمرونة أو عدم الإنتظام، وتعتمد غالباً على شخصية بعض الأمراء والوزراء ممن يُبدي بعض الإهتمام الذي ينعكس على رخاء نستشعر أثره في حديث المصادر عن عهده.

**٢) أثر القرصنة .**

واجهت القوافل التجارية وحركة الملاحة في أنهار العراق وفي البحار التي يسلكها التجار خطر القرصنة، والتي انتعشت بسبب تزايد حالة الإضطراب والقلاقل التي تعيشها الدول، إلى جانب قيامها بالحملات العسكرية المنظمة لمواجهة مجموعاتهم المنتشرة في المحيط الهندي.

إن أشد جماعات القراصنة فتكاً بالسفن التجارية العراقية، هم قوم يعرفون باسم (الميذ) وهم لصوص البوارج [١]، ينتسبون إلى إحدى جزر المحيط الهندي وتسمى (بالميذ) [٢]، ويُعد هؤلاء جالية هندية ساحلية تهاجم السفن وتنهبها، يسكنون حوض نهر السند بإعتبار أن هذا الساحل تتوفر فيه الملاجئ والأوكار التي يهربون إليها، في ظل غياب جهود حكام الهند في القضاء على ضررهم وتعدياتهم المتكررة على التجار[٣]، وقد وصلت هجمات هذه الجماعات سنة (١٥٣هـ/ ٧٧٠م) أنهار مدينة البصرة، مما أدى إلى مقتل وسبي الكثير من أهلها[٤].

وواجهتهم الدولة العباسية بالعديد من الحملات ما بين سنتي (٢٢٨هـ - ٢٣١هـ / ٨٤٢م- ٨٤٥م ) [٥]، ويبدو أن حملات التصدي هذه لم تكن مجدية أو نافعة، بسبب قوة القراصنة وخبرتهم الطويلة، والدقيقة بالمسالك والطرق البحرية إضافة إلى خبرتهم بسواحل الجزيرة العربية

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٩؛ البيروني، الجماهر، ص ٤٨.

(٢) سهراب، عجايب الأقاليم، ص ١٣.

(٣) بورى، قاضي أطهر المبارك، من النارجيل إلى النخيل، مجلة ثقافة الهند، تصدر عن مجلس الهند للروابط الثقافية، مجلد١٦، عدد١، سنة ١٩٦٥م، ص ٩٨. وسيشار له لاحقاً: بورى، من النارجيل إلى النخيل.

(٤) ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ٢ جزء، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧م، ج٢، ص ٤٥٥. وسيشار له لاحقاً: ابن خياط، تاريخ.

(٥) ابن خياط، تاريخ، ج٢، ص ٥١٩ – ٥٢٠.

نفسها، ربما بسبب تواجدهم عليها منذ فترة مبكرة حيث يشار أن العديد منهم كان ممن أقام على هذه السواحل[١]، إضافة إلى مشاركة بعضهم حراسة السفن التجارية الإسلامية المتنقلة في المحيط الهندي[٢]، مما وفر لهم جانباً كبيراً في معرفة المسالك البحرية.

يضاف إلى هذا أن هناك نوع من الحماية توفر لهؤلاء القراصنة، من خلال مشاركتهم لعدد من الخارجين على الدولة في العراق، فيذكر مثلاً أن بعض من امتهن (غزو البحر) انضم إلى قوات صاحب الزنج في البصرة، وقد تولى هؤلاء قيادة قواته وسفنه في حروبه في هذه المدينة في سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)[٣]، وقد شهدت هذه المعارك النهرية انتصاراً واضحاً لصحاب الزنج في بدايتها، مما يُظهر مدى الخبرة التي توفرت لهؤلاء في هذا النوع من المعارك.

وقد استغل عدد من أتباع صاحب الزنج اضطراب الأوضاع، ليعمل على قطع الطريق في أنهار البصرة على سفن الأهالي والتجار، مبتكراً طرقاً عديدة للتضليل والتمويه من بينها العمل على رفع الرايات على سفنهم سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م) والتي تشبه الرايات الرسمية المستخدمة على سفن الدولة العباسية[٤]، ليسهل عليهم حرية التنقل والسلب داخل أنهار البصرة.

وقد وفرت الجزر المتناثرة في المحيط الهندي، عوامل مساعدة لنشاط القراصنة هناك، فقد وجدت فيها العديد من الملاجئ مثل جزيرة سرنديب[٥]، التي شهدت وجود مجموعة كبيرة من القراصنة يعملون على مهاجمة السفن المتوجهة والعائدة إلى العراق من الصين والهند[٦]، ولكثرة

---

(١) بورى، من النارجيل إلى النخيل، ص ٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٨ – ٩٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٤٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٦٤٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ٦٠٩.

(٥) سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر الهند طولها ثمانون فرسخاً في مثلها (الفرسخ يساوي ٥.٩كم)، استفاد الملاحون من بعض الجبال المرتفعة داخلها للاستدلال على طريقهم الملاحي حيث كانت ترى من بعد مسافات بعيدة عنها. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (سرنديب)، مج٣، ص ٢٤٣.

(٦) مؤلف مجهول، غرائب الفنون، ص ٣٧١.

تواجدهم فيها أطلق عليها البيروني (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) اسم: " أرض البوارج "[١] ، بإعتبارها قاعدة أساسية لهم[٢]، وقد أشارت ملاحظات ومشاهدات الملاحين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى كثرة تجوال القراصنة على سواحلها[٣]، وقد مثلت لهم هذه الجزر مكاناً لبيع بضائعهم المسلوبة نظراً لتغلبهم على أهلها، إضافة إلى بعدها عن الدولة العباسية، وسلطة بعض الدول المجاورة مثل الصين والهند، حيث تُعتبر جزيرة سقطرى[٤] ، سوقاً حيوياً تباع فيه الغنائم المنهوبة من السفن التجارية[٥] مع ملاحظة أن أهالي هذه الجزر يعتقدون بجواز وشرعية شراء هذه البضائع بوصفها أخذت من الوثنين والمسلمين[٦]، وقد وفرت هذه العوامل مجتمعة عوامل ساعدت القراصنة على سرعة تصريف بضائعهم وأسلابهم.

وحرص القراصنة باستمرار على الإبحار بالقرب من الموانئ ومواضع الشُعب المرجانية، مُترصدين بذلك مرور السفن التجارية التي تضطر المرور بهذه الموانئ من أجل تفريغ حمولتها[٧]، إضافة إلى حاجتها التزود بالمياه، وبعض الميرة اللازمة، لذلك كانت السفن ولحماية نفسها تلجأ إلى

---

(١) البوارج: من المراكب المشهورة بالهند في القرون الهجرية الثلاث الأولى، عُربت الكلمة من (بيرة) الهندية، وهي السفن الكبيرة التي تتخذ في البحر للقتال خاصة من القراصنة الهنود، وعنهم عرفها المسلمين. النخيلي، السفن الإسلامية، ص ١٠ – ١١.

(٢) البيروني، الجماهر، ص ١٧٣.

(٣) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ١١٤ – ١١٥.

(٤) سقطرى؛ جزيرة عظيمة فيها عدة قرى ومدن، تقع للجنوب من عدن في بحر العرب وهي قريبة من البر، تمر بها السفن التجارية. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مادة (سقطرى)، مج٣، ص ٢٥٦.

(٥) مؤلف مجهول، غرائب الفنون، ص ٣٧٣؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٣٧.

(٦) ماركو بولو، رحلات، ج٣، ص ٨١.

(٧) شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٢؛ عثمان، شوقي عبد القوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م، ص ١٠٨. وسيشار له لاحقاً: عثمان، تجارة المحيط الهندي.

بعض الموانئ المنتشرة على الخليج العربي هاربة من هجمات القراصنة، فقد كان ميناء صحار[١] مكاناً مهماً للهروب من القراصنة المنتشرين في الخليج العربي[٢]، وقد دفعت هجمـــات القراصـــنة المتكررة على العديد من الموانئ إلى هجرها وتركها من قبل التجار[٣]، باحثين بالطبع عن مـــوانئ أكثر سلامة وأمان.

إن وجود المرتفعات العالية حول الموانئ على طول سواحل المحيط الهندي، أتاح الفرصـــنة أمام القراصنة لمراقبة حركة السفن التجارية فيها، وقد عمد القراصـــنة إلـــى اعتمـــادهم بعـــض اللصوص والعبيد الهاربين في مهمة مراقبة ونقل الأخبار عن هذه الموانئ[٤]، وقد شهدت مثلاً سنة (٣١٧هـــ/ ٩٢٩م) انتشاراً واضحاً لسفن القراصنة في الخليج العربي والمحيط الهندي[٥].

وساهم انشغال الدولة بقتال القراصنة في ذلك الوقت، إلى انتشار سفن القراصنة بين واســـط ودير العاقول حتى وصف بعضهم بإمتلاك الكثير من العتاد والقوة، ولديه مجموعة تتكون من مائة رجل[٦]، وقد نجح أحدهم في سنة (٣٣١هـــ/ ٩٤٢م) من تكوين ثروة كبيرة بسبب قطعه الطريـــق على السميريات القادمة والخارجة من واسط[٧]، وهذا يعكس أثر الحالة السياسية على واقع الأمـــن المتعلق بالتجارة النهرية والبحرية.

---

(١) صحار: قصبة عُمان مما يلي الجبال، مدينة ممتدة على البحر (ميناء على الخليج العربي) قيل عنها "ليس على بحر الصين (المتجة إليها) أجل منها، وهي دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق، يـــاقوت الحمـــوي، معجـــم البلدان، مادة (صحار)، مج٣، ص ٤٤٦ – ٤٤٧.

(٢) القوصي، تجارة الخليج، ص ١٠.

(٣) عن هذه الموانئ المهجورة أنظر: شيفر، دراق سمرقند، ص ٤٩.

(٤) سليمان التاجر والسيرافي ، أخبار الصين والهند، ص ٣٩.

(٥) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ١٣٠.

(٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص ٧٥– ٧٦.

(٧) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص ٢٤٣.

أما فيما يخص جهود الدولة في القضاء عليهم، فيبدو أنها قليلة تعتمد على محاولات للقضاء على مجموعات قليلة من القراصنة، كما حصل في سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م) عندما قبضت الدولة على أحد القائمين بقطع الطريق في نهر دجلة[١]، وهي جهود تبقى غير فعّالة بدليل استمرار ظهور القراصنة في أنهار العراق والبحار التي يمر بها التجار.

يمكن القول أن خطر القراصنة المتزايد أدى بسبب الأحوال السياسية المتردية، إلى انتقال نشاطهم من البحار بخاصة المحيط الهندي والخليج العربي إلى داخل الأنهار في العراق، وهو مؤشر خطير ينذر بمدى الظروف الصعبة التي يعيشها التجار.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٢٥.

# الفصل الرابع

# مالية الدولة العباسية

# الفصل الرابع : مالية الدولة العباسية .

## أولاً : النظام النقدي .

يشكل النظام النقدي في الدولة أساس قوتها ودليل على سلطة الخليفة فيها، حيث يدلل إبقاء اسمه على النقود استمرار عهده في الحكم في جميع أقاليم الدولة الذي كان أساس النظام النقدي فيها الدينار الذهبي والدرهم الفضي ، وفيما يلي استعراض لواقع النظام النقدي خلال فترة الدراسة :

### ١) دور ضرب النقود.

انتشرت في مدن العراق في عهد الدولة العباسية العديد من دور الضرب وهي جميع مدن العراق المعاصرة لفترة الدراسة [(١)]، والتي اعتمدت في تأمين احتياجاتها من خامات الذهب والفضة على ثلاثة مصادر أساسية[(٢)]، أولها مناجم الذهب والفضة المنتشرة في العديد من الأقاليم، مثل كرمان التي انتشرت فيها مناجم الذهب والفضة [(٣)]، واقليم الجبال [(٤)]، والجزيرة العربية واليمن [(٥)]، وبلاد ما وراء النهر[(٦)]، وبلاد الترك أيضاً[(٧)]، وقد ساعدت الأمطار الغزيرة والسيول على كشف العديد من هذه المعادن، مما جعل الأهالي

---

(١) يدل عليها نقش ذكر العديد من مدنه مضروبة على الدنانير والدراهم التي تعود لفترة الدراسة، أنظرمثلاً : دفتر، الدينار الاسلامي، ص١٧٦-١٧٧، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٨، دفتر، الدرهم الإسلامي ، ص١٤٧-١٤٨،١٥٨،١٧٠.

(٢) أنظر: دفتر، المسكوكات، ص٦٨.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص ٤١٤؛ متز، الحضارة الإسلامية ، مج٢، ص٣٢٢.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٣٢.

(٥) أفرد لها الهمداني (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) باباً أسماه معادن الجزيرة العربية: الهمداني، الحسن بن أحمد (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م)، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، ١٩٨٧م، ص٨٦. وسيشار له لاحقاً: الهمداني ، كتاب الجوهرتين.

(٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٨٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٣٧ ، ١٦٠-١٦٢؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص١٠٤.

(٧) القزويني، آثار البلاد، ص٤١١.

ينتشرون في سكناهم حول مجاري السيول والأودية [١]، مستفيدين من العمل باستخراجها مُراعين مسألة التنبه إلى ضرورة تركيز نسبة المعدن (الذهب والفضة ) في الخامات التي يستخرجونها[٢]، وقد أشار اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) إلى مدى انتشار الكثير من الحفائر في مصر والتي تعمل لإستخراج التبر (الذهب) منها[٣].

وقد نشط التجار العراقيون في نقل هذه المعادن من أقاليمها إلى العراق ، فيذكر الهمداني ( ت ٣٤٥هـ/ م) أن التجار نقلوا الفضة إلى العراق من اليمن في سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) [٤]. مما يُشير إلى تنوع مصادر إمداد دور الضرب في العراق من احتياجاتها لهذه المعادن الأساسية.

أما المصدر الثاني لتأمين الحصول على المعادن، فكان يتم عن طريق صهر بعض المصوغات الذهبية والفضية مثل القلائد والأساور والتي تضرب نقوداً، فقد عمد مثلاً الخليفة المتوكل (ت ٢٤٧هـ / ٨٦١ م) إلى هدم بعض القصور وإعادة صهر آنية الذهب والفضة فيها لتُعمل منها النقود[٥]، كما أمر الخليفة المهتدي (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م) بأن تُخرج آنية الذهب والفضة من الخزائن وتصهر وتضرب دنانير ودراهم[٦]، ويبدو أن هذه السياسة كانت دعائية من جانب الخلفاء، وأحياناً يهدف منها التشديد في ضبط الأمور المالية للدولة العباسية لتجاوز ما تمر بها من اضطرابات اقتصادية، كما عمد القادة العسكريون أحياناً والأمراء مثل الطولونيين في سنة

---

(١) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٢١-٢٢؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٦٧، القزويني، آثار البلاد، ص٣٩٩.

(٢) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٤١.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٨٨.

(٤) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩١.

(٥) الشابشتي، الديارات، ص١٦١-١٦٢.

(٦) مؤلف مجهول، الرسالة الوجيزة إلى الحضرة العزيزة في علوم الخلافة، اعداد أحمد الدغرني ، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط، ١٩٨٧م، ص٨٧. وسيشار له لاحقاً: مؤلف مجهول، الرسالة الوجيزة .

(٢٩٤هـ/٩٠٦م) ، إلى سكب آنية الذهب والفضة في سبائك لنقلها إلى العراق[١]، وإعادة صهرها مرة أخرى لتُعمل نقوداً من أجل تسهيل نقل ثرواتهم من مصر.

والمصدر الثالث للحصول على خامات الذهب والفضة، فكان بصهر الدنانير والدراهم القديمة، بالإضافة إلى إعادة سبك النقود المزيفة وتنقيتها وتحسين عيارها[٢]، لتصبح نقوداً سليمة العيار والوزن، وقد سعى بعض الأهالي إلى إعادة صهر الدنانير وسبكها في سبائك يصل وزن بعضها ثلاثة مثاقيل ( يساوي : ٤,٥غرام ) ، لتسهيل تهريبها وصعوبة كشفها ، وتُسمى السبائك الجديدة (أهليلجة)، واعتمد على هذا الأسلوب عند الهاربين من بلدان وأقاليم بعيدة باتجاه العراق، مثل الهاربين من أقليم السند باتجاه البصرة[٣]، لأسباب مختلفة، وهذه إشارة توضح مدى الخبرة لديهم ، كذلك تظهر تعدد الطرق التي استخدمت في تغيير أشكال النقود وتهريبها.

أما فيما يرتبط بطبيعة عمل المناجم ومستوى معيشة العمال فيها، فإن الإشارات بهذا الخصوص قليلة، إلا أنها تُفيد أن الأرزاق المخصصة لعُمال جمع الذهب والفضة كانت تساوي جزءً من ثلاثة أجزاء، يذهب أحدها لوكيل السلطان، والآخر لأصحاب الموضع أو المكان الذي يلجأ أصحابه أحياناً إلى التنازل عن نصيبهم للتجار للحصول منهم على الربح،[٤]، وينطبق نظام الأرزاق هذا على مناطق انتشار المعادن في اليمن والجزيرة العربية .

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٢؛ مسكوية، تجارب الأمم ج٥، ص٤٨.

(٢) يُطلق على النقود الجديدة مصطلح (النقود الهجينة). أنظر : البلاذري، فتوح البلدان ، ص٦٥٧ ؛ الجنابي، جنان خضر، النقود الإسلامية المضروبة بمدينة واسط، دار دجلة، عمّان، ٢٠١٥م، ص١٢٧. وسيشار له لاحقاً: الجنابي ، النقود الاسلامية.

(٣) حدث ذلك في حدود النصف الأول من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي. أنظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

(٤) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٨٩-٩٠.

واتبعت الدولة العباسية في طريقة ضرب النقود أسلوب اختلف في بعــض جوانبــه الفنيــة (المتعلقة بالنقش على النقود) عن تلك التي تسك بها النقود الأموية، فقد استبدلت بعــض العبــارات الموجودة على الدنانير والدراهم بعبارات لها دلالات سياسية تتعلق بتركيز الدولة العباســية علــى نسبها لآل محمد صلى الله عليه وسلم [١]، كما اهتمت الدولة العباسية بايراد اسم دار الضرب على الدينار[٢]،وقد أفاد ذكر اسم مدينة الضرب على الدينار العباسي على قراءة الكثير مــن الإشــارات التاريخية المهمة المحفورة عليه، مع ملاحظة عموم هذه الإشارات على منــاطق مختلفــة لــيس بالعراق فحسب، بل في غيره من البلدان التابعة للدولة العباسية، بإعتبار تنوع دور الضرب التــي سكت فيها الدنانير العباسية وتعدد مناطق وجودها.

وجرت عملية ضرب النقود، باستخدام سكة معدنية ثابتة توضع على مســند وفوقهــا ســكة أخرى مُتحركة، توضع بينهما قطعة المعدن المراد ضربها بعد تسخينها ثم تُضرب بمطارق خاصة حتى تنطبع عليها النقوش على وجهين[٣]، وعمد في سك النقود إلى استخدام قوالب تُصنع غالباً من معدن الرصاص لسهولة صهره وإعادة تشكيله، لتكون نماذج أولية لسك القالب الرئيســي للنقــود، وقد عُثر على قوالب (نماذج) تعود لسنة (٢٨١هــ/٨٩٤م) [٤]، مما يشير إلى تقدم عملية ضــرب النقود في الدولة العباسية. ولا تضرب النقود أو تعتمد المسكوكات إلا بعد عدة اعتبارات فنية، كأن

---

(١) أزال العباسيون آيات سورة الإخلاص ووضع مكانها عبارة (محمد رسول الله) . أنظر : دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١١٥؛ شما، النقود الإسلامية، ص٤٠-٤٩.

(٢) الطراونة، خلف فارس، ودفتر، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات وقراءة التاريخ، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٤م، ص٤٩-٥٠. وسيشار له لاحقاً : المسكوكات وقراءة التاريخ .

(٣) الجنابي، النقود الإسلامية، ص١١٧.

(٤) ابن بعرة الذهبي، منصور بن بعرة الكاملي (ت.ق٧هــ/ق١٣م)، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م، مقدمة المحقق ص١٥-١٦. وسيشار له لاحقاً: ابن بعرة الذهبي، كشف الأسرار.

تكون النقوش مستقيمة ظاهرة، إلى جانب مراقبة أوزان النقود أيضاً[١]، ويراعى كذلك عند الضرب جودة أنواع الأخشاب المستخدمة في سبك النقود، حيث يُفضل استخدام الشديدة اللهب منها مثل شجر الطلح[٢]، ويتم تجنب تلك الأشجار السيئة اللهب[٣]، وهي أمور توحي بمدى الإهتمام الشديد وبأدق التفاصيل الخاصة بضرب النقود.

ويتوفر في دور الضرب العديد من العُمال الذين توكل لكل شخص منهم مهمة مُعينة، مثل الصُناع والطباعين وأصحاب العيار[٤]، ولتشديد الرقابة على النقود فقد وضعت بعض الكلمات والحروف التي تدل على جودة العيار وصحة النقد مثل (بخ) وتعني جيد[٥]، ورموز أخرى عديدة يبدو أنها لنفس الغاية [٦] ،ومع تلك الرقابة والمتابعة فقد ظهرت بعض الأخطاء المتعلقة بسك النقود، خاصة فيما يتعلق بالنقوش المضروبة عليها، فقد حمل دينار الخليفة المعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م) المضروب في مدينة السلام، عبارة في هامشه هي: ضرب هذا الدرهم بدلاً من ضرب هذا الدينار[٧]، كذلك تظهر في بعض النقود المضروبة أخطاء أخرى، يمكن تسميتها بالفنية مثل تعرض بعضها للإزاحة عند الضرب ويظهر ذلك مثلاً على درهم بخارى المضروب في سنة

---

(١) ابن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٣١.

(٢) الطلح: هو السنط، ومنه نوعان أولهما الأحمر ويسمى في مصر السيال وشجرته صغيرة الحجم أو متوسطة ذات قلف أحمر اللون يضرب إلى السمرة، والثاني منه يسمى الصفار وينتشر في السودان ويسميه العامة أم غيلان. آل ياسين ، محمد حسين، معجم النبات والزراعة، ٢ جزء، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ٢٠٠٩م ، ج١، ص٢٠٩. وسيشار له لاحقاً: آل ياسين، معجم النبات.

(٣) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص١٠١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٥٦-٦٥٧.

(٥) أنظر مثلاً: الدرهم المضروب في العباسية سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) عند: دفتر، الدرهم الإسلامي ، ص١٣٠-١٣١.

(٦) أنظر مثلاً الرموز المنقوشة على دينار المعتمد المضروب في مدينة السلام وسامراء في سنة ( ٢٥٨هـ/ ٨٧١م) وفي سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) . دفتر، الدينار الإسلامي، ص٢٣٢-٢٣٥.

(٧) الطراونة، المسكوكات وقراءة التاريخ، ص٥٦.

( ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) [١]،إضافة بطبيعة الحال الى رواج بعض النقود الزائفة ( البهـرج) [٢]، مثـل درهم مدينة السلام المضروب في سنة ( ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) والذي صنع من البرونز والقليـل مـن الفضة [٣]، ومع ذلك تبقى الميزة العامة للضرب متقدمة .

**٢) إدارة ضرب النقود .**

تُضرب النقود التابعة للدولة باسم الخليفة العباسي بشكل أساسي، بإعتبـاره هـو المسـؤول المباشر عن دار الضرب، وأحياناً يرافق ايراد اسمه على النقود ذكر اسـم أحـد أمـراء الأسـرة العباسية أو القادة العسكريين أو الوزراء، أو حتى بعض أسماء ولاة الأقاليم، فقد ارتبط اسم الأمير العباسي إلى جانب الخليفة بالعديد من المناسبات، مثل مناسبة تنصيبهم ولاة للعهد[٤]، أو عـزلهم عنها[٥]، أو إعلان ولادة أحد هؤلاء الأمراء[٦]، أو مناسبات أخرى تتعلق ببلاط الخلفاء[٧].

---

(١) القسوس، نايف جورج وآخرون، المسكوكات الإسلامية غير المنشورة والنادرة ، إصدار متحف البنك الأهلي الأردني للنميات، عمان، ٢٠١٤م، ص١٠١. وسيشار له لاحقاً: القسوس، المسكوكات غير المنشورة .

(٢) البهرج : يقصد به الدرهم الرديء أو الباطل السكة ، وهو المزيف الذي تكون فضته رديئة أي نسبتها قليلة . ابن منظور، لسان العرب، مادة( بهرج) ؛ ادي شير، السيد، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٨٠م،ص٢٩. وسيشار له لاحقاً : ادي شير ، معجم المعربات .

(٣) القسوس، المسكوكات غير المنشورة ، ص ٩٨.

(٤) يُستفاد من الإشارات التاريخية على النقود وسنوات سكها في تثبيت سنة ولاية العهد المتعلقة بالمعتضد بالله سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) وليس سنة (٨٩٢/٢٧٩م)، كما يستفاد منها بتثبيت خلافة المعتز في سنة( ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، وليس في سنة ( ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) . أنظر: دفتر، الدينار الإسلامي، ص٢٧٨-٢٧٩؛ الطراونة، المسكوكات وقراءة التاريخ ، ص٧٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٤.

(٦) مثل الإحتفال بولادة أحمد بن المقتدر سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) الذي لم يعش طويلاً . أنظر: عريب القرطبي صلة تاريخ الطبري، ص٣٧؛ الرشيد، العيون والحدائق، ق١، ص١٤٦.

(٧) أنظر عن المناسبات: الشابشتي، الديارات، ص١٥٢-١٥٣؛ الديوه جي؛ سعيد، نقود الصلة والهدايا، مجلة المسكوكات، عدد٧، سنة ١٩٧٦م، ص١٣٠ . وسيشار له لاحقاً: الديوه جي، نقود الصلة والهدايا ؛ كينيدي، بلاط الخلفاء، ص٢٥٣.

أما بالنسبة للوزراء فإن وجود اسمه على النقود يتعلق بمكانة الوزير من الخليفة إضافة على دوره في بسط سيادة الدولة العباسية والقضاء على أعداء الخلفاء، فمثلاً ضرب اسم الوزير صاعد بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) وزير الخليفة المعتمد على النقود[١]، مع ملاحظة أن ورود الوزراء على الدراهم كان منتشراً في الغالب أكثر من الدنانير، وذلك له علاقة بسرعة انتشارها وتداولها بين العامة بشكل أوسع من الدنانير[٢]، على أن جميع حالات السك هذه الهدف منها إعلامي، إضافة إلى تثبيت شرعية ولاة العهد أو الوزراء ومكانتهم بالقرب من الخلفاء العباسيين.

وقد يتدخل الخليفة العباسي في بعض الأوقات في تحديد عيار النقود المضروبة، فقد أمر مثلاً الخليفة المتوكل وزيره عبدالله بن خاقان (ت٢٦٣هـ/٨٧٦م)، بأن يضرب دراهم كل درهم على حبتين ( الحبة تساوي : ٤.٥٤٧غم) [٣]، وقد استخدم العديد منها في مناسبات خاصة مثل توزيعها ونشرها على خاصة البلاط والندماء[٤]، وعرف منها الكثير مثل الدراهم الخفاف في عهد الخليفة المتوكل (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١ م) [٥]، ومن بعده في أيام الخليفة المعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م) [٦]، وهي دراهم خفيفة الوزن تُستخدم لغايات الإهداء والصلة ولا يُعتمد عليها في المعاملات التجارية، وهناك أيضاً ما عُرف (بالنقود المسيفة التي تتسم جوانبها بالإستدارة والحدة لحسن طرقها) والتي اشتهر استخدامها لنفس الغاية وهي الصلة كما حصل في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٥٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٢٨٦؛ الروحي، بلغة الظرفاء، ص٢٤٧؛ دفتر، الدينار الإسلامي، ص٢٥٦-٢٦٢، ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) دفتر، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات، مطابع دار السياسة، الكويت، د.ت ، ص٦٣. وسيشار له لاحقاً: دفتر، المسكوكات.

(٣) الشابشتي، الديارات، ص١٦٠.

(٤) جعل له ألوان تُشبه الورود صفراء وحمراء للمزيد: الراغب الاصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص٥٨٥.

(٥) الديوه جي، نقود الصلة والهدايا ، ص١٢٩.

(٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص٢٧٦.

بمناسبة ولاية بعضهم الأقاليم[١]، كما أُشير إليها أيام السيدة أم المقتدر (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) أثناء نشرها النقود على العامة في مواكبها في سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م)[٢]، وعرفت أيضاً أيام الخليفة المقتدر نفسه سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) [٣].

ويشتهر أن يلجأ الخلفاء أو أمهاتهم أو حتى بعض الأمراء إلى استخدام تلك النقود بإعتبارها من الوسائل المفضلة لكسب تأييد العامة وولائهم . وقد أشار الوشاء (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م) إلى أنها من أنفس ما كان يُهدى، قائلاً: "الدنانير الشهرية والدراهم المسيفة الدّاريّة، في خرائط الديباج الإبرسيمية"[٤]، ويُقصد بالدنانير الشهرية تلك الحديثة السك أو الإصدار وقد كانت مُفضلة الإستخدام عند معاملات الوزراء المالية [٥].

ويجدر التنبه إلى أن بعض الدراهم نُسبت إلى أسماء معينة لا تُعبر عن قيمتها النقدية أوعيارها، وإنما تعكس بعض مظاهر السلوك الإجتماعي الذي يتبعه بعض الأشخاص ممن قصد منه كسب تأييد العامة، مثل قيام الحلاج الحسين بن منصور (ت٣٠٩هـ/٩٢١م) بالإدعاء على قدرته في ابتداع حيل أو خوارق يستطيع بها ايجاد نقود عُرفت باسم (دراهم القُدرة) [٦]. إن محاولة خداع الناس بالنقود، ومحاولة كسب ولاء العامة بالنقود أيضاً يعكس صعوبة الحياة الإقتصادية التي يعيشها الأفراد خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

---

(١) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٤٣-٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٣) الرشيد، الذخائر والتحف، ص١٠٨؛ كينيدي، هيو، بلاط الخلفاء، "قيام وسقوط أعظم أسرة حاكمة في الاسلام" ، ترجمة فائزة اسماعيل أكبر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٤٠٩. وسيشار له لاحقاً: كينيدي، بلاط الخلفاء.

(٤) الوشاء، الموشى، ص١١٩.

(٥) الخطيب البغدادي، البخلاء، ص١٥٨.

(٦) كان يعمد لرفع يده للسماء ليعيدها مملوءة بدراهم كتب عليها (قل هو الله أحد) . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٩٦.

وتتحدث بعض المصادر عن خلل واضح في عملية ضرب النقود، حيث شهدت بعض السنوات تراجعاً ملحوظاً في قدرة الدولة الرقابية على دور الضرب، يقول الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦ م) واصفاً أوضاع سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) : " كثر التخليط في أمر النقد ودار الضرب" [١]، معبراً بذلك عن سوء الأوضاع التي استمرت بالتردي حتى أصبح بعض الأفراد يمتلكون في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) الآت خاصة لضرب الدراهم، استخدمت أحياناً مكيدة أريد منها الإيقاع بالآخرين من خلال دسها في أملاكهم ومنازلهم مُدعين ملكيتهم لها[٢]، وهذا يفسر واقع رقابة الدولة على دور الضرب .

وعلى الرغم من ذلك، فقد تصدى بعض رجال الدولة لهذا الأمر، فقد أمر صاحب الموصل أبو محمد ناصر الدولة بن أبي الهيجاء بن حمدان (ت٣٥٨هـ/٩٦٨م)[٣]عند دخوله بغداد سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) بتصفية عيار الدنانير والدراهم وضرب دنانير جديدة سماها (الإبريزية) [٤]، وهي التي أشار إليها البعض باسم (الصحيحة الأميرية) [٥]، قاصداً بذلك الحرص على مدى جودة عيارها وضبط وزنها، وقد زيد على هذه الدنانير عبارات جديدة مثل: (صلى الله عليه وسلم) بعد ذكر (محمد رسول الله) [٦]، كما أمر بمتابعة الصيارفة وعملية صرفهم للنقود، وشدد على ضرورة تركهم بعض المعاملات الخاطئة مثل ما عُرف باسم (ربا الصيارفة) [٧]، وهي الزيادة الكبيرة التي كان يأخذها الصيارفة مقابل صرفهم النقود.

---

(١) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٣٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٨.
(٣) كان صاحب الموصل حيث أصبح أميراً عليها بعد أن كان نائباً فيها عن والده، لقبه الخليفة المتقي في سنة (٣٠٠هـ/ ٩٤١م) ، توفي في حبسه سنة( ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) . للمزيد عنه أنظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٨-٢٤٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٢٨٤،٢٦١.
(٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٤٦٨.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٦٥.
(٦) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٣١، ٢٩٩؛ الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج١، ص٥٠؛
(٧) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٣١.

ومقابل محاولات اصلاح النقود داخل العراق، كان هناك محاولات لاصلاح النقد خارجه أيضاً، مما كان له انعكاس ايجابي على التجارة، ومن هذه الإصلاحات قيام الأمير أحمد بن طولون (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م) في مصر بإعادة ضبط عيار الدينار المنسوب إليه والمعروف (بالأحمدي) [١]، والذي عُرف بجودة مستواه.

لقد شكل الدينار والدرهم أساساً في المعاملات النقدية في العراق، من خلال نظام النقد المزدوج، وهو تحديد قيمة السلع بالدنانير وما يقابلها من الدراهم وقد درج أهل العراق على اتباع هذا النظام في تعاملهم الإقتصادي[٢]، وإلى جانب الدنانير والدراهم استخدمت ( الفلوس ) بإعتبارها عملة مساعدة في العمليات التجارية، وقد عثر في الحفريات على فلوس تعود إلى سنة (٩٠هـ/٧٠٨م) [٣]، كما عرفتها بلاد الأندلس منذ سنة (١٠٨هـ/٧٢٦م) [٤]، بينما استخدم في الأقاليم الشرقية للدولة العباسية في سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) [٥]، وتحديداً في مدينة زرنج[٦]، كما ضربها آل سامان وقيل كانوا يضعون بها قدر معين من الذهب[٧]، كما عُرفت في مصر[٨]، وفي

---

(١) البلوي، سيرة ابن طولون، ص١٩٦؛ المقريزي، النقود الاسلامية ص٢٥-٢٦.

(٢) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٢٠٧.

(٣) الرمضاني، عبد الواحد، المسكوكات الفضية العباسية في مجموعة مركز البحوث الأثارية والحضارة لجامعة الموصل، مجلة آداب الرافدين، عدد٦، سنة ١٩٧٥م، ص١٢٨. وسيشار له لاحقاً: الرمضاني، المسكوكات الفضية.

(٤) Miles , George, The Coinage of The Umayyads of Spain,The American numismatic society , new york,١٩٥٠.,P.١١٩,١٢١,٢٢٤,٢١٩,٢٣٤.

(٥) sourdel,Dominique,Inverntaire des monnaies musulmauese ancieunes du muse de cabul, Institute francais de Danas,١٩٥٣,P١٩.

(٦) زرنج: مدينة هي قصبة سجستان ، وقد ضربت بها الدراهم العباسية حتى سنة ( ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (زرنج)، مج٣، ص١٥٥؛ دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٦٦.

(٧) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٦١.

(٨) هذا ما ظهر في البرديات أنظر: محمد، الألقاب وأسماء الحرف، ج٣ ص٢٢٢.

العراق[1]، حيث أُستخدمت فيه لشراء بعض السلع الرخيصة[2]، كما توجهت الدولة العباسـية إلـى دعوة الناس للتعامل بها، فقد ألزم عامل الحسبة في بغداد سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) العامة التعامل بها رغم كرههم ذلك[3]، وسبب الكره على ما يبدو هو عددها الكبير مقارنة بالقيمة الشرائية القليلة، مما يسبب ازعاجاً في حملها.

مما سبق يظهر أن الأمر بإصدار النقود كان من صلاحيات الخلفاء العباسيين، ثم تطـورت هذه الصلاحيات لتصبح بيد أمهات الخلفاء إضافة للأمراء و الوزراء وبعض ولاة الأقاليم، مع بقاء دور بارز لرجال الدولة في ضبط ومراقبة علميات ضرب النقود، ممـا أظهـر فتـرات انتعـاش اقتصادي.

وانعكست الأوضاع السياسية داخل العراق، وعلاقة رجال الدولة مع الخلفاء العباسيين على سياسة ضرب النقود، فقد اتجه بعض أصحاب الحركات الرافضة لسلطة الخلافة العباسية منذ البداية على الإستقلال النقدي كرمز للسيادة، حيث إعتمد صاحب الزنج مثلاً في الإنفاق على اتباعه نقـود كانت مخالفة لنقود الدولة العباسية الرسمية، فأشار الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) إلى قيام صـاحب الزنج في سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) بتوزيع ما عُرف باسم (الدينار الخفيف) على اتباعـه[4]، والـذي يوحي اسمه بانخفاض عيار الذهب فيه، كما عمد ( صاحب الزنج) أيضاً إلى ضرب نقود خاصة به لم ينقش عليها اسم الخليفة العباسي، كما هو الحال في نقوده المضروبة سـنة (٢٦١هـ/٨٧٤م)، والتي ضربها في مدينته المختارة في البصرة ناقشاً عليها ما نصه : ( أمير المؤمنين المهدي علي

---

(١) البوزجاني، المنازل السبعة، ص١٧٤.
(٢) المقريزي، النقود الإسلامية، ص٣٨-٣٩.
(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٨٧.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٢٣.

بن محمد) [١]، سعياً منه في تثبيت نسبه لآل محمد، واعلان شرعيته الجديدة واستقلاله عن سلطة الخلافة العباسية ورفضها، وقد تكرر نقش هذه النقود في سنوات لاحقة من تاريخ حركته [٢]، وهو دليل اتخاذه دور ضرب خاصة وسعيه إلى ابتداع نظام إداري مالي جديد له طابع الإستقلالية.

وعلى الرغم من أن حركة الزنج سببت الكثير من الإضطراب السياسي والإقتصادي للدولة العباسية في بعض مدن العراق بخاصة البصرة، إلا أن عملية ضرب النقود الرسمية استمرت في البصرة، فقد ضربت فيها نقود باسم الخليفة المعتمد سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م) [٣]، مما يدل على عدم تأثر عمليات ضرب النقود بقيام الحركة، في حين كانت الأهواز مركزاً لضرب نقود الدولة في سنوات الثورة اللاحقة[٤]، ويجب التنبه إلى أن عمليات الضرب داخل مدينة الموفقية أصبحت ذات فعاليّة في مدينة الموفقية [٥]، التي أقامها الموفق بالله، فقد ضربت فيها الدنانير باسم الموفق سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) [٦]، مما يدل على بقاء سياسة ضرب النقود فيها حتى مرحلة ما بعد انتهاء حركة صاحب الزنج.

وبسبب دور الموفق بالله في القضاء على حركة صاحب الزنج، فقد ضرب اسمه على النقود مقترناً باسم أخيه الخليفة المعتمد[٧]، ويشير ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م) لدوره بقوله في

---

(١) أنظر شعاره هذا عند: دفتر، الدينار الإسلامي، ص٢٤٠؛ الحداد، النقوش الآثارية، الملحق شكل رقم (٦٩٠).

(٢) دفتر، الدينار الإسلامي، ص٢٤٦.

(٣) درويش، مهاب، نفائس من الدراهم العباسية في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة، بغداد، عدد٦، سنة ١٩٧٥م، ص٢٠. وسيشار له لاحقاً: درويش، نفائس من الدراهم العباسية.

(٤) درويش، نفائس من الدراهم العباسية، ص١٨-١٩؛ دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٣٢-١٣٣؛ دفتر، الدينار الاسلامي، ص٢٥٩ .

(٥) يشير ابن الجوزي( ت٥٩٧ه/١١٨٣م ) أنه ضرب بها النقود ابتداء من سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) ، بينما أشارات المكتشفات أنها ضربت فيها بين سنتي ( ٢٦٨هـ- ٢٧٠هـ/٨٨١م-٨٨٣م) . للمزيد أنظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٧٢؛ دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٨٤.

(٦) دفتر، الدينار الاسلامي، ص٢٥٩.

(٧) ذكره الخوارزمي في باب (ذكر الخلفاء وملوك الإسلام) مع إشارته أنه ولي عهد أخيه: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٠٧.

أحداث سنة (٢٦٩هـ/٨٨٢م): " أنه – أي المعتمد – لم يكن له من الخلافة غير اسمها، ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا كثير، وكان الحكم كله للموفق والأموال تُجبى إليه "[١]، وقد ضربت باسمه العديد من النقود[٢].

وإلى جانب الخلفاء العباسيين، فقد نُقشت أسماء الأمراء الحمدانيين مثل علي بن عبدالله الحمداني المشهور بسيف الدولة (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) على نقد الكوفة سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م)، ولم يكن هو الوحيد الذي ضرب اسمه إلى جانب الخلفاء العباسيين[٣]، وبرزت هذه السياسة كضرورة لإشهار الأسماء على النقود بإعتبارها تُمثل شرعية وجودهم وعلاقتهم بالدولة.

أما فيما يتعلق بالقادة الترك، فقد كانت لهم سيطرة واسعة على دور الضرب، خاصة في الولايات البعيدة عن العراق وبالأخص اليمن، حيث حملت دنانير الخليفة الواثق المضروبة في صنعاء سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) اسم واليها ايتاخ (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م) مقروناً بالعديد من الآيات القرآنية[٤]، ولم تقتصر أسماء القادة الترك على النقود فقط بل امتدت لتنقش على الأختام التي اتصفت بمستوى عال من التطور بألوانها المميزة الصفراء والخضراء، ويتراوح تاريخ ضربها بين سنة (٢٣٠هـ-٢٣٥هـ/٨٤٤م-٨٤٩م)[٥]، وهو يعزز القول بأن فعالية القادة الترك والتدخل في الدولة بدأت تتضح معالمها منذ عهد الخليفة الواثق.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٩١.

(٢) أنظر منها: دفتر، الدينار الإسلامي، ص٢٤٠-٢٤٢، ٢٤٩- ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٦٣-٢٦٤، الطراونة، المسكوكات وقراءة التاريخ، ص٥٦.

(٣) الحسيني، الكنى والألقاب على نقود الكوفة، ص١٧٩.

(٤) الطراونة، المسكوكات وقراءة التاريخ، ص٥٤.

(٥) أنظر العديد منها: عملات إسلامية، دار العلم للطباعة والنشر، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م، ص٤٢. وسيشار له لاحقاً : عملات إسلامية .

وتأكدت سيطرة القادة الترك في فترة إمرة الأمراء والتي نظر لها الخليفة الراضي على أنها حلاً مناسباً لمشاكله الإقتصادية والسياسية، مُعبراً عن نظرته هذه في الشعارات التي نقشها على دراهم مدينة السلام المضروبة في سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) [(١)]، والتي نُقش عليها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [(٢)]، وعلى الرغم من تفاؤله هذا، إلا أن سياسته بإستحداث هذا المنصب (إمرة الأمراء) لم تزد الأوضاع إلا سوءاً، فاتسعت سيادة الترك مع مجيء الأمير بجكم التركي (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) الذي بدا حريصاً على جمع الأموال واخفائها[(٣)]، سعياً منه للحصول على ثروة كبيرة تزيد من سيادته، وقد حملت دنانير الخليفة المتقي اسم الأمير بجكم وكنيته (أبو الحسن بجكم مولى أمير المؤمنين) [(٤)]، وحاول بجكم بسط سيادته على دور الضرب، فأمر في سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) سك النقود باسمه[(٥)]، وحتى بدا على دراهمه المضروبة في مدينة السلام (بغداد) سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) قدر عال من الجودة والضبط[(٦)]، ولم يكن بجكم الوحيد ممن تلقب بأمير الأمراء والذي انفرد في ضرب النقود، بل كانت هناك نقود مضروبة باسم توزون (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) على نقود الكوفة، في سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) وحملت لقبه وكنيته[(٧)]، وهذا مما يدل على مستوى التدخل الذي حدث على ضرب النقود في فترة إمرة الأمراء.

إن الأحداث السياسية الداخلية قد أثرت بشكل ملحوظ على سياسة النقود المضروبة، فأشارت إلى مشاركة بعض رجال الدولة في سلطة الخلفاء العباسيين، الذين أبقيت أسماؤهم على النقود

---

(١) أنظر هذا الدرهم عند: الحسيني، دراسة احصائية للشعارات، ص١١١.

(٢) سورة فاطر، آية ٣٤.

(٣) البيروني، كتاب الجماهر، ص٢٨.

(٤) الطراونة، المسكوكات وقراءة التاريخ، ص٥٨.

(٥) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٣٦؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق ق١، ص٣٣٢.

(٦) بلغ وزنها ( ٤/٥٥غم ) وهي من الأوزان الكبيرة للنقود: الحسيني، محمد باقر، دليل لمجموعة عبدالله شكر الصرّاف، مجلة المسكوكات، مج١، ج٢، ١٩٦٩م ، ص٥٧. وسيشار له لاحقاً: الحسيني، دليل الصراف.

(٧) الحسيني، الكنى والألقاب، ص١٧٩.

لكسب شرعية وولاء العامة فقط، بينما آلت السيادة الفعلية للقادة الذين سكوا النقود بأسمائهم تأكيـــداً منهم على نفوذهم في الدولة.

أما فيما يتصل بإمارات الإستيلاء المستقلة عن الدولة العباسية، فإنها حافظت على وجود اسم الخليفة على نقودها المضروبة، وذلك بسبب تأكيد شرعيتها من جهة، وضمان انتشار اســتخدامها ورواجها بين الناس من جهة أخرى، حيث يعتبر العامة وجود اسم الخليفة على النقود هو دليل على شرعيتها[١]، وبالتالي يزيد من ثقتهم التعامل بها وتداولها، خاصة وأن علاقتهم التجارية مع ولايات الدولة العباسية تتطلب ذلك، فبقيت نقود الدولة الصفارية محافظة على ابقاء اسم الخليفة إلى جانــب اسم أمير الصفاريين ، مثل دراهم عمرو بن الليث الصفار (ت ٢٨٧هــ/٩٠٠م) المضــروبة فــي أرجان[٢]، في سنة (٢٨١هــ/٨٩٤م) والتي تحمل اسم الخليفة المعتضد بـــالله [٣]، وكــذلك الأمــر بالنسبة لنقود الدولة السامانية التي كانت تحمل أيضاً أسماء بعض الخلفاء ، فقد نقش علـــى النقـــود السامانية فـــي ســـنة (٣٢٠هــــ/٩٣٢م)، اســـم الأميــر الســـاماني نصـــر الثـــاني بـــن أحمــد (ت٣٣١هــ/٩٤٢م) إلى جانب اسم الخليفة المقتدر بالله و وزيره الحسين بن القاسم بن عبيـــد الله عميد الدولة (ت٣٢٢هــ/٩٣٢م)[٤]، وهذا يؤكد الاعتراف والتمسك بشرعية الدولة العباســـية فـــي

---

(١) النقشبندي، نقود الصلة، ص١٧.

(٢) أرجان: وعامة العجم يسمونها أرغان وهي مدينة كبيرة بين حد فارس والأهواز برية بحرية بينها وبين شيراز ستون فرسخاً وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (أرجان)، مج١، ص١٧٢.

(٣) درويش، مهاب، نفائس الدراهم العباسية، مجلة المسكوكات، مديرية الأثار العامة، بغداد، عدد٧، سنة ١٩٧٩م، ص١٤٥. وسيشار له لاحقاً: درويش. نفائس الدراهم.

(٤) الحسيني، الكنى والألقاب، ص١٧٨.

فترات الإضطراب السياسي [١].

وحملت النقود الطولونية اسم الخليفة العباسي إلى جانب الأمير الطولوني في العديد من السنوات[٢]، وقد أثر حُسن العلاقات في انتقال النقرة[٣] والسبائك الذهبية سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م) من مصر إلى العراق[٤]، أما في فلسطين فلم تظهر فيها نقود عباسية مضروبة حتى سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م) بعد انتهاء سيطرة الدولة الطولونية عليها[٥]، وهذا يُشير إلى طبيعة العلاقة السياسية بين مصر والدولة العباسية وأثر هذه العلاقة على السياسة النقدية في الشام[٦].

أما فيما يخص الخارجين على الدولة، فقد اتجه بعضهم مثل العلويين في إقصاء اسم الخليفة عن النقود في كثير من الحالات ، فضربت للعلويين نقود في مدينة جرجان[٧]، في سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م) دون أن ينقش عليها اسم الخليفة العباسي[٨]، كما رافق سياسة العلويين النقدية هذه رفعهم شعارات تحمل بعض

---

(١) أنظر استمرار ذلك الضرب في سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢ م) على دينار نيسابور وعليه اسم الأمير نصر بن أحمد إلى جانب الخليفة المتقي: حجارة، اسماعيل أحمد، النقود المكتشفة في ياسين تبة، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة، بغداد، عدد٦، سنة ١٩٧٥م، ص٨٥. وسيشار له لاحقاً: حجارة ، نقود ياسين تبة.

(٢) Baramki, Dimitvi, The coins ethibted in Thearchaeo logical of The American university, Centennial publications,beirut,١٩٦٨.p١٦٤-١٦٥.

(٣) النقرة: القطعة المذابة من الفضة . ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقر).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٦، ص٢٠٩.

(٥) تكثر النقود المضروبة باسم الخليفة المقتدر خاصة بين سنة ( ٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) أنظر: شما، سمير، النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، مطبعة الجمهورية، دمشق، ١٩٨٠م، ص٣٩، ٩٦-١٠٢. وسيشار له لاحقاً : شما، النقود الاسلامية.

(٦) بدليل استمرار ضربها حتى سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م). أنظر: barmaki, The coins,p .l٦٦.

(٧) جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، مشهورة بالابريسيم الذي يرفع منها للآفاق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (حرجان)، مج٢، ص١٣٩.

(٨) baramki, The cains,p .l٦٧

الآيات القرآنية يلمحون بها عن رفضهم شرعية الدولة العباسية في الحكم[١].

إن سياسة اقصاء اسم الخليفة العباسي عن النقود من قبل الخارجين عليه لـــم تكـــن وجهـــة الجميع، بل أبقى بعضهم على اسم الخليفة العباسي على النقود التي ضربها، فيذكر الطبري أن أحمد بن عبدالله الخُجستاني (٢٦٧هـ/٨٨٠م) الخارج في خراسان أبقى على اسم الخليفة المعتمد علـــى نقوده[٢] التي ضربها على الرغم من سعيه الحثيث السيطرة على العراق نفسها ، حتى أن السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) علق على ذلك الإجراء بقوله: "وهذا محل الغرابة"[٣]، ولم يكن الخُجســتاني وحده من عمد إلى مثل هذا الإجراء، بل نجد أن أحد الثائرين على الدولة السامانية وهو أبو علي محمد بن الياس بن اسحاق (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) أبقى على اسم الخليفة المقتدر منقوشاً على درهمه المضروب بنيسابور في سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) [٤]، ودراهمه المضروبة في كرمـــان فـــي ســـنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م) حتى خلال فترة التسلط البويهي على الخلافة العباسية[٥]، لذا يمكـــن القـــول أن معظم السياسات النقدية خارج العراق حاولت الإبقاء على اسم الخليفة العباسي رغبة منهـــا كســـب الشرعية السياسية من الدولة العباسية إلى جانب ثقة ورضا العامة[٦]، ولضمان تداول النقـــود فـــي النشاط التجاري مع العراق.

---

(١) أنظر هذه الشعارات عند: الحسيني، دراسة احصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة، بغداد، عدد٦ ، ١٩٧٥م، ص١٠٨-١٠٩. وسيشار له لاحقاً: الحسيني، دراسة احصائية.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٩٩-٦٠٠، ٦١٢.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٤) رمضان، عاطف منصور، درهم نادر ضرب بنيسابور سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) باسم التأثر محمد بن الياس، مجموع في كتاب (دراسات في ذكرى سمير شما)، جامعة اليرموك ، الأردن، ٢٠١٤م، ص١٦١-١٦٢. وسيشار له لاحقاً: رمضان، درهم نادر ضرب بنيسابور.

(٥) رمضان، درهم نادر ضرب بنيسابور، ص١٦٧.

(٦) أبقى أهل اليمن اسم الخليفة المستكفي على النقود ورفضوا إزالته لعدم قبولهم خلعه من قبل البويهيين. الطراونة، المسكوكات وقراءة التاريخ، ص٥٩.

من جهة أخرى ظهرت لدى الدولة العباسية سياسة نقدية تعكس موقفها من بعض الخصـــوم ، فقـــد نقش الخليفة القاهر على دراهمه لسنة (٣٢٢هـــ/٩٣٣م) ما نصه: (محمد رسول الله، القاهر بـــالله، المنتقم من أعداء الله لدين الله)[١]، كما لقب المستكفي بالله نفسه في أواخر سنة (٣٣٣هـــــ/٩٤٤م) لقب (إمام الحق) ونقشه على دراهمه[٢]، ويلاحظ أن وجود مثل هذه الألقـــاب الخاصـــة بالخلفـــاء العباسيين والتي تحمل معظمها دلالات دينية ترمز للإتكال على الله والإعتماد عليه درج استخدامها أيضاً بين العامة الذين استخدموها في نقوشهم[٣]، مما يعكس لنا قيمة اتخاذ الألقـــاب أو الإهتمـــام بنقشها على النقود بإعتبارها جزءاً له صدى وانتشار ملموس في بنية المجتمع وثقافة أفراده .

كما بقيت النقود لدى الخلفاء العباسيين وسيلة مُهمة في الدعاية السياسية لأعمالهم خاصـــة بعـــد انتصارهم على أعداء الدولة العباسية ، فقد أمر مثلاً الخليفة المتوكل في سنة (٢٤١هـــ/٩٥٤م) ضرب درهم صلة ونقش على أحد وجهيه صورة جمل يقوده الخليفة نفسه بعد انتصـــاره علـــى البجـــة فـــي مصر[٤]، خاصة أن الروايات التاريخية تُظهر دور الجمل واستخدامه في محاربتهم والإنتصار عليهم[٥]، وقد أراد الخليفة المتوكل بذلك تحسين صورته أمام العامة، كذلك قام الخليفـــة المقتـــدر فـــي ســـنة ( ٣٢٠هـــ/ ٩٣٢ م) بضرب دراهم صلة للدعاية أيضاً لم يُحدد تاريخ ضربها، يظهر فيها الخليفة وهـــو

---

(١) اتخذ هذا الشعار بسبب قتله مؤنس الخادم (ت٣٢١هـــ/٩٣٣م) ومصادرته أيضاً بعض الخاصة بمن فيهم أم الخليفة المقتدر للمزيد: ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١١٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٠٣؛ دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٦٣.

(٢) الروحي، بُلغة الظرفاء، ص٢٧٧.

(٣) أنظر استخدام العامة لها عند: الكلابي، حياة بنت عبدالله، النقوش الاسلامية على طريق الحج الشامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٩م، ص٢٧٩، ٢٨١، ٣١٠، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٨٥، ٣٩٦، ٤٠٢. وسيشار له لاحقاً: الكلابي ، النقوش الاسلامية.

(٤) النقشبندي، ناصر، نقود الصلة والدعاية، مجلة المسكوكات، مديرية الأثار العامة، بغداد، عدد٣، ١٩٧٢م، ص١٠-١١. وسيشار له لاحقاً: النقشبندي ، نقود الصلة؛ الحداد، النقوش الآثارية، ص١٣٢-١٣٣.

(٥) أنظر عن مواجهة الدولة العباسية لهم: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٠٣.

يمتطي فرساً وبيده سيف وعلى الوجه الآخر من الدرهم نُقش صورة عجل وهو رمز القـوة[١] ، ومـع هذا السعي لإستخدام النقود كدعاية سياسية للخلفاء العباسيين، إلا أننا نجد هناك سياسة مضـادة لهـا ، قصد بها الإساءة لبعض الخلفاء العباسيين، مثل تصوير الخليفة المقتدر على أحد الـدراهم وهـو فـي مجالس اللهو والطرب[٢]، مما يؤشر على إمكانية استخدام النقود ضد الخلافة نفسها .

### ٣) أسعار صرف النقود .

يُعتبر سعر صرف الدرهم بالدينار أمراً متغيراً غير ثابت في الدولة العباسية، فهناك تذبـذباً واضحاً في سعر صرفه في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فقد بلغ سعر صرف الدينار في عهد الخليفة المتوكل (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) خمسة وعشـرين درهمـاً[٣]، ومـا أن جاءت خلافة ابنه المنتصر( ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) حتى شهد سعر الصرف انخفاضاً بمقدار الخُمـس، حيث بلغ عشرين درهماً[٤]، ويبدو أن هذا يُعد ارتفاعاً بمعدلات الصرف مقارنة بنهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حيث وصل إلى أربعة عشر أو خمسة عشر درهما[٥]، بينمـا نلاحـظ أن النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي شهد تبايناً نوعا ما في سـعر الصـرف تراوح بين عشرة دراهم وست عشرة درهم[٦]، ولا شك أن مستوى المعيشـة المتـدني، وحـالات ارتفاع الأسعار، أو الغلاء الذي شهدته هذه الفترة كان له انعكاساً وتأثيراً مباشراً لا يمكـن اغفالـه على سعر الصرف.

---

(١) النقشبندي، نقود الصلة، ص١١؛ سوسة، الدليل الجغرافي، ص١٣.

(٢) النقشبندي، نقود الصلة، ص١١-١٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الجعفري)، مج٢، ص١٦٦.

(٤) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٢٢٠.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص١٦٧، ١٨٢.

(٦) أنظر قائمة الصرف الخاصة بهذه الفترة عند: الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي ص٢١٢.

لقد تركت سياسة الخلفاء العباسيين النقدية أثراً كذلك على أسعار الصرف، فقد عمد بعضهم إلى ضرب أوزان محددة ترتبط بحاجة الخلفاء وغايتهم من النقود المضروبة مثل نقود الصلة أو الهدايا، فقد ضرب الخليفة الموكل دراهم وزن كل واحد منها عشرة[1]، بينما ينبغي أن يكون الوزن الشرعي للدرهم هو أربعة عشر قيراط( القيراط يساوي : ٠,٢ غرام ) [2]، ولكن لا بد من إدراك أن هذه الدراهم المضروبة على الأوزان القليلة حددت غايتها في التهادي والصلة، وليس لغايات التعامل النقدي الرسمي، وإن حدث ذلك فإنه يكون تجاوزاً.

من جهة أخرى هناك علاقة واضحة بين نوع الدراهم المضروبة ومقدار أوزانها ونسبة الفضة فيها، وبين سعر صرفها مقابل الدينار، فالدينار كان يساوي أربعة عشر درهماً صحاحاً، وفي نفس الوقت يساوي ستة عشر درهم غلّة[3]، وقد يكون هذا الفرق في معدلات الصرف يُعطي مؤشراً لتذبذب مقدار صرف الدراهم مقابل الدنانير بشكل عام.

ومع كل هذا يجب التنبه إلى أن قيمة صرف النقود (الدراهم والدنانير)، ومستوى قيمتها الشرائية خارج العراق، يُظهر قوة واضحة مُقابل العملات الخارجية بخاصة عملات الأقاليم البعيدة التي وصلتها التجارة، فدينار أهل زبيد[4]، يساوي درهماً عراقياً في حدود القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[5]، كذلك كل ثمانية من نقود أهل ذمار[1]، تساوي درهماً عراقياً واحداً

---

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص٥٨٤.

(٢) أشار البوزجاني (ت٣٨٧هـ/٩٩٤م) إلى أن الدرهم ثمانية وأربعون حبة وستون عشيراً وهو عند أهل بغداد اثنا عشر قيراطاً. البوزجاني، المنازل السبعة، ص١٧٤.

(٣) ورد ذكر هذه الدراهم (غلّة) في ختمات وسجلات بعض الوزراء سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) وقد أبدى بعض الكتّاب تذمراً من التعامل بها. أنظر : البوزجاني، المنازل السبعة ، ص ٣٣٦، ٣٣٨ ؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٤٤.

(٤) زبيد: هي مدينة في اليمن مقابلها ساحل المندب . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (زبيد)، مج٣، ص١٤٨.

(٥) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص١٢٦.

أيضاً[٢]،ويعود سبب ذلك إلى تطور التجارة مع هذه الأقاليم بخاصة التي ترتفع إليها العديد من السلع والبضائع القادمة من مدن العراق.

وقد أشار بعض الرحالة المعاصرين لفترة القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى مقدار صرف بعض النقود المتداولة في الأقاليم الشرقية، فقد بلغ مثلاً مقدار سعر صرف درهم خوارزم أربعة دوانيق ونصف[٣]، أما دراهم بخارى فكانت كل ستة منها بدانق، وأخرى أربعون بدانق[٤]، بإعتبار أنها هي الأخرى يراعى فيها مقدار جودتها ومستوى ضبط عيارها، أما فيما يخص النقود ومعدلات صرفها في الهند فلا يمكن تقديره بدقة بإعتبار أن هناك تفاوت واختلاف في مُسميات النقود عندهم أيضاً[٥]، ولكن تظهر الملامح العامة للنشاط التجاري القوة الشرائية الراجحة للنقود العراقية.

إن تباين معدلات صرف الدينار داخل العراق كانت متذبذبة بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية، في حين تبدو معدلات الصرف خارج العراق محافظة على قيمتها وقوتها مقابل عملات الأقاليم والبلدان بسبب انتعاش الحركة التجارية.

## ثانياً : الإدارة المالية للدولة العباسية .

تدار مالية الدولة العباسية من خلال دواوين عدة ذات اختصاصات ومهام محددة، تهدف عبر العديد من الموظفين أو العمال فيها، إلى ضبط الإدارة المالية وتوجيهها بالشكل الصحيح، وأبرز هذه الدواوين ما يلي:

**١) بيت المال.**

---

(١) ذمار: اسم موضع باليمن على مرحلتين من صنعاء. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (ذمار)، مج٣، ص٧-٨.

(٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص١٢٥.

(٣) ابن فضلان، الرحلة، ص٨٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٩.

(٥) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٥٧.

ارتبط مفهوم بيت المال بمهمته الأساسية وهي الإشراف على الأمور المالية المتعلقة بالواردات والنفقات ، ثم تطور عمله في العصر العباسي ليصبح الرقابة المالية في الدولة [١]، ويعكس هذا الدور الشامل الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) بقوله : " بيت المال عبارة عن الجهة لا عن المكان "[٢]، قاصداً بذلك عموم إدارته واتساع مجال صلاحياته ، فهو يختص بكل ما يدخل ويخرج من أموال الدولة ، حيث كانت تُثبت فيه أصول وسجلات الأموال وصرفها [٣]، ولصاحب بيت المال علامة على الكتب والصكوك يتفقدها الوزير ويراعي ضرورة وجودها عند قيامه بجميع معاملاته المالية[٤]، ولتسهيل العمل في بيت المال فقد وجدت فيه العديد من الإدارات أو المجالس مثل ديوان الأهراء[٥]، وديوان الخزانة[٦] وديوان الجهبذة [٧]، بالإضافة إلى مجلس الإنشاء والتحرير والنسخ [٨] الذي يهتم بحفظ السجلات الصادرة والواردة لبيت المال[٩]، حيث تطور عمله في الدولة العباسية من خلال التركيز على ضبط

---

(١) للمزيد عن تطور وظيفته أنظر: الدجيلي، خولة شاكر، بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري، مطبعة وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٧٦م، ص١٣. وسيشار له لاحقاً : الدجيلي، بيت المال .

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢١٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٣.

(٤) الحياري، الدواوين، ص٦١.

(٥) ديوان الأهراء : يختص صاحبه بالنظر في الغلال التي تصل إليه من النواحي وما يُصرف منها إلى الإصطبلات. القلقشندي، صُبح الأعشى ، ج٣، ص٥٢٣، ج٤، ص٣٣.

(٦) ديوان الخزانة : مسؤول عن الأموال والجواهر الثمينة من اللؤلؤ والياقوت كذلك الأسلحة وكافة أنواع الثياب والطرف الخاصة بالخليفة . مبتغى بن فريعون، جوامع العلوم، ص١٢٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١.

(٧) ديوان الجهبذ : وتعني لغة الناقد العارف الذي يُميز الجيد من الردي من النقود ومسؤوليته ضمان وصول وتسجيل الواردات إلى الديوان. الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص١٥٩؛ الحياري، الدواويين، ص٢٣، التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص٥٦.

(٨) تظهر عبارة (نسخ) على العديد من العقود والوثائق البردية الخاصة بالإجراءت المالية للدولة العباسية الى جانب ايراد اسم الكاتب الذي قام بذلك . أنظر مثلا : محمد ، الألقاب وأسماء الحرف ، مج٣ ، ص٣٣ .

(٩) الزهراني، إدارة النفقات، ص١٣٣.

وتدقيق السجلات التي تدون فيها نفقات الدولة ووارداتها [١]. وقد عكس الإهتمام ببيت المال توجيه الفقهاء للعاملين في بيت المال إلى ضرورة ضبط إدارته بإعتبار أن من مهامه الأساسية النفقة على الحوادث الطارئة للدولة، لذا وجب وضع أبواب وأصول لمثل هذه النفقات أو الحالات في سجلات ووثائق بيت المال[٢]، وبالرغم من مظاهر التشديد هذه فقد نلحظ أحياناً ما يُشعر بحدوث بعض وجوه الخلل أو التعدي المالي فيه على أقل تقدير، يُفسر ذلك تعرض صاحب بيت المال سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) ، زمن الخليفة المقتدر إلى سياسة المصادرة [٣] ، وهذا قد يعكس من ناحية أخرى استمرار متابعة الدولة له حتى أثناء الفترات التي تشهد أحداثاً وأزمات سياسية قد تصرف الدولة عن الإهتمام بمراقبة الشؤون الإدارية ومتابعتها.

وظهر خلال هذه الفترة نشاط واضح لبيت مال الخاصة تحديداً، والذي اتسعت على ما يبدو وارداته المالية ، من خلال إجراءات المصادرة المالية العديدة التي اتبعتها الدولة تجاه المصادرين من الوزراء وأسرهم وكتّابهم ، حيث كانت أموالهم تدخل إلى بيت مال الخاصة[٤]، وأفادت الدولة من ارتفاع ميزانية بيت مال الخاصة بسبب المصادرات لتحول منه إلى بيت مال العامة كما حدث في فترة الوزير محمد بن عبيدالله بن خاقان (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) [٥] لتوفير حاجته من المال ، وقد دفع هذا الأمر الخليفة المعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ / ٩٠٢م ) إلى تحصينه ، حيث يُشار إلى اتخاذه

(١) السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية، مكتبة الفتح، دمشق، ١٩٧١م، ص٢٤٤. وسيشار له لاحقاً: السامرائي ، المؤسسات الإدارية.

(٢) هذا موقف الإمام أبو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) وهو السائد في العراق أنظر عن موقفه : الماوردي، الأحكام السلطانية، ٢١٤.

(٣) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢١٢.

(٤) الصابىء ، الوزراء، ص١٥٤ ؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٠٩.

(٥) الصابىء ، الوزراء، ص٢٨٥.

: " قلعة صُب في أنقابها الرصاص "[1]، لتكون بذلك حصينة ومنيعة من تعديات اللصوص، ومحمية من أي ضرر ناتج عن بعض الأحداث السياسية المتكررة في الدولة العباسية، خاصة وأنه سبق وتعرض مثلاً بيت المال سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م) للسرقة من قبل اللصوص[2]، مما يؤكد بالتالي على ضرورة إتخاذ مثل تلك التدابير لحمايته.

وقد حاول بعض الخلفاء العباسيين ضبط مالية الدولة من خلال الإشراف مباشرة على سجلات النفقات ومتابعة حساباتها ، فقد كان الخليفة المهتدي بالله ( ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م ) ، يجلس مع الكتّاب وعمال الدواويين يومي الاثنين والخميس لضبط دفاترهم والنظر إلى ما يرد فيها [3]، كما كان الخليفة المعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ / ٩٠٢م ) يجلس لمراجعة الحسابات أحياناً [4].

واتجهت أوامر الخلفاء العباسيين نحو ضرورة ضبط حسابات الدولة من خلال اتخاذ موظفين من أمثال ( الخزان ) أوكلت إليهم مهام متعددة تتعلق بالأمور المالية من حيث الواردات ووجوه انفاقها في المجالات المختلفة [5]، وقد أظهر بعض العاملين في الإدارة المالية دراية ومهارة واضحة، إضافة إلى إمتلاكهم دفاتر وسجلات مالية تُثبت فيها الأموال وتراجع من خلالها الواردات والنفقات بشكل يومي منعاً لوقوع الخطأ أو الخلل ، ومن ذلك مثلاً الإدارة المالية الدقيقة لوزير الخليفة المعتمد على الله ( ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م ) ، وهو الحسن بن مخلد (ت٢٦٩هـ/٨٨٢م) [6]، حيث نظمت السجلات المالية والدفاتر خلال مدة محددة تُقدر بثلاثين يوماً[7]، وهو أمر يعكس

---

(١) سُمي لأجل ذلك باسم (بيت مال القلعة) . أنظر : الصابيء، الوزراء، ص١٥٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٠؛ ابن الجوزي، المنتظم ج٦، ص٣٩١.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٨٤؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٢٩٦.

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص١٩٢.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٤٥.

(٦) ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص٢٤٠؛ الروحي، بُلغة الظرفاء، ص٢٤٨.

(٧) الصابيء، الوزراء، ص٩٠.

مستوى الإنضباط في مراقبة الأمور المالية.

ومع ذلك لم يكن جميع الموكلين بإدارة الأمور المالية من أصحاب الأمانة أو الثقة، بل أن الفساد المالي والإداري تسرب لدى البعض منهم بمن فيهم الوزراء أنفسهم حيث عمدوا أحياناً إلى سرقة أموال المنكوبين أو المصادرين، مُبتكراً إجراءات عديدة لإخفاء كافة الشواهد على سرقته، ففي سنة ( ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) قام الوزير المحسن بن الوزير أبو الحسن بن الفرات ( ت٣١٢هـ/ ٩٢٤م) بعد أن علم بغضب الخليفة المقتدر بالله ( ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م ) عليه ونيته القيام بمصادرته ، بقتل كل من كان لديه في السجون من المصادرين حتى لا يقروا عليه بما أخذ منهم من الأموال التي لم يودعها في سجلات بيت المال [١]، مما يشعر بالتالي بمدى الإضطراب المالي والسوء الإداري المتعلق بمعاملة الأموال المصادرة .

وظهر نوع من التدخل في الأمور المالية من قبل (قهرمانات) الخلفاء اللواتي كن يجالسن الوزراء ويتناقشن معهم في مسائل تتعلق بنفقات القصر[٢]، إضافة إلى مظاهر تدخل أخرى في الإدارة المالية والتعدي عليها ، وتبرز أيضاً مسائل أخرى تتعلق بالتزوير في السجلات المالية وتحديداً في بعض جوانب النفقات المتعلقة بالصلات، وقد كثرت مثل هذه الحالات بعد عزل الوزير محمد بن عبيدالله بن خاقان (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) من قبل الخليفة المقتدر سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) [٣]، وكشف الوزير الجديد علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) بعض عمليات التزوير التي نسبها البعض كذبا إلى أنها من توقيعات الخاقاني،الوزير السابق، بغية صرفها [٤]، ومع ذلك يبدو أنه قد ظهرت لدى الوزير الخاقاني بعض الأخطاء المالية في توقيعاته، فيذكر أنه صرف لأحدهم ثمانية

---

(١) أنظر أحداث سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) عند: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٦، ص٣١٠-٣١١.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص٢١.

(٣) قيل بسبب : " كثرة التخليط لديه وعجزه عن الوزارة " : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٥٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٥٤-٢٥٥ ؛ النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص١٧.

وأربعين ديناراً بدلاً من أربعة دنانير[١]، وعلى الرغم من قلة المبالغ المالية التي تعرضت للانفاق الخاطىء، إلا أنها تعكس وجود هذه الظاهرة لدرجة أن المصادر تشير إليها والى مقاديرها حتى وإن كانت بسيطة.

وهناك مظاهر سلبية أخرى مثل الرشوة أعاقت الإدارة المالية الدقيقة ، وقد تعددت بعض الإشارات التي تعكس وجودها في حدود سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)[٢]، وقد حاول بعض الخلفاء التصدي لها مثل الخليفة المهتدي ضمن إطار مشروعه لإعادة هيبة الخلافة ، يعكس ذلك قول بعض المتظلمين في مجلسه بعد أن أنصفه الخليفة:

لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يُبالي غُبن الخاسر[٣]

وللقضاء على هذه المظاهر، فقد نُصح الخلفاء بضرورة السخاء والبذل على أصحاب الدواوين وتوفير حاجتهم بل وما يزيد عنها ، من خلال منحهم الأرزاق والخيل والملابس وغيرها، حتى تملأ أعينهم بها ولا ينظرون إلى الرشوة أو الصلات من أصحاب المصالح والمطالب[٤]، وهو سبيل ناجح للقضاء على مثل هذه الظاهرة ومنهج مفيد أيضاً لكسب ولاء العُمال والولاة.

أما بالنسبة لإدارة بيت المال، فقد حظيت تدابير الدولة باهتمام الخلفاء من خلال الإلتزام

(١) الصابىء، الهفوات النادرة، ص١٧١.

(٢) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٤١.

(٣) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١٣٦.

(٤) العباسي، الحسن بن عبدالله (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)، آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٧٨م، ص٧٢،٧٥ . وسيشار له لاحقاً : العباسي، آثار الأول؛ الإسكافي ، محمد بن عبد الله الخطيب ( ت٤٢١هـ / ١٠٣٠م ) ، لطف التدبير ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٦-٧ . وسيشار له لاحقاً : الإسكافي ، لطف التدبير .

بإحترام كتّاب بيت المال، فمثلاً لم يستطع الوزير أبو العباس الخصيبي ( ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م )[١] الحصول على المال للخليفة المقتدر في سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) بعد أن رفض صاحب بيت المال التوقيع له على أخذه[٢]، وهذا التشديد في أمر صرف الأموال لعله يُفسر أحياناً توفر مبالغ مالية في بيت المال، بالرغم من الأحداث السياسية الخطيرة كهجمات القرامطة مثلاً، فقد أشير إلى وجود خمسمائة ألف دينار في بيت المال سنة (٣١٥هـ/٩٢٧) على الرغم من شدة هجمات القرامطة على العراق [٣]، مع ملاحظة بأن القدرة على ضبط إدارة بيت المال ربما ترتبط أحياناً بقوة وهيبة الخليفة العباسي نفسه ، إذ نجد مثلاً أن أمير الأمراء ابن رائق (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) كان بيده في سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) أمر أموال بيت المال زمن الخليفة الراضي ، حتى أصبح له كاتباً خاصاً ينظر له فيها[٤]، ويتصرف بأموالها كما يشاء.

**٢) ديوان النفقات .**

يختص هذا الديوان بكافة نفقات الدولة ، ويرتبط بشكل أساسي ببيت المال الذي تحفظ فيه التواقيع والسجلات الثابتة الدالة على صحة المصروفات ودقتها [٥]، ويحتوي ديوان النفقات على عدد من المجالس أو الإدارات التي يختص كل واحداً منها بجانب من جوانب نفقات الدولة، وهي

---

(١) أنظر ترجمته عند : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ ، ص٢٩٢- ٢٩٣.

(٢) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٧٧.

(٣) المصدر نفسه ، ج٥، ص٢٥٥.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٣- ٢٨٤.

(٥) العباسي، آثار الأول ، ص٧٤؛ الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص٢١٥؛ الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٧٨. وسيشار له لاحقاً: الدوري، النظم الاسلامية.

ستة مجالس[١]، مجلس الجاري ويهتم بإدارة ومتابعة المصروفات الخاصة بدار أو قصر الخلافة وأرزاق الحشم حيث تقدر لهم فيه شهور خاصة للعطاء[٢]، ومجلس الأنزال: ويختص بالمؤن التي تزود بها دار الخلافة ، حيث يحاسب عن طريقه التجار الذين يقومون بتزويد دار الخلافة بما تحتاجه من اللحوم والفاكهة والحطب، ومجلس الكراع[٣]: وهو المسؤول عن الحيوانات في اصطبلات الخلافة وما تحتاجه من العلوفات ، ويحاسب كذلك التجار القائمين على تزويد هذه الإصطبلات بما تحتاج ، ومجلس البناء والمرمة : وهو الذي يهتم بنواحي العمران والإصلاح المتعلقة بالمباني العامة للدولة حيث يتوفر فيه العديد من المهندسين البارعين[٤]، ومجلس بيت المال ويختص بالنظر بالسجلات والدفاتر المتعلقة بنفقات الديوان، ومجلس الحوادث الذي يختص بالنفقات الطارئة غير المنصوص عليها في الديوان، وقد أرفق به أيضاً مجلس خاص بالإنشاء والتحرير ونسخ الكتب الصادرة عن الديوان.

وقد أصبحت مهمة هذا الديوان في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تشمل نفقات دار الخلافة ونفقات الدواوين المركزية الأخرى[٥]، وقد شمل عمل صاحب هذا الديوان الإشراف على دواوين أخرى مثل ديوان الضياع إضافة إلى عمله في إدارة ديوان النفقات ، فمثلاً كان إبراهيم بن

---

(١) للمزيد عن هذه المجالس أنظر: قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٣-٣٥، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١-٣٢؛ الحياري، مصطفى، الدواويين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الكاتب، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦م ، ص٢٨-٣٠. وسيشار له لاحقاً: الحياري، الدواويين.

(٢) تتراوح شهور الرزق أو العطاء من ٣٠-٥٠ يوم إلا أن المشهور هو ٤٥ يوماً. الحياري، الدواويين، ص٥٩.

(٣) الكراع: هي السلاح وقيل اسم يجمع الخيل والسلاح. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرع).

(٤) برز العديد من المهندسين في القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي ممن كان لهم دور في تشييد النواعير والطواحين وغيرها من الالات الميكانيكية في العراق، للمزيد أنظر: قنواتي، جورج، تاريخ كيمبردج للإسلام (المجتمع والحضارة الاسلامية)، ترجمة خالد أحمد حسنين، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٥٦. وسيشار له لاحقاً: قنواتي، تاريخ كيمبردج.

(٥) غيداء خزنة كاتبي، الخراج، ص٢٦١.

العباس الصولي (ت٢٤٣هـ/٨٥٧م) على ديوان النفقات والضياع في سامراء[١]، وذلك للمهارات المتعددة التي يتمتع بها نظراً لتعدد اختصاصات هذا الديوان ، من هنا كان على صاحبه الدراية بالمكاييل والأوزان ومعرفة الأسعار وأصناف الملابس والمطاعم وغيرها[٢]، لذلك فإن هذا المستوى من المعرفة هو الذي جعل الخلفاء العباسيين يحرصون على أن يرافقهم في تنقلاتهم وجولاتهم بين الأقاليم أصحاب الدواوين[٣]، للإشراف من خلالهم على أحوالها والقيام بمتابعة ما فيها من مصالح وأعمال .

**٣) ديوان الخراج .**

يُعد هذا الديوان من أهم دواوين الدولة الإسلامية ، بإعتباره مسؤولاً عن إدارة مواردها ومراقبتها حتى قيل عن الخراج : "هو كالبستان للملك وصاحب الخراج – أي واليه – كالفلاح المقيم بوظائف مصالح البستان"[٤]، ويقع على عاتق هذا الديوان حل جميع المشاكل أو المسائل المتعلقة بهذه الضريبة ، لذلك كان هناك اهتمام بمهارة وحذاقة العاملين فيه ، بل وضرورة امتلاكهم الدراية الحسابية الجيدة خاصة بما يتعلق بعقود الضمانات والقبالات[٥].

وقد تشكل هذا الديوان من مجموعة من المجالس أو الإدارات وهي مجلس الأصل (وهو سجل تحفظ

(١) وعند وفاته سُلم كل ديوان منهما لشخص معين مما يدلل على قدرته وحسن تدبيره التي ربما لم تكن تجتمع عند غيره من الكتّاب للمزيد أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٠٩، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص١٦٤، ١٨٧.

(٢) العباسي، آثار الأول، ص٧٢.

(٣) عباس، احسان، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، الجامعة الأردنية ، عمان، ١٩٩٢م، ص١١٣. وسيشار له لاحقاً: عباس، تاريخ بلاد الشام.

(٤) العباسي، آثار الأول، ص٧١.

(٥) القبالة : القبيل لغة هو الكفيل ، ويقصد به محصل الضرائب والخراج وأموال الدولة . بن فريعون، جوامع العلوم، ص١٢٠–١٢٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة ( قبل) ؛ محمد، الألقاب وأسماء الحرف، مج٢، ص ٦٧١.

به أسماء الأراضي الخراجية) والحساب والتفصيل والجهبذة[١]، والإسكدار[٢]، بالإضافة إلـــى مجلـــس الإنشاء والتحرير الخاص بإصدار العقود والمكاتبات[٣]. ولتنظيم ديوان الخراج فقد وجد ديوان مركزي في العراق ، ودواوين أخرى فرعية في مختلف الأقاليم تخضع في إشـــرافها ورقابتهـــا إلـــى الـــديوان الرئيسي، وقد تطورت تلك الدواوين في نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ليصبح هناك ديوان للمشرق وآخر للمغرب[٤]، وهو نوع من التنظيم ظهر بسبب اتساع مساحة الدولة ، وحدوث حالات من الإضطراب السياسي في بعض الأنحاء توجب ضبطها، وقد اتسعت مهام ديوان الخراج في الولايـــات التابعة للدولة العباسية لتشمل أيضاً مهام ديوان النفقات إضافة إلى وظيفتـــه الأساســـية وهـــي جبايـــة الخراج[٥]، من هنا نجد أن هذا الديوان ركيزة مهمة في الإدارة المالية حيث يوفر الوارد المالي الأبـــرز للدولة، خاصة في فترة سياسية مضطربة تتطلب الكثير من الأموال.

## ثالثاً : واردات الدولة المالية .

تعتمد الدولة العباسية في تغطية إحتياجاتها على موارد مالية عدة، من أهمها :

### ١) ضريبة الأرض ( الخراج ) .

---

(١) الجهبذة: الناقد العارف للنقود الجيدة من الرديئة، واستخدم في الدولة العباسية للإشارة للمسؤول المالي القائم على تولي أمر الواردات المالية وتدقيق السجلات المتصلة بها. للمزيد أنظر: التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص٥٧؛ غيداء خزنة كاتبي، الجهبذة في العراق وتطورها حتى القرن الرابع الهجري، مجلة دراسات ، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية ، مج٢٦، عدد٢، ١٩٩٩م، ص٣٧٤. وسيشار له لاحقاً: غيداء خزنة كاتبي، الجهبذة.

(٢) الإسكدار: وتعني في الفارسية حامل الرسالة ، ويقصد بها المدرج الذي يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الواردة والنافذة وأسامي أصحابها. الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص٦٤، التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص١١.

(٣) الحياري، الدواويين، ص٢٢-٢٣.

(٤) ظهر تقسيم المشرق كناحية إدارية على بعض النقود ونُقش عليها ( مكان الضرب المشرق ) . أنظر مثلاً: الصولي، ما لم ينشر من أوراق الصولي، ص٧٠؛ الصابىء، الوزراء ، ص١٤٩؛ دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٧٣،١٥٥ .

(٥) غيداء خزنة كاتبي، الخراج، ص٢٦١.

يعود جذر كلمة الخراج في اللغة إلى ( خَرج ) ، وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم [١] ، أما عن أصل كلمة الخراج فقد تعددت الآراء في ذلك فقيل أن أصلها من كلمة طسق[٢]، التي أخذت من الكلمة السريانية (Tasq)، وقيل بل أصل الكلمة آكادي[٣]، في حين تجدر الإشارة إلى ورود بعض الإشارات في النقوش اليمنية القديمة ( المعينية ) تُفيد دلالتها على وجود ضـــريبة تؤخذ على الأرض والثمار، فقد جاء في أحد النقوش ، ما نصه :

(١) وقهئيل صادق ملك معين

(٢) وضرائب أو عشور أرض [٤] .

وفي نقش آخر ورد ما نصه :

(١) ...... من ضريبة بواكير الثمار [٥] .

مما يُشعر بوجود خبرة محلية في الجزيرة العربية لمفهوم ضريبة على الأرض ، إلى جانب الحديث عن وجود إدارة مالية لها تشبه ربما ديوان الخراج ، حيث ورد في أحد النقوش أيضاً ، ما نصه :

(١) إدارة وإمارة الضرائب [٦] .

والخراج بمفهومه ما يدفعه الزارع أجرة مقابل إستغلاله للأرض ، فرضها الخليفـــة عمـــر بـــن

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( خرج ).

(٢) الطسق: الوظيفة التي توضع على أصناف الزروع لكل جريب وهي بالفارسية تشك وهي الأجرة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩.

(٣) وللمزيد عن أصل الكلمة أنظر: غيداء خزنة كاتبي، الخراج، ص٩٩.

(٤) أنظر نقش رقم (١٢٣ ) عند : نامي، خليل يحيى، نقوش خربة براقش، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٣٢. وسيشار له لاحقاً: نامي، نقوش براقش .

(٥) أنظر نقش رقم (١٣٣ ) عند : نامي ، نقوش خربة براقش ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٥٤م، ص٣٢.

(٦) أنظر نقش رقم (١٣٠ ) عند : نامي ، نقوش خربة براقش ، ١٩٥٤م ، ص٩٨.

الخطاب بقوله: "وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج" [١] ، وقد سارت الدولة العباسية في جباية هذه الضريبة على نظام المساحة الذي يعتمد علـــى مســـاحة الأراضـــي المزروعة [٢]، ثم أعيد النظر في هذا النظام إلى نظام آخر هو نظام المقاسمة الذي يعتمد فـــرض الخراج على مقدار ما تنتجه الأرض [٣] .

واتجهت جهود بعض الخلفاء العباسيين نحو محاولة ضبط عمليات جباية الخراج والتسهيل على دافعي الضريبة. بإجراءات كان منها إعادة مسح بعض الأقاليم فقد وجه الخليفة المتوكـــل فـــي ســـنة (٢٤٠هـــ/٨٥٤م) أحمد بن محمد بن المدبر (ت٢٧٠هـــ/٨٨٣م) إلـــى دمشـــق والأردن لمســـحها وتعديل الخراج فيها [٤]، ولم يحصل بعد ذلك مسح آخر في أي من أقاليم الدولة خلال فترة الدراســـة. ومن الجهود الأخرى المتعلقة بالخراج قيام الخليفة المعتضد بتأخير موعد جباية الخراج إلى الحـــادي عشر من حزيران سنة (٢٨٢هـــ/٨٩٥م) بما عرف (بالنيروز المعتضدي) [٥]، وقد جاء ذلك بمشورة قدمت له من يحيى بن علي المنجم (ت٣٠٠هـــ/٩١٢م) الذي ذكر للخليفة المعتضد مساعي الخليفـــة المتوكل للقيام بهذا الأمر إلا أن مقتله حال دون ذلك [٦]، ويظهر أن الخليفة المعتضد قد رأى جدوى هذا الأمر للتخفيف على الناس فأمر بتنفيذه ، هذا إلى جانب اجراء آخر وافق عليه تحقيقاً للمصلحة

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص١٤٦.

(٢) للمزيد عن نظام المساحة أنظر : القرشي ، يحيى بن آدم ( ت ٢٠٣هـــ/ ٨١٨م) ، الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٢ . وسيشار له لاحقاً : القرشي ، الخراج ؛ ترتون ، أ، س، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، ط٢ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٥٤-٢٥٥ . وسيشار له لاحقاً : ترتون ، أهل الذمة.

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٢٩ ؛ غيداء خزنة كاتبي ، الخراج ، ص١٨٤ ؛ الكبيسي، الزراعة والري، ص٤٩-٥٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٩٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٣٩؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٤٩٨؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي ، ص٥٢ ؛ غيداء خزنة كاتبي، الخراج، ص١٩٧؛ الكبيسي، الزراعة والري، ص٥١-٥٢.

(٦) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٦-٤٧.

العامة أيضاً ، وهو الأمر بمسامحة بعض الولاة بأموال كان من الواجب دفعها لخزينة الدولة بعـدما اتضح له قيامهم بانفاقها على الفقراء والمساكين والمستورين[١]، معتبراً هذه النفقـات مـن أبـواب النفقات التي يسمح بها أحيانا للولاة دون أن تكون تصرفات يجب أن يعاقبون عليها.

ولكن يبدو أن تلك الإجراءات للتخفيف على العامة ، لم تشمل كافـة منـاطق الدولـة ، فقـد استمرت شكاوى الأهالي المتكررة للتخفيف من الضرائب المفروضة عليهم، فقد طالب أهالي بعض المناطق أيام الخليفة المقتدر تخفيف الخراج عنهم[٢]، إلى جانب تظلمهم من قيام الجبـاة بحسـاب الخراج على المساحة والغلّة (المزروعات) ما تزال فيها، دون التنبه أن مقدار الغلّة قد ينقص بعـد الحصاد[٣]، وقد حاول بعض الوزراء تدارك هذا الأمر لمصلحة الدولة أيضاً ، يقول الـوزير أبـو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) " إن الإحسان إلـى الرعيـة يزيـد فـي ارتفاعـه – أي الخراج"[٤]، ولكن مثل هذا الإجراء لم يجري بعد هذه السنة في أي أقاليم الدولة العباسية خلال فترة الدراسة، لذلك نستشعر الكثير من الشكاوى على زيادة مقادير الخراج.

واجهت الدولة مشاكل أخرى أثرت في مقدار جباية الخراج ، ومنها تأخر البعض عن دفع الخراج المفروض عليهم، مما يترتب عليه نقل الخراج إلى سنة مالية قادمة، الأمر الذي يؤدي إلى نقـص فـي مبالغ الخراج المجباة في السنة المالية، وهذه الظاهرة كانت واضحة في بعض أقاليم الدولة العباسية مثل ( مصر) في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فقد جاء في إحدى البرديات المؤرخة فـي سـنة (٢٩٩هـ/٩١١م) ما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) الصابىء، الوزراء، ص٩٦.
(٢) أنظر مثل هذه الشكاوى: الصابىء، الوزراء، ص٢١٧؛ الصابىء، الهفوات النادرة، ص٢١٥.
(٣) الصابىء، الوزراء، ص٢٧٢-٢٧٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص٢٢٣.

أدى سعدون بن أبي حمزه الحداد عن الخراج سنة تسع المنقولة عن سنة ثمان وتسعين ومائتين"[١].

وفي نفس الوقت ، قد لا يسمح للأهالي في مناطق أخرى بمثل هذه التسوية المالية دائماً، بل يطالبون أحياناً بخراج سنوات مُبهمة الأمر الذي يضر بهم وبقدرتهم على الزراعة واستصلاح الأراضي، فقد تمت مطالبة أهالي واسط في سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) بخراج سنة مُبهمة أي إضافية ومن يرفض منهم ذلك كان يتعرض للحبس[٢] ، كذلك قام الوزير اسماعيل بن بلبل (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) بجبي خراج السواد لسنتين في سنة لحاجة الدولة العباسية للأموال[٣] ، بسبب الأوضاع السياسية المضطربة، تلك الأوضاع التي أثرت في قدرة الدولة على جباية الخراج .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض أقاليم الدولة الشرقية رافق عمليات جبي الخراج فيها إجراءات إدارية مالية عديدة مثل إختلاف مواعيد جباية الخراج [٤] ، والتي ترتبط أحياناً بطبيعة المنطقة التي قد يساعد ارتفاع حرارة المناخ فيها إلى نضج المزروعات مبكراً [٥] ، مما يبرر أحيانا إلى بعض عمليات التغيير في مواعيد الجباية نتيجة لمثل هذه الحالات .

وتأثرت قدرة الدولة على جباية الخراج، نظراً لقيام عدد من الخارجين على الدولة بجباية خراج مناطقهم ، فقد جبى الطالبي الحسن بن زيد سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م) خراج آمل[٦] ، كما منع

---

(١) محمد، الألقاب وأسماء الحرف، مج٣، ص١٣٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٩.

(٣) الصابىء، الوزراء، ص١٣.

(٤) عن مواعيد خراج بعض المناطق أنظر: أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٩١-٩٢.

(٥) الجالودي ، عليان ، عبد الفتاح ، الرسالتان الأولى والثانية للرحالة أبي دلف الخزرجي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : عرض وتحليل ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، عمان، ٢٠١٥م ، مج٩ ، عدد٢ ، ص ٣٣ . وسيشار له لاحقاً : الجالودي ، أبو دلف .

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٧٤.

آخرون وصول أموال الخراج إلى خزينة الدولة في العراق واستخدامها في أقاليمهم كما حصل في سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م) ، عندما سيطر البعض على أموال الخراج القادمة من مصر ، وقدموها جوائز للجماعات التي قامت بقطع طرق القوافل التجارية المتنقلة بين مصر والعراق[١] ، كذلك فقد رافق الأوضاع المضطربة أعمال تخريب و تدمير للأراضي والضياع، مما قلل من قدرتها على الإنتاج وتراجع وارد خراجها كما حدث في سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) في منطقة الري[٢] ، وفي غيرها من أقاليم الدولة الشرقية التي عانت من إضطراب الخراج فيها.

اضافة إلى قيام بعض القادة في عهد الخليفة المستعين (٢٤٨هـ-٢٥٢هـ/٨٦٢م-٨٦٦م) ببيع بعض تلك الضياع لأمراء الدويلات المستقلة مثل أمراء الدولة السامانية الذين عوضوا أثمانها التي دفعوها من بيوت أموالهم من واردات السنة الأولى لتلك الضياع[٣] ، والتي على ما يبدو مرتفعة .

ومن ناحية أخرى أضر بالخراج النقص في كفاءة عدد من المساح والكتّاب وغيرهم من القائمين على متابعة أمر الخراج، فقد أشار البوزجاني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) إلى تساهلهم في عمليات مسح الأراضي[٤]، وإلى عدم معرفتهم ببعض العلوم كالحساب خاصة [٥] ، وقد تنبهت الدولة إلى ذلك من خلال الأوامر التي كانت توجه إليهم ، فقد أمر الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) الكتّاب بضرورة إصلاح جميع الإجراءات المرتبطة بالخراج ، بما في ذلك التقيد بتسجيل مقادير الغلات ومعدلات جبايتها ضمن سجلات خاصة[٦] ، منعاً للتلاعب بها ، وهو أمر كان واضحاً في العديد من المناظرات والمقابلات التي كان يتعرض لها العمال المصادرين في

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٥٠٢.
(٢) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٠٢.
(٣) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٤٧.
(٤) البوزجاني، المنازل السبع، ص٢٠٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص١٢٠.
(٦)الصابيء، الوزراء، ص١٤٦.

القرنين الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي.

وتعكس قوائم الخراج والتي تعود لفترة الدراسة ، بعض الإشارات عن حقيقة الأوضاع المالية للدولة ، كما تبين نظام جباية الخراج وتفاوت مقداره بين الأقاليم، وذلك بسبب تأثير الأوضاع الإدارية والسياسية على عمليات الجباية .

وفيما يلي رصد لقائمة ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) التي توضح مقدار خراج العراق في سنة ( ٢٣٢هـ/٨٤٧م) :

| الناحيـــــــة | الحنطة (بالكر) | الشعير (بالكر) | الورق/الدرهم |
|---|---|---|---|
| طسوج الأنبار | ٢٣٠٠ | ١٤٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| قطربل | ٢٠٠٠ | ١٠٠٠ | ٣٠٠,٠٠٠ |
| مسكن | ٣٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| بادوريا | ٣٥٠٠ | ٢٠٠٠ | ٢,٠٠٠,٠٠٠ |
| بهرسير | ١٩٠٠ | ١٧٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| الرُّومقان | ٣٣٠٠ | ٣٠٥٠ | ٢٥٠,٠٠٠ |
| كوثي | ٣٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| نهر درقيط | ٢٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ٢٠٠,٠٠٠ |
| نهر جوبر | ١٧٠٠ | ٦٠٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| نهر الزوابى | ١٤٠٠ | ٧٢٠٠ | ٢٥٠,٠٠٠ |
| بابل وخطرنيه | ٣٠٠٠ | ـــــــــ | ٣٥٠,٠٠٠ |
| الفلوجه العليا | ٥٠٠ | ٥٠٠ | ٧٠,٠٠٠ |
| الفلوجة السفلى | ٢٠٠٠ | ٣٠٠٠ | ٢٨٠,٠٠٠ |
| النهرين | ٣٠٠ | ٤٠٠ | ٤٥,٠٠٠ |
| عين التمر | ٣٠٠ | ٤٠٠ | ٤٥,٠٠٠ |
| الجبة والبداة | ١٢٠٠ | ١٦٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| سور أبو برسيما | ٧٠٠ | ٢٤٠٠ | ١٠٠,٠٠٠ |
| باروسما ونهر الملك | ١٥٠٠ | ٤٥٠٠ | ٢٥٠,٠٠٠ |

| السيبين والوقوف | ٥٠٠ | ٥٥٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
|---|---|---|---|
| فرات بادقلى | ٢٠٠٠ | ٢٥٠٠ | ٩٠٠,٠٠٠ |
| السيلحين | ١٠٠٠ | ١٧٠٠ | ١٤٠,٠٠٠ |
| روذمستان وهرمز حرد | ٥٠٠ | ٥٠٠ | ١٠,٠٠٠ |
| طسوج نستر | ١٢٥٠ | ٢٠٠ | ٣٠٠ ،٠٠٠ |
| ايغار يقطين | – | – | ٢٠٤,٨٤٠ |
| كورة كسكر | ٣٠٠٠ | ٢٠٠٠ مع الأرز | ٢٠٠,٠٠٠ |
| الجانب الشرقي ويشمل: طسوج بزر جسابور | ٢٥٠٠ | ٢٢٠٠ | ٣٠٠,٠٠٠ |
| الرذانين | ٤٨٠٠ | ٤٨٠٠ | ١٢٠,٠٠٠ |
| نهر بوق | ٢٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠,٠٠٠ |
| كلوذاي ونهر بين | ١٦٠٠ | ١٥٠٠ | ٣٣٠,٠٠٠ |
| جازر والمدينة العتيقة | ١٠٠٠ | ١٥٠٠ | ١٤٠,٠٠٠ |
| روستقباذ | ١٠٠٠ | ١٤٠٠مع الدخن | ١٧٠,٠٠٠ |
| مهروذ وسلسل | ٢٠٠٠ | ٢٥٠٠ | ٢٥٠,٠٠٠ |
| جلولا وجُللتا | ١٠٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠.٠٠٠ |
| الذيبين | ٧٠٠ | ١٣٠٠ | ٤٠,٠٠٠ |
| الدسكرة والرستاقين | ٢٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ٧٠,٠٠٠ |
| براز الروز | ٣٠٠٠ | ٥٥٠٠ | ١٢٠,٠٠٠ |
| البندنجين | ٦٠٠ | ٥٠٠ | ١٠٠,٠٠٠ |
| النهروان الأعلى | ٢٧٠٠ | ١٨٠٠ | ٣٥٠,٠٠٠ |
| النهروان الأوسط | ١٠٠٠ | ٥٠٠ | ١٠٠,٠٠٠ |
| النهروان الأسفل | ١٠٠٠ | ١٢٠٠ | ١٥٠,٠٠٠ |
| بادرايا وباكسايا | ٤٧٠٠ | ٥٠٠٠ | ٣٣٠,٠٠٠ |
| شاذ فيروز (حلوان) | – | – | ١,٨٠٠,٠٠٠ |
| المجموع | ٧١,٦٥٠ | ١١٢,٠٥٠ | ١١,٥١٤,٨٤٠[١] |

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٨-١٤؛ غيداء خزنة كاتبي، ص١٩٦؛ الريس، الخراج، ص٤٩٩.

تعود القائمة إلى عهد الخليفة الواثق، وتُشير إلى وجود نوع من المؤشرات عن الضبط المالي في عهده رغم نفوذ القادة والجند الترك، دلّ على ذلك تقارب معدل وارد خراج بعض المناطق في عهده بمعدل الخراج في عهد الخليفة الذي سبقه وهو المعتصم[١]، وهذا يظهر نوعاً من سيطرته على الإدارة المالية في بداية خلافته ، ومن مؤشرات سيطرته أيضاً استمرار سلطته على أصحاب (الإيغارات) الذين يفترض أن يكونوا من رجال الدولة البارزين الذين حصلوا على إعفاء من الدولة عن غلات أراضيهم مقابل مبلغ وصف بالقليل إلى بيت المال[٢]، إلا أن ما تشير إليه القائمة يظهر غير ذلك إذ نجد أن المبلغ الذي يُدفعه أصحاب الإيغارات كان كبيراً كما هو الحال عن ايغار يقطين[٣] .

من جهة أخرى نجد أن خراج منطقة بادوريا مرتفعاً، وكان أكثر ملاك الأراضي فيها من الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة[٤]، حتى قيل عن كتابة الخراج فيها ومكانة القائم عليها : "من استقل من الكتّاب ببادوريا استقل بديوان الخراج ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة "[٥]، وجميع هذه دلائل تؤكد حسن إدارة وضبط الخراج، وسلطة الدولة على ملاك الأراضي بمن فيهم كبار رجال الدولة .

أما فيما يخص طريقة دفع الخراج فتظهر القائمة أنه كان عيناً ونقداً ، حيث تدفع النواحي غلّة أراضيها من القمح والشعير والأرز والدخن، والتي كانت على ما يبدو وافرة ، حتى ارتبط اسم بعض هذه النواحي بأسماء ما ينتج فيها فقيل عن كسكر مثلاً (بلد الشعير)[٦] ، ويلاحظ من القائمة

---

(١) كان خراج بعض المناطق أيام المعتصم (٣,٤٠٠,٠٠٠) ثم نقص في عهد الواثق إلى (٣,٣٠٠,٠٠٠) درهم. اليعقوبي، البلدان، ص٣٧.

(٢) عن الإيغار أنظر ص (٨٦) من الرسالة.

(٣) أنظر ما يدفع عن إيغار يقطين في القائمة .

(٤) عن طبيعة ملاك الأراضي فيها أنظر ص (٩١) من الرسالة.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (بادوريا)، مج١، ص٣٧٧.

(٦) المصدر نفسه، ، مادة (كسكر)، مج٤، ص٥٢٣

أيضاً أن بعض المناطق قد دفعت خراجها نقداً ، كما هو حال ( شاذ فيروز ) ، مما يعني أن خراج المقاسمة وبعد فترة من إقراره كطريقة لجباية الخراج لم يتم تطبيقه في كافة مناطق الدولـــة ، أمـــا فيما يتعلق بوحدة النقد التي يدفع بها الخراج، هي الدراهم، فهو أمر يبدو شائعاً في خلافة الواثـــق، فقدر مثلاً خراج الولايات التي كان عليها الأمير عبدالله بن طاهر (ت٢٣٠هـــ/٨٤٤م) بالدراهم[١].

أما القائمة الثانية وهي قائمة الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـــ/٩٤٦م)، فقد وردت لدى ابـــن حمـــدون (ت٥٦٢هـــ/ ١١٦٦م) ثم لدى كريمر(Kremer) متضمنة إشارات إلـــى الأمـــاكن ومقـــدار إرتفاعاتهـــا كالآتي[٢]:

| المكان | ابن حمدون | كريمر |
|---|---|---|
| أموال السواد وطساسيجه وصدقات أراضي العرب بالبصرة والمراكب بها وسائر ما ينسب إليها ويجري معها. | ١,٨٤٧,٧٣٤ | ١,٥٤٧,٧٣٤ دينار |
| بادوريا وكلوذاي ونهر بين | ١٦٦,٢٨٦ | ١٦٦,٢٨٣ |
| الأنبار وقطربل ومسكن وحربى | ١٩٣,٣٢٢ | ١٩٨,٣١٣ |
| بهر سير والرومقان وايغار يقطين وجازر والمدينة العتيقة | ٧٥,٨٧٨ | ٧٥,٥٧٦ |
| كوثي ونهر درقيط | ٢٥,٠٠٨ | ٢٥,٠٠٠ |
| الزاب الأعلى ونهر كشتاسب | ٩,٥٢٦ | ٩,٥٢٦ |
| الفلوجة العليا والأجمتان | ١٨,٤٣٦ | ١٦,٧٣٦ |
| الفلوجة السفلى والنهرين وعين التمر | ١٢,٨٨٥ | ١٣,٥٨٥ |
| السيب الأعلى وسورا ورتيسيما وبابل وخطرنيه وباروسما الأعلى | ١٤٠,٢٥٩ | ١٤٠,٢٥٩ |

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٥، ص٥٠٢.

(٢) ابن حمدون ، مخطوط التذكرة، ج١٢، ورقة ١٩٨– ٢٠٣.

Kremer , Ueber das Einnahmebudget das abbasiden p٢٦-٣٢, وأنظر : الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص١٨٧؛ غيداء خزنة كاتبي ، الخراج ،ص١٩٩–٢٠٠ ؛ بني ياسين، يوسف أحمد ، وعقلة ، عصام مصطفى، قائمة علي بن عيسى الجراح المالية ( ٣٠٦هـــ/ ٩١٨–٩١٩م) ،المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، عمان، مج٢، ع٢، ٢٠٠٨م، ص٥٦–٥٧. وسيشار له لاحقاً: بني ياسين و عقلة ، قائمة علي بن عيسى المالية .

| | | |
|---|---|---|
| نهر الملك وجوررما ونهـر جـوبر والأساسـان[١]، والمالكيات | ٣٣,٣٠٥ | ٣٨,٣٥٠ |
| باروسما الأسفل | ٤٨,٨٣٥ | ٤٦,٣٣٦ |
| طساسيج الكوفة والجوز[٢] | ١١٠,١٥٤ | ١١٠,١٥٤ |
| العمارات بسر من رأى | ٥,٢١٩ | ٥٠,٢١٩ |
| نهر بوق والدير الأسفل | ٢٠,٨٠٩ | ٢٠,٥٩٠ |
| بزر جسابور | ٢٤,٣٠٢ | ٢٤,٣٠٠ |
| الراذانان | ٣٠,١٣٥ | ٣٠,٠٣٥ |
| روستقباد | ١٢,٦٦٨ | ١٣,٦٦٦ |
| النهروان الأعلى وسبطنافي | ٤٨,٤٠٠ | ٤٦,٤٨٠ |
| النهروان الأوسط | ٤٠,٣٢٧ | ٤,٣٢٧ |
| النهروان الأسفل | ٦٠,٥٣٢ | ٦٠,٥٣٢ |
| الصلح والمبارك | ١٥٩,٠٨٩ | ١٥٩,٠٨٩ |
| بادرايا وباكسايا | ٤٢,٩٩٩ | ٤٢,٩٩ |
| ضمان واسط مع الخاصة والمستحدثة والعباسـية بعـد النفقات الراتبة | ٣٠٠,٧٢٠ | ٣١٠,٧٢٠ |
| البصرة وكور دجلة | ١٢٢,٠٩٥ | ١٢١,٠٩٥ |
| أموال الضمانات وما يؤدي عن فصول الايغارات ممـا ينسب إلى الأعمال المفردة | ٤٢,٧٥٠ | ٤٢,٧٥٠ |
| المراكب بالبصرة | ٢١,٨٧٥ | ٢٢,٥٧٥[٣] |
| النفاطة بالأنبار | ٧,٠٥٠ | – |
| القيادة بهيت | ٨,٢٥٠ | ٨,٢٥٠ |
| أسواق الغنم بمدينة السلام وسر من رأى[١] | ١٨,٩٧٥ | ١٦,٩٧٥ |

(١) ذكرها بعض الدارسين (الأساسيات). وقد تكون (الأساسان) لجري العادة على تسمية المناطق بذلك عند العرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الأساسان) مج١، ص٢٠٢.

(٢) ذكرها بعض الدراسين (الخور)، ونرجح أن تكون (الحوز) من قرى واسط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة ( الحوزُ)، مج٢، ص٣٦٥.

(٣) ربما كان المقصود بذلك عشور التجارة والرقم السابق يُقارب ما كان يُجبى في بعض مناطق العراق من عشور التجارة في سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) وهو (٣٠.٠٠٠) دينار
أبو المعالي الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٤.

| دور الضرب بمدينة السلام وسر من رأى وواسط والبصرة والكوفة | ٦,٣٧٥ | ٦٠,٣٧٠ |
|---|---|---|
| الجوالي بمدينة السلام | ١٨,٠٠٠ | ١٦,٠٠٠ |
| ما يؤدي بالحضرة من مال الايغارات بالسحر والمقاطعات | ١٢,١٧٤ | ١٣,٨٧٤ |
| مجموع جباية السواد (العشر والخراج بالدرجة الأولى) | ١,٨٣٦,٦٣٨ دنيار | ٢٠١٢٤٥٩ دينار |

تُظهر قائمة علي بن عيسى استخدام الدينار كوحدة نقدية في الدفع وهذا لا يعني بالضرورة عدم استخدام الدولة للدراهم في حساباتها المالية، بل نجد أن مقدار الخراج في بعض الأقاليم الشرقية للخلافة مثل بُخارى كان يُحسب بالدراهم[٢] ، كما أن حساب ما يتوفر في بيوت أموال الخلفاء بعد وفاتهم يقدر أحياناً إلى جانب الدنانير بالدراهم، فيذكر مثلاً أن الخليفة المكتفي ترك عند وفاته في سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م) في بيت ماله ثلاثين ألف ألف درهم[٣] ، كذلك نجد أن الفائدة على القروض المالية التي كانت تأخذها الدولة في حدود سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) كانت تحسب بالدراهم أيضاً[٤] ، إلا أن الغالب فيما يخص حسابات الدولة العباسية، يتجه نحو استخدام الدينار في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي [٥] ، ويرتبط هذا الأمر على ما يبدو بقيمة صرف السفاتج التي انتشر استخدامها في نهاية القرن الثالث والرابع الهجري / التاسع العاشر الميلادي[٦]، تكون دائماً بالدينار، كما أن حساب أجور العديد من عُمال الخراج مثل المساح كانت تحسب بالدينار: " في كل ألف

---

(١) هي الكتابة الصحيحة لإسم المدينة ويؤيدها الاسم المنقوش على النقود المضروبة في المدينة في العصر العباسي ، وهي قيمة إضافية لغوية تفيدنا بها القائمة . أنظر الخلاف في كتابة الاسم عند : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مادة( سامراء) ، مج٣، ص١٩٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠ ؛ دفتر، الدرهم الاسلامي، ١٤٧-١٤٨.

(٢) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٥٤.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥ ، ص١١٧.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٩٢.

(٥) غيداء خزنة كاتبي، الخراج، ص٢٠٠-٢٠١.

(٦) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٢١٣.

جريب (يساوي: ١٥٥٧متر) أربعة دنانير" [١] .

ويرتبط أمر استخدام الدينار بأسباب أخرى ذات صلة بالمعدن وتوفره سواء كان ذهباً أو فضة ، فقد تعرضت العديد من مناجم الفضة التي تعتمد عليها دور الضرب في العراق إلى الخراب[٢] ، كما أن الكثير من هذه المناجم كان يُعاني من مشكلة في نقص الحطب الذي يستخدم لصهر خاماتها [٣] ، الأمر الذي جعل أهالي الولايات الشرقية أنفسهم يعانون من نقص الفضة لديهم[٤] ، وفي مثل هـذه الظروف يكون استخدام الدنانير أكثر ضماناً من الدراهم التي لحق بها بسبب نقص الفضة، الكثير من الغش والتزييف في العراق . وقد حاولت الدولة ضبط الدراهم المضروبة في العراق ما بين سنة (٣٠١هـ-٣٠٦هـ/٩١٣م-٩١٨م) ومنع التلاعب بها من خلال رموز وضعتها على الدراهم شكل الهلال(^) ، أو حرف (د) أو غيرها[٥] وهذا يشعر بوجود مشكلة التزييف في تلك الفترة ، ومحاولة الدولة مواجهتها، وبالتالي اتجاهها نحو استخدام الدينار كما يظهر في القائمة .

ويلاحظ من القائمة، أن جباية الخراج كانت نقداً دون الإشارة إلى الغلال، وهذا لا يعني بالضرورة عدم أخذ الدولة لها كجزء من ضريبة الخراج، فقد دفع الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) في بعض السنوات السابقة لوزارته للمقتدر كميات من الغلال عن ضمانه للنهروان [٦] .

كما كان غيره أيضاً يرفع مقادير معينة من الغلال عن ضمانه لواسط[٧] ، والتي يظهر من القائمة

---

(١) البوزجاني، الحاوي للأعمال السلطانية، ص٣٣.

(٢) أشير إلى خراب بعضها سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) أنظر: الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص٩٠.

(٣) متز، الحضارة الإسلامية ، مج٢ ، ص٣٢٣.

(٤) النرشخي، تاريخ بخارى، ص٥١.

(٥) العش، محمد أبو الفرج، النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني، وزارة الاعلام، الدوحة، ١٩٨٤م، ص٥٢٧، ٥٣٩، ٥٤١.

(٦) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٧) الصابىء، الوزراء، ص٩٦.

مدى أهميتها في إمداد خزينة الدولة بالأموال لإنتشار الضياع الخصبة فيها، فقد ذُكــر أن الــوزير حامد بن العباس (ت٣١١هـ/٩٢٣م) كان يرفع منها أيام ضمانه لها ولمدة أربع سنوات ما مقداره ألفين وأربعمائة كرّ (الكر يساوي: ٢٩٧٩ كيلو غرام) في كل سنة[١]، وعلى ما يبدو فــإن حاجــة الدولة المستمرة إلى القمح والشعير ، والتي تزود بها جيوشها توجب وجود مثل هذا النــوع مــن الإرتفاعات[٢]، ولكن قد تتجه الدولة إلى بيع تلك الغلات في سنة ما نتيجة لحاجتها للمال وهو أمر مألوف [٣]،مع ضرورة مراقبة وارد الخراج بدقة ، إذ أن الكثير من واردات الخراج من الغلال، لا يتم تسجيلها في سجلات الكتّاب أحياناً [٤]، وهو ما حصل في خلافة المقتدر دلــت عليــه بعــض مناظرات المصادرين .

**٢) ضريبة الرأس ( الجزية )**

جاء فرضها بالنص القرآني لقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [٥]، يأخذها الإمام من أهل الذمة[٦] في كل عام، لتأمين حمايتهم وحفظ أموالهم وممتلكاتهم فبها تحقن دماؤهم وتُحرم أموالهم على المسلمين ، وتسقط الجزية عن أهل الذمة

---

(١) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٧٧.
(٢) المصدر نفسه ، ج٥، ص٢٤٦-٢٤٧.
(٣) الصابىء، الوزراء، ص٢٠٩.
(٤) أنظر مثلاً: الصابىء، الوزراء، ٩٦، ١٠٨.
(٥) سورة التوبة، آية (٢٩).
(٦) أهل الذمة: هم أهل العهد ، أي العهد من الإمام أو ممن ينوب عنه بالأمن على أنفسهم نظير التزامهم بالجزية ونفوذ أحكام الإسلام وتحصل الذمة بأهل الكتاب ومن في حكمهم بالعقد أو القرائن أو التبعية ، وقد أخذها منهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء المسلمين . أنظر: عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، ٣ اجزاء ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ج١ ، ص٣٣٠. وسيشار له لاحقاً : عبد المنعم ، معجم المصطلحات الفقهية ؛ محمد، الألقاب وأسماء الحرف، مج١، ص١٧٣.

بإسلامهم[١] . ورد اسم الضريبة في بعض القوائم المالية جزية رؤوس أهل الذمة[٢] ، ويُطلق عليها أيضاً اسم خراج الرقاب أو الجوالي أو مال الجماجم[٣] .

أما مقداراها فعلى الأغنياء من أهل الذمة (٤٨) درهماً وتشمل الموسرين من أصحاب الأعمال والمهن ، وعلى الطبقة الثانية أو الوسطى (٢٤) درهماً، وعلى الطبقة الثالثة (المدقع أو الفقير) من العاملين بأيديهم مثل الخياط والإسكافي (١٢) درهماً[٤] .

وتدل بعض الإشارات إلى تمييز واضح بين دافعي الجزية في الدولة على أســـاس مهـــنهم أو أعمالهم، حيث تورد بعض البرديات وصفاً لمهنة دافعي هذه الضريبة في القرن الثالث الهجـــري / التاسع الميلادي في مصر[٥] ، كما تُشير الروايات إلى ما يشعر بوجود مثل هذا التميز في العراق أيضاً، حيث ورد في كتاب الخليفة المتوكل إلى عماله سنة (٢٣٥هــ/٨٤٩م) ما نصه : " ليقتصـــر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها"[٦] ، وهـــذا يُفهم منه أنه تم تقسيمهم إلى طبقات أو أصناف لتسيير المعاملات المالية للدولـــة معهـــم، رافقهـــا

---

(١) أبو عبيد، الأموال، ص٦٧ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية، ص١٤٢.

(٢) ابن حمدون ، مخطوط التذكرة ، ج١٢، ورقة ١٩٨.

(٣) أبو عبيد، الأموال، ص٢٥ ؛ الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، اعتنى به محمد علي وجمال أحمد حسين، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م، مج٦، ج١٠، ص١١٤ ؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩؛ الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص١٠٠ ؛ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت٧٥١هــ/ ١٣٥٠م) ، أحكام أهل الذمة، ٢جزء ، تحقيق صبحي الصالح، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م، ج١، ص٢٢. وسيشار له لاحقاً: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ( جزى ) ، الحميري، شمس العلوم، مادة (الجزية)، ج٢، ص ١٠٧٩ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣٠؛ وفي الوثائق البردية (جالية الرأس)، جروهمان، أوراق البردي العربية، ج٤، ص١٤٦؛ ويُسميها متز (ضريبة للدفاع الوطني)، متز، الحضارة الإسلامية، مج١ ، ص٩٦.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص٤٠٦-٤٠٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص٥٥ ، ٥٧ ؛ زنجويه ، الأموال ، ج١ ، ص١٥٧- ١٥٨ ؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٤٤.

(٥) أنظر مثلاً: جروهمان، أوراق البردي العربية، ج٣، ص٢١٤-٢١٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٧٤.

إلزامهم بلبس الطيالس[١] ، العسلية إضافة إلى ترك ركوب الخيل، وأخذ العُشر مـــن منـــازلهم [٢]، ويجب التنبه الى مسألة مهمة وهي أن مسألة التشدد في لباس أهل الذمة الواردة في كتب الفقه فيها الكثير من المبالغة، فهي لم تطبق على أرض الواقع بمثل هذا التشديد .

ولكن يظهر حدوث بعض التجاوزات المتعلقة بهذا التقسيم في فترات لاحقة، فقد جُبيت الجزية من أهل الذمة في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) ، دون مراعاة لطبقاتهم أو حالتهم المالية، بل أخذت مـــن الأقوياء والضعفاء على حد سواء[٣]، وفي سنوات أخرى تالية تكرر فيها هذا الإلزام، والتشديد[٤] ، وأصبحت مهمة مراقبة مدى التزامهم باللباس إضافة على منعهم مـــن أن تعلـــوا أبنيـــتهم مبـــاني المسلمين من مهام المحتسب[٥] .

وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر لأسباب هذه الإجراءات والتي ربما كان ســـببها مخطـــط المتوكل للقضاء على الفكر المعتزلي وفي إطار الأحياء السني وكسب العامة إلى جانبه، فهناك مـــا يشير إلى تهرب بعض أهل الذمة مثل اليهود، في عهد الخليفة المتوكل، من دفع الجزية [٦] ، كمـــا أن استئثار الكثير منهم بالأموال، بخاصة الكتّاب النصارى، الأمر الذي دفـــع العامـــة فـــي ســـنة

---

(١) الطيالس: ضرب من الأكسية، وهو رداء مدور أخضر واسع لا أسفل له، يُتخذ من صوف يلبسه الخواص والمشايخ وهو من لباس أهل الذمة، معرب كلمة (تالشان). ابن منظور، لسان العرب، مادة (طلس)؛ التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص١٣٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٧١-١٧٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٨٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٢، ص٢٠١؛ ساويرس ابن المقفع، تاريخ مصر، مج١، ج٣، ص٣٠-٣١؛ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة، ج٢، ص٧٥٢، ٧٦٣ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص٥٢.

(٣) مسكوية، تجارب الأمم، ج٦، ص٥٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٤٤٧، ٤٧١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٢، ص٢١٩.

(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٤٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مج٤، ج٦، ص٢٥٦.
Serjeant , studesen ,vii ,p.٢٩

(٦) أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص٢١٥.

(٢٤٩هـ/٨٦٣م) إلى مهاجمة دور الكتّاب النصارى وأخذ الأموال والثروات منها[١]، ويُفسر هذا جانباً من موقف العامة تجاههم ، إضافة إلى أنه سبيل للحصول على الأموال أيضاً .

ويقوم بجمع الجزية عامل الخراج[٢] ، أو عامل الجوالي[٣] ، أو الجزية حيث تدخل واردات الدولة من الجزية في نفس الدائرة المالية التي يُجمع بها الخراج أيضاً[٤] ، ويُمنح الأفراد بعد دفعهم للجزية البراءة أو الصكوك من قبل الجهبذ[٥]، تشير إلى قبضها منهم .

وفيما يتصل بمقدار الجزية[٦] ، التي جُبيت في العراق، فلم تشر المصادر إلى ذلك بإستثناء ذكر مقدارها في بعض المدن الرئيسية ( بغداد وواسط ) ، خلال سنوات معينة كالتالي :

| السنة | المدينة | مقدار الجزية |
|---|---|---|
| ٢٢٥هـ/٨٣٩م | مدينة السلام | ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم [٧] |
| ٢٣٢هـ/٨٤٦م | مدينة السلام | ١٣٠,٠٠٠ درهم [٨] |
| ٢٣٢هـ/٨٤٦م | واسط | ٣٠,٠٠٠ درهم [٩] |
| ٣٠٦هـ/٩١٨م | مدينة السلام | ١٨,٠٠٠ دينار [١٠] |

فجباية الجزية كانت تتم باستخدام وحدتي النقد الدينار والدرهم، أما التباين في مقدار الجزية

---

(١) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٥٩.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص٤٠٨.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٧٦.

(٤) الطرسوسي، نجم الدين ابراهيم بن علي الحنفي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م)، تُحفة الترك فيما يجب إن يُعمل في الملك، تحقيق عبد الكريم مطيع الحمداوي، دار الحق ، بيروت، ٢٠٠٠م ، ص١٧٧. وسيشار له لاحقاً: الطرسوسي، تُحفة الترك.

(٥) جروهمان، أوراق البردي العربية، ج٣، ص١٦٧.

(٦) وردت تسميتها مقرونة بهذه السنوات باسم جزية رؤوس: أهل الذمة والجوالي.

(٧) قدامة بن جعفر ، الخراج، ص١٨٤؛ ابن حمدون، التذكرة ،ج١٢، ورقة ١٩٨ .

(٨) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٥.

(٩) المصدر نفسه ، ص٥٩.

(١٠) قائمة علي بن عيسى: ابن حمدون ، مخطوط التذكرة ، ج١٢، ورقة ٢٠٠.
Kremer , Ueber das Einnahmebudget das abbasiden p٢٦-٣٢.

كما هو واضح في الجدول خلال المدة من ( ٣٢٥ – ٣٠٦هـــ/ ٨٣٩– ٩١٨م) يـرتبط بإسـلام البعض من أهل الذمة وبالتالي سقوط الجزية عنهم .

كذلك لم تشر المصادر إلى ولاة الجزية منفردين، ما عدا إشارتها إلى ولاية محمد بن عبدالله بن طاهر (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م) على جزية السواد في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)[١] مما يدلل على أهمية من يتولاها .

**٣) عشور التجارة .**

هي رسوم تأخذها الدولة من التجار عند مرورهم بالثغور والموانيء والأنهار التابعة لهـا، وتُعرف هذه الرسوم باسم المكس[٢]، أو حق الإجتياز[٣]، وقد انشأت الدولة لهذه الغايـة المراصـد على الطرق البرية والموانيء إضافة إلى المآصر على الأنهار[٤] ، حيث توضع سفينتين من أحـد جانبي النهر ويقابلهما في الجانب الآخر سفينتين أيضاً، يوصل بينها بقلوص أو سلسلة قوية تمنـع السفن من المرور[٥]، وأفادت الدولة من هذا الإجراء في منع هرب التجار في الأنهار ليلاً [٦]، وقد زودت تلك المراكز بالعديد من العُمال مثل البحّاث أي المفتش[٧] ، والترجمان الـذي يقـوم علـى

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٨.

(٢)المكس: هي الضريبة التي تؤخذ على التجار في المراصد، والماكس هو العشار. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (مكس).

(٣) البوزجاني، المنازل السبع، ص٣٤٦.

(٤) ابن فضلان، الرحلة ، ص٧٨؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص١٦٠؛ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٠٨؛ سوسة، ري سامراء، ج٢، ص٤١٩.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٨٥.

(٦) تطلق المراصد على ما يتخذ على الموانيء بينما يطلق على ما يتخذ على الطرق البرية والأنهار اسم المآصر. أنظر : ابن رستة، الأعلاق النفسية، ص١٨٥؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٥٩؛ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، مادة (أصر) مج١، ص١٠٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (أصر)؛ فوزي، فاروق عمر ، تاريخ النظم الإسلامية، دار الشروق، عمان، ٢٠١٠م، ص٣٦١–٣٦٢.

(٧) زنجويه ، الأموال ، ج٣ ، ص١٢١٩ .

مخاطبة من لا يعرف اللغة العربية[١]، وهناك الحراس المتواجدين في المراصد وعلى الطرق لحماية وتأمين التجار[٢]، كما اهتمت الدولة بإجراء العديد من أعمال الصيانة للمآصر وتطلب الأمر صرف مبالغ مالية عالية من أجل تنفيذها[٣]،واستخدمت هذه الطريقة أيضاً في جبي الضريبة في بعض المدن والأقاليم الشرقية[٤].

وقد تؤخذ الضريبة على البضائع المخصصة للتجارة إذا بلغت قيمتها مائتي درهم فأكثر، من أهل الحرب العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن التجار المسلمين ربع العشر[٥]، ويذكر البوزجاني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) أن هناك طريقتين لجبايتها وهما: الأولى أخذ مقدار متباين من الدراهم بناء على إختلاف نوع البضاعة أو المتاع الذي ينقله التاجر، أما الطريقة الثانية فهي أخذ مقدار محدد من الدراهم يؤخذ على كل حمل، وبمعدل درهم واحد دون التطرق إلى نوع الحمل أو البضاعة[٦].

وعند دراسة مقادير ضريبة عشور التجارة المفروضة على التجار، ومن خلال الأمثلة القليلة التي ترد في المصادر، يلاحظ أن المقادير متباينة فعلاً ولا تقوم دائماً على طريقة ثابتة، ففي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، جاء أحد التجار إلى ساحل عُمان والبصرة قادماً من الصين وحاملاً معه بضاعة يُقدر ثمنها بحوالي ثلاثة آلاف ألف دينار، تحتوي على المسك والحرير والجواهر وجرت

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص٤٣٨.
(٢) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٦٢٦.
(٣) Kremmer, EinngmebudageT, P.٣٢
الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص١٨٧.
(٤) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص١٢٣.
(٥) أبو يوسف، الخراج، ص٤٢٨-٤٢٩ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص٧١٣، ٨١٨-٨١٩.
(٦) البوزجاني، المنازل السبع، ص٣٤٦.

له تسوية على أن يدفع ألف ألف درهم ، دون التقيد بمقدار الضريبة الفعلي[١].

وفي سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) قدرت الضريبة على أحد التجار المارين بمدينة واسط بثمانية آلاف درهم، في حين كانت قيمة البضائع التي يحملها بحوالي ثمانية آلاف دينار وهي عبارة عن الحديد وغيره[٢]، مما يظهر أن مقدار الضريبة تجاوز أحياناً معدل العشر مع أن البضائع التي ينقلها التاجران تبدو مختلفة.

وعلى ما يبدو فإن مقدار الأموال التي جُبيت من هذه الضريبة كانت عالية، وهو أمر أشارت إليه بعض المصادر، فقد ذكر ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) أن مجموع واردات الدولة العباسية من منطقة كسكر في حدود سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) سبعون ألف ألف درهم ، ومقدار ضريبة الخراج منها مئة وخمسون ألف درهم فقط[٣]، مظهراً أن سبب ذلك هو وجود العديد من الأنهار فيها مما يُفهم ضمناً أن المقصود من واردات الدوله التي أشار لها ابن خرداذبة هي عشور التجارة ، أما في بعض مناطق العراق فقدرت ضريبة عشور التجارة في سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) بحوالي ثلاثين ألف دينار[٤] .

ويتضح أن مقدار الضريبة أوجد عدم الرضا لدى العديد من التجار، إضافة لما كانوا يتلقونه من سوء المعاملة من بعض عُمال الدولة ، الأمر الذي دفع الدولة إلى التدقيق في اختيار القائمين على جبايتها[٥] ، كما اتخذت العديد من الإجراءات التنظيمية للتسهيل على التجار وصلت أحياناً حد

---

(١) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص١٠٧-١٠٨.
(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص١٦٠-١٦٢.
(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢.
(٤) أبو المعالي الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٤.
(٥) حيث كان بعض العمال يأخذ الدراهم من المارين لنفسه ولا يؤديها إلى بيت المال . أنظر : أبو يوسف، الخراج، ص٤٢٧.

اعفاءهم من تلك الضريبة ، ففي سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) أمر الخليفة الواثق بالغائها[١]، ولم يُعـرف سبب ذلك على وجه الدقة ، إلا أن سيرة هذا الخليفة تشير إلى إحسانه للتجار في فترة الأزمات التي يمرون بها، لذلك يمكن أن يكون هذا الإجراء رغبة منه في تفعيل النشاط التجاري .

كما قام الوزير علي بن عيسى (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) بإلغاء هذه الضريبة في بعض المناطق[٢] على الرغم من حاجة الدولة الشديدة للأموال، ولكن يبدو أن عدم رضا التجار ورفضهم لدفعها كان وراء هذا الإجراء[٣]. لا شك بأن الإضطرابات السياسية قد أثرت على طبيعة السلطة المخولة بجبي هذه الضريبة، فقد قام القرامطة مثلاً سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) بفرضها على قوافل التجار والحجيج[٤]، كما عانى التجار المسلمين بمن فيهم العراقيين ، من زيادة مقدار الضريبة عليهم في بعض البلـدان التي يتوجهون إليها مثل الصين، فقد ألزم الكثير منهم بدفع رسوم عالية سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) [٥]، نتيجة لسوء الأوضاع السياسية فيها.

**٤) الزكاة .**

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٥٠؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص١٩٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (سوق بحر)، ج٣، ص٣٢٢، النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص١٧، الصابىء، الوزراء ص٣١٠.

(٣) أبو المعالي الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٧٤.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٠٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٧٨.

(٥) سليمان وأبو زيد السيرافي، أخبار الصين والهند، ص٦٥-٦٦ .

تعرف الزكاة في اللغة بأنها النماء والريع والزيادة ، واصطلاحاً ما يجب علـــى الأمـــوال إذا توفر فيها شرطان وهما الحول أي مرور سنة والنصاب[١]، وقد نص على وجوبها العديد مـــن الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ) [٢].

وفيما يخص زكاة المواشي فقد اشترط في زكاتها أن تكون سائمة ولا تكون عاملة في السقي أو الحراثة[٣]، أما نصابها فهو كما يلي:

الإبل من ( ٥-٩ ) فيها شاة جذعة (لها ستة أشهر) أو شاة ثنية (التي أكملت سنة من عمرهـــا) ، ومن ( ١٠- ١٤) فيها شاتان، ومن ( ١٥-١٩ ) فيها ثلاث شياه ، ومن( ٢٠-٢٤ ) فيهـــا أربـــع شياه، أما إذا بلغ عددها ( ٢٥-٣٥ ) كان على صاحبها أن يخرج بنت مخاض (لها سنة ودخلت في الثانية)، ومن ( ٣٦-٤٥ ) ففيها بنت لبون (أي أتمت سنتين ودخلت في الثالثة) وهكذا[٤]، كلما زاد عددها وجب دفع صنف معين من الإبل عنها.

أما نصاب البقر فيبدأ دفع الزكاة عنها من ( ٣٠-٣٩ ) ففيها تبيع أو تبيعة (لها ستة أشـــهر)،

---

(١) يحيى بن آدم القرشي (ت٢٠٣هــ/ ٨١٨م ) ، الخراج، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٣٨؛ ابن عبد البر، الإستذكار، ج٩، ص٣١؛ ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٧٣. الطبري، جامع البيان، ج١، ص٣١٣؛ الزحيلي، وهبة، موسوعة الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، ١٤جزء، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٣م، ج٢، ص٦٤٧-٦٥٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٤٣.

(٣) رأى الإمام مالك بن أنس جواز الزكاة في السائمة والعوامل للمزيد أنظر: الخوارزمي مفاتيح العلوم، ص٥٩؛ ابن قدامة، المغني، ج٤، ص١٢؛ ابن عبد البر ، الإستذكار، ج٩، ص١٧٠. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هــ/١١١١م ) أسرار الزكاة، تحقيق عبد العال أحمد محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٢. وسيشار له لاحقاً: الغزالي، أسرار الزكاة ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج، ص٢٣١.

(٤) للمزيد عن نصاب الإبل أنظر: ابن عبد البر، الإستذكار، ج٩، ص١٣٧-١٣٨ مالك ، المدونة ، مج٢، ص٤١٩-٤٢٠؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص١١ ؛ ابن عابدين ، حاشية ، ج٣، ص١٨٦ ؛ القرضاوي ، يوسف، فقه الزكاة، ٢جزء، ط٥ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، طبع، ص١٧٤. وسيشار له لاحقاً: القرضاوي، فقه الزكاة.

ومن (٤٠-٥٩) ففيها مسنة (أتمت السنتين) وهكذا[١]، أما نصاب الغنم من ٤٠-١٢٠ ففيها جذعة أو ثنية ومن( ١٢١-٢٠٠ ) ففيها شاتان ومن( ٢٠١-٣٩٩ ) ثلاث شياه، وهكذا في كل مائة شاة[٢]، ونلاحظ أن بعض الفقهاء أجاز اخراج المال نقداً إذا لم يتوفر لدى البعض نوع الماشية الواجب إخراجها عن الإبل أو البقر[٣]، وهو أمر يدل على مراعاة أحوال الأفراد والتسهيل عليهم .

وفيما يتعلق بزكاة الزروع والثمار فقد قدر نصابها على خمسة أواسق (الوسق يساوي: ٤,٥٤غرام) [٤]، ويختلف مقدار الصدقة او الزكاة بحسب طريقة سقي المزروعات، فما سقي بغير مؤنة ويشرب من السماء فعليه العُشر ( ١/١٠ ) ، أما الذي سُقي بمؤنة كاستخدام الدوالي أو السواني (وتُسمى النواضح وهي الإبل التي يُستسقى بها لشرب الأرض) فيكون عليها نصف العشر (١/ ٢٠ ) [٥]، أما حكمة قلة نصاب الزكاة في الزروع والثمار مقارنة بزكاة المواشي فربما كان بسبب عدم استطاعة الناس الإستغناء في معيشتهم عن ما تخرجه الأرض وإن استطاعوا أحياناً الإستغناء عن الحيوانات أو المواشي[٦].

وتُقدر زكاة النقد التعاملي على الذهب إذا بلغ نصابه عشرين مثقالاً (المثقال يساوي: ٤,٥

---

(١) للمزيد عن نصاب البقر والجاموس أنظر: أبو عبيد، الأموال، ص٣٨؛ ابن عبد البر، الإستذكار، ج٩، ص١٥٦-١٥٧؛ مالك، المدونة، مج٢ ص٤٢٣-٤٢٤؛ ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٣١ ؛ الغزالي، أسرار الزكاة، ص٣٤، القرضاوي، فقه الزكاة، ج١، ص١٩٤.

(٢) للمزيد عن نصاب الغنم أنظر: مالك، المدونة ، مج٢، ص٤٢٤-٤٢٥؛ ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٣٨؛ الغزالي، أسرار الزكاة، ص٣٤؛ قدامة، الخراج، ص٢٣١-٢٣٢؛ القرضاوي، فقه الزكاة، ج١، ص٢٠٤.

(٣) يتضح ذلك من بعض المسالك الفقهية التي يُناقشها الفقهاء أنظر مثلاً: ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٢٦.

(٤) وحدة للكيل كان العرب والمسلمين يتعاملون بها، قدرت بها زكاة الزروع. فاخوري، موسوعة وحدات القياس، ص٣٤٦.

(٥) للمزيد عن زكاة الثمار والزروع أنظر: أبو عبيد، الأموال، ص٣٨؛ يحيى بن آدم، الخراج، ص١٤٠-١٤١، مالك، المدونة ، مج٢ ص٤٤٧؛ ابن قدامة، المغني، ج٤، ص١٦٤؛ ابن عبد البر، الإستذكار، ج٩، ص٢٣٤؛ القرضاوي، فقه الزكاة، ج١، ص٣٧٧.

(٦) للمزيد أنظر: القرضاوي، فقه الزكاة، ج١، ص٢٦٦.

غرام)، وعلى الفضة في كل مائتي درهم خمسة دراهم[١].

تُجمع أموال الصدقات من قبل الدولة في الغالب والمكلف بها المصدق أو عامل الصدقة[٢]، وأحياناً يرد باسم الساعي والذي يقع على عاتقه خرص الثمار قبل نضجها لتقدير مقدار الزكاة الواجب عليها[٣]، أما فيما يرتبط بزكاة الأموال الباطنة مثل الذهب والفضة فإنها تترك للأفراد مع مراقبة عليهم من قبل المحتسب[٤]، وتظهر الوثائق البردية التي تعود إلى العصر العباسي وتحديداً سنة ( ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) التزام الأفراد عند دفعهم للزكاة بلوغها النصاب المقرر لها شرعاً، مما يترتب عليه حصولهم على البراءة بما يدفعون [٥]، وقد أوجدت الدولة ديواناً خاصاً عرف بديوان الصدقات[٦]، أوكلت له مُهمة ادارتها.

ويظهر أن صدقات العرب بالبصرة تحديداً والتي يكثر الإشارة إليها بإعتبار معظم أرض سواد البصرة عشرية [٧]، لقيت اهتماماً من الدولة، فقد عُين عليها المنتصر في سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) وكان ولياً لعهد المتوكل[٨]، وهذا يعكس مدى أهميتها.

وبلغت صدقات إنتاج الأراضي بالبصرة في سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م) ما مقداره (٢٩٠,٠٠٠ )

---

(١) للمزيد عن زكاة الذهب والفضة أنظر: ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٢٠٩ ؛ الغزالي، أسرار الزكاة، ص٣٩؛ القرضاوي، فقه الزكاة، ج١، ص٢٤٦-٢٤٧، ابن عبد البر، الإستذكار، ج٩، ص٣٥.

(٢) مالك، المدونة ، مج٢، ص٤٢٠؛ ابن عبد البر، الإستذكار، ج٩، ص١٦٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، مج٤، ج٦، ص٢٥٠.

(٣) عن عمل الساعي أنظر: ابن قدامة، المغني ، ج٤، ص١٧٣.

(٤) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج٤، ج٦، ص٢٥٠.

(٥) الفهارس التحليلية للإقتصاد الإسلامي، ج٣، ص٣٤.

(٦) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٢٠.

(٧) أنظر مثلاً: ابن طيفور، بغداد، ص٢٥٥.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٧٦؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠٣.

دينار، بينما كانت في سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م) تقدر بـ(١١٠,٠٠٠) دينار [١]، وتجدر الإشارة إلى أن مجموع ما يتم جبايته من صدقات إنتاج الأراضي يزيد عن مقدار ما جاء في نظريات أو تقديرات الفقهاء[٢]، وعلى الرغم من إشارة الفقهاء إلى قيام الخارص أحياناً عند تقديره للمنتجات الزراعية بترك الثلث أو الربع للأفراد لأجل طعامهم أو ما يقدمونه للضيوف أو الجيران[٣]، إلا أننا نقرأ بعض الشكاوى من قبل الأفراد حول تجاوزات تجري عليهم من قبل الموظفين[٤]، وهو أمر يظهر ما لحق بهذا الوارد من اضطرابات خلال فترة الدراسة .

**٥) المواريث / التركات .**

وفرت التركات مورداً مالياً ساهم في رفد ميزانية الدولة العباسية فأنشىء لها ديواناً خاصاً، وإن لم تُحدد المصادر بدقة تاريخ فرض هذه الضريبة والديوان، إلا أنها على ما يبدو كانت في عهد الخليفة المعتمد (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) [٥]، وفي سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) أمر الخليفة المعتضد برد الفاضل من سهام المواريث إلى أبناء المتوفي وأقربائه ممن يحق لهم شرعاً وراثته ليعلن رسمياً عن ابطال هذا الديوان وتفريق عُماله[٦]، غير أن هذا الأمر لم يتم العمل به بدليل إصدار أمر آخر في سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) يقضي بإنهاء عمل الديوان بسبب البلاء والظلم الشديدين اللذين أصابا الناس نظراً لقسوة الجباة والمستخرجين العاملين فيه[٧]، الذين استغلوا انشغال الدولة بالأزمات

---

(١) الصابىء، الوزراء، ص١٨٥.

(٢) السامرائي، حسام الدين، مجالات الضرائب على الأرض والإنتاج الزراعي ضمن كتاب: بحوث ودراسات في الحضارة الإسلامية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٦م، ج٢ ص١١١. وسيشار له لاحقاً: السامرائري، مجالات الضرائب.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج٤، ص١٧٧.

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص٢٥٦؛ السامرائي، مجالات الضرائب ص١١١-١١٢.

(٥) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص١٩٠.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٧٩.

(٧) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٣٨.

السياسية التي تمر بها فأطلقوا أيديهم في أموال الناس .

وقد عُمد في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) إلى نقل تركة أبو الحسن علي بن أحمد الراسبي، الذي كان يتقلد واسط أيام الخليفة المقتدر، وما تضمنته من أموال تقدر بألف ألف دينار، ومن آنية الذهب والفضة ما قيمته مائة ألف دينار، ومن الخز ألف ثوب، ومن الخيل والبغال والجمال من كل نوع منها حوالي ألف رأس، بالإضافة إلى غير ذلك من الملابس الفاخرة الثمينة[١]، إلى هذا الديوان مما يعني استمرار وجود هذا الديوان لفترات تالية، كما نقلت إليه في سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) تركة الفضل بن يحيى بن فرخان شاه الديراني النصراني من ديرقنى[٢]، مما يظهر اتساع مصادر هذا الديوان لتشمل تركات رعايا الدولة أيضاً، ويظهر ما يشبه الإنتظام في نقل التركات لهذا الديوان، فعند وفاة العباس بن عمرو الغنوي (ت٣٠٥هـ/٩١٧م) عامل ديار مُضر (كان مقيماً بالرقة) نُقلت تركته إلى ديوان المواريث[٣].

وجعل الوزير حامد بن العباس (ت٣١١هـ/٩٢٣م) للديوان عُمال وجباة يتبعون في طريقهم مراسيم عمال وموظفي الخراج[٤]، تظلم الناس من قسوتهم الأمر الذي دفع الخليفة المقتدر إلى اصدار منشور يقضي بإبطال عمل هذا الديوان[٥]، ومع هذا فهناك بعض الإشارات التي تُفيد استمرار عمله في نفس السنة التي صدر فيها المنشور، فهناك إشارة أنه وضع في هذا الديوان تركة

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (دور الراسبي)، مج٢، ص٥٤٨-٥٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٠٣.

(٢) ديرقنى: ويعرف بدير مرماري السليخ يقع على ستة عشر فرسخاً من بغداد باتجاه النعمانية يقع في الجانب الشرقي من أعمال النهروان. للمزيد: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (ديرقُنى)، مج٢، ص٥٩٧؛ عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٥٩.

(٣) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٦٩.

(٤) الصابىء، الوزراء، ص٢٧٠.

(٥) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١١٧-١١٨.

يانس الموفقي الذي توفي سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[١]، ويبدو أن حاجة الدولة إلى المال ومقدار المبالغ التي تؤخذ من التركات ، وراء بقاء عمل هذا الديوان.

**٦) المصادرات .**

لجأت الدولة إلى سياسة المصادرات للخروج من الأزمات والإحتياجات المالية المتكررة، خاصة في فترات شهدت فيها الدولة توجه رسمي من بعض الخلفاء مثل الخليفة المتوكل( ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) إلى سياسة بناء المدن والقصور، حتى خشي بعض رجال الدولة في عهده من المشاكل بسبب سياسة المصادرة خاصة مع كثرة القوائم الصادرة بأسماء المصادرين، وعكست أقوالهم استنكارهم لهذه السياسة وتخوفهم منها، فقد جاء على لسان بعضهم قوله: "فمن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين" [٢]، مُشيراً بهذا إلى أثر المصادرات على سير الأعمال الإدارية في الدولة .

وقد دفعت حاجة الجند المستمرة للمال والمطالبة بالأرزاق توجه الدولة نحو المصادرة، حتى أن أمير الأمراء بجكم (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) قام سنة في (٣٢٦هـ/٩٣٧م) بمصادرة ندماء الخليفة الراضي للحصول على الأموال لتوفير أرزاق الجند[٣] .

ويبدو أن سياسة المصادرة أصبحت سلاحاً قوياً بيد الخلفاء يشهر على من يغضَب عليهم ، كما حصل عند مصادرة عدد من الفقهاء أيام فتنة المستعين والمعتز[٤]، وتطورت هذه المصادرات واتسعت دائرتها لتشمل جميع الأفراد الذين يقدمون العون والمساعدة إلى من يتم مصادرته أو مطالبته بالأموال بخاصة أولئك الذين يقومون بإخفاء أموال المصادرين لديهم على شكل ودائع

---

(١) وترد اشارات أخرى لاحقة . أنظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٣٩؛ ابن حمدون ، مخطوط التذكرة، ج١٢، ص٢٠٥ .

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٦.

(٣) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٠٧.

(٤) الصابىء، الوزراء، ص٣٢؛ أبو اسحاق القيرواني، جمع الجواهر، ص٢٠٥.

يعملون على حفظها[١]، ولم تصل الإجراءات عند هذا الحد فقط، بل أُجبر ورثة من تودع عنـــدهم أموال المصادرين بدفعها للدولة نيابة عن أقربائهم[٢]. وهذا يعكس أهمية هذه المصـــادرات للدولـــة وحاجتها للمال.

وازدادت مصادرات الخلفاء للوزراء حتى أصبحت هي السمة الغالبة لسياسة الخلفاء في تلـــك الفترة، بإستثناء من وصف منهم بقلة قيامه بذلك، يقول ابن الآبار (ت٦٥٨هــ/١٢٥٩م) عن خلافة الواثق: "لأنه من خلفاء العباسيين الذين لم ينكبوا وزيراً وهم قليل"[٣]، وبدا جلياً أن سياسة محاســـبة العُمال بعد عزلهم وحبسهم في كثير من الأحيان، أصبحت أمراً طبيعياً أو معتاداً، يقول أبو الحسن بن الماشطة (ت بعد ٣١٠هــ/بعد ٩٢٢م)، وكان ممن عُزل عن عمله وحبس:

حبس العمالة بعد العزل عادتنـــا        ريـــث التتبـــع أو رفـــع الجماعـــات[٤]

أما مدة حبس المصادرين فقد تكون محددة لا تتجاوز بضعة أيام[٥]، يجري فيها مناقشة بعضهم بالتجاوزات والوقوف خلالها على حساباتهم، وقد يصفح عن بعضهم بتدخل بعض رجال الدولة أو المقربين من الخلفاء في القصر، أو لقناعة الخليفة بأن هناك مؤامرات تحاك ضد رجـــال الدولـــة، الأمر الذي يدفعه إلى الرضى عنهم والخلع عليهم بسخاء[٦]. ولم يكن الحبس هو السبيل الوحيد للحد من تنقلهم أو اتصالهم بالآخرين، بل قد يُكتفى أحياناً، وبعد مصادرتهم منعهم مـــن الخـــروج مـــن

---

(١) فمثلاً: وصلت وديعة عند أحد النقاد حوالي (١٣,٠٠٠ دينار) ، كما أتهم عبد الحكم بن عبدالله بن عبد الحكم (ت٢٣٧هــ/٨٥١م) بودائع لديه فألزم عبد الحكم بأكثر من ألف ألف دينار. الصابىء، الوزراء، ص٢٤٥ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١١، ص١٦٣؛ الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله ( ت٨١٥هــ/ ١٤١٢م)، مطالع البدور في منازل السرور ، ٢ جزء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ، ج٢ ، ص٣٦١.

(٢) أنظر حوادث سنة (٣١٢هــ/٩٢٤م): مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢١٢.

(٣) ابن الآبار، اعتاب الكتّاب، ص١٣٨.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ج١، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٥؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٤٠٩.

(٦) ابن الأبار، اعتاب الكتاب، ص١٤٠.

بيوتهم[١]، كوسيلة من وسائل العقاب.

ومن العقوبات الأخرى التي كانت تلحق بالمصادرين، هي نفيهم خارج مدنهم سواء داخل العراق أو خارجه[٢]، مع ملاحظة وجود ظاهرة النفي في أقاليم أخرى للدولة الإسلامية وخلال فترة الدراسة غير العراق مثل الأندلس[٣]، وبمطالعة طبيعة عملية النفي نجد أنها تشمل عائلة المصادر وبشكل جماعي، فقد أمر المتوكل بنفي جميع ولد القاضي أحمد بن أبي دوآد (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) إلى مدينة بغداد[٤]، أما موضوع تعذيب المصادرين فكان مرتبطاً بالمصادرات فلا تكاد تخلو إشارة واحدة للمصادرات، إلا واقترن بها التعذيب وعبر طرق عديدة ذكرت المصادر العديد منها، منها مثلاً أن يُلف على المصادر حبل من قنب ويُلطخ بالنفط ويُضرب بالنار[٥]، أو يُسمروا على الكراسي ويضربوا بالقضبان، فضلاً عن جلوسهم بالتنانير (الأفران) التي زرعت فيها مسامير حادة من الداخل حيث كان يُحبس فيها المصادر[٦]، وأحياناً يصل الأمر إلى حد انقطاع أخبار المصادر عن أهله والناس، فلا يعلم تماماً مكان حبسه حتى يظن الكثيرون أنه مات [٧]، وهذا يظهر مدى الأوضاع الصعبة التي يمر بها المصادر.

من جانبهم فقد عمد المصادرون إلى العديد من الأساليب للحد من تعذيبهم، كمحاولتهم الدفاع

---

(١) الصابىء، الوزراء، ص٣٢، مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٦٦.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٩٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١١؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٥٩؛ أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ص١٣١.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٠٢-١٠٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج١، ص٣١٥.

(٥) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٨٠.

(٦) مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (كرخ البصرة)، مج٤، ص٥٠٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣١١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٨٥.

(٧) الصابىء، الوزراء، ص٣٥.

عن أنفسهم في جلسات المناظرات والمحاسبات التي كانت تقام بحضور الخليفة أو سماعه أحياناً[١]، كما حاول بعضهم القيام بإيداع أمواله عند التجار[٢]، وهو أمر له أثره من الناحية الإقتصادية في تعزيز النشاط التجاري في فترات اضطراب الأوضاع المالية للدولة حيث استخدمت هذه الأموال في عمليات البيع والشراء، كما كان له مساوئه بمصادرة بعض التجار بسبب توجيه التهمة إليهم بايداعهم أموال العُمال والوزراء المصادرين[٣].

وفي نفس سياق محاولة المصادرين حماية أنفسهم ، أن اندفع بعضهم للهرب من ملاحقة الدولة له بإختياره للمناطق البعيدة بما فيها البوادي، كما حصل للبعض من المصادرين في أيام الواثق[٤]، في ظل انشغال الدولة بالأحداث والفتن، كما كان الهرب نهجاً متبعاً من قبل أبناء وبنات المصادر نفسه، وذلك لخوفهم من مطالبة الدولة لهم بضرورة الإلتزام بدفع أموال ابائهم المصادرين[٥]، ومع ذلك فقد طالت الدولة الكثير من الأشخاص وعملت على محاسبتهم .

وفيما يلي قائمة بأسماء بعض المصادرين ما بين (٢٢٩هـ-٣٣٤هـ/٨٤٣م-٩٤٦م)، مع ملاحظة التركيز على مصادرة الوزراء بشكل كبير، حتى بلغت مجموع مصادرات الوزراء والكتاب في سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) وحدها (٨,٠٤٠,٠٠٠ دينار) [٦]، وتعادل هذه المبالغ جزءاً كبير من ميزانية الدولة ، وهذه القائمة نقلاً عن وثيقة رسمية كانت في ديوان الدولة توضح دور الوزير أبو الحسن

---

(١) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١١٥.

(٢) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٩٩، ١٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٣، ص٢٣٩.

(٣) أبو اسحاق القيرواني، ابراهيم بن علي (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد أمين الخانجي، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م، ص٢٠٣.

(٤) التنوخي ، المستجاد ، ص٢١٦ ؛ أبو اسحاق القيرواني، نور الطّرف ونور الظّرف (كتاب النورين)، تحقيق لينة عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٢٢-٣٢٣ وسيشار له لاحقاً: أبو اسحاق القيرواني، كتاب النورين؛ مؤلف مجهول العيون والحدائق، ق١، ص٦٧.

(٥) ابن أبي اصيبعة، طبقات الأطباء، ص١٨٧.

(٦) الصابىء، الوزراء، ص٢٤٥-٢٤٨؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٦٢-٢٦٤.

الوزير ابن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م)، وابنه المحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) في استخراج الأموال من أصحابها ، مما يعكس حجم الأموال التي تحصل عليها الدولة من وارد المصادرات والاستعانة بها أحياناً كأحد الحلول الحاضرة لدى الوزراء في دعم ميزانية الدولة في فترتهم .

وتتضمن القائمة التالية أسماء لبعض المصادرين ومبالغ المصادرات بدءاً من سنة ٢٢٩-٣٢٤هـ/٨٤٣م-٩٣٥م) :

| السنة | الاسم | العمل | مبلغ المصادرة | الأسباب | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢٢٩هـ/٨٤٣م | أحمد بن اسرائيل<br>سليمان بن وهب<br>أحمد بن الخصيب وكاتبه نجاح بن سلمة<br>صالح بن أبي الوزير<br>عدد من العُمال الآخرين | كاتب<br>كاتب<br>ايتاخ<br>كاتب<br>كاتب<br>كاتب<br>كتّاب | ٨٠,٠٠٠ دينار<br>٤٠٠,٠٠٠ دينار<br>١٠٠٠,٠٠٠ دينار<br>٦٠,٠٠٠ دينار<br>١٤٠,٠٠٠ دينار<br>٣٠٠٠,٠٠٠ دينار | اتهامهم بالخيانة وسوء الإدارة | تكررت مصادرة نجاح بن سلمة سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م على (١٤٠,٠٠٠) دينار سوى القصور والضياع وآخرين قُبضت ضياعهم سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م [(١)] |
| ٢٣٠هـ/٨٤٤م | يختيشوع بن جبرائيل | طبيب الخليفة الواثق | - | - | قبض على ضياعه [(٢)] |
| ٢٣٣هـ/٨٤٧م | عمر بن فرج | كاتب | ١٥,٠٠٠ درهم | غضب | حمل من بيته أيضاً |

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٨، ٢١٤؛ ص٣٨٨، مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٢٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٩٩؛ سبط بن الجوزي، مرآة العيون، ج١٤، ص٣٨٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص١٨٠.

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | الرخجي | | ومن أخيه محمد ١٥٠,٠٠٠ دينار وصولح على ١٠,٠٠٠ درهم وردت إليه ضياعه | المتوكل عليه | ستة عشر بعيراً من الفرش وما قيمته (٤٠,٠٠٠) دينار جواهر [١] |
| | محمد بن عبد الملك الزيات | وزير | ٩٠,٠٠٠ دينار | غضب المتوكل عليه منذ أيام خلافة الواثق | صودرت له أنواع من التجارات [٢] |
| ٢٣٧هـ/٨٥١م | أحمد بن أبي داؤد | قاضي | ١٠٠,٠٢٠,٠٠٠ دينار وجواهر قيمتها ٢٠,٠٠٠ دينار وصولح على ١٦,٠٠٠,٠٠٠ درهم | – | حُبس أيضاً أولاده واخوته [٣] |
| ٢٤٠هـ/٨٥٤م | يحيى بن أكثم | قاضي | ٧٧,٠٠٠ دينار ١٠٠,٠٠٠ درهم | – | وتمّ مصادرة ما مقداره أربعة آلاف جريب |

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٢١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٦٠-١٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٢٠، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٩؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٥، ص٥٣٧، اليافعي، مرآة الجنان، مج٢، ص٨٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٠٩.

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | يساوي: (١٥٥٧ متر) من ضياعه بالبصرة[١] |
| ٢٥٥هـ/٨٦٨م | قبيحة أم الخليفة المعتز | أم خليفة | ٣٠٠٠٠٠٠ دينار | – | نفي إلى مكة[٢] |
| ٢٦٥هـ/٨٧٨م | سليمان بن وهب وابنه عبيد الله | كتّاب | مصالحة ٩٠٠٠,٠٠٠ دينار | بسبب محاولة سؤالهم عن ودائع وذخائر موسى بن بغا (ت٢٦٤ هـ/ ٨٧٧ م) | إضافة إلى أخذ ضياعهم[٣] |
| ٢٧٢هـ/٨٨٥م | صاعد بن مخلد | وزير | – | بسبب زيادة تدخله في الدولة مما أغضب الموفق عليه | قبض أيضاً على أولاده وأخيه ونُهبت دورهم[٤] |

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٤٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٧١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٩٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٤٣-٥٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٣؛ الأصفهاني، الأغاني ج٢٣، ص١٣٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١١٠.

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢٩٦هـ/٩٠٨م | القاضي أبو عمر يوسف بن يعقوب | قاضي | ١٩٠,٠٠٠ دينار | بسبب مشاركته سابقاً في بعض الفتن. | احترم لكبر سنه فاكتفي بأخذ المال منه فأطلق سراحه ولم يسجن[١]. |
| ٣٠٢هـ/٩١٤م | أبو عبدالله الحسين بن الجصاص | تاجر | ٤٠٠٠٠٠٠دينار | بسبب مواقفه السياسية حيث لجأ إليه بعض الخارجين على الخليفة المقتدر | أخذت هذه القيمة جواهر وأموال[٢] |
| ٣٠٦هـ/٩١٨م | أبو الحسن بن الفرات | وزير | المرة الأولى ٧٠٠,٠٠٠ دينار؛ ومرة أخرى سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م مقدارها ١٥٠,٠٠٠ دينار وقيل أيضاً ٢٠٠٠,٠٠٠ دينار. | مطالبة الجند بالأرزاق واعتذاره بعدم توفر المال بسبب انفاقه في | عمد إلى ايداع أمواله عند التجار من وجوه بغداد حيث أودع ما مقداره عشرة آلاف ألف دينار وهذا يُفسر دفعه ما عليه من مصادرات خلال مدة قصيرة نسبياً هي ستة عشر شهراً[٣] |

---

(١) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٦٦؛ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٦.

(٢) وقيل بل صودر على (٦٠٠٠٠٠٠) دينار، وقيل (٨٠٠٠٠٠٠) دينار للمزيد أنظر: ابن حمدون، التذكرة، ج١٢، ورقة ٢٠٥؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٨٩؛ أبو سعيد الآبي، نثر الدر، ج٧، ص٣٨٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٠، أبو اسحاق القيرواني، جمع الجواهر، ص٢٠٥.

(٣) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٩، ٤٤؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٠٩، ٣٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٣٩.

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | حروب الدولة العباسية مع الخارجين عليها، فحبس ارضاءاً من الخليفة للجنود | |
| ٣٠٦هـ/٩١٨م | المحسن بن الفرات | وزير | ٣٠٠,٠٠٠ دينار وبيعت داره المصادرة أيضاً سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م | – | تمّ التصرف ببعض ما صودر منه في خلافة المقتدر (١) |
| ٣١١هـ/٩٢٣م | حامد بن العباس | وزير | ٢٠٠,٠٠٠ ألف منه و ١٠٠,٠٠٠ من أصحابه | – | شملت المصادرات أموال له عند أقربائه وكتابه(٢) |
| ٣١٤هـ/٩٢٦م | الحسين بن أحمد بن رستم ابن زنبور الماذرائي | كاتب | ٣٦٠٠,٠٠٠ دينار | سخط عليه المقتدر وقد كان | صودر في خلافة المقتدر (٣) |

---

(١) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٣٦.

(٢) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٣٥؛ ابن حمدون ، التذكرة، ج١٢، ورقة ٢٠٥، مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٥٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٥٨.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٤٣.

| | | | | المادرائي على خراج مصر | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٣٢١هـ/٩٣٣م | السيدة شغب | أم الخليفة المقتدر | ١٣٠,٠٠٠ دينار | – | عذبها وصادرها الخليفة القاهر[١] |
| ٣٢٤هـ/٩٣٥م | أبي عبدالله بن عبدوس الجهشياري | كاتب | ٢٠٠,٠٠٠ دينار[٢] | – | – |
| | أبو علي محمد بن علي بن مقلة | وزير | أخذ خطة[٣] ١٠٠٠,٠٠٠ دينار | – | دفعت عنه زوجته ١٠٠,٠٠٠ دينار[٤] |

يتضح من القائمة السابقة أن المصادرات اتجهت نحو عمال الدولة من الوزراء والكتّاب والقضاة ، فضلاً عن مصادرة التجار والفقهاء وحتى الشعراء[٥]، وإن شكل الوزراء المصادرين وعائلاتهم والقادة الترك النسبة الكبرى من المصادرات[٦]، فصادر الموفق الوزير صاعد بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، كما طالت يده ( أي الموفق ) بعض القادة الترك ممن أُتهم بحفظ بعض أموال قادة ترك آخرين خوفاً من مصادرتها، ومن هؤلاء المتهمين بحفظ الأموال لديهم موسى بن بغا

(١) وصودرت معها حاشيتها للمزيد أنظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٣٠-٣٣١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢٩، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٦؛ الروحي، بلغة الظرفاء، ص٢٦٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٢٧٠.

(٣) أخذ خطة بمعنى أنه أخذ منه ضمان مكتوب لكي يكون ملزماً له بضرورة ندفع المال الذي تقرر على المصاريف. مجيد، دراسة لحياة الصابىء، ص٢٣١.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٤٢٨؛ ابن الطقطقى، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٥٧-٢٥٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٢١٦.

(٥) هناك بعض الضياع التي تم مصادرتها من بعض الشعراء الذين لم تذكر لهم أسماء، مما حال دون ذكر ذلك في القائمة للمزيد أنظر: التنوخي، نشوار المحاضرة ج٣، ص٧٢.

(٦) أنظر أيضاً: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٦١-٢٦٢.

(ت٢٦٤هـ/٨٧٧م) [١]، ولم تقتصر مصادرة القادة الترك في العراق فحسب،بل شملت القادة الترك خارج العراق بما في ذلك مصر، كمصادرة أموال القائد ايتاخ (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م)، في سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) [٢] ، وقد تنوعت المصادرات بين أموال نقدية ( دنانير ودراهم) ودور وضياع، وقد يكون ذلك سبباً في قيام الدولة في سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م)، بالجمع بين ديوان المصادرات والضياع ووضعها بيد كاتب واحد[٣]، لضبط الأمور.

وتجب الإشارة أن الأموال المصادرة التي تحصل عليها الدولة، لم تكن تحفظ دائماً في بيت المال بل أن بعض القائمين على عمليات المصادرة والمنفذين لها من رجال الدولة، قد يستغلون الأوضاع ويشترون لأنفسهم العديد من المواد العينية (مثل الثياب والفرش)، التي يتم مصادرتها بأسعار زهيدة [٤]، إضافة إلى حدوث تدمير للأملاك أو نهب للأموال خلال المصادرات[٥]، مما يمنع حصول الدولة على جميع أموال المصادرين، فضلاً عن ذلك فإن هناك ما يمكن تسميته بالمصالحة أو الإتفاق مع المصادرين، على دفع جزء من المصادرة، أو إمكانية تقسيط الأموال التي يجب أن تدفع[٦]، مما يقلل من استفادة الدولة منها مباشرة، إضافة إلى عدم التزام البعض بدفع ما يترتب عليهم.

وعلى الرغم من أهمية المصادرات في رفد خزينة الدولة التي كانت تعاني من مشاكل عديدة، إلا أن بقاء البغضاء والعداوة في نفوس المصادرين أو أسرهم الذين طالتهم المصادرة، كان له

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص١٣٧.
(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٣٤.
(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق١، ص١٥٧.
(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٠؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص١٨٤.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (دار فرج)، مج٢، ص٤٨١.
(٦) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٦٥.

صدى بمشاركة بعض هذه الأسر بما فيهم النساء، في الأزمات والفتن[١]، ويمكن إعتبار المصادرات مؤشراً للفساد الإداري والمالي الذي وصلت إليه الدولة العباسية آنذاك .

**رابعاً : نفقات الدولة .**

واجهت الدولة العباسية مسألة مهمة، وهي تعدد نفقاتها، والتي يشكل بعضها أساساً لا يمكن لها الإستغناء عنه أو حتى محاولة التقنين منه، بإعتبارها مجالات حيوية ترتبط بالدولة في داخل العراق وخارجه، مع ملاحظة وجود حالة من الإسراف والبذخ . ولكن تجدر الإشارة إلى أن هناك اتجاه نحو تأكيد كثرة انفاق الخلفاء العباسيين مثل المتوكل ( ت ٢٤٧هـ/٨٦١م) [٢]، إلا أنه يجب الوقوف عند موضوع انفاقه الأموال في وجوه البر والصدقات، وأيده في هذا الإتجاه العديد من الفقهاء ممن كان يستشيرهم في وجوهها ونصابها[٣]، كما أن بعض الروايات تظهر لومه لبعض رجال الدولة بانشغالهم عن الرعية بالملاهي[٤]، ولعل هذا التباين في الروايات يكشف الميول في اتهام بعض الخلفاء العباسيين ووصفهم بالمبذرين، في حين يتم وصف من اتجه منهم نحو ضبط النفقات والتقليل منها بالبخل[٥]، وهذا بالتأكيد يدفعنا إلى الحرص عند التعامل مع الروايات وتحليلها.

من جهة أخرى فإنه يتضح لدى الدارس اعتماد الدولة لسياسة انفاق عامة، استُخدمت عند

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣١٠.

(٢) أنظر منها مثلاً : المقريزي، النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم، ط٥، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧م، ص٢٠-٢١. وسيشار له لاحقاً : المقريزي ، النقود الإسلامية ؛ العليمات، فوزية محمد المسلم، مالية الدولة الإسلامية أيام العباسيين الموارد والنفقات ٢٣٢-٣٣٤ه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨م، ص١٠٧.وسيشار له لاحقاً: العليمات، مالية الدولة الإسلامية .

(٣) أظر مجالسته مع الفقهاء بخصوص ذلك : ابن حمدون ، التذكرة، ج٥، ص٣٨٦؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٥، ص٣٣٤.

(٤) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ه/ ١٠٣٧م)، لطائف اللطف، تحقيق عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٦٩. وسيشار له لاحقاً: الثعالبي ، لطائف اللطف .

(٥) المسعودي، مروج الذهب ، ج٤، ص٢٠٥؛ الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٦٢.

غيرها من الدويلات المستقلة، فنجد تقارباً بين نظام صرف أرزاق الجند عند الدولة الصفارية التي اتبعت تقسيط الأرزاق على ثلاثة شهور [١]، وبين نظام الدولة العباسية أيضاً مع بعض الفرق، مما يوحي بأن نظام النفقات في الدولة العباسية لم يكن الخلل فيه هو نظام الإدارة المتبعة ، بقدر ما هو ضعف في أداء موظفيها، ويتضح من القوائم المالية الخاصة بالنفقات، ذكر العديد من وجوه الإنفاق كما ذكرتها المصادر، وتتجلى دقتها بأنها صادرة من رواة بعضهم عُمال الدواوين[٢]، كما يتضح من المصادر، لذا ستعتمد الدراسة في رصدها وتحليلها للنفقات على المُسميات الواردة في القوائم المالية، المنقولة عن الدواويين نفسها، ومن أبواب هذه النفقات ما يلي :

**١) نفقات الشؤون العسكرية .**

تعددت نفقات الدولة العسكرية من ميرة وتوفير أرزاق للجند، إضافة إلى عمليات تحصين المدن وتقوية أسوارها أمام الأعداء .

فقد أنفق الخليفة المستعين في سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م)، مبلغ (٣٣٠,٠٠٠ دينار) على بناء أسوار وخنادق حول بغداد أيام الصراع مع أخيه المعتز، إلى جانب أموال أخرى غُطيت بالقروض أُعطيت للعيارين[٣]، الذين شاركوا في القتال إلى جانبه [١]، كما تطلبت بعض الأزمات التي واجهت

---

(١) الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي( ت .ق ٥هـ/ ق. ١١م) ، زين الأخبار، تعريب محمد ناوبت، مطبعة محمد الخامس الجامعية ، فاس ، ١٩٧٢م، ص١٧. وسيشار له لاحقاً : الكرديزي، زين الأخبار.

(٢) أنظر مثلاً : أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين( ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م ) ، أدب الغرباء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م، ص٤٨. وسيشار له لاحقاً: أبو الفرج الأصفهاني، أدب الغرباء؛ الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٥٩٦.

(٣) العيارون: جماعات نشأت أواخر القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي ولها تنظيم عسكري هرمي يتكون من وحدات عشرية أي من عشرة أفراد، يتم اللجوء إليهم من قبل الدولة العباسية عندما تتقلص أو تضطرب الجيوش النظامية بسبب صراعات الخلفاء العباسيين. للمزيد أنظر: عبد المولى، محمد أحمد، العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص٣٨، ٩٠-٩٢. وسيشار له لاحقاً: عبد المولى، العيارون والشطار.

الدولة مثل حركة الزنج (٢٥٥هـ-٢٧٠هـ/٢٦٨م-٨٨٣م)، إنفاقاً واسعاً أثقل خزينة الدولة فاتجهت لأخذ القروض أيضاً لمواجهة خطرها[٢]، يقول الطبري (ت٣١٠ هـ/٩٢٢م) عن جيش الدولة المتجه لقتال صاحب الزنج في سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م) : " فما رأينا مثل هذا الجيش أحسن عدة وأكمل سلاحاً وعتاداً" [٣]، مما يعكس حجم الإنفاق عليه، وبالرغم من عدم إشارة المصادر إلى حجم هذا الإنفاق إلا أنه يمكن الإستدلال عليه عن طريق ملاحظة نفقات الموفق (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) ، ببنائه مدينة كاملة مثل مدينة الموفقية، كما اعتمدت الدولة في حربه على مساعدات مالية قدمت لها من ولاتها لتوفير النفقات اللازمة، فقد بعث أحمد بن طولون (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م) إلى الخليفة مالاً مقداره (١,٢٠٠,٠٠٠ دينار) سوى الرقيق والكراع[٤]، وهذه الإشارة تدلل على حجم الإنفاق الذي أثر في قدرة الدولة بالإنفاق على الجوانب الأخرى الهامة مثل كري الأنهار وإقامة السدود [٥].

وفي مواجهة الدولة لخطر القرامطة عمدت إلى إنفاق الكثير من الأموال، لتحصين المدن وتجهيز الجيوش فقد قام الخليفة المعتضد ببناء سور حول مدينة البصرة في سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، بنفقة قدرت بـ (١٤,٠٠٠) [٦]، أما الأموال التي جهزت بها الجيوش فكانت كبيرة أيضاً، فقد ذكر عن الخليفة المكتفي ومواجهته القرامطة في سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) وسنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م) بالقول:

---

(١) جرت العادة في حالة القروض أن يتم ربح درهم على كل دينار وهذا يعكس أثر القروض على ميزانية الدولة: مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٩٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٨٧؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٤، ص٣٤١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٧٤؛ الزهراني، النفقات، ص٣٤٢.

(٣) الطبري، (عن مشايخ من بغداد) تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٩٢.

(٤) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٣٧.

(٥) مجيد، دراسة لحياة الصابىء، ص٢٣٨-٢٤١.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٧١؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٩، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٢؛ ابن الجوزي، المنتظم ج٧، ص٣٢٢.

"أنفق المكتفي الأموال الكثيرة في حربهم"[١]، دون الإشارة لمقدار هذه المبالغ، ولكن قد تحدد أحياناً مبالغ نفقات الحرب ضدهم في سنوات لاحقة، فمثلاً جاءت الإشارة إلى أن الخليفة المقتدر أنفق في سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) على الجيش المتجه لقتال القرامطة في الكوفة مبلغ (١,٠٠٠,٠٠٠ دينار)[٢]، كما ساهمت أم المقتدر في سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) بمبلغ (٥٠٠,٠٠٠ دينار)، إلى جانب مبلغ (٣٠٠,٠٠٠ دينار) من ابنها الخليفة المقتدر لحرب القرامطة أيضاً [٣].

ولم تقتصر النفقات على تحصين المدن وتجهيز الجيوش فحسب، بل يُضاف إلى ذلك دفع ضريبة للقرامطة بلغت (٢٠,٠٠٠ دينار)، لضمان عدم تعرضهم للحجاج وقوافل التجار المتجهة للحجاز في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)[٤].

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من وصف المقتدر بالتبذير حيث قدر ما أنفقه (محقه) من الأموال بـ (٨٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار)[٥]، إلا أن مظاهر الإنفاق السابقة يجب أن تؤخذ بعين الإعتبار.

ويعد واجب حماية الثغور وحراستها من تعديات الأعداء من أهم واجبات الدولة، لذلك نلاحظ اتجاه الدولة نحو تخصيص مبالغ معينة لهذه الغاية وصلت في عهد المقتدر على ما مقداره (٤٩١,٤٥٦ دينار)[٦]، إضافة إلى إرسال المقتدر في سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) مبالغ مالية طارئة

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٤١، ٣٧٣؛ الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٧٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٤٥٩.

(٣) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٥٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٧٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٤٦٥.

(٤) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٠٥.

(٥) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٣٠٩؛ ناجي، عبد الجبار وآخرين، الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٢٥. وسيشار له لاحقاً: ناجي، الدولة العربية الاسلامية.

(٦) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٨٧.

لمواجهة الهجمات المباغتة للروم على ثغور الدولة[١]، دون أن تحدد لنا المصادر مقدارها على وجه الدقة، والملاحظ أن النفقات المقدرة لحماية الثغور كانت قليلة في بعض السنوات، فاندفع الأهالي في سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م)، للإستيلاء على أموال الأغنياء وإرسالها إلى من يحفظ الثغور[٢]، خاصة في ظل تقاعس الدولة عن حمايتها وعدم السرعة في نجدة الأهالي من هجمات الروم المفاجئة كما حدث في سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) [٣].

ويتصل بحماية الثغور علميات الفداء (تبادل الأسرى مع الروم)، ونظراً لأهمية ذلك فقد وجه المتوكل في سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م)، مبلغ (١٥٠,٠٠٠ دينار) من أجل الفداء، إضافة إلى أرزاق للجند بلغت أيضاً (٦٠,٠٠٠ دينار) [٤]، وقد تضاعف هذا المبلغ في السنوات اللاحقة حتى بلغ في سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) زمن الخليفة المقتدر(١٧٠,٠٠٠ دينار) بما فيها نفقات الجند على الطريق أيضاً[٥]، ولم تقتصر النفقة على ذلك، بل تطلبت عملية الفداء من الدولة توفير عدد من (الرقيق الروم) ليكونوا ضمن الأسرى الذين يُفتدى بهم المسلمون، وهذا يتطلب نفقة مرتفعة وإن لم تشر إليها المصادر دائماً، ففي سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م) قام الخليفة الواثق بشراء عدد من الجواري والرقيق الروم من أسواق بغداد لفداء هذه السنة[٦].

يضاف إلى ذلك أيضاً، النفقات المصاحبة لبعض المراسيم أو واجبات استقبال الوفود الرسمية

---

(١) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، ما لم يُنشر من أوراق الصولي، تحقيق هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٠٣. وسيشار له لاحقاً: الصولي، ما لم ينشر من أوراق الصولي.

(٢) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٥٩؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٤.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦، ص٥٢٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١١، ج٢٣، ص٤٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢٠٣.

(٥) تميزت فترة المقتدر بمواجهة الروم أنظر: مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٠٨؛ بسط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦ ص٤٥١؛ ناجي، الدولة العربية الاسلامية، ص٢٣٩-٢٤٠، ٢٤٣.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥١٠.

القادمة من الروم، فقد صُرف للرسل الموفدين من جهة الروم في سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) ما قيمته (٤٠,٠٠٠ دينار) [١]، على سبيل الإهداء والصلة.

كذلك الإنفاق على الأسرى الذين يؤمنون بقضية (خلق القرآن)، بمبالغ قدرت سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م) أيام الخليفة الواثق [٢]، بـ (٥٠٠٠) درهم [٣]، وهي مبالغ وإن لم تكن كبيرة إلا أنها تعكس طبيعة الانفاق أثناء عمليات الفداء.

وعُنيت الدولة بتوفير الأموال والصلات للجند إرضاء لهم ولدورهم في دعم سلطة الدولة وحمايتها، وتدلل العديد من الأقوال الصادرة على ألسنة رجال الدول عن أهمية ذلك العطاء للجند بإعتباره دافعاً أساسياً لهم في خدمة الدولة وسياستها، ومن ذلك مثلاً قول أمير الأمراء محمد بن ياقوت (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م)، للخليفة المقتدر مُشيراً عليه بضرورة بذل النفقة على الجند بقوله: " إن الرجال لا يقاتلون إلا بالمال "[٤]، خاصة أن مسألة الإنفاق على الجند مقترنة غالباً بمطالباتهم المتكررة بضرورة حصولهم على الأرزاق والدعوة باستمرار إلى زيادتها، لذا أصبح تأخرها سبباً مباشراً لشغبهم ومهاجمة قصر الخليفة وأحياناً قتلهم أياه[٥]، كما حصل في سنة ( ٢٣٧هـ/٨٥٢ م) [٦]، خلال فترة سطوة الجند الترك .

وتُصرف أرزاق الجند شهرياً، وتتفاوت أيام الشهر فأحياناً تكون خمسين أو ستين أو تسعين أو مائة وعشرين يوماً[٧]، يضاف إليها أرزاق وانزال أخرى مثل علوفة الخيل يتقاضى العاملين عليها

---

(١) الصولي، ما لم ينشر من أوراق الصولي، ص ١١١؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٠٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤٢.

(٤) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٣١٨.

(٥) أنظر مثلاً: مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٦٩.

(٦) السيوطي ، فاكهة الصيف ، ص٣٤٢.

(٧) الصابىء، الوزراء، ص١٩-٢٠.

أربعة دنانير شهرياً[١]، ولكن وبسبب الأوضاع المالية الصعبة للدولة، كانــت الأرزاق تتــأخر أو تقسط على عدة دفعات[٢]، مع ملاحظة احتمالية دفعها مباشرة في حالة حاجة الدولــة للجنــد فــي حملاتها ضد الروم[٣].

ويتولى كاتب الجيش تسجيل أسماء الجند ومقدار أرزاقهم المصروفة والمتبقية، وقــد ازدادت مكانته حتى أصبح أحياناً قائداً للجيش[٤]، ومع أهمية تلك الوظيفة إلا أن حجم المسؤولية والمراقبــة الشديدة التي يخضع لها صاحبها ، قد دفعته إلى طلب الإعفاء منها أو الانتقال عنها إلى ديوان آخر، فقد تصدق مثلاً كاتب ديوان الجيش في خلافة المقتدر بمبلغ (١٠,٠٠٠ درهم) عندما أُعفــي مــن عمله[٥]. ومع كل المراقبة فقد تأزم الوضع المالي للدولة بسبب حالات الغش في سجلات وكشــوف الجند، واحتساب مبالغ من العطاء لم تدفع للجند، كما حدث أيام وزارة أبو الحســن بــن الفــرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) الذي رفعت له العديد من الشكاوى الخاصة بذلك[٦]، كما بلغت خيانات كتّــاب الجند في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) بمائة ألف دينار[٧]، وهو مبلغ يعكس مدى الخلل المتأتي من السوء الإداري.

إن نظرة سريعة إلى أرزاق الجند في بعض السنوات ، يظهر عجز الدولة في الإنفــاق علــى المرافق الأخرى ، فقد قدرت أرزاق الجند في سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م)، في خلافة المستعين في كل

---

(١) المصدر نفسه، ص١٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٥٧.

(٣) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٧٣.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٤؛ بن فريعون، جوامع العلوم، ص١٢٤؛ الكازروني، ظهير الدين (ت.ق٧هـ/ ق.١٣م ) ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٢م ، ص٢٣ . وسيشار له لاحقاً : الكازروني ، مقامة بغداد .

(٥) الصابىء، الورزاء، ص٢٥٤.

(٦) الصابىء، الوزراء، ص٢٥٩.

(٧) الصولي، ما لم يُنشر من أوراق الصولي، ص٧٢.

سنة بحوالي (٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار) وهذا يعادل خراج الدولة لسنتين[١]، وبلغت حاجة أبو أحمد الموفق (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) لأرزاق الجند يومياً خلال حركة الزنج، ستة آلاف دينار، لم يكن يتوفر له منها إلا ثلاثة آلاف دينار[٢]، تُشكل خُمس ما يتوفر في خزائنه والبالغ ثلاثين ألف دينار[٣]، أما في عهد الخليفة المعتضد فقد كانت النفقات اليومية على أصناف الجند والشرطة تبلغ خمسة آلاف وثلاثمائة وستين ديناراً[٤] .

ومما زاد من حجم الانفاق على الجند، سياسة الدولة القائمة على التقرب منهم وكسب تأييدهم لها، خاصة في موضوع مبايعة الخليفة[٥]، مع وجود رغبة عند الخليفة بتقريب بعض القادة والجند إليه، للتخلص من بعض رجال الدولة، فقد بذل الخليفة المعتضد في سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) مائة ألف دينار صلة للجند[٦]، وفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)، بلغت الزيادة المدفوعة للجند الترك وحدهم مائة ألف دينار[٧]، وهذا بالطبع يشعر بمستوى نفوذهم وسطوتهم ، وفي سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) نلاحظ أن الزيادة ارتبطت بأسباب عديدة أهمها شغب الجند[٨]، وقد عمد أمير الأمراء في خلافة الراضي إلى زيادة الأرزاق على الجند حتى أن أمير الأمراء بجكم (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) أثبتها في السجلات بمقدار عشرين ألف دينار في السنة ابتداء من سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م) [٩].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٧١؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٤٥.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص١٥٣.

(٤) الصابىء، الوزراء، ص١٩-٢٠.

(٥) بلغت أيام المستعين (٢,٣٠٠,٠٠٠ دينار)، وأيام بيعة المقتدر بلغت (٣,٠٠٠,٠٠٠ دينار) . للمزيد أنظر : الصابىء، الوزراء، ص٣١٧؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٤٥.

(٦) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٤٣.

(٧) الصولي، ما لم يُنشر من أوراق الصولي، ص٨٧.

(٨) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٩٢.

(٩) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص١٠٧، ١١٨.

وسعياً من الدولة لتأمين هذه النفقات، قام بعض الخلفاء مثل المقتدر ببيع عدد من الأملاك والضياع في سنة (٣١٧هـ/٣٢٩م)[١]، وتكررت هذه السياسة في سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) في عهد الخليفة القاهر الذي باع دار الخلافة (دار المخرم) بمال وصف بالعظيم لتوفير الأرزاق والصلات[٢]، وقد تلجأ الدولة أحياناً إلى التصرف بأموال الوقف لسد حاجتها المتعلقة بأرزاق الجند[٣]، إضافة إلى اعتمادها ضمن عقود تضمين بعض النواحي الزام المتضمنين على التكفل بأرزاق الجند في تلك الناحية[٤]، ولا شك فإن هذه الإجراءات توضح طبيعة الأزمة المالية التي تعيشها الدولة وسعيها لتوفير أرزاق الجند تحديداً.

**٢) أرزاق الوزراء والكتّاب وأصحاب الدواوين [٥] .**

إحتلت أرزاق الوزراء والكتّاب وصلاتهم درجة عالية في سلّم أولويات إنفاق الدولة، فقد حظي الوزراء بهدايا وصلات كبيرة من الخلفاء، فقد وصل مثلاً الخليفة المتوكل (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) وزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان (ت٢٦٣هـ/٨٧٦م) بمبلغ (١٠٠٠,٠٠٠ درهم)[٦]، ووهب الخليفة المستعين الوزير أحمد بن الخصيب (ت٢٦٥هـ/٨٧٨م) مبلغ مقداره (٧٠٠٠,٠٠٠ درهم) إضافة إلى العديد من الاقطاعات [٧]، أما الخليفة المهتدي والذي عرف عنه سعيه لضبط مالية الدولة، فقد عمد إلى سياسة تحويل مُلكية الأراضي والضياع المصادرة إلى الوزراء [٨]، كنوع من رواتب وصلات بديلاً عن المبالغ المالية النقدية المباشرة.

---

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٢٠٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٤٨.
(٢) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٤٧.
(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦، ص١٤٠.
(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٠.
( ٥) أنظر هذه التسمية عند : الصابىء، الوزراء، ص٢٦، ٢٣٩.
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٩.
(٧) العمري، مسالك الأبصار، ج١١، ص١٠٣.
(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص١٣٣.

وفي عهد الخليفة المكتفي(ت٢٩٥هـ/٩٠٨م)، بلغت غلات الوزراء درجة كبيرة، حتى أصبح وارد الوزير القاسم بن عبيد الله بن وهب (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) في كل عام (٧٠٠٠,٠٠٠ دينار) [١]، وفي خلافة المقتدر (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) فقد أصبح راتب الوزير ( ٥٠٠٠ دينار) شهرياً[٢]، فضلاً عن الصلات المالية المرتفعة[٣]، ويفسر الحصول على هذه الرواتب العالية الثراء الكبير الذي يتمتع به العديد من الوزراء[٤]، الذين كانوا يحصلون على الصلات حتى بعد عزلهم [٥]، إضافة إلى احتمال عودة الوزير إلى عمله لاحقاً حتى وإن تمّ عزله سابقاً.

وتجدر الاشارة إلى أن أبناء الوزراء كانوا يحصلون أيضاً على أرزاق يتفاوت مقدارها، حيث بلغ مثلاً رزق أبناء الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) ألفاً وخمسمائة دينار[٦]، بينما كان رزق ابن الوزير أحمد بن عبدالله الخصيبي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) في سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) ألفي دينار «وهو لا يقرأ كتاب ولا يحضر ديوان»[٧]، وهذا يدل على نيلهم الأرزاق دون عمل أو وظيفة يقدمونها ، كما يشعر بوجود انفاق مالي لا يعتمد على سجلات أو وثائق دونت فيها أعمال من تصرف لهم .

ولم تقتصر مخصصات الوزراء على الرواتب فقط، بل نلحظ أحياناً وجود مصادر مالية أخرى مهمة، فمثلاً كان نصيب الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) من جباية عُشر السفن

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٢٩١-٣٠٠)، ص٦.
(٢) الصابىء، الوزراء، ص٢٩؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٢٢.
(٣) أنظر هذه الصلات: مسكوية، تجارب الأمم، مج٥، ص١٤٥.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٩، ٣٢٧؛ العليمات، فوزية ، مالية الدولة الإسلامية ، ص١٢٨.
(٥) الصابىء، الوزراء، ص٣٣٣.
(٦) المصدر نفسه، ص٢٢٣.
(٧) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٢٣.

القادمة من الهند خمساً وعشرين ألف دينار[١]، وهذا يعكس صعوبة حصر مصادر دخل الوزير خلال هذه الفترة.

وتراجعت رواتب الوزراء في عهد الخليفة الراضي (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م)، وتحديداً قبل استحداث منصب إمرة الأمراء، ليصبح راتب الوزير ألف ديناراً شهرياً[٢]، مما يظهر تراجع واضح في راتبه وهذا التراجع سببه نقص الواردات في عهده.

أما فيما يتعلق بأرزاق (رسم) الكتّاب ، فكانت متفاوتة، فهي بالنسبة للعاملين في الدواوين تتراوح رواتبهم ما بين عشرة دنانير ومائة وعشرين ديناراً شهرياً[٣]، في حين تصل رواتب رؤوساء الدواويين إلى سبعة آلاف ديناراً شهرياً[٤]، إضافة إلى حصولهم على الخلع والصلات المتفاوتة[٥]، وتتجه رغبة الدولة نحو دفعها بالدراهم، فقد وصل الخليفة المستعين الكتّاب في أيام خلافته بمائة ألف درهم[٦]، كما كان رزق الحسن بن وهب الكاتب (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م) ألف درهم شهرياً[٧]، ونلمح هذا الأسلوب الإداري المالي في عهد الخليفة المقتدر(ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، حيث كان التوجه إلى تقدير راتب الكتّاب بالدينار وتفضيل دفعه مصروفاً بالدراهم[٨]، وربما كان لهذا الأمر ارتباط بمدى توفر الدينار وحاجة الدولة ومساعيها إلى ضبط ماليتها من خلاله، خاصة في

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٥-٤٧٦.
(٢) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٣٨٥.
(٣) التنوحي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٥٤؛ ابن حمدون، التذكرة ، مج٩، ص٢٥٩.
(٤) الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي، ص٢٤٢؛ عليمات، مالية الدولة ، ص١٣٠.
(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٢، ص١٠١.
(٦) العمري، مسالك الأبصار، ج١١، ص١٠٣.
(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص٩٧.
(٨) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٥٥.

فترة عدد من الوزراء[١]، إضافة إلى سياسة ربط انفاق الأرزاق بدرجة الكاتب أو مكانته الوظيفية في الديوان، فكلما ارتفعت درجته ارتفع رزقه بشكل ملموس[٢]، مما يساهم في ضبط المالية وتحفيز الكتّاب نحو تحسين عملهم وتنمية مهارتهم.

وبالرغم من حرص الدولة على دفع الأرزاق بشكل منتظم[٣]، إلا أن هناك بعض المشاكل رافقت هذا الأمر، منها اتباع الدولة سياسة تقليل شهور العطاء أو عدم الإلتزام بها كاملة، حيث يتم اجتزاء شهرين أو أربعة شهور منها أحياناً[٤]، ومن المشاكل الأخرى المتعلقة بأرزاق الكتّاب هو تأخر الأرزاق[٥]، أو وقفها لمدة معينة كما حدث من قبل الوزير أبو الصقر اسماعيل بن بلبل (ت٢٧٨هـ/ ٨٩١م) [٦]، يضاف إلى ذلك نظرة العامة السلبية نحو الكتّاب على أنهم ممن كانت بأيديهم الأموال دون غيرهم[٧].

**٣) النفقة على الحج والهاشميين والطالبيين والعلماء وأطباء الحضرة .**

لقيت مسألة العناية بالحج وطرقه أولوية في الإنفاق، لصلة ذلك بالمكانة الدينية والسياسية للخليفة وتأثير ذلك على رأي العامة واتجاهاتهم، فقد اشتمل هذا الإهتمام الإنفاق على طريق الحج وصلات لأهل مكة والمدينة، فقد أمر الخليفة الواثق (ت٢٣٢هـ/٨٤٧م) مثلاً بإنفاق خمسة آلاف

---

(١) اليوزبكي، توفيق سلطان، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (١٣٢-٤٤٧هـ)، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٧٦م، ص١٧٠-١٧١، وسيشار له لاحقاً: اليوزبكي، الوزارة.

(٢) الصابىء، الوزراء، ص١٣٥، ١٣٧، ١٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص١٤٣.

(٥) الصابىء، الوزراء، ص٢٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٤٤.

(٧) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٣٦٢.

دينار في وجوه البر والصلة على العديد من المدن ومنها مكة[١]، والتي انقطعت عنها بسبب الزلزال في (٢٤٥هـ/٨٥٩م) وأمر المتوكل بإنفاق مائة ألف دينار لإعادة جر المياه إلى مكة[٢]، وتكررت نفقته عليها في سنة (٢٤٦هـ/٨٦٠م) حيث أمر بانفاق مبلغ(٣٠٠,٠٠٠ دينار) صلات على أهل مكة والمدينة وجر المياه إليها[٣].

وتضاعفت مخصصات الإنفاق على الحرمين وطريق الحج في عهد الخليفة المقتدر(ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، بثلاثمائة وخمسة عشر ألفاً وأربعمائة وست وعشرين ديناراً [٤]، وقد أوكلت مهمة الإشراف على هذا الإنفاق إلى قاضي مكة والمدينة الذي كان غالباً ما يرافق قوافل الحج كما هو الحال في سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م) [٥]، تقديرا من الدولة بأهمية هذا الإنفاق .

أما فيما يخص أرزاق بني هاشم والطالبيين [٦]، فقد بذلت لهم الدولة الأرزاق والصلات الكثيرة، فيرد أن أم المتوكل أمرت في سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) بانفاق ألف درهم لكل رجل من العباسيين وخمسمائة درهم صلة للهاشميات [٧]،من خلال أوقاف وفرت لهم مصدراً دائماً للأرزاق والصلات استمرت حتى فترات تالية [٨]، ويبدو أن السياسة المالية لبعض الخلفاء في تقليل النفقات مثل سياسة الخليفة المهتدي، كان لها أثرها في تقليل جرايات العباسيين وغيرهم، وهذا يتضح من

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص١٢٤.

(٢) وصل ثمن قربة الماء التي تباع للحجاج في مكة ثمانين درهماً. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٣، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٧٢؛ الغنيم، سجل الزلازل العربي، ص٨٦-٨٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٣٣.

(٤) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٨٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص١٣٣.

(٦) تشير المصادر اليهما مرتبطين ، ومن ملامح التوافق الإداري أيضاً أن ذكر نقيب الطالبيين يقترن بذكر نقيب بني هاشم . أنظر : الكازروني، مقامة بغداد، ص٢٣ .

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٠٦.

(٨) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٧.

سؤال أحد الهاشميين للخليفة المهتدي " عن عـدم التوسـيع علـيهم وعلـى غيـرهم بالعطـاء والصلات"[١]، أما الخليفة المعتضد فقد فاضل في أرزاق الهاشميين، حيث جعـل للمشـايخ مـنهم عشرين ديناراً يومياً ولجمهور بني هاشم والطالبيين ثلاث وثلاثين ديناراً وثلث دينار يومياً[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن سياسة جرايات الهاشميين والاغداق عليهم كانت مرهونـة بـالظروف السياسية للدولة، فقد تزيد أحياناً شهور العطاء الممنوحة إليهم على أرزاق الجند أنفسهم وبزيادة تبلغ فارق أربع شهور أحياناً، كما حدث عند بيعة الخليفة المتوكل في سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) [٣]، وفـي بعض الأوقات يتم التضييق عليهم وتدفع لهم أرزاق شهر واحـد فقـط كمـا حـدث فـي سـنة (٢٥١هـ/٨٦٥م)[٤].

ولتنظيم النفقة على الطالبيين، عين لهم كاتباً خاصاً يشرف على شؤونهم له ذكر في حـوادث سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) [٥]، واجبه إتخاذ سجلات قيد فيها أسماء المستحقين مـنهم وأنسـابهم[٦] ، إضافة إلى تعيين نقيب ، فقد شغل مثلاً محمد بن محمد بـن جعفـر المعـروف بلقـب قيـراط ( ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) منصب نقيب بغداد[٧]، وعلى الرغم من إشارة المصادر إلى تضييق الخليفـة المتوكل عليهم، إلا أننا نلمح حصول بعض الطالبيين على صلات منه، مثل أبي الحسن علي الهادي

(١) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٣٨١.
(٢) الصابيء، الوزراء، ص٢٥.
(٣) اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٤٨٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٩، ص١٥٥.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٢٨.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٨٧.
(٦) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٠٦.
(٧) الأزدي ، أبو محمد عبد الغني بن سعيد ( ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) ، مشتبه النسبة في الخط وأختلافها في المعنى واللفظ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٨١ . وسيشار له لاحقاً: الأزدي ، مشتبه النسبة.

بن محمد العسكري (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م) حيث حصل على صلة بلغت أربعة آلاف درهم [١]، وهذا يدفع الى ضرورة التدقيق في الحديث عن ظلمه لهم [٢]،وفي عهد الخليفة المنتصر زادت صلاتهم وأعيدت لهم أوقاف وأملاك تمت مصادرتها منهم[٣] .

وأجريت الأرزاق على الفقهاء أيضاً، فقد بلغت جرايات بعضهم في أيام الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) خمسمائة درهم[٤]، والملاحظ أن النفقات كان تشمل في فترته معظم الفقهاء والمحدثين دون النظر إلى رأي العلماء من حيث الواجب توفرها فيهم، فمثلاً صرف للمحدث أبو الحسن العدوي ( ت٣١٩هـ/ ٩٣١م) مبلغ مقداره خمسمائة درهم[٥]، بالرغم من عدم الثقة به من قبل علماء الحديث [٦]، مما يظهر شمولية الإنفاق وعدم تأثرها بمثل هذه المواقف ، أما المقتدر فقد جعل لهم ثلاث عشر ألف وخمسمائة وتسعة وستون ديناراً شهرياً[٧]، مع ملاحظة رفض بعضهم الصلات من الخلفاء مثل أحمد بن حنبل (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م) [٨]،مقابل حصول البعض الآخر على أرزاق متعددة، فقد حصل أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الزجاج (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) على رزق في جرايات الندماء ورزق آخر مع العلماء وآخر مع الفقهاء[٩]، مما يدلل على سوء تنظيم في الإنفاق

---

(١) اليافعي، مرآة الجنن، ج٢، ص١١٩.
(٢) عن وصف سياسته الظالمة تجاههم أنظر : الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٢٨٩.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٢١.
(٤) الصابىء، الوزراء، ص٢٦، ٢٢٣.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٣.
(٦) عن موقف المحدثين منه أنظر : الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٧، ص٣٩٢- ٣٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١١٠-١١١.
(٧) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٨٧.
(٨) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٩٤.
(٩) النديم، الفهرست، مج١، ص١٠١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٦٠؛ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ، فاكهة الصيف وأنيس الضيف، تحقيق محمد ابراهيم سليم ، د. ن ، د. ت، ص٣٢٥. وسيشار له لاحقاً : السيوطي ، فاكهة الصيف .

عامة .

وحصل القضاة في الدولة على نصيب وافر من الرزق، إضافة إلى الهدايا والتـــي لا يجـــوز للقاضي أخذها أصلاً بإعتبارها نوع من الرشوات فقد حصل مـــثلاً القاضـــي يحيـــى بـــن أكـــثم (ت٢٤٢هــ/٨٥٦م) على الهدايا النفيسة من الخليفة المتوكل[١]، وربما يرتبط ذلـــك بـــدورهم فـــي المبايعة للخليفة أو العزل أحياناً كما حدث في سنة (٢٩٦هــ/٩٠٨م)، في محاولة عـــزل الخليفـــة المقتدر[٢]، وحضورهم إلى جانب القادة مناظرات العديد من المصادرين[٣]. كذلك دورهم في حفـــظ ودائع الوزراء مثل ودائع الوزير أبو الحسن بن الفرات ( ت٣١٢هــ/٩٢٤م) وغيره من المطالبين بالمصادرة[٤]، كما وفر بعض القضاة المأوى والحماية لبعض الوزراء قبل وزارتهم ، فمـــثلاً قـــام الأحوص بن المفضل (ت٣٠٠هــ/٩١٢م) بايواء أبي الحسن بن الفرات قبل وزارته للمقتدر، ممـــا جعل ابن الفرات يرد له هذا الجميل بتوليته له على قضاء البصرة والأهواز[٥].

وبلغ رزق عدد من القضاة في عهد الخليفة المعتضد خمسمائة دينار في الشـــهر[٦]، وبلغـــت النفقات المخصصة للقضاة في عهد المقتدر ستة وخمسين ألف وخمسمائة وواحد وأربعين دينـــاراً، ولمن كان منهم على الحسبة والمظالم أربعة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وتســـعة وثلاثـــين دينـــاراً [٧]،

---

(١) الكاتب، أبو عون (ت٣٢٢هــ/٩٣٣م)، الأجوبة المسكتة، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، مطابع الناشر العربي، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٥٠. وسيشار له لاحقاً: الكاتب، الأجوبة المسكتة؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هــ/١١٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ٥ أجزاء، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٩٩. وسيشار له لاحقاً: الزمخشري، ربيع الأبرار.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢١٩.

(٣) الصابىء، الوزراء ، ص٣١٧ .

(٤) الصولي، ما لم يُنشر من أوراق الصولي، ص٨٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٧، ص٥٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦١ .

(٦) الصابىء، الوزراء، ص٢٦.

(٧) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٨٧.

يضاف إلى ذلك التزام الدولة ببعض النفقات الطارئة المتعلقة بالقضاة نتيجة لبعض الحوادث التي قد تقع في مجالسهم، فقد قامت الدولة بدفع ديّة أحد الموقوفين بعد مقتله بالخطأ في مجلس أحد القضاة وكان مقدارها عشرة آلاف درهم[١]، وهذا يوضح تعدد مسألة وجوه الانفاق حتى فيما يخص الباب أو المجال الواحد.

وبرزت عناية الدولة ممثلة بالخلفاء والوزراء بالرعاية الصحية، من خلال بناء البيمارستانات[٢] والإنفاق عليها، مثل البيمارستان المعتضدي[٣]، وبيمارستان أم المقتدر الذي أنجزته في سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) في بغداد[٤]، وكذلك بيمارستان الخليفة المقتدر الذي أمر ببنائه في بغداد عند باب الشام[٥]، هذا إلى جانب قيام بعض الوزراء بإعمار البيمارستانات أيضاً [٦]، وقد تفاوتت النفقة على تلك البيمارستانات، فمثلاً كانت النفقة على بيمارستان المقتدر مائتي دينار، بينما كانت على بيمارستان أم المقتدر ستمائة دينار شهرياً[٧].

وحظي الأطباء العاملين في البيمارستانات وفي قصور الخلفاء على الأرزاق والصلات الكبيرة، فقد حصل مثلاً الطبيب ابراهيم بن أيوب الأبرش (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) من الخليفة المتوكل

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٦٦.

(٢) البيمارستان: وتلفظ أيضاً المارستان وتعني دار المريض أو موضع المريض (بيمار: المريض+ آستان: الموضع). الأزدي، الماء، ج١، ص١٧٠؛ التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص٤٠.

(٣) ابن أبي إصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٧.

(٤) ابن أبي إصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٨٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٩٩.

(٥) اتخذ في سوق يحيى ببغداد. أنظر : ابن أبي إصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٨.

(٦) ابن أبي أصيبة، طبقات الأطباء، ص٢٨٠.

(٧) ابن أبي إصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٨؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت٤٦٤هـ/١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٠٣م، ص١٩٤-١٩٥. وسيشار له لاحقا: القفطي، تاريخ الحكماء.

على ستة عشرة بدرة( البدرة تساوي : عشرة الاف دينار ) [١]، وحصل غالــب طبيــب الخليفــة المعتضد (ت٢٨٩هــ/٩٠١م)على عشرة آلاف دينار، اضافة إلى ضياع قدرت غلتها بسبعة آلاف دينار [٢].

واستمرت العناية بأرزاق وصلات الأطباء لفترات تالية، حيث أبقى الخليفة الراضـــي علـــى جرايات الطبيب بختيشوع بن يوحنا (ت٣٢٩هــ/٩٤٠م) على ما كانت عليه أيام الخليفة المقتدر [٣]، إضافة إلى أرزاق أخرى كان يحصل عليها الأطباء لقاء قيامهم بأعمال أخرى، فمثلاً حصل الطبيب أحمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هــ/٨٩٩م) على رزق بالإضافة إلى عمله على حسبة بغداد [٤].

وقد ضبطت الدولة النفقات المالية الخاصة بالبيمارستانات من خلال كاتب مالي يتولى النفقـــة المالية عليها[٥]، ويلاحظ أن النفقة كانت منتظمة وعلى شهور قدرت أيامها أحيانـــاً بمـــدة خمســـة وأربعين يوما[٦]، حسب أحوال الدولة المالية.

**٤) نفقات بلاط الخلافة .**

يتناول هذا الموضوع جوانب عدة يتعلق بعضها بالمأكل والمشرب، وقد ظهرت مؤلفات عديدة تُشير عناوينها إلى العناية بتلك الجوانب، مثل كتاب (الطبيخ) لأبي الحسن علي بن يحيـــى المـــنجم (ت٢٧٥هــ/٨٨٨م)، نديم الخليفة المتوكل [٧]، إضافة إلى مؤلفات أخرى، تحمل نفـــس العنـــوان،

---

(١) الرهاوي، اسحاق بن علي (ت حوالي ٣٢٥هــ/٩٣٦م)، أدب الطبيب، تحقيق حريزن سعيد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٩٩٢م، ص٢٢٢. وسيشار له لاحقاً: الرهاوي، أدب الطبيب.

(٢) كان قبله يعمل عند الموفق . أنظر : ابن أبي إصيبية، طبقات الأطباء، ص٢٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٥.

(٤) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء ، ص٢٦٩.

(٥) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٢٧٦-٢٧٧؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٩١، ١٩٥، ٢٠٧.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٥٨.

(٧) النديم، الفهرست، مج١، ص٢٦٢.

ظهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين [١]، ومن جهة أخرى فقد عُين في قصر الخليفة العباسي كاتباً خاصاً بإدارة المطابخ [٢] وما يتصل بالقصر من منافع أخـرى من أمثال أحمد بن محمد بن المدبر (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م) كاتب دار الخليفة المتوكل[٣]، وقد بقيـت مهمة الكاتب هذه حتى لسنوات تاليـة ، فقـد ذكـر منصـب كاتـب دار السـلطان فـي سـنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) [٤].

أما عن مقدار النفقات المصروفة على شؤون المأكل والملبس في عهـد الخليفـة المتوكـل، (٢٠٠,٠٠٠ دينار) فقد بلغت على المطابخ ، وعلى حاجة القصور من الثلج (٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم)، وعلى الفرش (١٠٠,٠٠٠ دينار) وعلى الكسوة (٣٠٠,٠٠٠ دينار)، وعلى الطيـب أو العطـور فبلغت (١٠٠,٠٠٠ دينار)، وعلى خزائن الشراب (١,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٥] .

وبلغت أرازق الطباخين في قصور الخليفـة المعتضـد ( ٣٠ ) دينـاراً، وأرزاق الفراشـين والمجلسين (٣٠) ديناراً، ونفقات المطابخ الخاصة والعامة، والمخابز (٣٣٣⅓) دينـاراً، وأثمـان وظائف الشراب (١٠٠) دينار يومياً أيضاً[٦].

إن حجم النفقات اليومية السابقة تدلل على مقدار النفقات السنوية والتي على ما يبـدو كانـت مرتفعة وفي عهد المقتدر، بلغت نفقته اليومية ألف دينار، بينما كانت نفقات السيدة أم المقتدر عشرة آلاف دينار في الشهر، أما باقي الأمراء والخدم فبلغت نفقاتهم خمسـة آلاف دينـار فـي الشـهر

---

(١) النديم، الفهرست، مج١، ص٢٢٦، ٢٧٢؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص٢٤٦.
(٢) يشار اليه في بعض الروايات ( متولي أمر المطبخ) . الصابىء، الوزراء، ص٣٨٠.
(٣) ابن الآبار، إعتاب الكتّاب، ص١٣٣.
(٤) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٥٧.
(٥) الرشيد، الذخائر والتحف، ص٢١٨-٢٢٠؛ الغزولي، مطالع البدور، ج١،ص٧٢.
(٦) الصابىء، الوزراء، ص٢٠-٢١
Kremer, einnahmebudc.eT, P٦٨-٦٩.

أيضاً[١].

وعلى صعيد نفقات الخليفة الشخصية فهناك الملابس أو الطراز[٢]، حيث حفظت لنا الوثـائق البردية بعض النصوص كتب عليها طراز الخليفة المقتدر ( ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) والتي تعود إلـى فترة مبكرة من خلافته وهذا يدلل على حجم الإهتمام بالإنفاق على الطرز منذ بداية خلافتـه، فقـد أشارت البردية المؤرخة في سنة(٢٩٥هـ/ ٩٠٨م ) بما نصه:

" بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله الا الله وحده لا شريك له

عبد الله أبو الفضل جعفر الإمام المقتدر بالله أطال الله بقاه

مما أمر به الأمير عيسى بن محمد[٣]

على يدي {........[٤]} صنعه الحسين بن فلان

في سنة خمس وتسعين ومائتين [٥] "

ويتضح من هذه البردية أن المسؤولية المباشرة عن بعض احتياجات الخليفة كانت مـن قبـل بعض ولاة الأقاليم بما فيها والي مصر، مما يجعل تثبيت النفقة يأتي في دواوين مصـر ، ولـيس ضمن سجلات الدولة في العراق ، أما نفقات الخليفة المتقي فقد ضيق عليه فيهـا أميـر الموصـل

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٨٥.

(٢) الطراز هو ما ينسج من الثياب للسلطان يرتدونه في العديد المناسبات . ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرز) ؛ التونجي ، معجم المعربات ، ص١٢٩ .

(٣) هو الأمير أبو موسى عيسى بن محمد النوشري وليها للخليفة المكتفي والمقتدر بين سنتي( ٢٩٢ه –٢٩٧هـ/ ٩٠٤م– ٩٠٩م) . المقريزي، الخطط المقريزية ،ج٢، ص١٤٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج٣، ص١٦٢، ١٨٧.

(٤) هكذا في أصل البردية عند جروهمان .

(٥) جروهمان ، أوراق البردي العربية ، ج١ ، ص٥٥ –٥٦ .

الحمداني ناصر الدولة (ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م) بدرجة كبيرة، حتى روي عنه أنه قال: " إنما يكفي دار الخليفة خماسية سكنجين[١] في كل يوم" [٢]، قاصداً بذلك الإكتفاء باليسير من الطعام للخليفة وأهل داره.

ويلاحظ أن مظاهر المبالغة في نفقات بعض الخلفاء رافقها ملامح الترف والتبذير من الوزراء أيضاً، فقد كانت مخصصات الوزير أبو الصقر اسماعيل بن بلبل (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) ، مثلاً سبعين جدياً ومائة حمل ومائة رطل من الحلواء[٣] كل جمعة ، أما النفقات الخاصة بالوزير ابن مقلة (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) من الفاكهة وحدها خمسمائة دينار كل جمعة[٤]، وهذا يظهر مستوى النفقة المرتفع على مطابخ قصور الخلفاء والوزراء.

**٥) البناء والمرمة** [٥].

بذلت مالية الدولة مبالغ كبيرة على مسألة البناء والعمران، والتي وصلت أوجها في خلافة المتوكل حيث أمر ببناء مدينة الماحوزة في سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، والتي قدرت النفقة عليها بمبلغ (٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار) [٦]، كما بلغت النفقة على بناء قصره فيها والمعروف باسم (قصر الماحوزة أو

---

(١) سكنجين: شراب مركب من خل وعسل . التونجي معجم المعربات الفارسية، ص١٠٩.

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٣٥.

(٣) أبو المعالي الجاجرمي، نكت الوزراء، ص٨٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٢٠٠.

(٤) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٤٠٧.

(٥) هناك دائرة في ديوان النفقات تُسمى البناء والمرمة، كما عُين ابراهيم بن محمد المدبر( ت٢٧٩ه/٨٩٢م) على ديوان الأبنية في عهد المتوكل ، أنظر : الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٧١؛ الحياري، الدواوين، ص٦٠،٢٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٢١٢؛ الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) ، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب، جمع وتحقيق ميخائيل عواد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م، ص٧٤. وسيشار له لاحقاً :الجهشياري، نصوص ضائعة؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٥٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب مج١٠، ج٢٢، ص٢١٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٣٣.

أو المتوكلية[١]) مبلغ (٥٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٢]، أما فيما يتعلق بقصوره الأخرى فقد قدرت النفقة عليها بحوالي (٢٦٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٣]، ومنها مثلاً في سامراء ؛ قصر العروس ومبلغ نفقته (٣٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٤]، وقصر المختار ونفقته (٥,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٥] وقصر الوحيد ونفقته (٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٦] وقصر المسناة ونفقته (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٧]، وقصر الحير ونفقته (٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [٨]، وقصور أخرى عديدة في سامراء وحول دجلة اشارت المصادر إلى نفقتها [٩]، إضافة الى قصور خصصت للأمراء مثل قصر بركوان للمعتز والذي بلغت نفقته (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [١٠].

وكان المتوكل قد أمر في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م) ببناء عدد من المساجد في مدينة سامراء

---

(١) ضربت فيها النقود في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١ م) مما يدلل على الإستخدام الرسمي لهذا الإسم . دفتر، الدرهم الإسلامي ، ص١٧٠-١٧١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين( ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) ، أدب الغرباء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م، ص٥٠. وسيشار له لاحقاً: الأصفهاني، أدب الغرباء؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٨؛ العلي، صالح أحمد ، سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٢٩-١٣٠. وسيشار له لاحقاً: السامرائي، سامراء .

(٣) اختلف في مقدارها للمزيد أنظر: الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٨؛ الشابشتي، الديارات، ص١٥٩-١٦٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٨؛ الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٦٠٥.

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٤٥٩؛ مطالع البدور، ج٢، ص٥٩٦.

(٥) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٧؛ ابن قيم الجوزية، أخبار النساء، ص٢٠٨؛ الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٥٩٦.

(٦) ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٧.

(٧) المصدر نفسه ، ص٣٦٧.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الحير)، ج٢، ص٣٧٦.

(٩) انظر: الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٨-٥١؛ ابن حمدون ، التذكرة، ج١٢، ورقة ٢٠٣-٢٠٤؛ ابن الفقيه، البلدان ص٣٦٧-٣٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٠٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الشاه والعروس)، ج٣، ص٣٥٨؛ الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٥٩٦-٥٩٧،٦٠٥، الإسكافي، لطف التدبير، ص٨٥؛
Robinson, **Medieval Islamic City Reconsidered**, p:٣٢-٣٣.

(١٠) ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٨.

كجامع سامراء والذي بلغت نفقته (١٥,٠٠٠,٠٠٠ درهم) [١]، وتجدر الإشارة إلى أن معظم الأموال التي أُنفقت على العمارة كانت أجرة للعمال والصناع، أما عمليات البناء فقد أستخدمت فيها أنقـاض المباني التي خربت أو هدمت [٢]، وكانت سياسة هدم القصور واستخدام أنقاضها قد أُعتمدت مـن قبل الخليفة المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢م-٨٦٦م) تجاه قصور الخليفة المتوكل [٣].

ومع ذلك فقد بقيت العديد من قصور التي أقام فيها الخليفة المتوكل تستخدم في فترات لاحقـة، حيث عمد المستعين إلى وضع المعتز والمؤيد بعد خلعهما في سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م)، فـي قصـر الجوسق[٤].

واستمرت سياسة الخلفاء في بناء قصور جديدة لهم، فقد أمر المعتضد ببناء قصر الثريا ببغداد بنفقة بلغت ( ٤٠٠,٠٠٠ دنيار) [٥] إضافة إلى بناء بيت له في سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، ليسكن إلـى حين الإنتهاء من بناء قصر الثريا[٦] دون أن تشير المصادر إلى مقدار النفقة عليه، وبلغـت نفقـة الخليفة المكتفي على العديد من المباني (٧٠٠,٠٠٠ دينار) [٧]، وقد تعرض بعضها للهدم في عهـد الخليفة المقتدر، رغم الأموال الكثيرة التي انفقت عليها [٨].

---

(١) ابن حمدون ، مخطوط التذكرة، ج١٢، ورقة ٢٠٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٦٨؛ الغزولي، مطالع البدور، ج٢، ص٥٩٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٤٥٩.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الشاه والعروس) ج٣، ص٣٥٨.

(٤) من قصور سامراء بناه الخليفة المعتصم ولكن يبدو أنه تعرض للترميم في عهد الخليفة المتوكل .النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١٠، ج٢٢، ص٢١٩؛ العلي، سامراء، ص١١٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٦٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الثريا)، ج٢، ص٩١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٣٧؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج١، ج٢٢، ص٢٦٠.

(٧) وتظهر الرواية ندم المكتفي على نفقتها . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٩٦.

(٨) الصولي، ما لم يُنشر من أوراق الصولي، ص٣١.

واتخذ الخليفة الواثق قصره المعروف بالهاروني قرب سامراء[١] والذي اتخذ وسطه قبة مرتفعة مزخرفة بالذهب والأحجار الكريمة[٢]، وهذا يوحي بمستوى الإنفاق العالي عليه، على الرغم من عدم اشارة المصادر لها مباشرة، وهناك قصر المعشوق وهو أحد أبنية الخليفة المعتمد في سامراء[٣]، وتجدر الإشارة إلى اكتشاف العديد من النقود المضروبة والتي تحمل على ما يبدو اسماء قصور الخلفاء العباسيين مثل دينار ضرب باسم الخليفة المعتمد في سنة (٢٧١هـ/٨٨٤ م) نقش عليه مكان الضرب المعشوق[٤]، كذلك الدرهم المضروب باسم الخليفة المكتفي في سنة(٢٩٥هـ/ ٩٠٧م ) نقش عليه أيضاً مكان الضرب القصر الفاخر[٥]، وهو يشعر بأهمية هذه القصور[٦]، من جهة و مبلغ النفقة عليها إضافة إلى مستوى اعمارها الذي يظهر اتخاذ دور الضرب فيها والتي تعد رمزاً مهماً لسيادة الدول، واتجه بعض الوزراء نحو العمارة أيضاً مثل أبي علي بن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) الذي اتخذ له داراً في سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م)، كانت تكلفة بنائها (١٠٠,٠٠٠ دينار) [٧].

وقد حاول بعض الخلفاء ضبط نفقات البناء باتخاذ هم كتّاب يتولون الإشراف عليها[٨]، وقد يتولى الخلفاء أنفسهم أحياناً الاشراف على البناء كالخليفة المعتضد[٩] والخليفة الراضي[١]، ومع هذا

---

(١) يبعد ميل عن مدينة سامراء . أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (الهاروني)، ج٥، ص٤٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٥.

(٣) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة (المعشوق)، ج٥، ص١٨٣.

(٤) دفتر ، الدينار الإسلامي، ص٢٦١.

(٥) دفتر، الدرهم الإسلامي، ص١٥٧ .

(٦) اتجه بعض أعداء الدولة العباسية إلى إتخاذ الأبنية مثل صاحب الزنج ، وبسبب ذلك قيل أنه فقد الثقة باتباعه . أظر هذا الرأي عند : الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٣٥.

(٧) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٤٠٥؛ ابن الجوزي، المنتظم ج٨، ص١٠٣.

(٨) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٣٩٣.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٦٥.

فقد أضرت السياسة العمرانية لبعض الخلفاء بمصالح الأهالي، ومن ذلك قيام الخليفة المكتفي على أخذ الكثير من الضياع والمزارع في نواحي بغداد لبناء أحد قصوره دون أن يعوض أصحابها[٢].

**٦) نفقات المؤدبين والشعراء والجلساء وأكابر المُلهين[٣] .**

عكست العديد من الرسومات والنقوش على قصور الخلفاء العباسيين بخاصة في سامراء مظاهر مجالسة الشعراء والندماء للخليفة[٤] ، إذ لقي الشعراء ومجالس الطرب عناية واضحة من الخلفاء الذين انفقوا عليهم الأموال الطائلة[٥]، فقد بذل الخليفة الواثق لأحد المغنين (٣٠,٠٠٠ درهم)[٦]، وأعطى لإبن الأعرابي المؤدب (ت٢٣٢هـ/٨٤٨م) ما مبلغه (٢٠,٠٠٠ درهم)[٧]، وأمر بصلات لغيرهم تقدر بمبالغ كبيرة[٨]، ولكن عرف عن المتوكل أنه من أكثر الخلفاء الذين أسرفوا في الإنفاق على الشعراء والمغنين، فقد أعطى للشاعر مروان بن أبي الجنوب (ت بعد ٢٤٧هـ/بعد ٨٦١م) (٥٠,٠٠٠ دينار)[٩]، ومرة أخرى أمر له بصلة مقدارها (١٢٠,٠٠٠ دينار) وثياب

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، ج٢، ص١٤١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٤٨.

(٣) هكذا ذكروا في قوائم النفقة ( الجلساء وأكابر الملهين ومن يجري مجراهم ) وكانت مدة الجرايات الشهرية لمن في القصر منهم تصرف على شهور مدتها ٤٥ يوماً. انظر : الصابيء ، الوزراء، ص٢٦ ، الصابيء، رسوم دار الخلافة، ص٢٣.

(٤) للمزيد أنظر : كريزويل، الآثار الإسلامية ، ص٣٥١ .

(٥) أنظر مثلاً: النديم، الفهرست، مج١، ص٩٤؛ المجالي، رابعة عبد السلام، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٠٧م، ص٢٩٩. وسيشار له لاحقاً : المجالي، ملامح الحياة العباسية، متز، الحضارة الإسلامية ،ج١، ص٢٧٢– ٢٧٣. وسيشار يوسف، سلوى عبد الخالق، المجالس الخاصة لبعض خلفاء العصر العباسي الثاني، حوليات آداب عين شمس، مجلد ٣٤، عدد٣، ٢٠٠٦م، ص٨٠٦ وسيشار له لاحقاً: يوسف، المجالس الخاصة.

(٦) التنوخي، المستجاد، ص٢٤٠؛ ابن حمدون، التذكرة، ج٩، ص٢٤.

(٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٦٩؛ السيوطي، فاكهة الصيف، ص٣٦٠.

(٨) النديم، الفهرست، مج١، ص٩٤.

(٩)سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٣.

وضياع[١] بسبب العديد من الأشعار التي قالها في الخليفة ، مما كان لها أثر في توجيه رأي العامة له، وأعطى للشاعر البحتري الوليد بن عبدالله (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) مبلغ (١٠,٠٠٠ درهم) [٢].

وأمر ليعقوب بن اسحاق بن السكيت (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م) مؤدب ابنه المعتز (٥٠,٠٠٠ درهم)[٣]، هذا إلى جانب النفقات الكثيرة لشراء الجواري والمغنيات أيضاً.

وعرف عن الخليفة المستعين بذله المال الكثير للشعراء، فقد أمر لأحد الشعراء بخريطة مملوءه دنانير[٤]، ويبدو أن صلاته وافرة، وإن لم يحدد مقدارها، وفي ذلك يقول ابن حمدون النديم (ت٣٠٩هـ/٩٢١م): " حسبت ما وصلني به المتوكل فكان ستين ألفاً وثلاثمائة ألف دينار، أما المستعين فكان أكثر مما وصلني به المتوكل"[٥].

وأنفق الخليفة المنتصر الأموال أيضاً في شراء الجواري، حتى ذُكر أنه أمر بشراء جارية بمبلغ (١٠٠٠ دينار) لأحد رجال الدولة[٦]، وعُرف عن الخليفة المكتفي منحه الصلات والأموال للشعراء، فقد أعطى لعبيد الله بن عبدالله بن طاهر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ألف دينار[٧].

وإلى جانب الخلفاء، فقد أنفق بعض رجال الدولة الأموال الطائلة على الشعراء أيضاً، أضرت بالخزينة وأدت إلى تدهور الوضع المالي للدولة، فقد أمر وزير المعتمد الحسن بن مخلد (ت٢٦٩هـ/٨٨٢م) لأحد

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٤، ص٣٥٩.
(٢) القفطي، علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، المحمدون من الشعراء وأشعارهم تحقيق حسن معمري، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م، ص١٣٢. وسيشار له لاحقاً: القفطي، المحمدون من الشعراء.
(٣) وفي رواية أخرى أسنى له الرزق: اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١١٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٣٩.
(٤) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٢٤٥.
(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٤١٩.
(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٥.
(٧) القفطي، المحمدون من الشعراء، ص٣٤٥.

الشعراء بجائزة مقدارها مائة دينار ثم ضاعفها له [١]، وبنفس الاتجاه كان الوزير أبو الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) يُطلق للشعراء في كل سنة من سني وزارته في عهد المقتدر (٢٠,٠٠٠ درهم) سوى الصلات المتفرقة[٢]، لمدحهم له وتأييدهم لوزارته، يقول الصولي (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) في حوادث سنة (٢٩٩هـ/٩١١م): « زاد ابن الفرات في رزقي وصلتي وقضاء حوائجي فعملت فيه أشعاراً حساناً»[٣]، وأنفق الوزير محمد بن عبيدالله بن خاقان (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) على أحد الشعراء (٥٠,٠٠٠ دينار) [٤]، وفي نفس الإتجاه كانت نفقات أمير الأمراء ابن الرائق (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠ م) لشراء إحدى الجواري المغنيات بمبلغ (١٤,٠٠٠ دينار) مما أرهق خزينة الدولة المضطربة أساساً[٥] .

وتجدر الإشارة إلى أنه لم تقتصر نفقات الدولة على تلك المجالات، بل كانت هناك وجوه أخرى عديدة للإنفاق سواء ما ورد في القوائم الصادرة عن دواويين الخلافة أو لم ترد فيها، فقد ذكر الوزير أبو العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي ( ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م ) ما يدلل على عدم تدوين جميع مبالغ النفقة قائلاً : " هذا عمل صحيح وليس كل ما أنفَقتهُ كَتَبتهُ" [٦]، وهذا يعكس مقدار النفقات وتعدد وجوهها وعدم إمكانية الوقوف على إحصاء دقيق لها.

ومن مجالات الإنفاق الأخرى، ما كان يصل به الخلفاء فقراء مدن العراق، فيذكر أن الخليفة المتوكل جعل هناك ديواناً خاصاً يشرف على شؤون الفقراء كما يبدو من اسمه وهو ديوان (

---

(١) الجهشياري، نصوص ضائعة ، ص٨٤ .
(٢) الصابىء، الوزراء، ص٢٢٣.
(٣) الصولي، ما لم يُنشر من أوراق الصولي، ص٧٩.
(٤) المصدر نفسه ، ص٨٨.
(٥) المصدر نفسه، ص١٠١.
(٦) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٥ ، ص٢٢٦ .

الصدقات على الأضراء ) [١]، وقد تصدق الخليفة المقتدر عليهم في سنة ( ٣٠٢هـ/ ٩١٤م) بمبلغ (١٠٠,٠٠٠) دينار[٢]، وتكرر الأمر في سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م ) عندما تصدق مع أمه بمبلغ ( ١٠٠,٠٠٠) درهم [٣]. ويبدو أن الإنفاق على وجوه البر والصدقة كان يأتي لمدن العراق من خارجها أيضاً، حيث كان أحمد بن طولون (ت٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) يرسل صدقاته للعراق من مصر[٤]، مما يفسر صعوبة تقدير النفقات المتصلة بصدقات الفقراء في هذه الفترة لتعدد مصادرها .

ومن النفقات الأخرى التي لم يقدر مبلغ نفقتها هي نفقات الأعياد فقد جرت العادة أن يقوم الخليفة العباسي بتوزيع العديد من الأنعام في الأعياد على القادة والفرسان وموظفي الدواوين[٥]، ولم تظهر في إشارات المصادر مبلغ ما صرف ثمناً لها .

ودفع الإضطراب المالي إلى قيام الدولة بتفعيل عمل دواوين الأزمة، والتي كانت لها مهمة الإشراف والرقابة على الأمور المالية لكافة الدواوين[٦]، ومنها ديوان زمام النفقات[٧]، وزمام الخراج والضياع السلطانية[٨]، وقد شكلت النفقات المتعددة للدولة، أزمة، دفعتها إلى إعادة ضرب بعض الدراهم مرتين كما هو الحال في درهم المقتدر( ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) المضروب في مدينة سامراء سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م)

---

(١) يشبه على ما يبدو في عمله ( ديوان الزّمنى) . الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ( ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٣٣ . وسيشار له لاحقاً : الجهشياري، الوزراء والكتاب؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥ ، ص١٣٦ .

(٢) الصولي ، ما لم ينشر من أوراق الصولي ، ص٨٧ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٩٨.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم ، ج٥، ص٢٥٤.

(٤) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦، ص٧٨.

(٥) الصابيء ، الوزراء ، ص٢٨٩ .

(٦) الحياري، الدواوين ، ص٤٣؛

(٧) الصابيء ، الوزراء ، ص٣٨٠ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٥، ص٢٢٠ .

(٨) الصابيء ، الوزراء ، ص٢٨٤ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٥، ص٧٣.

[١]، محاولة منها التخفيف من حدة المشكلة المالية ، لذا فإن تعدد جهات الإنفاق في الدولة مع قلة الموارد، أدى إلى إرهاق ميزانية الدولة، وبالتالي تدهور وضعها المالي.

## الخاتمة

تأثرت الحياة الإقتصادية في العراق خلال فترة الدراسة ( ٢٢٧- ٣٣٤هـ/ ٨٤٢ – ٩٤٦م) بالعديد من الأحداث السياسية ، المتمثلة بالفتن والحركات السياسية الخطرة مثل حركة الزنج

(١) القسوس، المسكوكات غير المنشورة، ص١٠٣ .

وحركة القرامطة، إضافة إلى التوتر بين الدولة العباسية وإمارات الإستيلاء الطاهرية والصفارية والسامانية التي رفضت في العديد من الفترات دفع أموال الخراج ، وقيام الجند بحالات متكررة من الشغب، بسبب إنقطاع أرزاقهم ( رواتبهم) ، الأمر الذي دفع الدولة العباسية نحو سياسة الإقتراض من بعض التجار الأغنياء، مما زاد من أعباء خزينتها، يضاف إلى ذلك إنتشار الفساد الإداري والمالي في أرجاء الدولة العباسية ، الذي أصبح سمة تغلب على فترة الدراسة.

واجه النشاط الزراعي تردي واضح سببه تقصير بعض الولاة وقلة خبرتهم في شؤون إدارة الضياع وصيانة وسائل نظام الري، إضافة لوجود الأخطاء الهندسية والمعمارية لبعض المشاريع الإروائية، إلا أنه يلاحظ بروز جهود فردية قام بها بعض الخلفاء العباسيين مثل الخليفة المتوكل والمعتضد في مجال الإهتمام برعاية وإدارة شؤون النشاط الزراعي، كما ساهم بعض رجال الدولة مثل الوزير علي بن عيسى بتنظيم أمر الخراج وتوجيه الجباة للتخفيف عن المزارعين ورفع الظلم عنهم بسبب الضرائب العالية غير المنتظمة، وفي نفس السياق نجح المزارعون والتجار في العراق من التعايش مع الأحوال الإقتصادية التي تمر بها الدولة العباسية بسبب الأزمة السياسية والكوارث الطبيعية، من خلال إبتكار أساليب معاشية مهمة تتعلق بنمط الغذاء، ساهمت في تخفيف حدة الكوارث من قحط وجفاف، كما رافق النشاط الزراعي في العراق تقدم واضح في جانب الإنتاج الصناعي بخاصة صناعة المنسوجات والعطور وغيرها من أوجه النشاط الصناعي المتعددة، مما زاد من فعالية بعض المجالات الإقتصادية الأخرى بخاصة التجارة.

تميز النشاط التجاري في فترة الدراسة بحالة من التحسن والانتعاش قياساً بغيرها من المجالات الإقتصادية الأخرى، لأسباب عديدة أبرزها التفات رجال الدولة من قادة ترك ووزراء وكتّاب للعمل في هذا المجال، إلى جانب حرص المناوئين للدولة العباسية نحو ضرورة الحصول على الميرة واستمرار علاقاتهم التجارية لتوفير الأموال لخزائن إماراتهم ، كما لعب التجار دوراً مهماً

في اقراض الدولة العباسية وحفظ أموال العديد من رجالها، كودائع لحمايتها من المصادرة ، مما كان له أثر واضح في تطور الحركة التجارية.

وبالرغم من تعرض العديد من الطرق والأسواق إلى خطر هجمات اللصوص والقراصنة، وصعوبة سير القوافل أو السفن في العديد من الطرق البحرية والنهرية والبرية ، إلى جانب حالات حرق العديد من الأسواق وتوقف حركة النشاط التجاري فيها، إلا أن الجهود الفردية والرسمية المبذولة لإعادة تأهيل الطرق ومواجهة أخطار الهجمات، وتعزيز الخدمات والوسائل الإرشادية كان كفيلاً في مواجهة التحديات، والتوجه نحو تعزيز نشاط حركة التجارة الخارجية من أجل توفير الحاجات والسلع الضرورية لمعيشة أهالي العراق ، دلّ على ذلك بروز أسماء العديد من التجار الذين نشطوا في التنقل بين العراق والأقاليم المجاورة .

تعرضت مالية الدولة العباسية في العراق إلى الإضطراب والتراجع ، إتضح ذلك بارتفاع معدل نفقات الدولة العباسية مقارنة بمواردها، إلى جانب ظهور العديد من الظواهر الإجتماعية السلبية وفي مقدمتها الرشوة والتدليس ( التزوير)، وغياب الحزم من قبل بعض الخلفاء والوزراء وضعف الرقابة على كتّاب الدواوين غلى جانب غياب سلطة العلماء والفقهاء في ردع المتعدين على الأموال العامة، لتشكل جميعها عامل مهم في تراجع الإدارة المالية وضعف مستوى الرقابة على أعمال الدواويين، كما يلاحظ توجه الدولة العباسية نحو العناية بالعديد من مواردها المالية مثل عشور التجارة والمصادرات المالية ، لأنها رأت فيها بديل مالي لسد حاجتها المستمرة من الأموال.

أما على صعيد النظام النقدي فإن هناك حرص واضح من الدولة العباسية نحو توفير مصادر متعددة لمعادن ( الذهب والفضة) من أجل ضرب النقود، كذلك تشديد الرقابة عليها من حيث نسبة المعدن فيها، وعدم تعريضها للغش، مع ذلك أصبح نظام ضرب النقود مجال للتنافس بين أمراء

إمارات الإستيلاء وأصحاب الحركات السياسية مع الدولة العباسية، فيما يتعلق بنقش اسم الخليفة العباسي أو عدم ذكره عليها .

لقد أثبتت بعض النقوش والمخلفات الأثرية المادية، والوثائق البردية، الأصول العربية لــبعض النظم الإدارية المالية مثل الخراج ، كذلك رصدت العديد من ملامح التطور الإقتصادي خلال فترة الدراسة في مجال صناعة الملابس والخزف والزجاج، مما أفاد في رسم الإطار العــام والــدقيق للحياة الإقتصادية الذي غابت بعض ملامحها في المصادر التاريخية التي اتجهت معظمهــا نحــو رصد الحدث السياسي بوجه خاص.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولاً : المصادر :**


- **القران الكريم .**
- ابن الأبار، أبو عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، **إعتاب الكتاب**، تحقيق صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م .
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني( ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م )، **الكامل في التاريخ**، ١٠ مجلدات، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠١١م.
- ابن الأجدابي، ابراهيم بن اسماعيل (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ، **كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ**، تحقيق عبد القادر المبارك، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.
- ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تحقيق روين لوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، ١٩٣٧م .
- الإربلي، عبد الرحمن بن ابراهيم بن قنينو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك**، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد ، ١٩٦٠م.
- الأزدي ، أبو محمد عبد الغني بن سعيد ( ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) ، **مشتبه النسبة في الخط وإختلافها في المعنى واللفظ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- الأزدي، أبو الحسن علي بن منصور (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)، **أخبار الدول المنقطعة**، ٢جزء ، تحقيق محمد طعاني وآخرين، مؤسسة حمادة ، اربد، ١٩٩٩م.

- الأزدي، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م)، **كتاب الماء**، ٣ أجزاء، تحقيق هادي حسن حمودي، وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان، ١٩٩٦م.
- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، ٢جزء، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الثقافة، العراق، ١٩٧٧- ١٩٧٨م.
- أبو اسحاق القيرواني، ابراهيم بن علي (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، تحقيق محمد أمين الخانجي، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.
- أبو اسحاق القيرواني، **نور الطّرف ونور الظّرف (كتاب النورين)**، تحقيق لينة عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦.
- الإسفرايني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر (ت٤٧١هـ/١٠٧٨)، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين**، تحقيق محمود محمد الخضيري، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٥م.
- الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **مبادئ اللغة**، تحقيق يحيى عبابنة وعبد القادر الخليل، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧م.
- الإصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١.
- الأصفهاني، حمزه بن الحسن (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ط٣، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.
- الأصفهاني، أبو علي المرزوقي (ت بعد ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، **الأزمنة والأمكنة**، ٢ جزء ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، **الأغاني**، ٢٥، جزء تحقيق ابراهيم وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الأصفهاني، **مقاتل الطالبين**، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- الأصفهاني، **أدب الغرباء**، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢م.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، **كتاب النبات**، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن الأكفاني، محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري ( ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، تحقيق محمود فاخوري ومحمد كمال وحسين الصديق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن الأنطاكي، داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م)، **تذكرة داود الأنطاكي أو تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب**، ٢ جزء، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، **تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا)**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، ليبيا، ١٩٩٠م.
- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **الديوان**، ٢ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن بعرة الذهبي، منصور بن بعرة الكاملي (ت.ق٧هـ/ق١٣م)، **كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية**، تحقيق عبد الرحمن فهمي، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م .
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٩٥م.
- البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، **كتاب الطبيخ**، تحقيق قاسم السامرائي، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٤م.
- البكري الأندلسي، عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٠م .
- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **المسالك والممالك**، مجلد (٢جزء)، تحقيق أدريان خان ليوفن وأندري فيري، وزارة الثقافة، تونس،١٩٩٢م.
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **فتوح البلدان**، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٧٥.
- البلوي ، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت بعد ٣٣٠هـ/بعد ٩٤١م)، **سيرة أحمد بن طولون**، تحقيق محمد محمود علي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل (ت٧٣٠هـ/١٣٣٩م)، **روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب**، ترجمة محمود عبد الكريم علي ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- البهوتي، منصور بن يونس (ت ١٠٥١هـ/١٦٤٢م)، **شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولى النهي لشرح المنتهي**، ط٢، ٣ مجلدات، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م.

- البوزجاني، أبو الوفاء محمد بن عمر بن يحيى (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **المنازل السبعة**، مجموع في كتاب تاريخ علم الحساب العربي، تأليف أحمد سليم سعيدان، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧١م.
- البوزجاني، أبو الوفاء محمد بن عمر بن يحيى (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **كتاب الحاوي للأعمال السلطانية ورسوم الحساب الديوانية**، ( مخطوط) نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية عن نسخة المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٢٤٦٢ .
- بولو، ماركو (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، **الرحلات**، ٣ أجزاء، ترجمة عبد العزيز جاويد ووليم مارسدن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ه/ ١٠٤٨م)، **في تحقيق ماللهند** ، مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، ١٩٥٨م.
- البيروني، محمد بن أحمد (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، **الصيدنة**، تحقيق الحكيم محمد سعيد ورانا محمد، مؤسسة همد والوطنية كراتشي، باكستان، ١٩٧٣م.
- البيروني، محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، **الجماهر في معرفة الجواهر**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٣٦م .
- التاجر، سليمان (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م) والسيرافي، أبو زيد حسن (ت ٢٦٧هـ/ ٨٨٨م)، **أخبار الصين والهند**، تحقيق يوسف الشاروني، دار المعرفة اللبنانية، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
- ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٣٧٢م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ جزء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، ٨ أجزاء، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، (١٩٧١-١٩٧٣م).
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، **الرسالة البغدادية**، تحقيق عبود الشالجي، منشورات الجمل، بيروت، ١٩٩٧م.
- التوحيدي، **البصائر والذخائر**،١٠ أجزاء، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م .
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **رسائل**، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠١م .
- الثعالبي، **مرآة المروءات**، تحقيق إحسان ذنون الثامري، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م.
- الثعالبي ، **من غاب عنه المطرب**، تحقيق عبد المعين الملوحي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م.
- الثعالبي، **زاد سفر الملوك**، تحقيق رمزي بعلبكي وبلال الأرفة لي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠١١م.
- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٩١هـ/٩٠٣ م)، **مجالس ثعلب**، ٢ جزء ، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٤٨م.
- الجاجرمي، أبو المعالي المؤيد محمد (ت٧هـ/١٢م)، **نكت الوزراء**، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ( ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م )، **التبصر بالتجارة**، ط٢، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٣م .

- الجاحظ ، **الحيوان**، ٤ مجلدات، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م .
- الجاحظ ، **رسائل الجاحظ (مناقب الترك)**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- ابن الجزار، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)، **كتاب الإعتماد في الأدوية المفردة**، (مخطوط ) في الجامعة الأردنية طبع بالتصوير عن مخطوط آيا صوفيا (رقم ٣٥٦٤) ، المحفوظ في مكتبة السليمانية، اسطنبول، نشر معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، ١٩٨٥م.
- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت ق٤هـ/ق١١م)، **تاريخ ابن جلجل**، تحقيق فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٣م)، **المعرب من الكلام الأعجمي**، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، ١٠ أجزاء، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م .
- ابن الجوزي، **كشف النقاب عن الأسماء والألقاب**، تحقيق محمد رياض المالح، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، **نهاية المطلب في دراية المذهب في فروع المذهب الشافعي**، ١٤مجلد ، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

- الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ( ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، **الــوزراء والكتّــاب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- الجهشياري ، **نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب**، جمع وتحقيق ميخائيل عواد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م.
- الحافظ الدمياطي، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (ت ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)، **فضل الخيل**، تحقيق نظام محمد صالح، دار النوادر، دمشق، ٢٠١١م.
- ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، **شرح نهج البلاغة**، (١٥مجلد) جزء ، تحقيق محمد عبد الكريم النمير، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (ت ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)، **نزهــة الخــواطر وبهجــة المسامع والنواظر**، تحقيق عبد العلي الحسني وأبو الحسن علي النــدوي، مجلــس دائــرة المعارف، حيدر أباد، ١٩٧٢م.
- الحمادي، أبو عبدالله محمد بن مالك (ت حوالي ق٥هـ/ ق١٠ م)، **كشف أسرار الباطنيــة وأخبار القرامطة**، تحقيق محمد علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صــنعاء، ١٩٩٤م .
- ابن حمدون ، محمد بن الحسن ( ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ، **مخطوط التــذكرة الحمدونيــة** ، ج١٢ ، نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية عن مخطوطة مكتبــة أحمــد الثالــث ، شريط ميكروفيلم رقم (٨٨٩) .
- الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، **جذوة المقتــبس**، تحقيــق روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم ( ت٩٠٠هـ/ ١٤٤٩م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط٢، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٨٤م.
- الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٨م)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، ١٢ جزءً، تحقيق حسين العمري وآخرين، دار الفكر، دمشق ، ١٩٩٩م.
- الحنبلي، عبد الحي ابن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨)، ٨ أجزاء، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٧م.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م)، **المسالك والممالك**؛ مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، **أحكام الأوقاف**، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **البخلاء**، تحقيق أحمد مطلوب وآخرون، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤م.
- الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، ٢٣ جزء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- الخطيب البغدادي، **كتاب التطفيل**، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، ١٩٨٦م.
- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، **شرح مقصورة ابن دريد**، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١م .

- الخطيب التبريزي، **شرح ديوان أبي تمام،** ٤ مجلدات، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م .
- الخطيب، شمس الدين محمد بن علي (ت ق٨هـ/ق١٤م)، **البدور المسفرة في نعت الأديرة** ، تحقيق هلال ناجي، مجلة الكتاب، عدد٧، سنة ٩ ، بغداد، ١٩٧٥م .
- الخلال، أحمد بن بن هارون (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، **كتاب الوقوف،** ٢ مجلد، تحقيق عبد الله بن أحمد بن علي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٠م.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** ٤ مجلدات، تحقيق محمد عبد الرحمن محمد مرعشلي ورياض عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧.
- الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م)، **صورة الأرض،** تحقيق هانس فون فريك، مطبعة أدولف هولز، فينا، ١٩٢٦م .
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف( ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم،** تحقيق فان فولتين، ليدن، بريل، ١٩٦٨م .
- ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، **تاريخ خليفة بن خياط،** ٢جزء، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧م.
- الإشبيلي ، ابن الخير (ت ق ٥هـ/ ١١م)، **عمدة الطبيب في معرفة النبات،**٢ جزء ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٠م،
- أبو دلف، مسعر بن مهلهل الخزرجي( ت حوالي ٣٩٠هـ/٩٩٩م) ، **الرسالة الثانية،** تحقيق بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، ترجمة محمد خير حرسي ، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، **حياة الحيوان الكبرى**، ٤ أجزاء، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٥م،
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م)، **الرقة والبكاء**، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، مكتبة العبيكان، ١٩٩٤م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥)، **الأخبار الطوال**، تحقيق عصام محمد الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام**، أحداث ( ٢٦١-٢٧٠هـ) ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
- الذهبي، **سير أعلام البنلاء**، ٣٠ جزء، تحقيق شعيب الأرنؤط وأكرم البوشي، ط٢، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠١١م،
- الرامهرمزي، بزرك بن شهريار الناخذاة (ت بعد ٣٤٠هـ/ بعد ٩٥١م)، **عجائب الهند وبحره وجزايره**، د.ن، د.م، ١٩٠٨.
- ابن رستة، أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، **الأعلاق النفيسة**، تحقيق ف. وستنفلد، ليدن، بريل، ١٨٩١م.
- ابن الرفعة الأنصاري، أبو العباس نجم الدين (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، **الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان**، تحقيق محمد أحمد اسماعيل الخاروف، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.
- الرهاوي، اسحاق بن علي (ت حوالي ٣٢٥هـ/٩٣٦م)، **أدب الطبيب**، تحقيق حريزن سعيد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٩٩٢م.

- الرشيد ، أحمد بن علي بن ابراهيم ( ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) ، **الذخائر والتحف**، تحقيق محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ، ١٩٥٩م .
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، ٥ أجزاء، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن زهر الأندلسي، أبو مروان عبد الملك (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦١م)، **كتاب الأغذية** ، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- أبو زيد البلخي،أحمد بن سهل ( ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) ، **البدء والتاريخ**، ٢ جزء، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأ وغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ٢٣ جزء، تحقيق محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣م.
- السرخسي، شمس الدين أبي بكر محمد بن سهل (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) ، **المبسوط**، (١٠) مجلدات ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م،
- أبو سعيد الآبي، منصور بن الحسين (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **نثر الدّر**، ج٧، تحقيق منير محمد المدني وحسين نصار، الهيئة المعربة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م .
- أبو سعيد الآبي، **نثر الدّر**، ج٥، تحقيق محمد ابراهيم عبد الرحمن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م .
- السمرقندي، أبو نصر أحمد بن محمد (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، **الشروط والوثائق**، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨م.

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد ( ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ، **الأنساب**، ٤ مجلدات، تحقيق محمد أحمد حلاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٩٩م.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف ( ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٣م) ، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ،** ٤ أجزاء ، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م.
- سهراب (ت ق ١١هـ/١٧م)، **عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة**، تحقيق جانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م.
- السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، **شرح ديوان امرؤ القيس** (مخطوط) مصور في الجامعة الأردنية عن مخطوط جامعة بيل، الولايات المتحدة الأمريكية تحت رقم L . ٣٥٥ .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم الشماعي ومحمد العثماني، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد ( ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) ، **الديارات**، ط٢، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **الملل والنحل**، تحقيق كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ٢٠١١م .
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦م.
- الصابيء، أبو الحسن محمد بن هلال (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) **الهفوات النادرة**، تحقيق محمود سعيد وطلعت الشيخ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- الصابئ ، أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، **رســوم دار الخلافــة**، تحقيق ميخائيل عواد، دار الآفاق ، القاهرة، ٢٠٠٣م .
- الصابيء ، **المنتزع من كتاب التاجي**، تحقيق محمد الزبيــدي، وزارة الإعــلام، بغــداد، ١٩٧٧م.
- الصابيء ،**الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، تحقيق عبد الستار أحمــد فــراج، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الصفدي، صلاح الدين أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)،**الوافي بالوفيات**، ٣٠ جــزء، تحقيــق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الصوفي، عبد الرحمن بن عمر (ت ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)، **كتاب العمل بالإصطرلاب**، تحقيــق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٦٢م.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، **أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢هـ وإلى سنة ٣٣٣هـ**، تحقيق ج . هيورث ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م.
- الصولي، **ما لم يُنشر من أوراق الصولي**، تحقيق هلال ناجي، عــالم الكتــب، بيــروت، ٢٠٠٠م.
- ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب (ت بعد٥٥٠هـ/١١٥٥م)، **مسيّر التاريخ**، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن سعد آل سعد، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، ٢٠١٣م.
- الطبرهاني، الحسن بن البهلول، (ت ق٤هـ/ق١٠م)، **كتاب الدلائل**، (مخطوط) في الجامعة الأردنية طبع بالتصوير عن مخطوطة كيم أوغلي رقم (٥٧٢) مكتبة السليمانية اســطنبول، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٥م.

- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧م.
- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ١٥ مجلد، إعتنى به محمد علي وجمال أحمد حسين، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م.
- الطرسوسي، نجم الدين ابراهيم بن علي الحنفي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م)، **تُحفة الترك فيما يجب أن يُعمل في الملك**، تحقيق عبد الكريم مطيع الحمداوي، دار الحق ، دمشق ، ٢٠٠٠م .
- ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، تحقيق ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الكاتب( ت٢٨٠هـ/٨٩٣ م) ، **تاريخ بغداد**، تحقيق عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩م.
- ابن عابدين، محمد أمين بن عمرو (ت١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)، **رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين ويليه تكملة الحاشية المُسماة قرة عيون الأخيار**، ١٢جزء، تحقيق محمد صبحي حسن الحلاق وعامر حسين، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
- العباسي، الحسن بن عبدالله (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)، **آثار الأول في ترتيب الدول**، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٧٨م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**،٦ أجزاء، تحقيق بركات يوسف، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن العبري، عمر غريغورس أبي الفرج (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، **تاريخ مختصر الـدول**، تحقيق أنطون صالحاني، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله ( ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ، **الإستذكار**، ٣٠ جزء، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٩٣م.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م)، **الأموال**، تحقيق خليل محمد الهراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جراده (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، **بغية الطلب في تـاريخ حلب**، (١١) جزء، تحقيق سهيل زكار، معهد تاريخ العلوم العربية والإسـلامية، دمشـق، ١٩٨٩م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، **تاريخ مدينة دمشق و ذكر فضلها و تسمية من حلها من الأماثل أو أجتاز بنواحيها من وارديهـا و أهلهـا** ، (٨٠) جزءً، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
- علوي ، ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، **سفر نامه**، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٣م.
- العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **مسالك الأبصـار في ممالك الأمصار**، ٩ أجزاء، تحقيق محمد خريسان وآخـرون، مركـز زايـد للتـراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.
- الغرناطي، أبو حامد محمد عبد الرحيم الأندلسي( ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) ، **تحفـة الألبـاب ونخبة الإعجاب**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م )، **أسرار الزكاة**، تحقيق عبد العال أحمد محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٢م .
- الغساني، علي بن داوود (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل**، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.
- فارتيما، لودفيكو دي (ق٩هـ / ق١٥م)، **رحلات فارتيما الحاج يونس المصري**، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م،
- بن فريعون، مبتغى (ق٤هـ/١٠م)، **جوامع العلوم**، تحقيق قيس كاظم الجنابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- أبو الفضل الدمشقي ، جعفر بن علي ( ت. بعد ٥٧٠هـ/١١٧٤ م) ، **الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلّسين فيها** ، تحقيق محمود الارناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩م.
- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس (حوالي ٣٠٩هـ/٩٢١م)، **رسالة ابن فضلان** ، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٩م،
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.
- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الزراق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، **مناقب بغداد**، تحقيق محمد عبدالله القدحات، دار الفاروق، عمّان، ٢٠٠٨م،
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **الأنواء في مواسم العرب**، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، الهند، ١٩٥٦م .

- قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)، **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م .
- ابن قدامة ، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) ، **المغني**، ط٢، ١٥ جزءً، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجرة، القاهرة، ١٩٩٢م .
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م)، **قُضاة قرطبة**، تحقيق ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠٨م،
- القرطبي، عريب بن سعد (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)، **صلة تاريخ الطبري**، بريل، ليدن، ١٩٦٥م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت٤٦٤هـ/١٢٤٨م)، **تاريخ الحكماء**، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٠٣م.
- القفطي، **المحمدون من الشعراء وأشعارهم**، تحقيق حسن معمري، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ١٥جزءً، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر (ت ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م)، **العشرات في اللغة**، تحقيق يحيى عبد الروؤف، عمان، ١٩٨٤م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) ، **أحكام أهل الذمة**، ط٢، ٢ جزء ، تحقيق صبحي الصالح ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**، دار المدى للثقافة، دمشق،٢٠٠١م .

- الكاتب، أبو عون (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)، **الأجوبة المسكتة**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، مطابع الناشر العربي، القاهرة، ١٩٨٣.
- الكازروني، ظهير الدين (ت. ق٧هـ/ ١٣م ) ، **مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية** ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٢م .
- الكاساني، علاء الدين أبي بكر ( ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (١٠) أجزاء، تحقيق محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- الكاشغري، محمود بن الحسين (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م)، **ديوان لغات الترك**، ٢ جزء، دار الخلافة العلية، د.م، ١٩٠٠م.
- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **فوات الوفيات**، ٢ مجلد، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- ابن كثير، الحافظ أبو الفراء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، ١٤جزءً، تحقيق محمد بيومي وآخرون، مكتبة الإيمان، القاهرة ، د.ت .
- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي( ت .ق ٥هـ/ ١١م) ، **زين الأخبار**، تعريب محمد ناوبت، مطبعة محمد الخامس الجامعية ، فاس ، ١٩٧٢م .
- الكوهين العطار، أبو المنى داود بن أبي نصر (ت ق ٧هـ/ ق ١٣م)، **منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان**، تحقيق خليل حسن إبراهيم الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن ماسويه، يحيى (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، **كتاب الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي وصفة الغواصين والتجار**، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

- المالقي، علي النباهي (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)، **مقامة تفضيل النخلة على الكرمة**، تحقيق حسناء الطرابلسي، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، عدد ٢٧، سنة ١٩٨٨م .
- مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، **المدونة الكبرى**، ٩ مجلدات ، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م .
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧م .
- الماوردي، **الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق أحمد جابر بدران، دار الرسالة، القاهرة، ٢٠٠٢م .
- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ/١٩٩٤م)، **معجم الشعراء ويليه تتمة معجم الشعراء**، ٢ جزء، تحقيق عباس هاني الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **التنبيه والأشراف**، صححه عبدالله اسماعيل الصادق، المكتبة العصرية، بغداد، ١٩٣٨م.
- المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ أجزاء، تحقيق محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن أبي يعقوب( ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ، **تجارب الأمم** ، ٨ أجزاء، تحقيق أبو القاسم أمامي ، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ، ١٩٩٧م .

- المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **اتعاظ الخلفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ٢جزء، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠١م.
- المقريزي، **النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود**، ط٥، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧م.
- المقريزي، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط المقريزية**، ٤ أجزاء ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن المقفع، ساويروس (ت ق ٤هـ/١٠م)، **تاريخ مصر في بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة** ، ٤ أجزاء، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكذتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٦م.
- ابن مماتي، الأسعد( ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) ، **قوانين الدواوين**، تحقيق عزيزسوريال ، مطبعة مصر، القاهرة ، ١٩٤٣م .
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، ٩ أجزاء دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- مؤلف مجهول، **أنباء الزمن في أخبار اليمن**، تحقيق محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ن.
- مؤلف مجهول ( ت حوالي ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تحقيق يوسف الهادي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م.
- مؤلف مجهول، **الرسالة الوجيزة إلى الحضرة العزيزة في علوم الخلافة**، إعداد أحمد الدغرني ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٧م .

- مؤلف مجهول، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق،** ٤ أجزاء، تحقيق عمر السعيدي ، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٢م.
- مؤلف مجهول، **كنز الفوائد في تنويع الموائد،** تحقيق مانويلا مارلين وديفيد واينز، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط٢، بيروت، ٢٠١٠م .
- مؤلف مجهول، **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة،** تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٤م.
- النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م)، **تاريخ بخارى،** تحقيق أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرزي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ابن النفيس ، علاء الدين بن أبي الحزم ( ت ٦٨٧هـ/ ١٢٢٩م) ، **الشامل في الصناعة الطبية** ، ٣٠ جزء، تحقيق يوسف زيدان، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م .
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب،** ١٥ مجلد (٣٠جزء)، تحقيق مُفيد قميحة وحسن نور الدين، دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الهمداني ، الحسن بن أحمد (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م)، **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء،** تحقيق حمد الجاسر، الرياض، ١٩٨٧م .
- ابن وحشية، أحمد بن علي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، **الفلاحة النبطية،** ج١، تحقيق فهد توفيق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، ١٩٩٣م.
- ابن وحشية، **الفلاحة النبطية** ،٢ جزء ، تحقيق فهد توفيق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٥م.

- ابن وردان( ت ق ٩هـ/ ١٥م) ، **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- الوشاء، محمد بن إسحاق (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م)، **تفريج المُهج وسبب الوصول إلى الفرج،** تحقيق محمد يونس عبد العال، دار الفردوس، عمان، ١٩٩٧م .
- الوشاء، **الموشى أو الظرف والظرفاء**، تحقيق كمال مصطفى، ط٢، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٣م.
- اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ٤ أجزاء، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً**، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، ٧ أجزاء، تحقيق عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م .
- ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ، ٧ مجلدات، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.
- اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، **البلدان**، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ٢مجلد ، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.
- اليعقوبي، **مشاكلة الناس لزمانهم**، تحقيق وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٠م.

- ابن يعلى ، أبو الحسين بن محمد (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، **طبقات الحنابلة**، ٤ أجزاء، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٥٣م.
- أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم القاضي (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، **كتاب الخراج**، تحقيق محمد عبد الحفيظ المناصير، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٠٩م.
- ابن يونس الصدفي، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد (ت ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، **تاريخ الغرباء**، ٢ مجلد، تحقيق عبد الفتاح فتحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

**ثانياً : المراجع العربية:**


- إبراهيم، حقي اسماعيل (٢٠٠٢م)، **أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية،** عمان : دار الفكر .
- أبو حلتم، نبيل خليل(١٩٨٥م) ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال يتيمة الدهر،** الدوحة : دار الثقافة .
- اتكنسن، جي، دي( ١٩٤٢م)، **الري في العراق ومصر،** بغداد : مطبعة الحكومة .
- الأحمد، سامي سعيد وآخرون (١٩٨٨م)، **التربة والزراعة والري عند العرب،** جامعة بغداد: لجنة إحياء التراث العلمي .
- أحمد، سلوى عبد الخالق( ٢٠١٠م) ، ثورة الزنج، **حوليات آداب عين شمس،** القاهرة، مجلد ٣٨، عدد٣ .
- ادي شير، السيد( ١٩٨٠م) ، **معجم الألفاظ الفارسية المعربة،** بيروت : مكتبة لبنان .
- الأعظمي، عواد مجيد (١٩٨٥م) ، **تاريخ الري في سهول الرافدين من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العهد العباسي،** بغداد : دار الحرية .
- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن(٢٠٠١م) ، **المنّة الكبرى في شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي،** ٩ أجزاء، الرياض : مكتبة الرشد .
- آل ياسين ، محمد حسين(٢٠٠٩م) ، **معجم النبات والزراعة،** ٢جزء ، بيروت : دار ومكتبة الهلال.
- ايرين فرانك وديفيد براونستون ( ١٩٩٧م) ، **طريق الحرير،** ترجمة أحمد محمود،القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة .
- الباشا، محمد، (١٩٩٢م) ، **معجم الكافي،** بيروت، شركة المطبوعات .

- بصمه جي، فرج (١٩٧٢م)، **كنوز المتحف العراقي**، وزارة الإعلام، بغداد: مديرية الآثار العامة .
- بني ياسين، يوسف أحمد وعقلة ، عصام مصطفى(٢٠٠٨م) ، قائمة علي بن عيسى الجراح المالية ( ٣٠٦هـ/ ٩١٨-٩١٩م) ، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، عمان، مج٢، عدد٢ .
- بورى، قاضي أطهر المبارك (١٩٦٥م) ، من النارجيل إلى النخيل، **مجلة ثقافة الهند**، تصدر عن مجلس الهند للروابط الثقافية، مجلد١٦، عدد١ .
- البيلي ، عثمان سيد أحمد (٢٠٠٤م) ، **المعتصم وعسكرة الخلافة العباسية**، ترجمة حسن محمد اسماعيل، بيروت : شركة المطبوعات .
- بيير، لوبيفر (١٩٩٦م)، خانات الطرق في الشرق الأوسط من القرن التاسع حتى التاسع عشر، **الحوليات الأثرية السورية**، دمشق، مج٤٢ .
- البوز، رند خالد (٢٠٠٦م)، **الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد- الأردن .
- ترتون ، أ، س (١٩٦٧م) ، **أهل الذمة في الإسلام**، ط ٢، ترجمة حسن حبشي، القاهرة : دار المعارف .
- التونجي، محمد (١٩٩٨م)، **معجم المعربات الفارسية**، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- التونجي، محمد (١٩٦٩م) ، **المعجم الذهبي** ، بيروت: دار العلم للملايين .
- الجاسر، حمد(١٩٩٤م) ، **أصول الخيل العربية الحديثة**، ٢ جزء ، الرياض : دار اليمامة.

- الجالودي ، عليان ، عبد الفتاح (٢٠١٥م) ، الرسالتان الأولى والثانية للرحالة أبي دلف الخزرجي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : عرض وتحليل ، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، عمّان، مج٩ ، عدد٢ .
- جبار، لمياء صبيح (١٩٨٩م) ، **الصناعات الشعبية في العراق**، جامعة البصرة : مركز دراسات الخليج العربي .
- جروهمان، أدولف (١٩٩٤م)، **أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية**، ط٢، ٦أجزاء، نقله للعربية حسن إبراهيم حسن ، القاهرة : مطبعة دار الكتب .
- الجنابي، جنان خضر(٢٠١٥م)، **النقود الإسلامية المضروبة بمدينة واسط**، عمّان : دار دجلة.
- جودة، جمال (١٩٧٧م) ، **العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام**،عمان : الجامعة الأردنية .
- حبلص، جلال احسان(١٩٨٢م) ، دور بني خاقان في عهد المتوكل وخلفائه (٢٢٧-٣٢٠هـ)، **حوليات جامعة القديس يوسف**، بيروت، مج٢.
- حتامله، محمد عبده (١٩٩٩م) ، **موسوعة الديار الأندلسية**، ٢جزء ، عمان : مطابع الدستور.
- حجارة، اسماعيل أحمد(١٩٧٥م) ، النقود المكتشفة في ياسين تبة، **مجلة المسكوكات**، بغداد : مديرية الآثار العامة، بغداد، عدد٦ .
- الحداد ، فيصل مفتاح(١٩٩٨م) ، **الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، بنغازي: جامعة قار يونس .

- الحداد، محمد حمزة (٢٠٠٢م) ، **النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق .
- الحديثي، عطا(١٩٧٥م) ، الصيانة الأثرية في واسط، **مجلة سومر**، مديرية الآثار العامة ، بغداد، مج٣١ .
- حسن، زكي محمد(١٩٤٦م)، **الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي**، ط٢، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية .
- الحسيني، محمد باقر(١٩٧٥م) ، دراسة احصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي، **مجلة المسكوكات**، مديرية الآثار العامة، بغداد، عدد٦ .
- الحسيني، محمد باقر(١٩٦٩م)، دليل لمجموعة عبدالله شكر الصّراف، **مجلة المسكوكات**، مديرية الآثار العامة، بغداد، مج١، ج٢.
- حلاق ، محمد صبحي(٢٠٠٧م)، **الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية**، صنعاء : مكتبة الجيل الجديد .
- حمدي، محمد(١٩٦٠م)، النيروز عبر التاريخ وفي الأدب العربي، **مجلة الكتاب** ، عدد١، سنة٢ .
- حمودي، خالد خليل (١٩٩٤م) ، **آثار سامراء**، عمان : د.ن .
- حيدر، محمد علي(١٩٧٣م) ، **الدويلات الإسلامية في المشرق**، القاهرة : عالم الكتب .
- خروفة ، نجيب وآخرون(١٩٨٩م) ، **الري عند العرب**، بغداد : مطبعة العمال المركزية .
- خروفة ، وآخرون(١٩٩٩م)، **نظام الري في العصر العباسي**، بغداد: المجمع العلمي العراقي.

- خريسات، محمد عبد القادر(١٩٩٧م)، **المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية**، عمان : الجامعة الأردنية.
- خزنة كاتبي ، غيداء (٢٠٠١م) ، **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري**، ط٣، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- خزنة كاتبي، غيداء (١٩٩٩م) ، الجهبذة في العراق وتطورها حتى القرن الرابع الهجري، **مجلة دراسات** ، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية ، مج٢٦، عدد٢.
- خصباك، شاكر(١٩٨٦م) ، **الجغرافية عند العرب**، بيروت : المؤسسة العربية للنشر.
- خطاب، عادل عبد الله(١٩٩٠م)، خصائص استعمالات الأرض في المدينة العربية دراسة دلالة التراث لمدن البصرة والكوفة وبغداد، **مجلة الجميعة الجغرافية العراقية**، بغداد، عدد ٢٤- ٢٥ .
- الخلف، جاسم محمد(١٩٦٥م)، **جغرافية العراق الطبيعية والإقتصادية والبشرية**، ط٣ ، القاهرة : دار المعرفة.
- خلف، حسن علي(٢٠٠٣م) ، **الأهواز دراسة تاريخية ديموغرافية طوبوغرافية**، د . م: د.ن.
- الدجيلي، خولة شاكر(١٩٧٦م)، **بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري**، بغداد : مطبعة وزارة الأوقاف .
- درادكه، صالح موسى(٢٠١١م)، **دراسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام**، عمان : وزارة الثقافة .
- درويش، مهاب(١٩٧٩م) ، نفائس الدراهم العباسية، **مجلة المسكوكات**، مديرية الأثار العامة، بغداد، عدد٧.

- درويش، مهاب (١٩٧٥م)، **نفائس من الدراهم العباسية في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات**، مديرية الآثار العامة ، بغداد، عدد٦ .
- الدفاع، علي عبد الله (١٩٨١م) ، **أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك**، بيروت : مؤسسة الرسالة.
- دفتر، ناهض عبد الرزاق ( د . ت)، **المسكوكات** ، الكويت : دار السياسة .
- دفتر، ناهض عبد الرزاق (٢٠٠٦م)، **الدينار الإسلامي**، عمان ، دار المناهج للنشر والتوزيع .
- دفتر، ناهض عبد الرزاق (٢٠٠٦م)، **الدرهم الإسلامي** ، عمان : دار المناهج للنشر والتوزيع .
- دلو، برهان الدين عبد الرحمن ( ١٩٩٠م)، **ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري**، ٤ أجزاء ، دمشق : منشورات الإتحاد العام للفلاحين.
- الدوري، تقي الدين (١٩٧٥م)، **عصر إمرة الأمراء في العراق (٣٢٤هـ/٣٣٤هـ)**، بغداد : مطبعة أسعد .
- الدوري ، عبد العزيز(١٩٧٠م) ، **نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية**، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي .
- الدوري، عبد العزيز (٢٠٠٨م)، **النظم الإسلامية** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية.
- الدوري، عبد العزيز(١٩٥٤م) ، **العصور العباسية المتأخرة، بغداد** : الرابطة للنشر.

- الدوري،عبد العزيز (١٩٨٦م)، **تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري**، ط٢، بيروت.
- الديوه جي؛ سعيد(١٩٧٦م) ، نقود الصلة والهدايا، **مجلة المسكوكات**، مديرية الآثار العامة، بغداد، عدد٧.
- رمضان، عاطف منصور(٢٠١٤م)، **درهم نادر ضرب بنيسابور سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) باسم الثائر محمد بن الياس، مجموع في كتاب (دراسات في ذكرى سمير شما)**، الأردن : جامعة اليرموك .
- الرمضاني، عبد الواحد (١٩٧٥م)، المسكوكات الفضية العباسية في مجموعة مركز البحوث الأثارية والحضارة لجامعة الموصل، **مجلة آداب الرافدين**، عدد٦ .
- ريسلر، جاك(١٩٩٣م)، **الحضارة العربية** ، تعريب خليل أحمد خليل، بيروت : منشورات عويدات .
- رينو، هـ. ب (١٩٣٤م) ، **تحفة الأحباب في ماهية الأعشاب**، باريس : مكتبة بول فطنير.
- زلزلة، محمد(١٩٧٦م)، **مجموع الأمثال العامية البغدادية**، الكويت : مؤسسة دار الكتب الثقافية.
- الزهراني، ضيف الله يحيى (١٩٨٦م)، **النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (١٣٢هـ-٣٣٤هـ)**،مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي.
- زيدان، جرجي(١٩٥٨م)، **تاريخ التمدن الاسلامي**، ط٢، ٤ أجزاء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، دار الهلال.

- السامرائي، حسام الدين (١٩٧١م)، **المؤسسات الإدارية في الدولة الإســـلامية**، دمشق، مكتبة الفتح .
- السامرائي، حسام الدين(١٩٨٦م)، **مجالات الضرائب على الأرض والإنتاج الزراعـــي مجموع في كتاب بحوث ودراسات في الحضارة الإسلامية**، المجمع الملكـــي لبحـــوث الحضارة الإسلامية، عمان : مؤسسة آل البيت .
- السامرائي، كمال وآخرون (١٩٧٨م) ، **بحوث الندوة القطرية الثالثة لتـــاريخ العلـــوم عند العرب**، بغداد : مركز إحياء التراث العلمي العربي .
- السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم(١٩٦٨م)، **تاريخ مدينة سامراء**، ٣ مجلدات، بغداد : المجمع العلمي العراقي.
- السعدي، عباس فاضل محافظة(١٩٧٦م) ، **بغداد دراسة في الجغرافيا الزراعية**، بغداد : منشورات جامعة بغداد .
- سعيد، عبد المجيد بكر(١٩٨١م)، **الملامح الجغرافية لدروب الحجيج**، جدة، دار تهامة.
- سليم، محمد السيد وآخرين(٢٠٠١م)، **طريق الحرير الجديد**، القاهرة : جامعة القاهرة.
- السماك، محمد أزهر سعيد وآخرون (١٩٨٥م)، **العراق دراسة اقليمية**، ٢ جزء، بغداد : وزارة التعليم العالي .
- سوسة، أحمد (١٩٤٩م)، **ري سامراء في عهد الخلافة العباســـية**، ٢ جـــزء ، د.م : د.ن.
- سوسة، أحمد (١٩٤٧م)، **مأساة هندسية أو النهر المجهول**، بغداد :مطبعة المعارف .
- سوسة، أحمد(١٩٤٦م)، **تطور الري في العراق**، د.م : د.ن .

- سوسه، أحمد (١٩٦٣م)، **فيضانات بغداد في التاريخ**، ٣ أجزاء، بغداد :مطبعة الأديب البغدادية.
- سوسه، أحمد (١٩٨٣م)، **حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية**، ٢ مجلد ، بغداد: دار الحرية، بغداد.
- الشاش، علي حسين(١٩٧٢م)، استخدام المعايير الحسابية في تحديد أقاليم العراق المناخية، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الرياض، مج٢، عدد٥ .
- شحادة، سهير نوفل(١٩٩٨م) ، **الدور البيئي والتعبيري لعنصر المياه في تشكيل وتصميم الحدائق الإسلامية ما بين التراث والمعاصرة**، رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- الشرقي، طالب علي(٢٠٠١م)، **قصور العراق العربية والإسلامية حتى نهاية العصر العباسي**، بغداد : دار الشؤون الثقافية.
- شريف، ابراهيم (١٩٨٠م) ، حضارة دودة القز وصناعة الحرير، **مجلة الجمعية الجغرافية العراقية**، بغداد، عدد١١ .
- شما، سمير (١٩٨٠م)، **النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين**، دمشق : مطبعة الجمهورية .
- شهاب ، مظهر(٢٠٠٢م) ، **مقال ( الترك)** ، الموسوعة العربية، مج٦، دمشق : د .م .
- شيفر، ادورد(٢٠٠٥م)، **دراق سمرقند الذهبي دراسة في غرائب تانج**، ترجمة سامي الشاهد، أبو ظبي : المجمع الثقافي .
- الضلاعين ، مروان (٢٠٠٦م)، **التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول ( ١٤٥هـ – ٢٤٧هـ)** ، اطروحة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن .

- الطالبي، محمد (١٩٩٥م)، **الدولة الأغلبية**، تعريب المنجي الصيادي، ط٢، بيـــروت : دار الغرب الإسلامي .
- الطراونة، خلف فارس، ودفتر، ناهض عبد الرزاق(١٩٩٤م)، **المســكوكات وقــراءة التاريخ**، عمان : وزارة الثقافة .
- العاملية، زينب بنت علي(١٩٩٩م)، **الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور**، ٢ مجلد ، بيروت : دار الكتب العلمية.
- عباس، احسان(١٩٩٢م)، **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي**، عمـــان : الجامعـــة الأردنية .
- عبد الرحمن، عفيف (٢٠٠٠م) ، **معجم الشعراء العباسيين**، بيروت : جروس برس.
- عبد العليم، أنور(١٩٧٩م)، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفـــة، الكويت : المجلس الوطني للثقافة .
- عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن(١٩٩٩م)، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيـــة** ، ٣ أجزاء ، القاهرة : دار الفضيلة .
- عبد المولى، محمد أحمد(١٩٨٧م)، **العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباســـي**، الإسكندرية : مؤسسة شهاب الجامعة.
- عثمان، شوقي عبد القوي(١٩٩٠م)، **تجارة المحـــيط الهنـــدي فـــي عصـــر الســـيادة الإسلامية**، الكويت : سلسلة عالم المعرفة.
- العش، محمد أبو الفرج(١٩٨٤م)، **النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني**، الدوحة : وزارة الإعلام.

- العطية، خليل إبراهيم (١٩٧٥م) ، مؤلفات أبي حاتم السجستاني، **مجلة الكتاب**، عدد٤، سنة٩.
- علاء الدين، نسيب(٢٠٠٣م) ، **القرامطة**، بيروت : دار الهادي .
- علوي، حسن وآخرون (٢٠١١م) ، **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط** ، المغرب : الدار البيضاء.
- علي ، سعيد اسماعيل (١٩٨٣م) ، **النبات والفلاحة والري عند العرب** ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر .
- العلي، صالح أحمد(٢٠٠١م) ، **سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية**، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- العلي، صالح أحمد (٢٠٠٣م) ، **المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية**، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- العلي، صالح أحمد (٢٠٠٦م)، **علي بن محمد صاحب الزنج ودولته المهزوزة**، بنغازي : دار المدار الإسلامي، بنغازي.
- العلي، صالح أحمد(١٩٨١م)، نهر عيسى في العهود العباسية، **مجلة سومر**، مج٣٧، عدد ١-٢.
- العليمات، فوزية محمد المسلم (٢٠٠٨م)، **مالية الدولة الإسلامية أيام العباسيين الموارد والنفقات( ٢٣٢-٣٣٤هـ)**، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
- مجموعة مؤلفين (٢٠٠٠م)،**عملات إسلامية**، الرياض: دار العلم للطباعة والنشر، الرياض .

- عواد، ميخائيل (١٩٨١م)، **صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي**، بغداد : دار الرشيد.
- عوض، أحمد رفيق(٢٠٠١م)، **القرمطي**، رام الله : بيت المقدس للنشر والتوزيع.
- الغزي، نادية(٢٠١١م) ، **الطيب والعطر في الشرق**، بيروت : الدار العربية.
- الغنيم، عبد الله يوسف(٢٠٠٣م)، **سجل الزلازل العربي**، الكويت : الجمعية الجغرافية الكويتية.
- فاخوري، محمود، وخوّام، صلاح الدين، (٢٠٠٢م)، **موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية وما يعادلها بالمقادير الحديثة**، بيروت : مكتبة لبنان.
- فامبري، ارسنيوس، **تاريخ بخارى** (١٩٨٧م)، ترجمة أحمد محمود الساداتي، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق .
- فهمي، علي محمود(١٩٨١م)، **التنظيم البحري الإسلامي في الشرق المتوسط من القرن السابع حتى العاشر الميلادي**، ترجمة قاسم عبده قاسم، بيروت : دار الوحدة، بيروت.
- فوزي، فاروق عمر(٢٠١٠م)، **تاريخ النظم الإسلامية**، عمان : دار الشروق.
- فوزي، فاروق عمر(٢٠٠٩م)، **الخلافة العباسية عصر القوة والإزدهار**، ٢جزء، عمان : دار الشروق.
- الفيل، محمد رشيد(١٩٦٤م)، **العلاقات التجارية بين العراق والصين في القرون الوسطى**، ٢ مجلد ، بيروت : الجمعية الجغرافية العراقية.
- القسوس، نايف جورج وآخرون(٢٠١٤م) ، **المسكوكات الإسلامية غير المنشورة والنادرة** ، عمان : إصدار متحف البنك الأهلي الأردني للنميات.

- قنواتي، جورج (٢٠١٠م)، **تاريخ كيمبردج للإسلام (المجتمع والحضارة الإسلامية)**، ترجمة خالد أحمد حسنين، القاهرة : المكتب الجامعي الحديث.
- القوصي، عطية (١٩٨٠م)، **تجارة لخليج العربي بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، الكويت : الجمعية الجغرافية الكويتية.
- كاهن، كلود(١٩٧٢م)، **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية**، ترجمة بدر الدين قاسم، بيروت : دار الحقيقة.
- الكبيسي، حمدان عبد المجيد (١٩٧٩م)، **أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي**، الجمهورية العراقية : وزارة الثقافة والفنون.
- الكبيسي، حمدان عبد المجيد (٢٠٠٢م)، **الزراعة والري في العراق في العصور الإسلامية**، بغداد : منشورات المجمع العلمي.
- كريزويل ، كيبل (١٩٨٤م)، **الآثار الإسلامية الأولى** ، نقله للعربية عبد الهادي عبله، دمشق: دار قتيبة.
- الكعبي، المنجي(٢٠٠٥م)، **الدولة الطاهرية في خراسان والعراق**، تونس : مركز النشر للجامعين.
- الكلابي، حياة بنت عبدالله (٢٠٠٩م)، **النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- كوك، ريجارد (١٩٦٢م)، **بغداد مدينة السلام** ، تعريب فؤاد جميل ومصطفى جواد، بغداد : جامعة بغداد.
- كينيدي، هيو، بلاط الخلفاء (٢٠٠٩م)، **قيام وسقوط أعظم أسرة حاكمة في الإسلام** ، ترجمة فائزة اسماعيل أكبر، القاهرة : المركز القومي للترجمة.

- لسترنج، كي(١٩٥٤م) ، **بلدان الخلافة الشرقية**، نقله للعربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد : مطبوعات المجمع العلمي العراقي.
- ليفاثيس، لويز(٢٠٠٥م)، **أسطول الكنز يوم سادت الصين البحار مفخرة عرش التنين**، ترجمة علي أحمد كنعان، طرابلس : تالة للطباعة والنشر.
- متز، آدم (١٩٦٧م)، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ط٤، ٢ مجلد ، نقله للعربية محمد عبد الهادي أبو ريده، ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- المجالي، رابعة عبد السلام(٢٠٠٧م) ، **ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ** ، عمان : دار كنوز المعرفة.
- المجمع العلمي العراقي(١٩٦٠م) ، **مصطلحات في علم التربة**، بغداد : مطبوعات المجمع العلمي العراقي .
- مؤسسة آل البيت ( ١٩٨٥م) ، **الفهارس التحليلية للإقتصاد الإسلامي**، ج٣ ، عمان : المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية .
- مجموعة باحثين(١٩٨٥م)، **حضارة العراق**، ١٣ جزء، بغداد : دار الحرية.
- مجموعة مؤلفين(١٩٨٨م)، **التربة والري عند العرب**، بغداد: لجنة إحياء التراث العلمي.
- مجيد، تحسين حميد(٢٠١٣م)، **هلال الصابئ (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) دراسة لحياته**، عمان: دار اليازوري.
- محمد، بدر عبد الرحمن(٢٠١١م)، **الدولة العباسية**، القاهرة : دار العالم العربي.

- مخلف، هادي أحمد(١٩٨٥م)، **التوزيع الجغرافي لمزارع الدولة في العراق واثرها في التنمية الإقتصادية**، بغداد : جامعة بغداد.
- مديرية الآثار العامة (١٩٦٥م)، **دليل متحف الموصل**، بغداد : مطبعة الحكومة.
- المريخي، سيف شاهين (٢٠٠٦-٢٠٠٧م)، تجارة الكتب عند العرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين، **حولية التاريخ الإسلامي**، القاهرة : جامعة عين شمس، مج٦.
- المسيري، حسين علي (١٩٨٢م)، **تجارة العراق في العصر العباسي**، الكويت : جامعة الكويت، الكويت.
- المغربي، محمد الفاتح محمود(٢٠١١م)، **تمويل واستثمار الأوقاف الإسلامية**، القاهرة : الشركة العربية المتحدة للتسويق.
- المياح، علي محمد(١٩٩٠م)، أرض السّواد دراسة في الجغرافيا والتاريخ، بغداد : **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٤١، ج١ .
- ناجي، عبد الجبار وآخرون (٢٠٠٣م)، **الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي**، القاهرة : مركز الإسكندرية للكتاب.
- نامي، خليل يحيى(١٩٥٤م)، **نقوش خربة براقش**، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة.
- نامي، خليل يحيى(١٩٥٩م)، **نقوش خربة براقش**، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة.
- النخيلي، درويش(١٩٧٩م)، **السفن الإسلامية على حروف المعجم**، ط٢، القاهرة : دار المعارف .
- النقشبندي، ناصر(١٩٧٢م)، نقود الصلة والدعاية، **مجلة المسكوكات**، بغداد : مديرية الأثار العامة، بغداد، عدد٣.

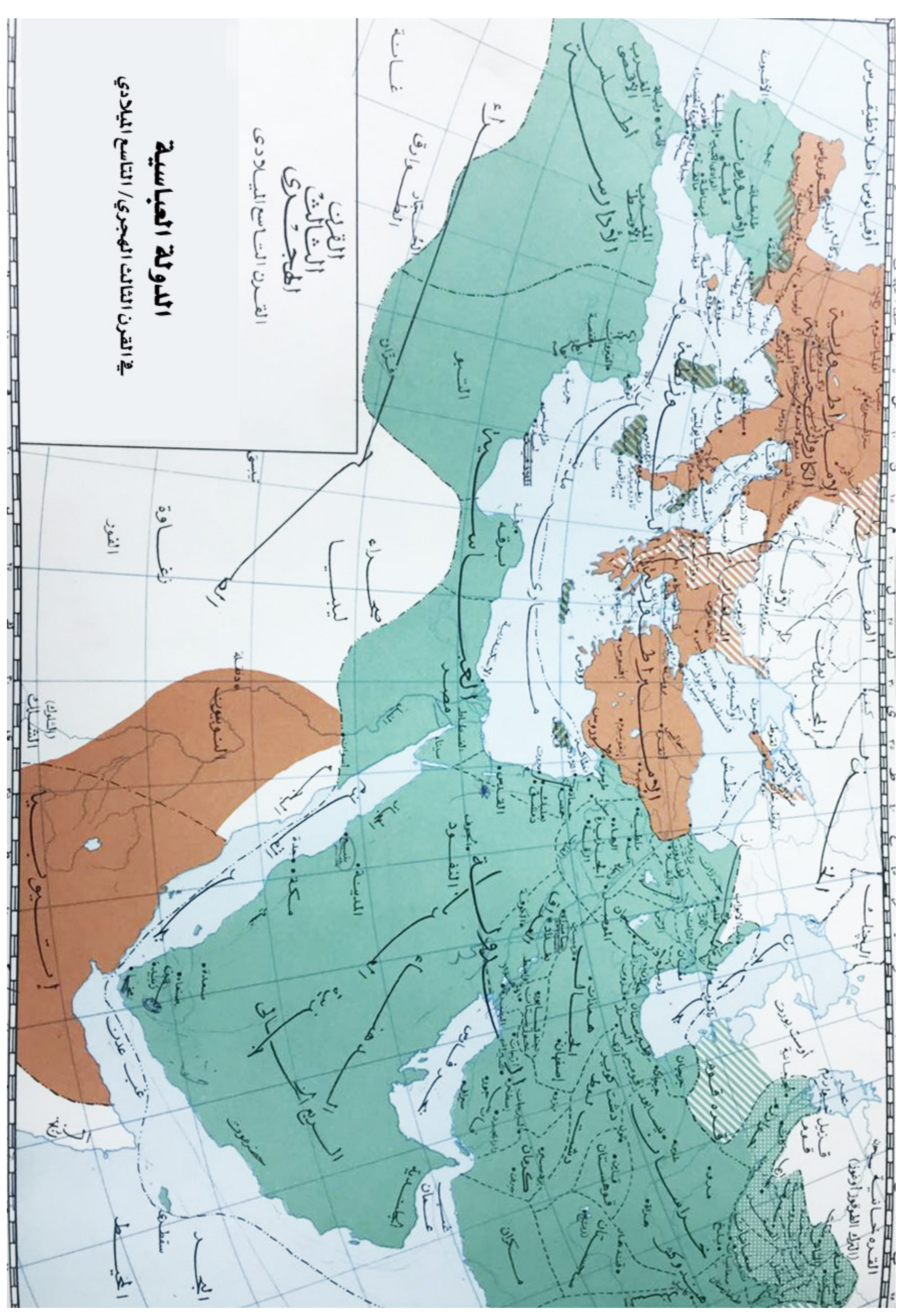
- نوري، موفق سالم (٢٠٠١م)، **خطط بغداد في معجم البلدان لياقوت الحموي**، بغـداد : المجمع العلمي.
- هازارد، هاري(١٩٥٥م)، **أطلس التاريخ الإسلامي**، القاهرة،: مكتبة النهضة المصرية.
- هرتسفلد، آرنست(١٩٨٥م) ، **تنقيبات سامراء**، ترجمة علي يحيى منصـور، بغـداد : وزارة الثقافة.
- هنتس، فالتر(١٩٧٠م)، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتـري**، ترجمة كامل العسلي، عمان : الجامعة الأردنية.
- وزارة الزراعة (١٩٧١م) ، **دليل أشجار الفاكهة**، سلسلة إرشـادية (٤٢) ، العـراق : وزارة الزراعة.
- ويلسون، السير ارنولد( د . ت) ، **الخليج العربي**، ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت : مكتبة الأمل.
- ويلكوكس، ويليم(١٩٣٧م) ، **ري العراق**، بغداد : مطبعة الحكومة.
- اليوزبكي، توفيق سلطان (١٩٧٦م)، **الوزارة نشأتها وتطورها في الدولـة العباسـية (١٣٢-٤٤٧هـ)**، جامعة الموصل : مؤسسة دار الكتب.
- يوسف ، الأمير علي(٢٠٠٢م)، مقال (القرامطـة)، **الموسـوعة العربيـة**، مـج١٥، الجمهورية العربية السورية دمشق.
- يوسف علي كامل وآخرون (١٩٧٧م) ، **دراسات حول الخلال المطبـوخ**، العـراق : مركز بحوث النخيل والتمور.
- يوسف، سلوى عبد الخالق(٢٠٠٦م)، المجالس الخاصة لبعض خلفاء العصر العباسـي الثاني، **حوليات آداب عين شمس**، جامعة عين شمس، مجلد ٣٤، عدد٣.

## ثالثاً : المراجع الأجنبية:


- Agius, Dionisius (٢٠٠٨), **Classic Ships of Islam from Mesopotamia to The Indian Ocean**, Brill : Leiden .
- Baramki, Dimitvi (١٩٦٨) , **The coins Ethibted in Thearchaeo logical of The American University**, beirut : Centennial publications.
- El- Samarraie,Husam (١٩٧٢),**Agriculture in Iraq During The ٣rd Century**,Beirut : Heidelberg press.
- Guthrie, Shirley (٢٠٠١) ,**Arab Women in The Middle Ages: Private Lives and Public Roles**,London : saqi books .
- Harold, Bowen (١٩٢٨), **The Life and Times of Ali Ibn Isa "The Good Vizier"** , Cambridge : The university Prss .
- Kennedy ,Hugh (١٩٩١) **, (Mu'tazz)** , E.I, vol, Vll, leiden, Brill, new edition .
- Kennedy ,Hugh (١٩٩٣) **, (AL mutawakil)** E.I, vol, VII, leiden, Brill, new edition .
- Kennedy ,Hugh.(١٩٩٣) , **(AL muwaffak)** E.I, vol, VIII, leiden, Brill, new edition .
- Kremer ,Joseph Von( ١٨٨٧) ,**Ueber das Einnahmebudget des abbasiden Reiches vom** Jahre ٣٠٦h.(٩١٨-٩١٩) A.H,wien .
- Michael flecker(٢٠٠١), **A ninth- Century AD, Arab on Indian Shipwreak in Indonesia for DirecT Thade with Chians**, World Archaeology Vol. ٣٢ No.٣, Shipwercks ،feb.
- Miles, George(١٩٥٠) , **The Coinage of The Umayyads of Spain**,The American numismatic society New York.
- Özaydın, Abdülkerim(٢٠٠٨) , **TÜRK** (Türkleri Islam Dinine Kabule Sevkeden Sebepler) DİA, C٤١, Stanbul .

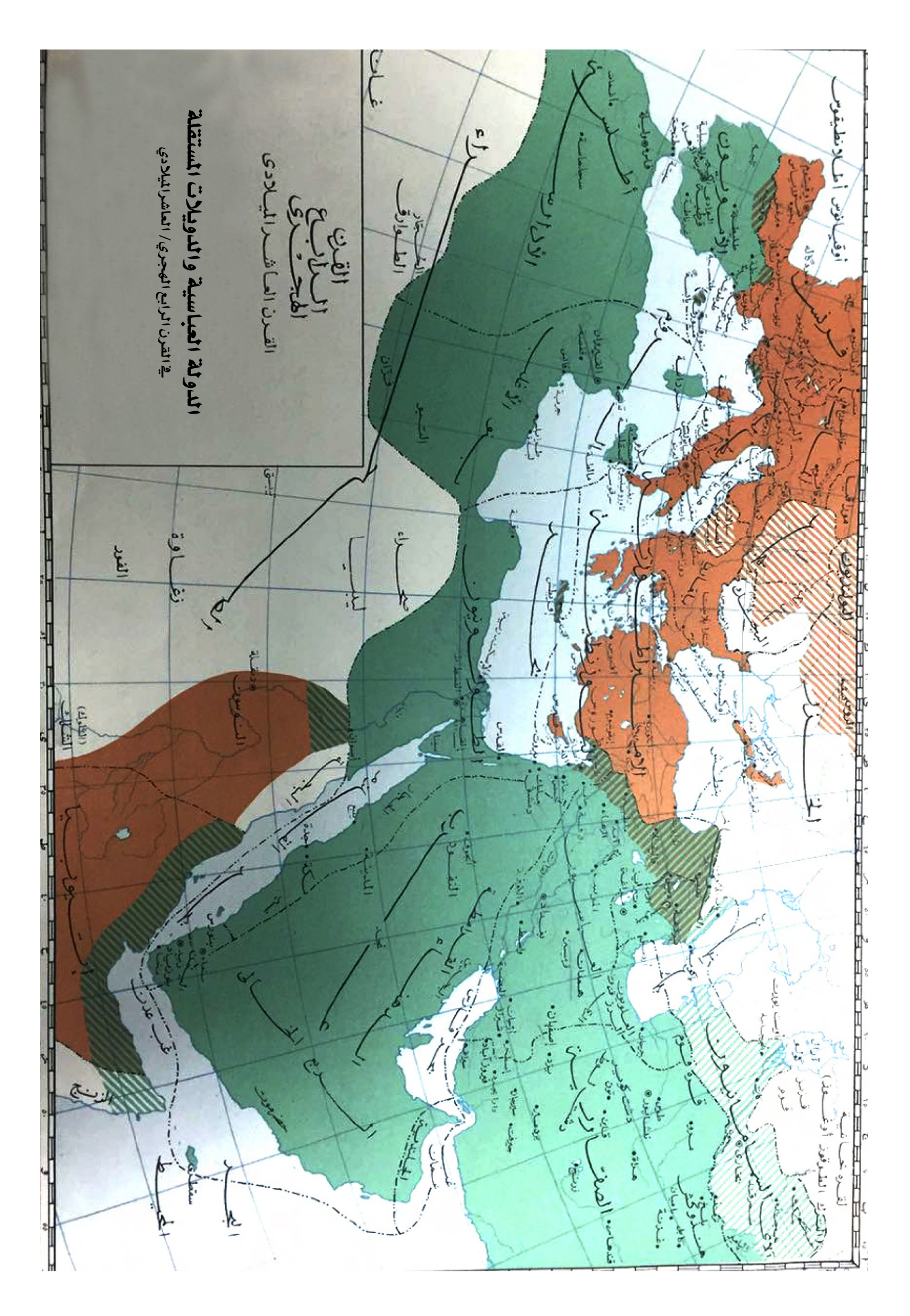
- Saliba, Ceorge (٢٠٠٨), **Chine and Islamic Civilization Silk Road**, Volume ٦, number ١, Summer.
- Serjeant, Robert(١٩٨١) ,**Studies in Arabian History and Civilisation**,London : variorum Reprints,London.
- sourdel,Dominique (١٩٥٣) ,**Inverntaire des monnaies musulmauese anciewnes du muse de cabul,** Institute francais de Danas.
- Taşağil, Ahmet (٢٠٠٨) , **(Türk)** , DIA , IS Tambul, C٤١.
- Yıldız, Hakkı Dursun (١٩٨٨) , **Abbâsîler**, DİA, C١٠ İstanbul.

## الملاحق:



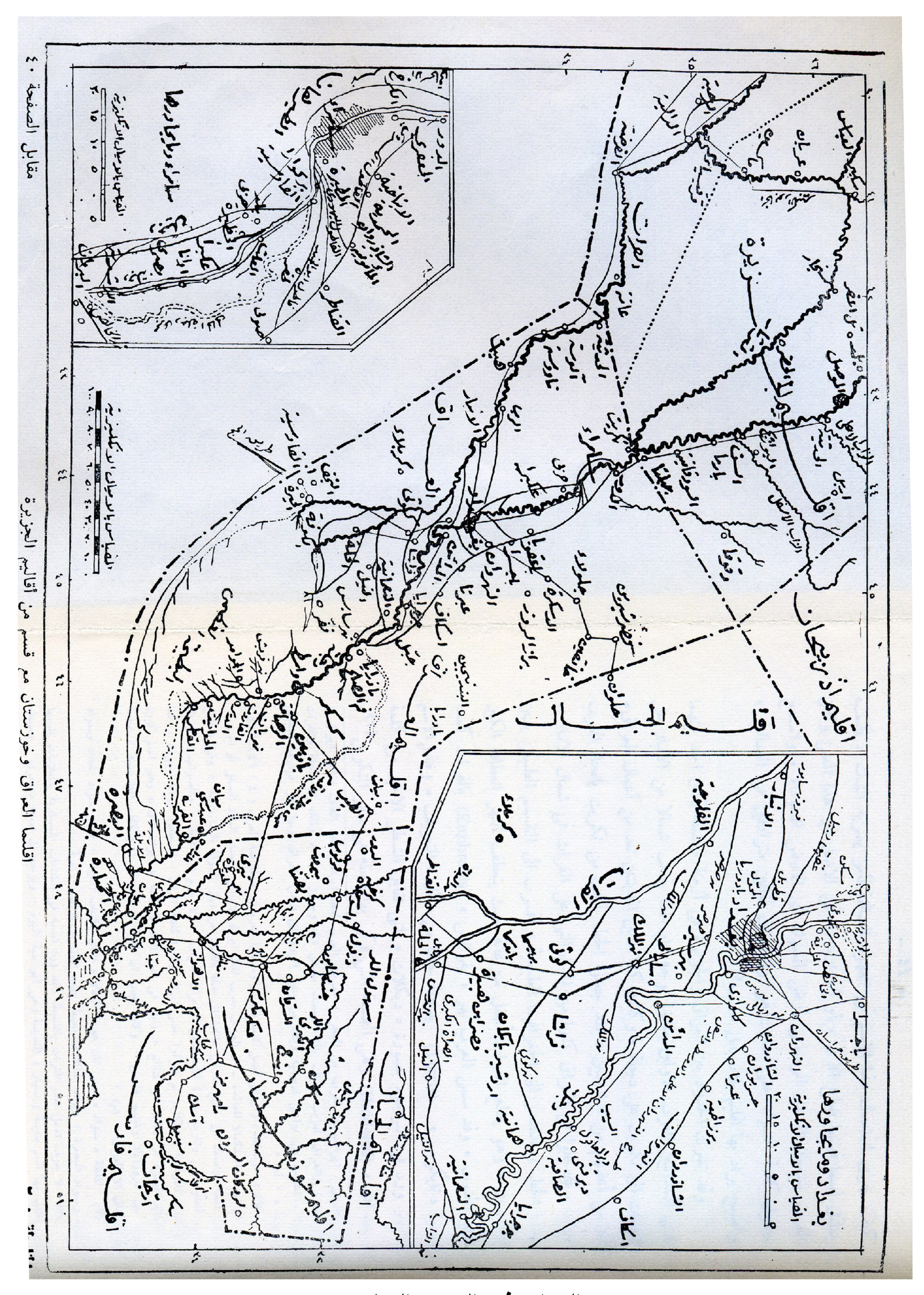
**الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري**

( المصدر: هازارد، هاري، أطلس التاريخ الاسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م)



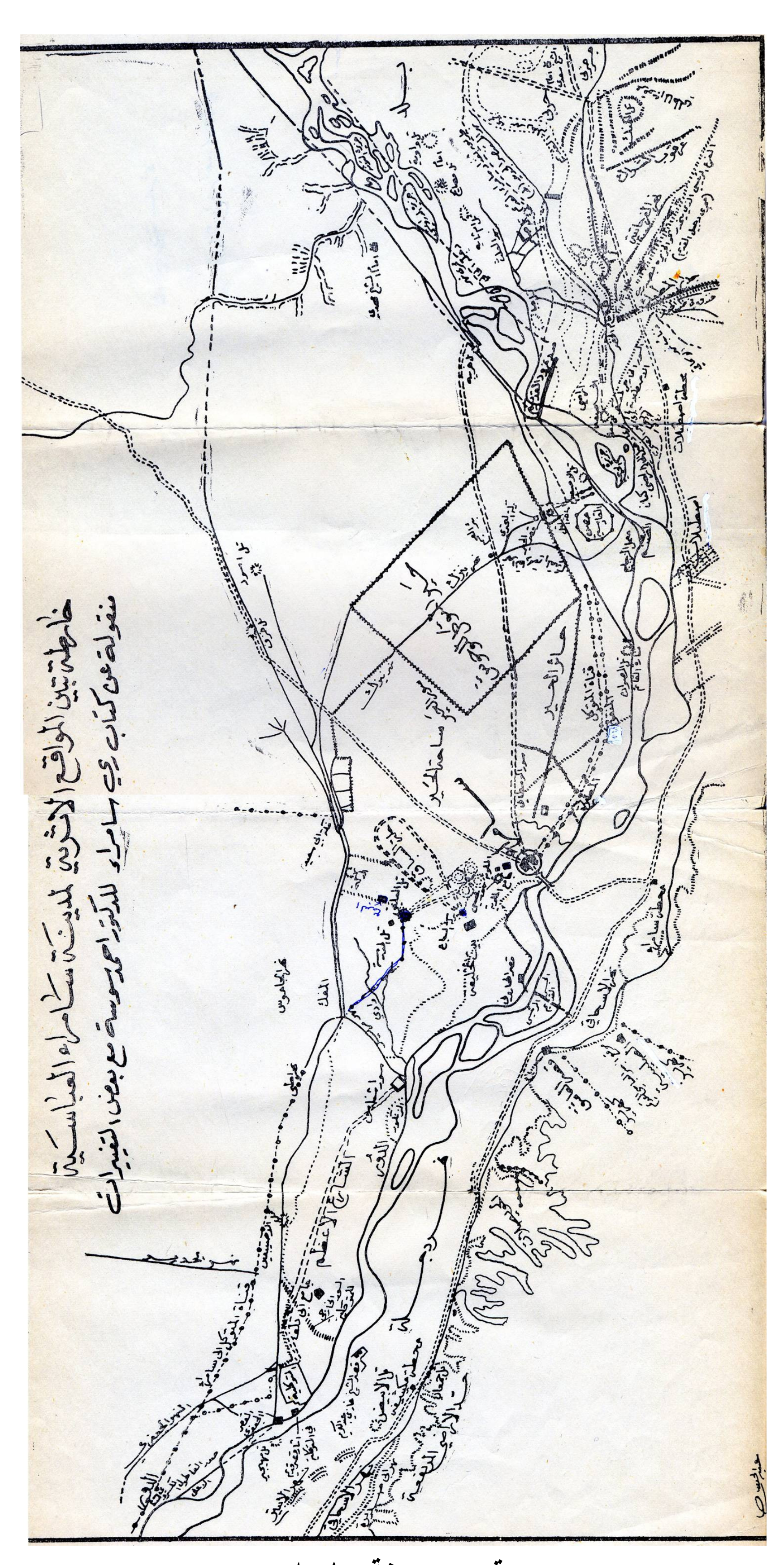

**الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري**

( المصدر: هازارد، أطلس التاريخ الاسلامي)



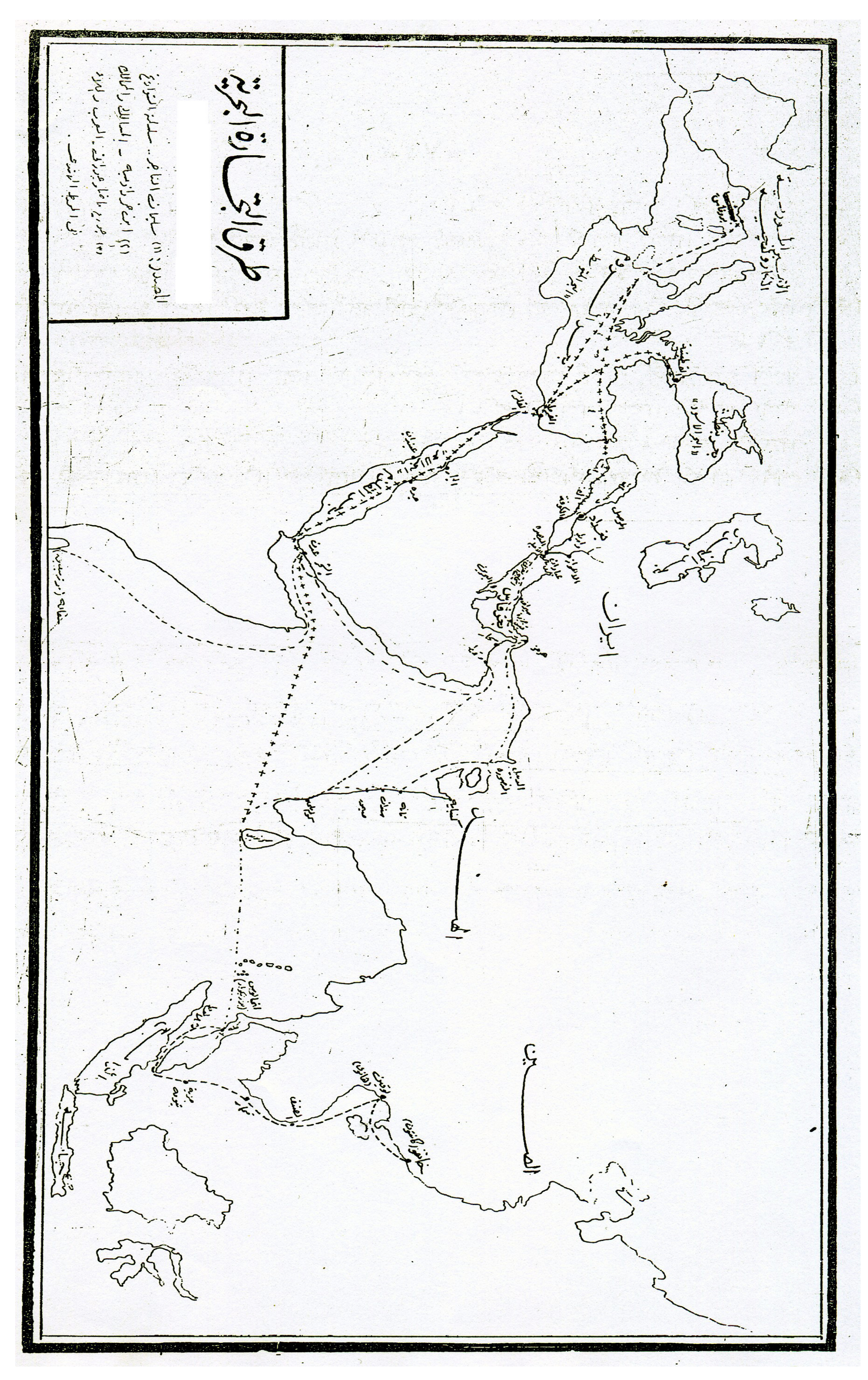

**العراق في العصر العباسي**

( المصدر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية)



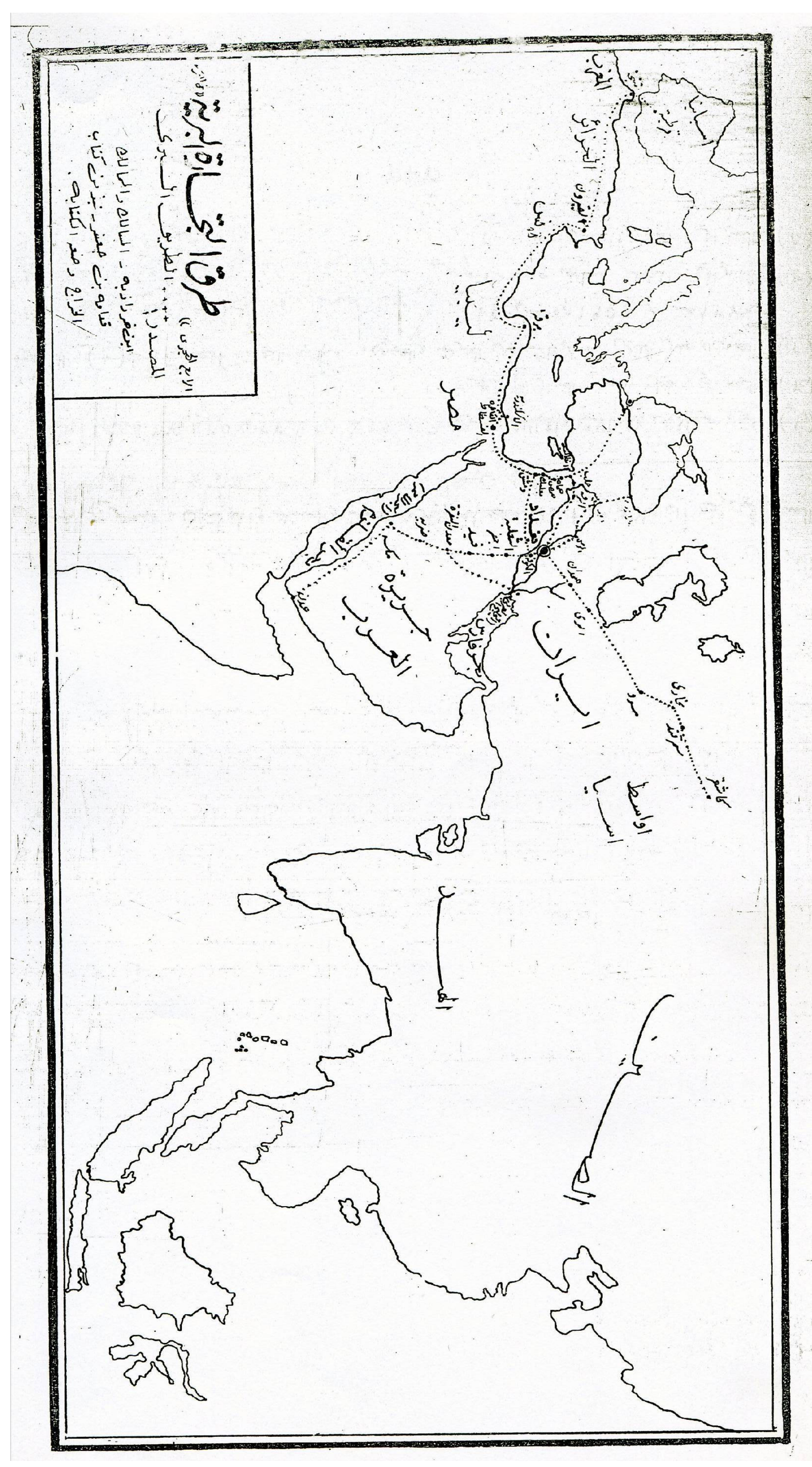
**قصور مدينة سامراء**

( المصدر: يونس السامرائي، تاريخ مدينة سامراء)



**طرق التجارة البحرية**

( المصدر: المسري، تجارة العراق، ص٢١٧ )



**طرق التجارة البرية**

( المصدر: المسري، تجارة العراق، ص٢٢٤ )